بيت الحكمة

في

عصر العباسيين

دكتور خضر أحمد عطا الله

دار الفكر العربي

بيت الحكمة في عصر العباسيين

الدكتور خضير أحمد عطا الله

كلية التقنية العليا بأبو ظبي
جامعة الامارات العربية المتحدة

الطبعة الأولى

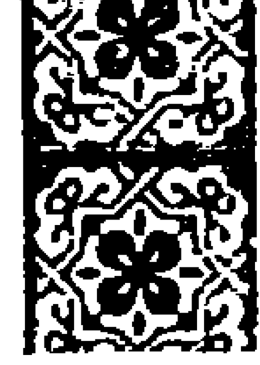
ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

إهداء

إلى والدي ...

إلى أمي ...

إلى أخي الأكبر عبد الباري



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد ..

حينما بدأت فى تسجيل موضوع **رسالتى للدكتوراه** عن « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » أدركت صعوبة الموضوع من حيث عدم توفر مصادره ومراجعه ، وأن ذلك يتطلب وقتا وجهدا ، وبحثا وتنقيبا من اجل الوصول الى الحقيقة ، وهذا ما سعيت اليه وبذلت فيه جهداً مضنيا ، فتسلحت بسلاح الايمان والصبر والجهد والمثابرة وشمرت عن ساعد الجد وطوفت أبحث وأنقب ، فوجدت بعضا من هذه المصادر والمراجع فى بعض البلدان منها الباكستان بجامعة البنجاب بلاهور والعراق ومصر وسوريا والمغرب وليبيا ولندن وأمريكا .

ولكن هذا البحث كلفنى من العناء والجهد فى ترك الأهل والولد وكل ذلك يهون فى سبيل اخراج بحث نشعر أننا قدمنا فيه شيئا جديدا خدمة لكل راغب فى التزود بزاد العلم .

أما عن اختيار موضوع « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » فلأن المكتبات الاسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التى يفخر بها الاسلام ، ولها دور بارز فى نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين ، وساعدت فى اقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام ، ويمكنهم تفهم تعاليم هذا الدين ، وترغيب الأمم الأخرى فى الدخول فى الدين الجديد .

كما أن المكتبات المنظمة الغنية بمحتوياتها هى الدعائم الاساسية التى تشاد عليها صروح العلم والثقافة والحضارة والمعرفة وهى أيضا الينابيع الفياضة التى تغذى تقدم الأمم العلمى والحضارى بماء الحياة والبقاء .

ويقاس رقى أمة من الأمم أو تأخرها بكثرة المكتبات وما تلقاه من عناية ورعاية أو ندرتها أو اهمالها . واعتبارها شيئا ذا أهمية ثانوية .

ولهذا فبيت الحكمة باعتبارها احدى المؤسسات العلمية والثقافية قد أدت دورا بارزا فى العصر العباسى كمكتبة عظيمة ودار ترجمة وجامعة اسلامية عريقة فيها دار اقامة للطلاب والأساتذة يدرس بها الطب وغيره من العلوم الأخرى ، وقد ساهمت فى النهضة العلمية والفكرية الاسلامية فى بغداد كما كان تأثيرها كبيرا فى القاهرة وقرطبة والأندلس وغيرها من البلاد الأخرى .

وقد قسمت البحث الى خمسة أبواب ، وقسمت كل باب الى فصول .

الباب الأول : يتكون من مقدمة وأربعة فصول تحدثت فى الفصل الأول عن تأسيس بيت الحكمة وأهدافها ، وفى الفصل الثانى عن انشائها والفصل الثالث شمل النظام الادارى بها والفصل الرابع عن أثر بيت الحكمة فى المجتمع العباسى .

الباب الثانى : قسمته أيضا الى أربعة فصول ، فيه المقدمة . ذكرنا فى الفصل الأول تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها .

والفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة ، عملهم ورواتبهم فيها ، والمواد الدراسية التى تدرس فيها .

الفصل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة من حيث حركة التأليف فيها وتشجيع حركة التأليف على يد الخلفاء والوزراء وعمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم . والفصل الرابع : تحدثت فيه عن المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة . ومدى تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فيها : ورغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة . ومشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فيها .

أما الباب الثالث : فيتكون من المقدمة وأربعة فصول . أشرنا فى الفصل

الاول عن بيت الحكمة فى عهد المأمون ، وحالتها قبل عهد المأمون ، وعناية واهتمام المأمون ببيت الحكمة ، وصرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة .

الفصل الثانى : بيت الحكمة بعد عهد المأمون ، وكيف أنها استمرت فى رحلتها العلمية والأدبية ، ومدى عناية الخلفاء والوزراء بها بعد المأمون ، ثم ذكرت الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعد عهد المأمون .

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الاسلامية ، فبيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلمية والتعليمية .

وكيف أن المدارس الاسلامية قد تأثرت بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة كالفلسفة والطب والمنطق والفلك والتنجيم والرياضيات . أما موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها ، فهذا ما سنوضحه فى مكانه من البحث .

أما الفصل الرابع : فيشتمل على بيت الحكمة كجامعة اسلامية عظيمة ، فقد كانت جامعة بيت الحكمة يدرس فيها الطب ويقيم فيها الطلاب والأساتذة ، كما أنها كانت تهتم بالمراصد الفلكية التى أقيمت فى دمشق وفى بغداد ، وذلك من قبيل حرص الدولة العباسية على الاسلام والمسلمين ، كمعرفة مواقيت الصلاة ... الخ .

والباب الرابع : يتكون من مقدمة وثلاثة فصول : الفصل الأول بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها . وكذلك أيضا العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ، كعلم الكلام والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والفلك والتنجيم . وفى الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة ، تحدثت فيه عن المترجمين الذين عملوا فى بيت الحكمة : كحنين بن اسحاق ، ويوحنا بن ماسويه ، والكندى ، والفارابى ، والفضل بن نوبخت .

وما كان لحركة النقل والترجمة على أيدى الموالى : كعلان الشعوبى والفضل بن سهل ، وسعيد بن هارون ، وكانوا يريدون بذلك اثبات وجودهم أمام العرب المسلمين .

ولعب المترجمون دورا هاما فى تنشيط حركة التأليف والترجمة من أمثال : أولاد موسى بن شاكر (محمد وأحمد والحسن) ، وثابت بن قره .

ويجب ان نذكر أن ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية قد أكسب الدولة العباسية مكانة مرموقة بين العالم الاسلامى والأجنبى . وقد تم ذلك على يد حنين بن اسحاق ، وأولاد موسى بن شاكر والكندى والفارابى .

أما الفصل الثالث : فهو العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها . اذ كان للخلفاء والوزراء دور بارز من حيث تشجيعهم للذين عملوا

فى بيت الحكمة كحنين بن اسحاق والكندى ويوحنا بن ماسويه . وقد حافظ الخلفاء والوزراء على نشاط مؤسسة بيت الحكمة بتشجيعهم للترجمة والتأليف ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية . كما حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة .

الباب الخامس : يتكون من مقدمة وثلاثة فصول . الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم . فكانت بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية كجامعة دار الحكمة فى القاهرة ، ودار الحكمة فى الأندلس وجامعة القرويين بالمغرب والزيتونة فى تونس .

ومن مميزات بيت الحكمة أنها ساهمت بانقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم كعمورية وأنقره وغيرها . الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة . فقد كان لبيت الحكمة تأثير فى العلوم الاسلامية مثل : علم الكلام والفلسفة والمنطق والرياضيات . كما تم نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة بادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامى من حيث التصنيف والنسخ والاشراف والطبع ... الخ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة فجامعة بيت الحكمة جامعة اسلامية عريقة تتمتع بمكانة مرموقة بين الجامعات الحديثة فقد اثرت فيها وخاصة جامعة الأزهر بالقاهرة كما كان تأثيرها أكبر فى الجامعات الأجنبية الأوروبية كجامعة أكسفورد وكمبردج ومونبلييه بفرنسا . وقد كان لجامعة بيت الحكمة اثر فكرى وفلكى على الجامعات الحديثة فمعرفة الاسطرلاب وقياس مساحة الأرض ودورانها ومحيطها . كل ذلك كان بواسطة المراصد الاسلامية التى كانت فى الدولة العباسية . وكانت جامعة بيت الحكمة الرائدة فى ذلك رغم عدم اكتشاف الآلات الحديثة الآن . كما كانت جامعة بيت الحكمة ذات تأثير فى الجامعات

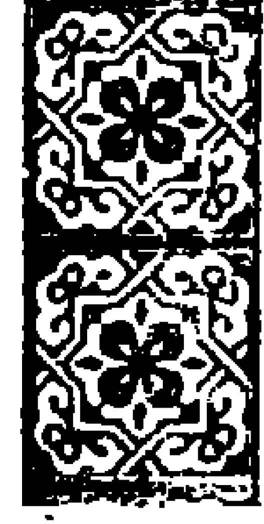
الحـــديثة حيث تأثرت بعلومها : كالطب والكيمياء والفلك والتنجيم والفلسفة والمنطـــق والرياضـــــيات .

وهكذا حظيت بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية وجامعة اسلامية عظيمة ، حيث تزودت بزاد فكرى لا ينضب ، ولعـــل هـــذا راجع الى تشجيع خلفاء الدولة العباسية للحركة العلمية حيث أصبح العلم ميسرا لطلابه ومحبيه ؛ وقـــد لعب هـــذا العـــامل دورا بارزا فى ازدهار الحركة العلمية اذ قـــام الخلفـــاء بالاشراف عليها وتشجيع العلمـــاء على البحث والمناقشة والمناظرة والتأليف حتى أصبحت قصورهم تعج بالعلماء والفقهاء والأدباء الذين يتبارون فى مجلس الخليفة ويتنافسون فى قـــوة الحجة وسرعة البديهـــة .

وان من أمتن الأسس التى تشيد عليها صروح المجـــد والسؤدد ومن أقـــوى مقـــومات الشخصية الدولية ولا سيما أن الاسلام قـــد جعل العلم فريضة على كل مسلم ، وأوصاهم بطلبه من المهـــد الى اللحـــد وحثهم على السعى وراءه أينما كان .

هـــذا هـــو جهـــد المقـــل ـــ اللهم أن أحسنا فثبتنا على الحـــق ، وان جانبنا الصـــواب فأرشـــدنا الى طريق الحق والخير .

عليك توكلنا واليك أنبنا ، والحمد لله رب العالمين ..



بحث فى المصادر والمراجع

تقدمت لدراسة « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » بخطى بطيئة ولكنها ثابتة ، فقد كنت أدرك ما يحتاجه هذا الموضوع من فكر وجهد ، وهو موضوع بكر لم يعالج من قبل على النسق الذى يعرض به الآن . ودراسة « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » كدراسة غيره من موضوعات الحضارة وتحقيق التراث تحتاج الى صبر ودأب ومثابرة . ولهذا احتاج هذا البحث الى جهد متصل وكفاح طويل فى سبيل اتمامه ، وأذكر أننى طالما قرأت كتبا ضخمة بعضها يقع فى عدة أجزاء ، وكنت آمل أن أجد فيها ما يفيدنى فى بحثى ، ولكنى كنت أخرج منها بمحصول ضئيل أو أخرج بلا شىء . وهناك حقيقة أخرى ذات أهمية كبرى ، هى أن كل باب من أبواب هذا البحث كان يحتاج الى مصدر غير تلك التى تلزم عند كتابة باب آخر منه . بل ان كل فصل من فصول الباب الواحد كان يحتاج الى مصادر غير مصادر فصل آخر فى نفس الباب . وعلى ذلك فقد احتاج هذا البحث الى عدد كبير من الكتب والمخطوطات والوثائق لتمد الموضوع بالمادة التى تشرح جوانبه ، وتكشف عن غموضه ، ومن أجل هذا قمت برحلة طويلة زرت فيها الباكستان ومصر وسوريا والاردن والعراق والمغرب وتركيا — كما استطعت فى هذه الرحلات أن أزور مكتباتها التى أمدتنى بمخطوطات ومؤلفات أفادتنى فائدة عظيمة القيمة جليلة الشأن ، كما كانت اتصالاتى بأستاذى البروفسور أمان الله خان رئيس قسم الدراسات الاسلامية بمعهد الدراسات الاسلامية بجامعة البنجاب بلاهور ، وقد كان لتوجيهاته وارشاداته خير عون لى فى بحثى جزاه الله عنى كل خير . أما المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى هذا فكثيرة ومتنوعة وبخاصة فيما يتعلق بالمصادر ذات الصلة الوثيقة بالبحث .

فابن النديم (ت ٤٣٨ هـ/١٠٤٦ م) فى كتابه (الفهرست) يزدونا بمعلومات قيمة جدا عن موضوع بحثنا هذا بصفة عامة ، فقد ذكر أن بيت الحكمة كانت اكاديمية مختصة بالبحث والدرس وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما تحدث عمن كانوا يعملون فى بيت الحكمة من حيث تنوع ثقافاتهم ومعارفهم كسهل بن هارون وغيره ، وكيف أن بيت الحكمة ازدهرت وارتقت فى عهد المأمون لميله للفلسفة

والعلوم العقلية ، وحبه للعلم والعلماء وتشجيعه لهم . وأشار ابن النديم الى دور أهل الذمة ممن كانوا يعملون فى بيت الحكمة واسهامهم فى حركة الترجمة ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية : مثل يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا . وتحدث أيضا عن مكانة المدرسين عند الخلفاء العباسيين واحترامهم لهم ، وكيف كانوا يجرون عليهم الرواتب والأرزاق ، كما وصف ترتيب وتنظيم التلاميذ داخل الحلقات الدراسية فى داخل بيت الحكمة أمثال : حلقة الفارابى والرازى . وكيف كانت تعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة من أجل التوصل للحقائق العلمية . وذكر ابن النديم ان بيت الحكمة بقيت تؤدى واجبها العلمى بكل همة ونشاط حتى النصف الأخير من القرن السابع الهجرى ، وهذا بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء ورعايتهم للحركة العلمية فيها . ومرجع ذلك الى أن ابن النديم قد عاش فى بغداد ، وكان مطلعا على ما فى هذه المدينة العالمية من الكتب . فكتابه يحتوى حصيلة التأليف الذى تم أو وجد فى بغداد التى كانت أكبر مركز ثقافى فى العالم الاسلامى . وكانت صلتها أوثق ببقية مدن العراق وخراسان وبلاد الجزيرة والشام . ففى سنة ٣٧٧ هـ أتم محمد ابن اسحاق النديم كتابه (الفهرست) فهو أوسع كتاب شمل أسماء الكتب المؤلفة بالعربية أو المترجمة اليها حتى سنة تأليفه مع معلومات عن بعض رجال العلم ، وعن نشأة بعض العلوم ، ويتكون كتابه من ثلاثة أقسام رئيسية عرض فى أحدها المؤلفات فى العلوم العقلية بما فى ذلك القرآن الكريم والحديث واللغة والتاريخ والأدب ، وعرض فى الثانى ما يتعلق بعلوم الأوائل فى الفلسفة والطب والرياضيات والهندسة والحيل . أما القسم الثالث ففيه أبحاث عن نشأة الكتابة وقد وضعه فى أول الكتاب وعن معتقدات وتاريخ بعض الاديان والملل وقد وضعها فى آخر الكتاب .

كما حظى كتاب (الفهرست) لابن النديم بالتقدير الجدير به فنقل عنه عدد ممن تلاه من المؤلفين المعنيين بهذا الجانب ، ومن أبرز من نقل عنه ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الأدباء » والقفطى فى كتابه « أخبار الحكماء » و « الأنباه فى اخبار النحاة » وابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » وابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » .

وألف جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) أو (تاريخ الحكماء) الذى يعد وثيقة هامة فى مجال البحث فيه ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأمة قديمها وحديثها حتى زمن المؤلف وما حفظ عنه من قول انفرد به أو كتاب صنفه .

والواقع أن فائدة مؤلف القفطى هـذا قـد شملت معظم فصـول البحث فقـد أشار القفطى الى أهمية مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة فى بيت الحكمة ، الذى ولده دخول الموالى والبرامكة فى أحضان الدولة العباسية .

وأهم الشخصيات التى قامت بهـذا الدور هى : الفضيل بن نوبخت وأولاد شاكر ، ويوحنا بن ماسويه الذى ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القـديمة وجعله أمينا عليها . كما تحـدث عن المجالس العلمية والحلقات والمنـاظرات . وأورد القفطى قائمـة كاملة لمؤلفات حنين بن اسحاق باللغتين السريانية والعربية ، اذ أنه أورد فى كتابه تراجم العلمـاء الذين ذكرهم وأسماء كتبهم ويبلغ عـدد من ترجم لهم من الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الحساب والهندسة أربعمائة وتسعة . وتحـدث القفطى عن بداية نشأة بيت الحكمة وكيف أن الرشيد قسمها الى عـدة خزائن أو أقسام لكل منها من يقوم بالاشراف عليها ولهـا تراجمة يتولون الترجمـة فيها ومجلدون يجلدون الكتب فصار لهـا دوائر علمية . كما ذكر القفطى الكثير من البعثات التى أرسلها الخلفاء العباسيون لجلب كنوز المعرفة والثقافة من جميع أنحاء المعمورة أمثال البعثة التى أرسلها الرشيد الى أنقرة وعمورية لاختيار كتب الفلسفة والطب والكتب القيمة التى يندر وجودها . وكذلك البعثة التى أرسلها المـأمون برئاسة يحيى بن البطريق لاحضار الكتب اللاتينية لأنه يعرف اللاتينية .

أما ابن أبى أصيبعة موفـق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفـة الخزرجى (ت ٦٦٨ هـ/١٢٩٦ م) فى كتابه (عيون الأنبـاء فى طبقات الأطباء) الذى يعتبر ذكرا خالدا له ، ومؤلفا ضخما وهو أحسن كتاب فى التراجم لا يشبهه الا كتاب أخبـار الحكماء السابق الذكر ، لكنـه امتاز عليه بأنه أوسع واوفر مادة ، وقـد ابتـدأ المؤلف بترجمـة كبار الأطباء زمن الاغريق والرومان والهنود وقسمه الى عـدة اقسام . وهـو يحتـوى على ما ينـوف عن أربعمائة ترجمة . هـذا وان المؤلف المذكور كان خير عـون لى ابان بحثى لمعظم الشخصيات من الأطباء والعلمـاء والفلاسفة ورجال الأدب ، الذين كان لهم دور فى ازدهار الحركة العلمية وحركة الترجمة فى بيت الحكمة فى العصر العباسى أمثال : آل بختيشوع ، ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسـحاق والخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان الطبرى ، ، وحبيش بن الأعسم .وخص حـديثه أشهر المترجمين والنقلة فى عهـد الرشيد والمـأمون من جميع اللغات اليونانية والهندية والفارسية والسريانية الى اللغة العربية . وعن رواتبهم حيث بلغت ٥٠٠ دينار للنقلة والملازمة . كما تحـدث عن أهتمام الوزراء بالنقـل والترجمة من أمثال : محمد بن عبد الملك الزيات حيث

نقلت باسمه عدة كتب . والوزير أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب ، وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم من وزراء البرامكة أمثال : أبو سلمة الخلال . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، أما الطبعة التى اعتمدت عليها فهى طبعة د. نزار رضا سنة ١٩٦٥ م فى بيروت .

أما ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) فى كتابيه (معجم الأدباء) و (معجم البلدان) فهو يؤكد أن بيت الحكمة كان فى حيز الوجود أيام هارون الرشيد اذ يقول : « أن علان الشعوبى انوراق كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » .

كما يؤكد ذلك ابن النديم . ويشير الى أن هناك خزائن أخرى على غرار بيت الحكمة أمثال : خزائن الحكمة التى أنشأها على بن المنجم فى قصره وفتحها للراغبين فى الدرس يقيمون فيها ويطالعون الكتب والفقه على حساب يحيى بن المنجم . كما تحدث أيضا عن اهتمام العلماء والخلفاء بخزائن الكتب . ويذكر كيف كانت المساجد والجوامع الاسلامية فى العراق معاهد مهمة يشد اليها الرحال من جميع أنحاء العالم . فقد نالت بغداد شهرة فى آفاق العالم الاسلامى وكيف انها كانت مركزا للعلم والعلماء .

وتحدث عن المدارس فى بغداد فى العصر العباسى . وكيف كانت دكاكين الوراقين منتدى لالتقاء الأدباء والفضلاء يتناشدون الأشعار . وأشار الى اثر مدرسة المعتزلة فى اثراء الفكر الاسلامى وخاصة فى النحو والتفسير واللغة ، وأن بيت الحكمة يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس وحتى من الشعوبيين المغالين فى بغض العرب أمثال علان الشعوبى وسهل بن هارون . كما أشاد بتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية فى بيت الحكمة كالفضل بن جعفر وسهل ابن جعفر وسهل بن هارون ودوره فى حركة النقل والترجمة . ويذكر ياقوت أن بيت الحكمة كان بها خبراء بالعلوم الالهية والعقلية : كالهندسة ، والطب ، والتنجيم ، والمنطق ، وبها تعقد المجالس لأهل العلم والأدب .

وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/١٢٨١ م) فى كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) فيعتبر من أهم كتب التراجم التى رجعت اليها ، بالاضافة الى كتاب ياقوت الحموى « معجم الأدباء » حيث وجدت فى كل منهما عددا غير قليل من تراجم العلماء . فقد تحدث ابن خلكان عن أشهر فلاسفة وعلماء المسلمين الذين عاصروا بيت الحكمة أمثال : أولاد شاكر والخوارزمى والبتانى واسحاق بن حنين ، وآل

قره (ثابت بن قره وابنه سعيد بن سنان) . كما كان لهؤلاء جميعا آثار فى الفكر والتراث الاســلامى فى مختلف ألــوان العــلوم مثل الطب والفلسفة والرياضيات والميكانيكا والمنطق والفلك . وأشار الى سخاء وعطاء الخلفاء والوزراء وتشجيعهم للحركة العلمية . وتحــدث عن البرامكة والمعتزلة ومكانتهم عند الخلفاء ، ممــا أثار التنافس فى التأليف بين العلماء وخاصــة فى النحو والأدب واللغــة . كما ذكر ابن خلكان البعثات التى أرسلت الى بلاد الروم لاحضار الكتب والنقلة الذين عنــوا بعلوم الهندســة والموسيقى والنجــوم .

وكذلك غريغوريوس أبو الفرج المعروف بابن العبرى (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م) وكان له اطلاع واسع بالعربية والسريانية واليونانية وقــد ألف كتــابه المشهور (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر من المصادر العلمية الثمينة فى تاريخ اليهــود ، ومن عاصرهم من الكلدانيين والفرس واليونان ، وقــد تناول المؤرخ دول ملوك العرب حتى سقوط بغــداد على يد المغــول . وان ما رواه من الأخبار والوقائع والسير والتراجم يدل على خبرة ومعرفة وذلك من مقارنتها بالحــوادث والوقائع التى أشار اليها الطبرى ، وابن الأثير ، والمسعودى ، وابن خلدون، وابن الطقطقى وغــيرهم .

فقد تحــدث ابن العبرى عن أبرز مترجمى الخليفة المــأمون من أهــل الذمة أمثال : يوحنا بن ماسويه الذى عينه المــأمون أمينا على بيت الحكمة وقد كان طبيبا ماهرا ، كما أشار الى ثابت بن قره الذى اشتغل بالتنجيم وخبرته باللغات الأخرى . والخوارزمى الذى ألف فى الرياضيات والفــلك ، ويحيى بن البطريق وأبى على عيسى ابن زرعــه الذى اشتغل بالمنطق وبرع فى الفلسفة . ويشير الى تشجيع الخلفــاء وتنشيطهم لحركة الترجمة والتأليف فى بيت الحكمــة . وهــذا واضــح فى اغــداق الرشيد الأموال على طبيبه بختيشوع بن جرجيس .

والمؤرخ صاعــد بن أحمــد الأندلسى (ت ٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م) فى مؤلفــه (طبقات الأمم) الذى يضم بين دفتيه معلومات هامة فى مضمار البحث ، وخاصــة فيما يتعلق بالجوانب المختلفة من حياة الشخصيات العلمية التى لمع واقترن اسمها ببيت الحكمة البغــدادى كحنين بن اسحاق وابنــه اسحاق ، وثابت بن قره ، وعمر ابن الفرخان الطبرى ، وقسطا بن لوقا ، وسنان بن ثابت وعن الحاسب كمنجم . كما تناول أيضا اهتمام الخلفاء والوزراء بالعلماء وحبهم وتشجيعهم لهم وارســالهم البعثات العلمية محملة بالهــدايا الى ملك الروم للحصول على ما لديهم من كتب قيمة

منها . فكتاب (طبقات الأمم) كتاب صغير الحجم لكنه ذو قيمة كبيرة لما احتواه من معلومات غنية وملاحظات ذكية وأحكام رصينة ونظرة شاملة أفادتنى فى بحثى .

أما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م) فقد تناول فى كتبه (البيان والتبيين) و (الحيوان) و (التاج) نظم ورسوم الدولة العباسية ، وسياسة خلفائها وأمرائها ، ومدى التأثير فى الحضارة الاسلامية ، وهو يعد بحق مفخرة من مفاخر الكتاب المسلمين بما تضمنه من صدق الأخبار وتصوير الحقائق بالاضافة الى أسلوب التعبير والتفكير ، حيث كان يجانس بين آداب الفرس وأحوالهم ، وسياسات ملوكهم ، وبين ما يماثل هذه الأحوال والسياسات عند العرب والمسلمين ، وذلك على سبيل المقارنة والاستطراد اللذين هما من أخص سجاياه . فقد تحدث عن ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول الذى عاصره الجاحظ وخاصة فى عصر الرشيد ، فذكر أهم الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى تنشيط هذه الحركة كسهل بن هارون وعلان الشعوبى . كما ذكر مجالس البرامكة وكيف كانت مقامة على سلطان العقل والحرية العقلية فى مجالس الخلفاء والندوات التى كان يعقدها ابن أبى دؤاد المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والواثق ويحضرها كبار المترجمين والأطباء . كما أشار الى استعمال الاسطرلاب لمعرفة حركة النجوم وشهرة الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب .

كذلك المسعودى (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) فى كتابيه (مروج الذهب) و (التنبيه والاشراف) ومع أنه ألف أكثر من عشرين كتابا لم يصل الينا الا هذين الكتابين . أما التنبيه والاشراف فقد أتم تأليفه فى سنة ٣٤٥ هـ عنى فيه بما يتعلق بالفلك والجغرافيا ، وذكر معلومات قيمة عن أحوال الأمم الأخرى مما له علاقة بالعلم وتطوره ، فذكر كيف تدرج التعليم من المساجد الى المدارس الى بيوت خاصة فى العلم أطلق عليها بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة والتى كان من أشهرها بيت الحكمة البغدادى .

وأشار الى مجالس البرامكة والندوات الكبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل النحل مما أذكى الحركة العلمية فى بيت الحكمة فى عهد الرشيد والمأمون حيث كان الخلفاء يغدقون عليهم الأرزاق والرواتب . كما ذكر بعض الشخصيات الهامة التى كان لها دور فى حركة النقل والترجمة كسهل بن هارون وعبد الله بن المقفع . وأشار فى حديثه عن علم الفلك ومن اشتهر به .

كذلك رجعت الى ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) فى كتابه (المقدمة)

فقد عرض فى مقدمته وتاريخه عن الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العصرين الأموى والعباسى وبين رأيه فيها . تحدث ابن خلدون عن دور صاحب بيت الحكمة وأنواع الطوائف العاملين بها وقسمهم الى عدة طوائف كالنساخين والمترجمين والمجلدين ... الخ . ومهمة كل طائفة منهم . كما تحدث عن الدوافع التى ساعدت على ازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى الأول . والجهود التى بذلها الخلفاء العباسيون فى سبيل ازدهارها . والبعثات التى أرسلوها لعقد صفقات لشراء الكتب وكيف تدفع فى سبيلها أغلى الأثمان . وعن حب العرب للمكتبات فى الأندلس اقتداء بما فعله الخلفاء العباسيون فى بغداد .

أما المقريزى (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) فى كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) فقد تحدث عن المدارس فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ثم أشاد بدور المأمون فى جلب كنوز المعرفة من بلاد الروم ، وكيف عربها عن طريق المعتزلة وخاصة كتب الفلسفة ، بل قام خلفاء الدولة العباسية الآخرون بنفس الدور فكانت قصورهم مركز اشعاع فكرى وثقافى أمثال المعتضد بالله . ثم انتقل للحديث عن انشاء دار الحكمة فى مصر التى انشأها الحاكم بأمر الله . وكيف كانت مذهبية خاصة على عكس بيت الحكمة البغدادى الذى كان فيه الفكر حرا غير مقيد بمذهب معين .

وابن قتيبة (محمد بن مسلم بن قتيبة) (ت ٢٧٦ هـ) فى كتبه (المعارف) و (الامامة والسياسة) و (عيون الأخبار) كان من أقدم الكتب . وهو كتاب شامل نقل فيه نصوصا كثيرة عن مواضيع متعددة منها ما يتصل بمكانة العلماء والأطباء عند الحكام الذين نقل عنهم ومنهم أرسطو ، وماسرجويه ، وبختيشوع ، وماسرجيس ، وسلمويه ، وحنين . وكان لكتاب عيون الأخبار مكانة كبيرة ، واعتبره ابن خلدون أحد الأركان الأربعة من كتب الأدب عند العرب . وقد اقتبس منه عدد كبير من المؤلفين . وقد تناول ابن قتيبة المباحثة والمناظرة فى مجلس الخليفة المأمون ودوره كرئيس للمجلس حيث كان الحوار مذهبيا ، فأشار الى المعتزلة ومذهبهم فى بداية العصر العباسى الأول وموقف الخلفاء منهم . وأكد ابن قتيبة فى كتابيه (الامامة والسياسة) و (المعارف) تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للعلماء والمؤلفين وبذل العطاء لهم ، وسيادة التسامح الفكرى وأثر ذلك فى ظهور الفرق الكلامية واحتدام الجدل بينها .

كما تحدث عن الكندى فيلسوف العرب ونشاطه الفكرى فى الفلسفة والتاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجوية .

أما الطبرى (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) فى كتابه (تاريخ الرسل والملوك) الذى اعتمدت عليه اعتمادا خاصا توضيحا للدور الذى لعبه الوزراء فى الدولة العباسية من خلال الحوادث التاريخية كما عنى الطبرى بسرد الحوادث السياسية وتطرق فى مقـدمته الى جـوانب هى من صميم علم الفلك فتحـدث عن انشاء المراصـد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة . وذكر بعض الأمور الادارية والعمرانية ، ولكنه لم يبحث ما يتصل بالعلم والعلماء ، علما بأنه ألف كتبا أخرى هى تفسير القرآن والفقه ، وفيها معلومات اضافية لبعض جوانب التاريخ ، اذ تعرض للحـديث عن الحياة الاجتماعية فى زمن الرشيد وكيف كانت قائمة على التوازن بين الجـد واللهـو ، وناقش قضية خلق القرآن وموقف المـأمون منها من حيث انتصر لآرائهم أيمـا انتصار ، وتشدد فى التمسك بهم .

وقـد تبعه فى ذلك ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) فى كتابه (الكامل فى التاريخ) فى منهاجه واعتمد عليه فى أخباره ورواياته الا أنه أخـذ من هـذه الروايات والأخبار أوثقها فى نظره . فقد تحـدث ابن الأثير عن تشجيع الخلفـاء والوزراء العباسيين للحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى سـبيل اثراء التراث الثقافى فى جميع جوانبه الدينية والعلمية والفلسفية فى بيت الحكمة ، كما أشـاد بدور الفضل بن جعفر فى جمع الكثير من الكتب التى يحتاج نقلها الى أربعمائة بعير ، وكان ما كتبه الطبرى وابن الأثير فى التاريخ موسوعات تاريخية قيمة وكاملة .

وأما الخطيب البغـدادى (ت ٤٦٣ هـ) فى كتابه (تاريخ بغـداد أو مدينة السلام) فهو مؤرخ مدينة بغـداد ، فقد خصص لهـا مجلدا كبيرا فى تاريخه تناول خططها وصروحها وآثارها بافاضة . وهـو مجموعة تراجم للعلماء الذين عاشـوا فى بغـداد وما حـولها ولمن زارها وعرف بالرواية فيها خـلال تلك الزيارة ، وهـو على كل حال واحـد من أكبر معاجم التراجم المخصصة للعلماء ، اذ كثيرا ما تجـد فى تاريخ بغـداد معلومات عن مواقع المساجد والقصور ومنازل العلمـاء ودكاكينهم ، خاصة منهم الذين عاشوا فى القرنين الرابع والخامس الهجريين .

وألف ظهير الدين البيهقى (ت ٥٦٥ هـ) فى كتاب (تتمة صوان الحكمة) الذى طبعه محمد شفيع فى لاهـور سنة ١٩٣٥ م معتمدا على مخطوطة فى برلين ثم طبعها محمد كرد على سنة ١٩٤٦ م بعنوان (تاريخ حكماء الاسلام) معتمدا على نسختين مخطوطتين فى استانبول . وفى هـذا الكتاب ترجمة لمـائة واحـد عشر من العلمـاء والحكماء فى الاسلام ، معظمهم ممن عاش بعـد تأليف « صوان الحكمة » وذكر عن

كل منهم اسمه ونسبه وبعض أقواله وكتبه . ومن العلماء الذين تحـدث عنهم البيهقى ثابت بن قرة وابن على الشريف البغـدادى وكيف كان عالمـا بالهندسـة وأجزائها وعارفا بالقانون الفيثاغورى من الموسيقى ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش ابن حسن الدمشقى ، وكان من الأطباء المتقـدمين والمهندسين متى بن يونس كان حكيمـا نصرانيـا ».

وأشار القلقشندى (ت ٨٢١ هـ/١٤٤٨ م) فى كتابه (صبح الأعشى فى صناعة الانشاء) الى خزانة بيت الحكمة ، وكيف كان يستفيد منها الرواد والعلمـاء وطلاب العلم الى أن استولى عليها المغـول . كما أشاد بحركة الترجمة التى قامت فى بيت الحكمة فلم تكن مقصورة على الخلفاء العباسيين بل اهتم الأثرياء منهم بها كأولاد موسى بن شاكر الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بذلك .

وابن الجـوزى (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) فى كتابه (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) مؤلف غزير كل الغزارة متنوع كل التنـوع ألف فى كثير من الموضـوعات كالتاريخ والتراجم والحـديث الشريف والتفسير والتصـوف ، وكان ذا حظـوة لدى الخلفاء العباسيين ، وألف كتابه هـذا ليقص سيرة التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عصره هـو . تحـدث عن المدارس فى العصر العباسى ، ودور الخلفـاء والوزراء فى نشاط مؤسسة بيت الحكمة حتى أن الصاحب بن عباد أنفق على الفقهاء والأدباء خمسة آلاف دينـار توزع عليهم .

أما الجهشيارى (ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م) فى كتابه (الوزراء والكتاب) والذى يعـد مصدرا هاما من مصادر التاريخ الاسلامى فيعنى بدراسة الوزارة والوزراء فى الدولة العباسية . فتحـدث عن موقف الرشـيد من المعتزلة ، ودور الفضـل ابن سهل فى حركة النقـل والترجمة . وأنه كان مقربا من الخلفـاء والبرامكة . كما أشار الى دور الخلفاء والوزراء وتشجيعهم لحركة الترجمة وخاصة آل سهل وعلى رأسهم الفضل الذى يترجم للمـأمون .

كذلك ابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م) فى كتابه (الفخرى فى الآداب السلطانية) الذى عالج الأمور السلطانية والسياسات الملكية ثم تحـدث عن الخلفاء العباسيين ووزرائهم فى هـذا العصر والعصر الذى يليه . فقد ذكر المباحثة والمناظرة ووصف الدولة العباسية بأنهـا ساست العلم سياسة ممزوجة بالدين والملك فوصفها بأنها دولة كثيرة المحاسن جمـة المكارم ... الخ .

ومن هـــذه المصادر أيضا كتاب (طبقات الأطباء والحكماء) لسليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م) وهـــو طبيب أندلسى عاش زمن عبد الرحمن الناصر الذى وصف عصره بأنه « تتابعت الخبرات فى أيامه ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس ممـــا كان فى صـــدر دولته من الأطبـــاء المشهورين » . يضم كتاب طبقات الأطبـــاء والحكماء تراجم سبعة وخمسين عالمـــا وطبيبا » . وقـــد أفادنى المؤلف المذكور بصفة خاصة عند بحثى لرعاية حركة الترجمة وأشهر النقـــلة على الرغم من أن المعلومات هنا كانت كثيرة تتميز بالايجاز الشديد . والكتاب هـــذا يعتبر وثيقـــة هامة فى تاريخ العـــلوم ، وتطـــور حركة التأليف والترجمة فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى يعـــد بحـــق العصر الذى ازدهرت فيـــه الحضارة العربية الاسلامية ونمت وبلغت غايتها من الانتاج الواسع فى شتى ميادين العلوم والآداب ، ولعل ميزة هـــذا الكتاب الأولى التى جعلت لـــه قيمة علمية خاصـــة ، ونصا قـــديما لـــه خطره فى تاريخ العلم ، أن مؤلفه يعتمد فيما رجـــع اليه من مصادر على تراجم عربية لأصـــول لاتينية تاريخية . فتحـــدث عن الكندى ووصـــفه بأنه من كبـــار مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن بعـــدهم ، وذكر يوحنا بن ماسويه الذى قلده الرشيد الكتب الطبية لترجمتها ووضـــعه أمينا على الترجمـــة .

أما اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م) فقـــد ألف كتاب (معجم البلـــدان) وفيـــه وصف جغرافى وبشرى لأقاليم العالم الاسلامى ، وعنى اليعقوبى بذكر العلم ، وخص بعض علماء الطب والرياضيات والجغرافيا بعناية خاصة ، وكان ما كتبه فى ذلك معتمدا ذا قيمة . كما ذكر أيضا أن بغـــداد كانت قبلة العلماء من جميع أنحاء العالم .

أما البلاذرى فى كتابه (فتوح البلـــدان) فتحـــدث عن التراث فى قصـــور المعتصم ، وتشجيع الحركة العلمية فى عصره من قبـــل الخلفاء والوزراء ، وأن عصر المستنجد كان عصر ازدهار الترجمة ممـــا أنعش التراث الاسلامى فيما نقـــل عن الفرس واليـــونان .

ويذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ/١٤٩٦ م) فى كتابه (النجوم الزاهرة) فقـــد تحـــدث عن مجالس الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة رغم اختلاف الملل والنحل وكفل الحركة لكل المتحـــدثين والمتكلمين . كمـــا أشاد بدور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة وخاصة الصاحب بن عباد من مخالطته العلماء والاغـــداق عليهم .

كما رجعت أيضا الى الصابى (ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م) فى كتابه (تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) الذى أفرد حديثه للوزراء العباسيين مبينا الأنظمة التى كانت تسير عليها الدولة العباسية ومدى ما بلغته من تنظيم الأمور والدواوين ، فكان لتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية أثره فى تقدمها بمنحهم الأموال لقاء ما يقدمونه من أمثال على بن عيسى وزير الخليفة المقتدر .

أما الأربلى فى كتابه (خلاصة الذهب المسبوك) الذى يعتبر من المؤرخين الثقات الذين عاصروا الدولة العباسية وشهدوا كثيرا من وقائعها واحداثها ، لذلك يعتبر تاريخه مرجعا هاما لنا على الرغم من تدويناته التى جاءت مختصرة ، وتناول فى كتابه تاريخ الدولة العباسية منذ الدعوة العباسية الى سقوطها سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م .

أما ابن دحيه فى كتابه (النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس) فتحدث عن اسهام الخلفاء والوزراء فى المناظرات وحظوة العلماء عند الرشيد والمأمون وتنافسهم فى ازدهار الحركة العلمية فى بيت الحكمة . وهناك مصادر عديدة ذات أهمية ثانوية ، لأنها اعتمدت الى حد كبير على المصادر الآنفة الذكر بالنسبة لبحثنا والتى رجعت اليها وهى مثبتة فى قائمة المراجع ومن أهمها :

المقدسى (ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م) فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) .

و (تاريخ الخلفاء) للسيوطى (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) والمقرى فى كتابه (نفح الطيب) ، وحاجى خليفة (كشف الظنون) (ت ١٠٦٧ هـ) وقد طبع فى استانبول سنة ١٩٤٣ م بمجلدين ذكر فيهما أسماء الكتب مرتبة على العلوم بترتيب الفبائى . وابن شاكر الكتبى فى كتابه (فوات الوفيات) ويمتاز هذا الكتاب بأنه يضم قائمة بأسماء مؤلفين مما الفه كل منهم وأنه كتاب شامل لكل العلوم والمعارف .

ومن الكتب المؤلفة فى أسماء الكتب كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاش كبرى زاده . وقد طبع هذا الكتاب فى حيدر آباد فى أربعة أجزاء يبدأ بمقدمة عن التعليم والعلم ثم اصناف العلوم وأبرز الكتب المؤلفة فى كل صنف أهم . كما يعتبر ابن مسكويه من المؤرخين الموثوقين فى التاريخ الاسلامى وكتابه المسمى باسم (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) يعكس وجهة نظره فى التاريخ ، فالتاريخ فى رأيه تجارب الأمم ، ومن واجب الحاكم العاقل أن يستفيد من تجارب

الأمم السبقه . وهناك كتاب (الجامع المختصر) لابن الساعي الخازن . هـذا كتاب ضخم فى تاريخ العراق خاصة ، لكنه لم يصل منه الا جزء صغير جـدا يغطى عـددا قليلا من سنوات حكم الخليفة الناصر .

وتعتبر الكتب الحـديثة من المراجع المهمة فى دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين فقـد كتب الكثير من المؤرخين العرب والمستشرقين عـدة بحـوث ومقالات تخص المدارس الاسلامية والنهضة التعليمية فى ذلك العصر ، تنـاولوا فيها تشجيع الخلفـاء والوزراء للحركة العلمية واثر ذلك فى ازدهار بيت الحكمة وتألقها على ما كانت عليه ، معتمدين على روايات المؤرخين القـدامى ، فكانت لآرائهم وتحليلاتهم للنصوص التاريخية وعرضها للأحـداث ومناقشتها أهمية كبرى فى بيان العلوم المختلفة التى كانت موجودة فى العصر العباسى كالطب والفلك والهندسـة والرياضيات بالاضافة الى ما كتبه المؤرخون المسلمون ليكون بحثى أبعـد عن الهوى والتحيز . فقـد خصص رفائيل ابو اسحاق دراسة خاصة لأحـوال نصارى بغداد والعراق وتكلم عن حياتهم الاجتماعية والثقافيـة ، وموقف المسلمين منهم ، ودور المدارس فى ازدهار الثقافة وأثرهم فى حركة الترجمة والنقـل من اليونانية والسريانية الى العربية فى العراق فى العصر العباسى .

وكتب غيره كثير من المستشرقين أثناء بحثهم فى الحضارة العربية الاسلامية عن مواقف المسلمين من أهـل الذمة ، وقـد أسهب البعض منهم فى تصوير المواقف السامية التى وقفهـا الحكام المسلمون تجـاههم ، وتسامح الاسـلام معهم وقـد رد هـؤلاء المستشرقون على أولئك الذين اتهموا الاسلام والحكام المسلمين باتبـاع سياسة الاضطهاد والاكراه والاحتقار لأهـل الذمة . ومن أبرز هـؤلاء المؤرخين المنصفين المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه « الحضـارة الاسـلامية » وبارثولد فى كتـابه « تاريخ الحضارة العربية » وآدم متز فى كتـابه « الحضـارة الاسـلامية فى القرن الرابع الهجرى » وديورانت فى كتـابه « قصـة الحضـارة » وخودابخش فى كتابه « الحضارة الاسلامية » وفـون كريمر « الحضارة الاسلامية ومـدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية » وأوليرى « الفكر العربى ومكانه فى التاريخ » و « مسالك الثقافة الاغريقية » وجرونيباوم فى كتابه « حضارة الاسـلام » الذى ترجمـه عبد العزيز جاويد .

وزيغريد هـونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » وجاك . س. ريسلر فى كتابه « الحضارة العربية » وستانوود كب فى كتابه « المسلمون فى تاريخ

الحضارة » يعرض فيه قصة الحضارة الاسلامية ، نشوئها وازدهارها وعطائها ، ومكانة الحضارة الاسلامية فى تاريخ الحضارة الانسانية ، وكيف أن المسلمين تمثلوا بالمعارف الاغريقية والفرس والهنود والقدماء . وديبور فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » ونالينو فى كتابه « تاريخ الفلك عند العرب » وهل فى كتابه « الحضارة العربية » . وقد أشار هؤلاء جميعا فى كتبهم اشارات عابرة فى أثناء التكلم عن النظم العربية الاسلامية الى اهتمام الخلفاء والوزراء العباسيين بمختلف فروع المعرفة المتعددة فى بغداد من طب وفلك ورياضيات وكيمياء ... الخ .

على أن الباحثين العرب لم يقصروا جهودهم على ترجمة الدراسات العربية فى هذا المجال ومن الكتابات المبكرة فى الحضارة العربية الاسلامية كتاب « تاريخ التمدن الاسلامى » لجرجى زيدان ، وكتاب محمد كرد على « الاسلام والحضارة العربية » وكتاب جميل نخلة المدور « حضارة الاسلام فى دار السلام » ثم توالت الدراسات العربية فى هذا السبيل مدرجة فى نطاق مؤلفات تاريخية ، وابحاث منفصلة ، فقد حرص الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه الضخم الذى ظهر فى أجزاء أربعة « تاريخ الاسلام السياسى والاجتماعى والثقافى » كاملة مسهبة لدراسة الحضارة الاسلامية فى مختلف جوانبها . كما ظهر للأستاذ أحمد أمين مجموعته الطيبة فى التاريخ الفكرى للاسلام « فجر الاسلام » ، « ضحى الاسلام » ، « ظهر الاسلام » . ثم نجد لدينا الدراسات التى ظهرت فى تاريخ الفن الاسلامى كأبحاث الدكتور محمد زكى حسن مثلا « كنوز الفاطميين » ، « الفن الاسلامى » والدراسات العربية المتعددة فى تاريخ الأدب العربى وفى تاريخ الفلسفة الاسلامية وقد ظهرت مؤلفات جامعة مفردة تؤرخ الحضارة الاسلامية من جانب بعض الباحثين العرب المحدثين مثل د. عبد المنعم ماجد فى كتبه « العصر العباسى الأول » و « تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى » . و د. على حسنى الخربوطلى فى كتابه « الحضارة الاسلامية » . وأوضح د. عبد العزيز الدورى فى كتبه « العصر العباسى الأول » ، « تاريخ العراق فى القرآن الرابع الهجرى » ، « العصور العباسية المتأخرة » ، « مقدمة فى تاريخ الاقتصاد العربى وأحوال المجتمع العراقى خلال العصور العباسية » . ومشيرا الى آثار أهل الذمة فى النواحى السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية ومحللا الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية فى المجتمع العراقى . وأشار غيرهم الى أحوال أهل الذمة اشارات عابرة نجدها فى المصادر المثبتة فى فهرست الرسالة . وقد رجعت الى بعض المقالات والبحوث فى المجلات فيما يخص موضوع البحث « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » فقد كانت لهذه الكتب جميعا أهميتها فى استكمال جوانب البحث والقاء الضوء

على الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية فيه .

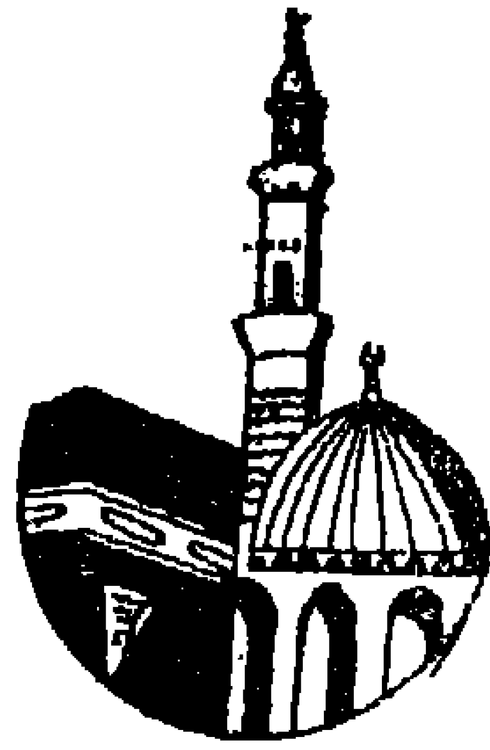
هـذه أهم المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها ورجعنا اليها . ونقول أهم المصادر والمراجع لأن وراءها مصادر ومراجع كثيرة لم تعرض هنا اكتفاء باثباتها فى هوامش البحث وادراجها فى الثبت الأخير الذى تفرض علينا التقاليد العلمية أن نختم به أبحاثنـا الجامعيـة .

وبعـد ، فلسنا ندعى أننا قلنا الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، أو أننـا أحطنـا علمـا بكل جـوانبه ، فتلك دعوى لا تتفق مع العلم الذى نخلص له ، ولا مـع الجامعية التى نؤمن بها ، وانما حسبنا أن نذكر أن هـذا البحث محاولة حاولناها ، وأنضينا رواحلنا فى سبيلها ، فان تكن انتهت بنـا الى الغاية التى تمثلناها فما نبالى ، وان تكن قصرت بنا عن بلوغها فلنتذكر قول شاعر الكوفة أبى العتاهية :

« ما كل ما يتمنى المرء يدركه » .

والله يهـدينا الى سـواء السبيل .

الباب الأول



ويشمل الفصـــول الآتيـــة :

الفصـــل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهـــدافها .

الفصـــل الثانى : انشاء بيت الحكمة .

الفصـــل الثالث : النظام الادارى فى بيت الحكمة .

الفصـــل الرابع : أثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى .

الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهدافها



١ ــ المؤسسون لبيت الحكمـة ٠

٢ ــ تاريخ تأسيس بيت الحكمـة ٠

٣ ــ الأهـداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمـة ٠

ان احــدى مميزات الحضـارة الاسلامية الرئيسية حبها للكتب ونشرها المعرفة واحتضانها المكتبات وتعميمها وجعلها فى متناول أفراد الشعب ، دون اعتبار للعمر أو الجنس أو اللون . وممـا قيل فى هــذا الصــدد : « لم يبز شعب من شــعوب الأرض كلهــا المسلمين فى حبهم للكتب وحــدبهم عليها » . ولقــد بدأت هــذه العناية فى عصر مبكر ، فما كاد العرب يؤسسون دولتهم حتى جــدوا فى جمع تراثهم القديم ، وتدوينه ونشطوا فى التأليف فى علوم الاسلام ، وسايرت هــذا النشاط الجاد حركة منظمة لترجمة الآثار الفكرية والعلمية لمختلف الشعوب ذات الميراث الحضارى ، ثم امتدت نظرتهم الثاقبة الى الأفــق العالمى الرحب ، فأقبلوا يجمعون ما عرفت الدنيا لعهدهم من كتب ذات بال . فقد أهــل القرن الثانى للهجرة وقــد امتدت الفتوحات الاسلامية وبدأت الدولة الاسلامية تأخــذ دورها القيادى للبشرية فى الحضــارة المــادية والمعنوية ، فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هــذه الحضــارة وعنايتها باحياء تراثها وتشييد دور للكتب تساير هــذه النهضة مؤثرة ومتأثرة بها .

أولا — المؤسسون لبيت الحكمــة :

جاء العصر العباسى وكان عصر الحضارة الاسلامية فبانتقال الســلطة الى العباسيين سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م انتقلت عاصمة العالم الاسلامى الى بغداد ، وحرص خلفاء بنى العباس مثل الرشيد والمــأمون والمتوكل وغيرهم على استحثاث طلب العلم ودفــع عجلته الى الأمام . فكانت السمة البارزة فى تاريخ الدولة العباسية هى اهتمام خلفائها بتعميم المعرفة ، وتعضيد من يعمل بها وترجمة ما كتب فيها الى اللغة العربية ، وكان الخليفة المنصور هــو الراعى الذى فعل أكثر ما يمكن لاجتذاب الأطبــاء النساطرة الى مدينة بغــداد . فقــد ترجمت لــه كتب فى الطب والنجــوم والهندسة والآداب ، كما ألفت لــه معظم كتب الحــديث والتاريخ . فقــد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية . فخصص المنصور خزانات لهــذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة[1] . وحتى آخر

---

(١) ابن القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) ، (**أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء**) ، (طبع ليبزك ١٣٢٠ هـ) ص ٣٨٣ .

عهدها كانت مخطوطات التراث ودفاتر العلم تحفظ فى قصر الخلافة فى بغـداد ، حتى ضـاق عنها على سعته . ولمـا جاء الخليفة هارون الرشيد وكان من أعظم خلفـاء بنى العباس وأكثرهم ذكرا فى التاريخ العباسى ، لمـا اتصف به من كرم وجـود ولمـا وصلت اليه الدولة العباسية من نهضة حضارية بلغت الأوج ، فقد أصبحت بغـداد فى عهده كعبة العلم والأدب ومركز التجارة والصناعة وظهر فى أيامه شعراء عظـام من أمثال أبى العتاهيـة والعباس بن الأحنـف ، ومروان بن أبى حفصـة ، ومؤرخين من أمثال الأصمعى والواقـدى(٢) وغيرهم كثير . فاتجـه الرشيد الى اخراج الكتب والمخطوطات التى كانت تحفظ فى جـدران قصر الخلافة بعـد أن تضخم رصيدها من التراث المـدون ، والمخطوطات المؤلفة المترجمة ، لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم ، وبدأ فأسس دارا رحبـة فخمة نقـل اليها كل الذخائر وسماها « بيت الحكمة » تقـديرا لجلال رسالتها(٣) . وكانت هـذه المؤسسة مؤسسة ثقافية كبرى تقـوم بعمل جليل . فكانت مهمتها أول الأمر الملازمة كما يقول ابن النـديم ، ثم تطورت زمن المـأمون حتى أصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والدرس والتجرد للدراسات العليـا . ويمكننا أن نقول ان هـذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قـد أصبحت زمن المـأمون أكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فيها أماكن للدرس ، وأماكن لخزن الكتب ، وأماكن لنقلها ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصـد الفلكى الذى مارسـته وهـذا تطور طبيعى ومنطقى(٤) ويقول القفطى « ان بيت الحكمة كان رمزا للمناحى العلمية المختلفة فهارون الرشيد هـو الذى ابتدع فكرة هـذا المعهد وتبناه ابنـه الخليفة المـأمون ، والحكمة فى رأى العلماء المسلمين هى العلوم الالهيـة والعـددية وصـناعتا الطب والتنجيم »(٥) .

وفعلا كانت أكثر أعمال بيت الحكمة ضمن نطاق هـذه العلوم ، ولتنوع العمل

---

(٢) أوليرى : (مسالك الثقافة الاغريقية ترجمة تمـام حسان) ، (دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٩٩ .

(٣) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) (تراثنا بين ماض وحاضر) (دار المعارف بمصر — ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠ م) ص ٢٠ .

(٤) ابن أبى أصيبعه ، موفـق الدين أبو العبـاس أحمـد بن القاسم بن خليفـة بن يونس السعدى الخزرجى (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) (دار الفكر — بيروت ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٣ .

فى هـذا المعهد نصب الخلفاء على ادارتها رئيسا لـه من الادراك العلمى ما يقـدر به أن يجعل منها محرابا مقـدسا للعلم والعلماء(٦) .

وقـد نالت بيت الحكمة فى عهد الرشيد عناية فائقة بالكتب المترجمة التى تحمل كنـوز الثقافة الأجنبية فعين لهـا الموظفين وآتاها حاجتها من الكتب ، فنمت واشتدت وأخـذت تؤتى أكلها طيبا يانعا(٧) . ولا ريب فى أن هـذه المؤسسة كانت جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة ، وقـد أخـذ كثيرون من الأفراد باقتناء المكتبات وهـذا ما سنوضحه فيما بعـد . وبلغ من اهتمام هارون الرشيد بالعلم والعلمـاء أنه كان يقبل الجزية كتبا(٨) ، وهـذا يدلنا على شغف الخليفة باقتناء الكتب وجلبها حتى اصبحت بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شـأن فى العالم الاسلامى ، بل انهـا كانت أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجـأ اليها الطلاب . وكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهـد القائمين عليه ثقافـة مختلفة الاتجاه تشـكل علـوم الطب والفلسـفة والحكمة وغيرها(٩) . وقـد أكد بعض المؤرخين « أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة ، وأن المكتبة كانت جزءا منه »(١٠) .

أما الاسم الذى اطلق على هـذه الأكاديمية فله دلالته الواضحة ، فقـد سميت « بيت الحكمة » أو خزانة الحكمة ، ولم يسم باسم خزانة الكتب وذلك للاشارة الى الكتب التى كانت تجمع فيها والتى كانت تعرب هناك . فالمعنى اللغوى لكلمة حكمة كما ورد فى المعجم الوسيط(١١) هى : من الحكم من أسماء الله تعالى . والحاكم . وفى التنزيل العزيز : « **أفغير الله أبتغى حكما** »(١٢) . ومن يختار للفصل بين المتنازعين .

---

(٦) ياقـوت الحموى ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومى (**معجم الأدباء**) . تحقيق أحمد فريد رفاعى (مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٣٦ م – القاهرة) ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٧) زكريا هاشم زكريا (**فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم**) (مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القـاهرة) ص ٢٨٢ .

(٨) د. على عبد الله الدفاع (**موجز فى التراث العربى الاسلامى**) (مطبعة الرسالة – بيروت ١٩٧٧ م) ص ٢٠٣ .

(٩) د. أحمد شلبى (**تاريخ التربية الاسلامية**) (مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الخامسة ١٩٧٧ م – القـاهرة) ص ١٨٤ .

(١٠) أحمد أمين (**ضحى الاسلام**) . (دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٣٦ م) ج ٢ ص ٦٤ .

(١١) د. ابراهيم أنيس وآخرون (**المعجم الوسيط**) (طبعة أولى – القاهرة) ، ج ١ ص ١٩٠ .

(١٢) سـورة الأنعـام الآية ١١٤ .

وفى التنزيل العزيز : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمـا من أهـله وحكما من أهلها** »(١٣) • ويقال رجل حكم : مسن . وهم حكمه . الحكمة : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . و ــ العلم والتفقه . وفى التنزيل العزيز : « **ولقـد آتينـا لقمـان الحكمة** »(١٤) • و « يقال : حكمة التشريع . وما الحكمة فى ذلك ؟ و (علم الحكمة) : الكيمياء والطب . الحكمة : حكمه . الحكم : العلم والتفقـه . والحكمة . يقـال : الصمت حكم . و « القضـاء » . وأما الحكمـة فى ذلك الوقت فقـد كانت مرادفة للفلسفة ، وخاصة الفلسفة اليونانية ويقصد بالفلسفة المعنى العام الفضفاض للكلمة ، فقـد كانت كلمة فلسفة تشمل عـدا مباحث الفلسفة المعروفة الطب والفلك وعلم الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق . وهـذا يدل على الاتجاه العقلى لمؤسس هـذه الأكاديمية . وعلى التيار الثقافى الذى كان غالبا آنذاك . أما كلمة الخزانة أو بيت فهى تدل على المكان الذى يوضع فيه الشىء أو يخزن .

ومات هارون الرشيد وبيت الحكمة زينة بغـداد عاصمة العرب والاسلام ، على الرغم من الثورات والفتن التى ملأت عهد المـأمون ، فان عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية ، فقـد اهتم بالمسائل الفلسفية والعلمية وشجع على النهضة الفكرية ونشر العلوم فزود بيت الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس ، حتى أصبحت أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمـة والتأليف والتحصيل ، كما خصص منها مواضـع للنساخين(١٥) ، وجمع المـأمون فى مكتبته أعظم المفكرين والعلماء والأطباء والنقلة ، وأغـدق عليهم العطاء فأصبحت خزانة كتب بيت الحكمة من أثرى وأعظم خزائن الكتب فى ذلك الوقت ، كان خازنها هـو سهل بن هارون ممـا يؤكد أن بيت الحكمة كانت تضم مكتبة جليلة صنفت كتبها واختير لهـا المترجمون المشهورون ومنهم يوحنا ابن ماسويه وابن البطريق(١٦) .

ويوحنا بن ماسويه السريانى المتعرب الذى قام بترجمـة كتب الطب التى جىء بها من أنقره وعمورية وبلاد الروم يعـاونه عـدد من المترجمين والكتبة الحـذاق

---

(١٣) سـورة النسـاء الآية ٣٥ •

(١٤) سـورة لقمـان الآية ١٢ •

(١٥) د• محمد فاروق النبهان • (**مبادىء الثقـافة الاسلامية**) • دار البحوث ــ الكـويت ١٩٧٣ م) ص ٦٩ •

(١٦) المقريزى ، تقى الدين أحمـد بن على ، (**المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار**) • (طبعة بولاق ــ القاهرة ١٢٧٠ هـ) جـ ١ ص ٤٠٦ •

كما جيء بكتب الحكمة والفلك من فارس وعهد بهــا الى ابن أبى سهل الفضل بن نوبخت الذى نقلها من الفارسية الى العربية فواصل الحركة التى بدأها ابن المقفع بترجمة تراث الفرس ، وأضيف الى خزائن بيت الحكمة ما صنف علمــاء العربية والاسلامية فى علومهم الاسلامية والعربية الأصيلة الى جانب ما دونوه من تراثهم المجموع[١٧] . أما حنين بن اسحاق فقد كان من أبرز الأطباء والمترجمين فى عهــد المــأمون وكان اعلم زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية الى حــد لم يصل اليه أحــد من النقلة الذين كانوا فى زمانه ، مــع براعته أيضا فى اللغــة العربية ومداومة الاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين بها[١٨] .

ويضيف القفطى قوله « وكان حنين فصيحا لسنا بارعا شاعرا ، وكان لــه شيخ فى العربية الخليل بن أحمد الفراهيدى »[١٩] . أما محمــد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فى بغــداد فيما بين (١٦٤ هـ/٢٣٥ هـ — ٧٨٠/٨٥٠ م) وتوفى هناك فقــد برز فى زمن خلافة المــأمون ولمــع فى الرياضيات والفلك حتى عينه المــأمون رئيسا لبيت الحكمة . وطور الخوارزمى علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب . ومن هنا أصبح هــذا العلم ينسب اليه فى جميع أنحاء المعمورة . والخوارزمى أصــله من خــوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة فى عهد المــأمون وهــو من أصحاب علم الهيئة ، وله من الكتب كتاب « الزيج » نسختين أولى وثانية ، وكتاب الرخامة وكتاب العمل بالاسطرلاب وكتاب التاريخ[٢٠] . اذ ابتكر الخوارزمى[٢١] فى بيت الحكمة الفكر الرياضى وذلك بايجاد نظام جــديد لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذوات المجهول الواحــد بطرق جبرية وهندسية . والعالم يدين لــه بمــا نعرفه الآن من علمى الجبر والحساب . وهكذا فقــد ســطع نور بيت الحكمــة فى أيام المــأمون ، وأيام هــذا الخليفة كانت عهدا ذهبيا فى حياة الدولة العباسية .

---

(١٧) أحمد أمين . ضحى الاسـلام . جـ ٢ ص ٦٤ .

(١٨) ابن أبى أصيبعة . طبقـات الأطبـاء . جـ ١ ص ١٨٦ .

(١٩) ابن القفطى . أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ص ١٧٤ .

(٢٠) محمد بن موسى الخوارزمى . (**الجبر والمقابلة**) . (دار الكاتب العربى — ط ١٩٦٨ م — القـاهرة) ص ١٠ .

(٢١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى . ص ١٩٠ .

ثانيا — تاريخ تأسيس بيت الحكمة :

ان بيت الحكمة الذى أسسه العباسيون فى بغداد هو أول بيت حكمة عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنا لما يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف فى مختلف اللغات . والنصوص التى وقفنا عليها عن هذه المؤسسة الثقافية لا تساير الباحث ، بل نجدها متفرقة فى بعض المصادر ، ومن الصعب أن نقف على تاريخ معين أو محدد من تأسيسها والذى نراه أنه فى خلافة أبى جعفر المنصور (١٣٥ هـ/١٥٨ هـ — ٧٥٢ م/٧٧٤ م) ترجمت له كتب كثيرة فى الطب والنجوم والهندسة والآداب كما ألفت له بعض الكتب فى التاريخ والحديث والأدب ، فقد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية حيث كان يجيد اليونانية والعربية بالاضافة الى لغته السريانية فخصص المنصور له خزانات لهذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة[٢٢] . وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب ووصى بها الى ابنه ولى عهده محمد المهدى ، وكان المهدى قليل العناية بالكتب وخاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد التى شغلته فضعفت حركة الترجمة فى عهده ، وتجنب العلماء ترجمة كتب الحكمة والنجوم والكتب التى تبحث فى الملل والنحل والأهواء والمعتقدات[٢٣] . ولكن حينما جاء الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ/١٩٣ هـ — ٧٨٦ م/٨٠٨ م) وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة وترجمة كتبها من اللغات المختلفة ، فاتسعت دائرة الترجمة وزاد عدد الموظفين المشتغلين بها ، وتألق فى عصره نجم عدد من العلماء أمثال الأصمعى النحوى المشهور وجبريل بن بختيشوع[٢٤] . فتجمع لدى الرشيد عدد كبير من الكتب فرأى انشاء مكان لتحفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم[٢٥] .

هكذا فان تاريخ تأسيس بيت الحكمة يرجع الى الخليفة هارون الرشيد

---

(٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٣ .

(٢٣) الطرازى الفيكنت فيليب (**خزائن الكتب العربية فى الخافقين**) (دار الكتب اللبنانية — بيروت — بدون تاريخ) ج ١ ص ٩٩ .

(٢٤) سيد أمير على ، (**مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى**) . (طبع بمصر — القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٢١٧ .

(٢٥) خودابخش (صلاح الدين) ، (**الحضارة الاسلامية**) ، ترجمه على حسنى الخربوطلى (دار احياء الكتب العربية — القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٦٠ .

فقد ذكر ابن النديم(٢٦) فى كلامه عن ابى سهل الفضل بن نوبخت أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وذكر فى ترجمة علان الشعوبى أنه كان منقطعا الى البرامكة وينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة(٢٧) . وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الأجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى عدة علماء أمرها ، فعهد الى الفضل بن نوبخت(٢٨) أمر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو شيخ النقلة فى عصره ، ويقول ابن أبى أصيبعة « كان يوحنا بن ماسويه سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة»(٢٩) . ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم ، وقد منح مرة أحد العلماء مائة ألف درهم(٣٠) . ومعظم الكتب التى وصلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد ، وكان بعض علماء الهنود قد وفدوا الى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء أنفسهم أو يدعوهم الخلفاء للحضور(٣١) . وقد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية(٣٢) . فكما ذكرنا سابقا أن الرشيد هو الذى أسس بيت الحكمة وجعلها مقرا لنقل الكتب اليونانية والفارسية الى العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العسكرى ، وفى نفس الوقت ذات الهدف العلمى بقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها . ذلك أن الرشيد دأب على غزو الروم فى عقر دارهم فى غزوات أسماها الصوائف وكان يكسر شوكة الروم ويمنعهم من التفكير فى الهجوم على ديار المسلمين ، وفى نفس الوقت يوجه غزواته الى المدن اليونانية المشهورة لأنها معاقل الثقافة كعمورية وأنقرة ، وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكانها قد جهلوا قيمتها(٣٣) .

---

(٢٦) ابن النديم ، محمد بن اسحاق أبى يعقوب ، (**الفهرست**) (بيروت – لبنان ١٣٢٨ هـ) ص ٣٨٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

(٢٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٣٠٩ .

(٢٩) ابن ابى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (**تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة**) (المطبعة الخيرية – مصر) ص ٢٨٥ .

(٣١) جلال مظهر ، (**حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى**) (القاهرة ١٩٧٤ م) ص ٢٤٧ .

(٣٢) عبد الله عبد الدايم (**التربية عبر التاريخ**) (بيروت ط ٢ ٧٥ م) ص ١٥٨ .

(٣٣) محمد البرقوقى (**الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى**) (الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٤ م) ص ٧٨ .

ولما جاء المأمون بعد ذلك كانت له فى العلم رغبة لما كان ينتحله فانبعث بهذه العلوم حرصا ، وأوفد الرسل الى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من أهل الاسلام وخدموا فى فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها ، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول أرسطو واختصوه بالرد والقبول . ودونوا فى ذلك الدواوين ، وأربوا على من تقدمهم فى هذه العلوم(٣٤) . وبهذا نرى أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة حر الفكر . ولعل أحسن وصف للمأمون والحركة التى نشأت فى عهده وغذاها بماله ونفوذه وجهده وعلمه وجهاده هو قول القاضى صاعد الأندلسى(٣٥) فى كتابه « طبقات الأمم » حيث يقول : « ثم لما أفضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم — يقصد بنى العباس — عبد الله المأمون بن الرشيد بن محمد المهدى ابن أبى جعفر المنصور فتم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ... » .

ولقد بنى الخلفاء والأمراء دورا للعلم والحكمة كانت تحوى كل منها مكتبة تفتح لطلاب العلم ، وبعضها يجرى فيها أرزاق على المشتغلين بالعلم وبعضها كانت مراكز للنقل والترجمة(٣٦) . وذلك لما طرأ على حركة الترجمة والتأليف من نشاط فى العصر العباسى ، وكذلك تقدمت صناعة الورق ، فكثرت المكتبات التى كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية .

وعلى بن المنجم هو أول من أسس مكتبة عامة فتح أبوابها للراغبين فى تلقى العلم ، وعين فيها موظفين يتقاضون رواتبهم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها كما تفعل البلاد المتحضرة اليوم . ولم يكتف بهذا بل بنى أجنحة فى قصر له بضواحى ببغداد لاقامة الراغبين فى التعليم ومطالعة الكتب ، فكانوا يأكلون على نفقته وكأنما أراد أن يجعل من مكتبته جامعة عامة . وفضل على بن يحيى المنجم يفوق كل فضل فى هذا المضمار لأنه كان فردا واحدا ، وضع على عاتقه

---

(٣٤) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربى) (**المقدمة**) (المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة ، بدون) ص ٨٩٢ ، ص ٨٩٣ .

(٣٥) صاعد بن أحمد الأندلسى (**طبقات الأمم**) (طبعة مصر) ص ٤٧ .

(٣٦) د. حسن ابراهيم حسن ، (**تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى**) . (طبعة مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٣ م) ج ٢ ص ٢٥٨ .

هـــذا العبء الكبير متطوعا كما كانت داره فى (سر من رأى) مضـــــافة لكل أديب وعالم يمنحهم الهبات وينتزع العطايا من الكبراء ويقربهم الى الخلفاء والأمراء . وقال أبو على التنوخى فى كتابه « نشوار المحاضرة » : « كانت لعلى بن المنجم نفيسة وقصر فيه خزانة كتب عظيمة نسميها خزانة الحكمة ، يقصـــدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها صنوف العلم والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة من مال على بن يحيى »(٣٧) . وكان يحيى بن المنجم قـــد خـــدم المـــأمون نادما واتصل على فى أيام شبابه بمحمد بن اسحاق المصعبى من زعمـــاء ذلك العصر ثم اتصـــل بالفتح بن خاقان وزير المتـــوكل وصـــديقه وأسس لـــه مكتبة كبيرة من الكتب ، يستنسخ لهـــا الكتب القيمة بنفسه أو يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغـــا كبيرا واتصل بعـــد ذلك بالمتـــوكل وحظى عنده حظـــوة عظيمة فكانا لا يفترقان تقريبـــا(٣٨) .

وقـــد أسس الخليفة المعتضد أيضـــا دورا ومساكن ومقاصـــد للتعليم وكانت دور الكتب ســـواء العامة أو الخاصة عامرة بالكتب من جميع فروع العلم والمعرفة . وبلغ عـــدد الكتب فى بعضها أكثر من مليون كتاب ، والى جانب دور الكتب انتشرت محال الوراقـــة كمراكز للعلم والمعرفة والثقافة اذ كانت تعمل فى نسخ الكتب وتجويد الخط ، بالاضافة الى أهميتها كمراكز أدبية . وكانت خزانة سابور بن اردشير مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وطالمـــا أخـــذت فيها المناظرات والمناقشات ، وذكر أن عـــدد كتبها يزيد على عشرة آلاف مجلـــد فى شتى العلوم والمعارف فنجد منها كتب الأدب والفقه والحـــديث والفلسفة وغيرها . وممـــا يدلنا على أهميتها العلمية أن بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم بتقـــديم نسخة ممـــا يؤلفونه من الكتب القيمة الى دار العلم ومنهم جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع فقـــد وقف نسخة من كتابه « الكافى » على دار العلم المذكورة(٣٩) . وهناك أيضا مكتبة اسحاق بن سليمان العباسى ، وكانت تمتلىء بالكتب والأسفاط والرقوق والدفاتر والمساطر والمحابر(٤٠) . وأضخم منها مكتبة يحيى بن خالـــد البرمكى ويقال انه لم يكن فى مكتبته كتاب الا ولـــه نسخة(٤١) .

---

(٣٧) التنوخى ، أبو على الحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم ، **(نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة)** (دمشق ١٣٤٨ هـ) جـ ٨ ص ١٠٨ .

(٣٨) زكريا هاشم زكريا ، فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٢ ، ٢٨٥ .

(٣٩) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٥ .

(٤٠) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى **(الحيـــوان)** (مطبعـة السعادة بمصر ١٩٠٧ م) جـ ١ ص ٦١ .

(٤١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٦٠ .

وربمـــا فاق هـــذه المكتبة عظما وضخامة مكتبة الواقـــدى المؤرخ المشهور المتوفى ٢٠٧ هـ وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب[٤٢] . وكان لهــــا مملوكان يكتبان لـــه ليلا ، ولعل فى ذلك ما يدل دلالة واضحة على ان الكتب اصبحت مادة أساسية للمعرفة . والحـــق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة فكان للمبشر بن فاتك (ت ٤٨٠ هـ) احـــد أعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة فى العلوم الرياضية والفلسفية وغيرها . وكان للخليفة الناصر لدين الله مكتبة كبيرة جـــدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله مكتبة ضخمة فى داره تحوى نفائس الكتب فى مختلف العلوم[٤٣] . ومكتبة المستعصم بالله وهـــو آخر الخلفاء العباسيين وقتله المغـــول عقب سقوط بغـــداد ٦٥٦ هـ عظيمة جـــدا تحـــدثت عنها المراجع المختلفة حـــديثا ينبىء عما كان لهـــا من عظمة وجـــلال .

ويقول ابن الفوطى[٤٤] . ان الخليفة أمر فى سنة ٦٤١ هـ بعمل خزانة للكتب فى داره وكتب على جهاتها أشعارا منها ما نظمها صفى الدين عبد الله بن جميـــل فيقـــدم شـــعر الديوان :

انشـــأ الخليفة للعـــلوم خزانة صارت بسيرة فضله أخبـــارها

اهـــدى مناقبـــه لهـــا مستعصم بالله مـــن لألائـــه أنـــوارها

كما انه فى ذلك الوقت كانت الكتب تستهوى الناس اكثر مما يستهويهم الاستماع الى المدرس وهكذا . ومن هـــذا النوع دار العلم التى انشأها بالموصل ابو القاســـم جعفر بن محمد الموصلى وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب علم ، ولا يمنع احـــد من دخولها . واذا جاءها غريب طلب الأدب وكان معسرا أعطاه ورقا وورقا : وكانت تفتح فى كل يوم ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه الناس ويملى عليهم من شعره وشعر غيره[٤٥] .

وكان كثير من العلمـــاء يوقفون نسخا ممـــا يملكون على دار العـــلم هـــذه

---

(٤٢) ياقـــوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٨ ص ٢١٨ .

(٤٣) د. محمد عجاج الخطيب (**لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر**) (مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ط ٦) ص ٣٩ .

(٤٤) ابن الفوطى ، ابو الفضل عبد الرزاق ، (**الحوادث الجامعة والتجارب النافعة**) تحقيق مصطفى جـــواد (بغـــداد - المكتبة العربية ١٩٣٢ م) ص ١٨٤ .

(٤٥) ياقـــوت الحموى ، معجم الأدباء جـ ٢ ص ٤٢٠ .

وقــد فعــل ذلك حمد بن على خيران الكاتب المصرى ، فقــد أرسل جزأين من شعره ورسائله يستشير فى تجليدهما بدار العلم وأبدى استعداده أن ينفــذ بقية الديوان والرسائل ، ان علم ان ما أنفــذه منها ارتضى واستجيب(٤٦) . وكذلك فعــل جبريل ابن بختيشوع فانه لمــا أتم مؤلفه الذى سماه الكافى وقف نسخة منه على دار العلم ببغــداد كالتى بالبصرة ، والداران جميعا اتخــذهما الأدباء والعلماء مرجعا ومصدرا لمــا يبغــون ، الا ان دار البصرة كانت أكبر وأعمــر وأكثر كتبــا وفى هــــذه بدأ شــيخ يدرس عليــه الكلام على مذهب المعتزلة(٤٧) . ونتيجــة للحــركة التى بدأها فى بغــداد بانشاء بيت الحكمة فقــد أخــذت معظم المدن(٤٨) الاسلامية فى انشاء المكتبات الكبرى التى تضم أمهــات الكتب . ويمكن توضــيح حركة نمــوها بالجــدول التالى :

---

(٤٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٤٢ .

(٤٧) المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابى بكر (**احسن التقاسـيم فى معرفة الاقاليم**) (ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م) ص ٤١٣ .

(٤٨) د. عباس صالح طاشكندى . (**مخطوطات الحرمين الشريفين قطعة من تراثنا**) . مجــلة **الفيصــل** العدد الأول - السعودية (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م) . ص ٩ ، ١٠ .

المدينة	اسم المكتبة	منشئها	تاريخ الانشاء
بغداد	بيت الحكمة	هارون الرشيد	فى أواخر ٢ هـ
	دار العلم	سابور بن أردشير	٣٨١
	المكتبة النظامية	الب أرسلان	٤٥٧
	المكتبة المستنصرية	المستنصر	٦٣١
الموصل	دار العلم	ابن حمدون	٣٢٤
البصرة	مكتبة ابن ساوار	ابن ساوار	القرن الرابع
حلب	مكتبة الحمدانى	الأمير الحمدانى	القرن الرابع
القاهرة	مكتبة الأزهر	العزيز	٣٧٠
	دار الحكمة	الحاكم بأمر الله	٣٩٥
	المكتبة الفاطمية	القاضى الفاضل	
غزنه	مكتبة غزنه		٤٢٥
مرو	المكتبة النظامية	نظام الملك	القرن الخامس
	المكتبة العزيزية	عزيز الدين	القرن السادس
شيراز	مكتبة عضد الدولة	عضد الدولة	٣٦٧
قرطبة	مكتبة المستنصر	المستنصر	٣٥٠
فاس	مكتبة فاس	السلطان عبد الحق	٥٩٢

ثالثا ــ الأهـداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة :

ولم تكن الكتب والمساجد كل ما هيـأ لازدهار الحركة العلمية حينئذ فقد هيـأ لهـا أيضا مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والسراة اذ تحولت الى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صـنف على نحـو ما يروى من مناظره الكسائى والكوفى واليزيدى والبصرى بين يدى المهـدى(٤٩) .

فبيت الحكمة مكتبة الدولة مفتوحة على مصراعيها ودور أخرى كثيرة ودكاكين الوراقين بالمثل تعرض كل ما يطلبه القارىء ، وحلقات المساجد تمـوج بالحاضرين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكل شخص الحـق فى أن يستمع الى ما يرغب فيه من هـذه المحاضرات . وبالمثل صنعوا مـع الوزراء وذوى النباهة والشأن . ومر بنـا فى حـديثنا عن خزانات الكتب ما أقام على بن يحيى المنجم فى صنيعه له من خزائن ضخمة للكتب كان الناس يؤمونها من كل بلد فيجـدون فيها نفعتهم ، وما يشاءون من كتب لا تكاد تحصى . وكان الخلفاء منذ المتوكل يسبغون عليه عطايا جزيلة فكان ينفقها على مكتبته وعلى الناس من شعراء وغير شعراء(٥٠) .

كما ازدانت بغـداد ببيت الحكمة التى أكسبتها مجـدا وعزا وجـذبت اليها العلماء ، والطلاب من مختلف أقطار العالم الاسـلامى الكبير ففى تاريخ دار العلم أو بيت الحكمة ببغـداد لا تكاد تعثر على اسم امرأة فى خـدمة هـذا الصرح العلمى اللهم الا عبارة وردت فى رسالة الغفران تشير الى أمة غير عربية اسمها « توفيقـة السوداء » كانت تخـدم دار العلم ببغـداد فتقـدم الكتب الى النساخ وهذه الوظيفة تقابل فى المكتبة الحـديثة المناولين(٥١) .

فالتشجيع العلمى والتزام الدولة الاسلامية بأداء واجبها فى هـذا الميدان واقبال الأمة على العلم ، وتفتح القلوب للاسلام عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقا ، كل ذلك ولـد نشاطا علميا واسعا فى مختلف ميادين العلم والمعرفة فى الدولة الاسلامية فى

---

(٤٩) د. شوقى ضيف . (**العصر العباسى الأول**) . (دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٠٣ .

(٥٠) د. شوقى ضيف . (**العصر العباسى الثانى**) . (دار المعـارف بمصر ــ القـاهرة ط ٢ ١٩٧٣ م) ص ١٨٩ .

(٥١) د. عائشة عبد الرحمن . (**رسـالة الغفران**) . (دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٢٨٧ .

القرون الستة الأولى نشاطا لم يعهد التاريخ مثــله ، فحقق الازدهار الحضـــارى العظيم الذى خلــد أعمال العلماء المسلمين وأمد التراث الانسانى بذخيرة علمية قيمة لا يزال العالم مدينا لهـــا حتى هـــذا العصر . ولكن سنة الحيـــاة التى جعلت من عصور القـــوة فى الدولة الاسلامية عصور ازدهار لحضـــــارتها العلمية والفنية والعمرانية ، هى نفسها التى عرضت تلك الدور العلمية العامرة لمثل ما تعرضـــت لـــه الدولة فى عصور ضعفها وانحـــدارها وواجهت معها نهاية واحـــدة . وبحكم ارتباطها مجتمعة بمصير واحـــد ، وبدأ التحـــول مع نهاية القرن الرابع الهجرى الذى هـــو فى حساب المؤرخين عصر القـــوة . وقـــد استمرت خزائن الحكمة فى العمـــل وتادية رسالتها بعـــد المـــأمون ولكنها فقـــدت شيئا كثيرا من اهميتها مـــع توالى الزمن(٥٢) . وقـــد كانت لا تزال موجودة فى أواسط القرن الرابع للهجرة عندما ألف ابن النـــديم كتابه (الفهرست) اذ أنه استعمل مواد كانت موجودة فى بيت الحكمـــة كما يذكر هـــو نفسه ذلك أثناء حـــديثه عن القلم الحميرى(٥٣) . اما بيت الحكمة فيغلب الظن أنه استمر موجـــودا طوال العصر العباسى وأنه دمر فيما دمر عندما احتل المغول بغـــداد(٥٤) سنة ٦٥٦ هـ . ومن اهم الأهـــداف التى سعى مؤسسو بيت الحكمة وعلى رأسهم الرشيد والمـــأمون لتحقيقها لاقامة هـــذا الصرح العظيم هـــو تنشيط حركة التأليف والترجمة والتصنيف . فقـــد بلغت الحضارة العربية الاسلامية أوجها فازدهرت ازدهارا عظيما فى العصر العباسى ، حيث وصلت الى المستوى الحضارى الذى تفخر به الأمم والشعوب المتحضرة حيث كان يقاس المستوى الحضارى بالآثار المكتوبة الفكرية يعنى الكتب والتأليف(٥٥) .

ولو رجعنا الى مادة الفكر والتأليف لرأينا العرب بلغـــوا من الدرجات ما لم يبلغ الغرب مثلها الا فى العصر الأخير . ومن ثم يصح القـــول بأن التصنيف ابتدأ فى العصر العباسى . معنى هـــذا أن تصنيف الكتب على اسلوب دقيق بدأ فى هـــذا العصر الا أن الكتابة والتأليف والجمع حـــدث قبل العصر العباسى . وأيا كان الأمر فالحركة العلمية فى العصر العباسى كانت قـــوية لدرجة تذهل الانسان ، فهـــذه البصرة تؤلف الكتب وتستخرج الآراء ، وتضع النحو . وهـــذه الكوفة تكتب فى

---

(٥٢) المرجـع نفســه ص ٢٨٨ .

(٥٣) ابن النـديم ، الفهرسـت ص ٨ .

(٥٤) القلقشندى . (**صبح الأعشى فى صناعة الانشا**) . (المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩١٣ م) ج ١ ص ٤٦٦ .

(٥٥) د. يوسف العشى : (**تاريخ عصر الخلافة العباسية**) . (دار الكتاب دمشق ١٩٦٨ م) ص ٢٢٣ .

التاريخ والأدب وتؤلف فى النحـو . وهـذه بغـداد تضم خضما هائلا من العلمـاء يتكاثرون فى المساجد ويكتبون العلم حتى اذا ما وصـلنا الى عصر المـأمون رأينـا معظم المتعلمين ينكبون على اخراج الكتب[٥٦] .

واستفاد خلفاء بنى العباس من المدارس الموجودة فى عهدهم ، فنشطت حركة التأليف والترجمة حيث قاموا بالاتصـال بعلمـاء هـذه المدارس واستدعوهم الى بغـداد ، وكانوا ينفقون عليهم الأموال الكثيرة لترجمة الكتب الى اللغة العربية ، ودامت هـذه الأعمال ، أعمال الترجمة المحضة المثمرة بين عام (٧٥٠ — ٩٠٠ م) وفى هـذه الفترة عكف المترجمون على نقـل أمهات الكتب من السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية ، وكان على رأس أولئك المترجمين المقيمين فى بيت الحكمـة طبيب نسطورى هو حنين بن اسحاق (٨٠٩ — ٨٧٣ م) وقـد ترجم وحـده كما يقول هـو نفسه الى السريانية مئة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العالمية والى اللغة العربية تسعا وثلاثين رسـالة أخرى ، وبفضل هـذا نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء . وكاد المـأمون أن يفلس بيت المـال حين كافأ حنين على أعماله بمثل وزن الكتب ذهبـا[٥٧] .

ومن هنـا يتضح لنـا كيف حافظت بيت الحكمة على التراث العالمى وانقـذته من الفنـاء ، وخير مثال على ذلك مؤلفـات جالينوس وهـذا أحـد أهـداف بيت الحكمة . وقـد أنشأ المـأمون فى بغـداد مدرسة لتخريج المترجمين ، وهى مكمـلة لدار الحكمة وعنى بها المـأمون وجعل سهل بن هارون أمينا عليها[٥٨] .

وكانت رسالة بيت الحكمة الأساسية ترجمة الكتب اليـونانية الى العربية على يد يوحنـا بن ماسويه وحنين بن اسـحاق ، وسـلم خازن بيت الحكمة فى زمن المـأمون ، وممن حاضر فيه وألقى دروسا الامام الخوارزمى[٥٩] . فقـد زخرت خزائن بيت الحكمة بالكتب المترجمة وأقبل الناس على قراءة هـذه الكتب والتمعن فيهـا

---

(٥٦) ول٠ ديورانت : (**قصة الحضارة**) ترجمة محمد بدران (طبع الادارة الثقـافية بجامعـة الدول العربية) ج ٢ ص ١٧٧ .

(٥٧) ول٠ ديورانت : (**قصة الحضارة**) ج ٢ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٥٨) محمد غفرانى خراسانى : **عبد الله بن المقفع**) ٠ (مكتبة نهضة مصر بالفجالة ــ القاهرة ١٩٧٠ م) ص ٣٦ .

(٥٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : (**أبو الفرج الأصفهانى**) ٠ (دار المعارف بمصر ــ القـاهرة ١٩٢٣ م) ص ٤٦ .

فأدى ذلك الى حركة فكرية جديدة فى التأليف والنشر ، هذه الحركة انتجت ثقافة واسعة مبنية على القديم والحديث . كما كان من أهداف بيت الحكمة نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين فانشاء هذا المعهد العالى ان جاز لنا التعبير كان نتيجة لهذا التقدم العلمى فى العصر العباسى(٦٠) ، ومما لا شك فيه أنه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين ، ولم يكن انشاء دور الكتب مقصورا على العراق بل قامت فى مصر والأندلس دور كتب خاصة يتعهدها الخلفاء والأمراء والوزراء فكانت عاملا كبيرا فى تسهيل دراسة العلم والتعليم . كذلك لم يكن التعليم مقصورا على الجوامع والمساجد فكثيرا ما كانوا ينسقون حلقات التدريس بالمستشفيات والرباطات وغيرها من الأماكن(٦١) .

وبانشاء بيت الحكمة تم ادخال نظام جديد على العالم الاسلامى للمكتبات ، فقد كان لمحمد بن يحيى بن عبد الله العباسى بن محمد بن صول أبى بكر المعروف بالصولى وهو أحد العلماء كما يقول شاذان : « رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صف من الكتب لون ، فصف أحمر وآخر أخضر ، وآخر أصفر وغير ذلك . قال وكان الصولى يقول : هذه الكتب كلها سماعى »(٦٢) . وهذا الترتيب البديع هو أحدث نظام متبع فى ترتيب مكتبات أوروبا .

ومن أهداف بيت الحكمة حرصها الشديد على المحافظة على الكتب والمصنفات التى تترجم أو تصنف . فقد ارتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغداد المحافظة على الكتب والمصنفات . ومن هنا جاء دورها الهام باقامة جهاز ادارى يتولى الاشراف والتنسيق داخل بيت الحكمة . وكان العلماء فى الدولة الاسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة(٦٣) على أن يقوم الجهاز الادارى بالمحافظة على تلك المؤلفات من الضياع . وفى عهد العباسيين

---

(٦٠) د. نقولا زيادة : (**صور من التاريخ الاسلامى**) . (دار العلم للملايين – بيروت لبنان – بدون تاريخ) ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٦١) جوجى زيدان : (**تاريخ التمدن الاسلامى**) مراجعة وتعليق حسين مؤنس (طبع دار الهلال – القاهرة ١٩٠٢ م) جـ ٣ ص ٢٠٠ .

(٦٢) البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على الخطيب : (**تاريخ بغداد أو مدينة السلام**) . (مطبعة السعادة بمصر – القاهرة ١٩٣٢ م) جـ ٣ ص ٤٣١ .

(٦٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : (**الحواضر الاسلامية الكبرى**) . (دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٧٦ م) ص ٢٤٧ .

« نراهم مستودع الذخائر العلمية فى العالم ، كما نرى وكلاء الخلفاء ينقبون فى كل بلد من بلاد العـالم عن كنـوز الثروة القـديمة ثم يجلبونها الى العاصمة بغـداد ويعرضونها على الناس فينظرون بعين الاعجاب والتقـدير »(٦٤) .

كما كانت تقـام ببيت الحكمة المراصـد ، وتستخدم فيها أساليب التنجيم ، واستطاع الخليفة المـأمون أن يجعل من هـذا البيت كعبة للعلمـاء وأن ينظمهم التنظيم الدقيـق . وكانت بيت الحكمة التى عنى بها الرشـيد والمـأمون مد يده وعينيه ، فكانت تكتظ بكتب الفلسفة وعلوم الأوائل فانقض عليهـا انقضاضا يقـرأ ويستوعب ويستسيغ ويتمثل تمثلا نادرا(٦٥) .

أما الاستفادة من مزج الثقـافات المختلفـة والمعـارف المتباينة ، فقـد كانت من أهم أهـداف بيت الحكمة ، وساعدها على ذلك دخول الموالى والبرامكة وغيرهم من الطـوائف الأخرى فى أحضان الدولة العباسية . فقـد كان يعمل فى بيت الحكمة علمـاء تنوعت ثقافاتهم ومعارفهم فسهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة كان حكيما شاعرا ، وجـدير بالذكر أنه فارسى شعوبى المذهب شـديد العصبية على العرب ، ويصف الجاحظ براعته وفصاحته ولـه عـدة كتب ، وازداد عـدد الكتب فى عهد الخليفة المـأمون فلم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص على نقلها الى بيت الحكمة بل نجـد المـأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغـداد . وقـد كان يحيى بن البطريق على علم بهـذه اللغة . وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(٦٦) .

وقـد ساعد الموالى بدخولهم فى أحضان الدولة العباسية على أن يكون هـذا العصر هـو العصر الذهبى فى تاريخ الترجمة والنقـل عند العرب ، واستطاعوا لاتقانهم السريانية واليونانية أن ينقلوا الى اللسان العربى كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتمدينة(٦٧) . وأضاف البرامكة الى هـذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصا الفارسية فى آخر

---

(٦٤) سيد امير على : (**روح الاسـلام**) . ترجمة أمين محمود الشريف (مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٦٣ م) جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(٦٥) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الثانى جـ ٢ ص ٢٩٨ .

(٦٦) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(٦٧) د. خليل طـوطح : (**تاريخ التربية عند العرب**) . (القدس ١٩٣٣ م) ص ١٥ .

عهد الرشيد فقد ضمت خزائن بيت الحكمة كثيرا من الكتب بلغات متعددة منها العربية واليونانية والفارسية والسريانية وبعض اللغات الهندية[٦٨] .

كما أنفق المأمون أموالا طائلة فى جلب الكتب من الدولة البيزنطية . فبيت الحكمة هو مجمع علمى ومرصد فلكى ومكتبة عامة أنفق فى انشائه مائتى الف دينار (نحو ٩٥٠٫٠٠٠ دولار أمريكى) . فأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال . ويدلنا على عظمة بيت الحكمة واهميتها ما يقوله ابن خلدون[٦٩] « ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمى باليقظة الاسلامية الكبرى التى اهتزت لها أرجاؤه والتى تشبه فى أسبابها — وهى انتشار التجارة ، واعادة كشف كنوز اليونان — وفى نتائجها — **وهى ازدهار العلوم والفنون** » . نقول أنها تشبه فى أسبابها ونتائجها النهضة الأوروبية التى أعقبت العصور الوسطى .

---

(٦٨) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

(٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٦ .

الفصل الثانى : إنشاء بيت الحكمة



١ ـ من هم منشئو بيت الحكمة .

٢ ـ الطرق والوسائل التى تم بها انشاء بيت الحكمة .

٣ ـ العوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة .

أولا — من هم منشئو بيت الحكمة :

ان العصر العباسى يعتبر عصر الابداع فى الحضارة الاسلامية فيه بلغت الحضارة الاسلامية أوجها وأثمرت ثمارها اليانعة ، فهو عصر الاسلام الذهبى الذى بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغه من قبل ولا من بعد ، أثمرت فيه الفنون الاسلامية ، وازدهرت الآداب العربية ، ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربى فوجد سبيلا الى البحث ومجالا للتفكير ، ففى العصر العباسى حينما تلاقحت الثقافات وأقبل الناس على حياض العلم ظمأى ينهلون وتعمقوا فى فهم حقائق الكون على نسق فلسفى معلل . وانتشرت الترجمات من كتب الحكماء والمناطقة وأخذ العلماء يحللون ويعللون الأشياء والحوادث والأخلاق بعلل عقلية منظمة(٧٠) .

وقد عنى العباسيون سواء أكانوا خلفاء أو أفرادا بالمكتبات لأنها كانت طريقة القدماء فى نشر العلم فلما كان يتعذر على الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنها كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجأ من أحب تعليم الناس الى انشاء مكتبة تجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها للناس كما فعل العباسيون فى بيت الحكمة . وكان خلفاء بنى العباس والأثرياء من رجال دولتهم يبذلون جهودا مشكورة فى جمع الكتب النادرة ، ويسهلون على أهل العلم الانتفاع بها . وكانت قصور الخلفاء والكبراء تتزين بخزائن تشتمل على العدد الكثير من الكتب . فقد أنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة ليحفظ فيها الكتب التى جمعها مما يساعد على انتشار التعليم ، وحتى يتم المشروع بنجاح ولى عددا من العلماء أمر هذا البيت فعهد الى الفضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو من جنديسابور أمر الكتب الاغريقية التى جلبها هارون الرشيد معه من آسيا الصغرى ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم . فقد منح مرة سفيان بن عيينة مائة ألف درهم ، ومنح اسحاق الموصلى فى مناسبة أخرى مائتى ألف درهم كما منح مروان بن أبى حفصة مقابل قصيدة مدح خمسة آلاف دينار .وخلع عليه ومنحه جوادا من جياده الخاصة وعشرة أرقاء يونانيين(٧١) .

والتفت جماعة كبيرة من العلماء حول هارون الرشيد مثل البرامكة والقاضى أبى يوسف والشعراء مثل مروان بن أبى حفصة وأبى نواس وغيرهم مما ألقى

---

(٧٠) د. محمد ماهر حماده : (**الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة**) . (مؤسسة الرسالة بيروت — لبنان ط ١ ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م) ص ٧ .

(٧١) خودا بخش (صلاح الدين) . الحضارة الاسلامية ص ١٣٠ .

ضـــوءا ساطعا على عصره . فالرشيد هـــو الذى بدأ تلك الحركة العلمية فحشد الكتب اليونانية والفارسية فى مكتبته وعرب لهـــا من اللغات الأصلية الى اللغـــة العربية ، بل لعله هـــو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهـــدف العلمى . فقصـــد جلب نفـــائس المخطوطات اليونانية الى بغـــداد لتعريبها ، ذلك أن الرشيد كان يقـــوم بنفســـــه بغزو بلاد الروم كل ســـنة ، فكان يطلق على الغزوات اسم الصـــوائف ، واذا تأملنا الباعث على هـــذه الغزوات الصيفية اتضح لنـــا انهـــا كانت غزوات علمية بمعنى أدق ، لأن الرشيد وان كان يقصـــد منها القضاء على قوة الروم واخضاع شوكتهم ، كان يهتم الى جانب ذلك كل الاهتمام بالحصول على المزيد من الكتب والمخطوطات فى مختلف أنواع العلوم ، كالطب والفـــلك والرياضـــيات والفلسفة . أما طريقة حصوله على تلك الكتب فكان يهتم بأن يتجه بغزواته المشهورة لمعاقـــل الثقافة اليونانية فى آسيا الصغرى كأنقرة وعمورية وغيرها . وكانت خزائن هـــذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكان تلك المدن قـــد جهلوا قيمتها ولم يعودوا يعرفون من أمرها الا أنها مخلفات قـــديمة(٧٢) .

وكان هارون الرشيد يحرز النصر دائمـــا فى هـــذه الصوائف ، وكان يجعل من شروط الصلح الحصول على الكتب التى كان يريدها حيث ذكرنا من قبـــل أنه كان يقبل الجزية كتبا ، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة بالرشيد فى الحصول على هـــذه الكتب(٧٣) . فقـــد روى أن الرشيد ولى يوحنا بن ماسويه ترجمـــة الكتب الطبيعية القـــديمة لمـــا وجـــدها بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحهـــا المسلمون وسبوا سبيها ووضعه أمينا على الترجمـــة ورتب له كتابا حـــذاقا يكتبون بين يديه(٧٤) .

وأوضح من هـــذا ما ذكره ابن النـــديم(٧٥) « بأن أبا سهل الفضـــل بن نوبخت كان فى خزانة الحكمة لهـــارون الرشيد ، وفى موضع آخر كان علان الشعوبى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـــأمون والبرامكة » .

---

(٧٢) محمد البرقـــوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٨ .

(٧٣) د. محمد ماهر حماده : (**المكتبات فى الاسلام**) . (مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنـــان ط ٢ ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م) ص ٥٦ .

(٧٤) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٧٥) ابن النـــديم : الفهرست ص ٢٨٤ .

نستطيع أن نستنتج من هـــذا أن خزانة الحكمة فى عهد الرشيد كان يعمـــل فيها علمـــاء مختلفو الثقافات فيوحنا نصرانى سريانى لـــه قـــدرة على ترجمة الكتب اليونانية ، وابن نوبخت فارسى كما قال القفطى(٧٦) « ينقـــل من الفارسية الى العربية من الكتب الفارسية ومعـــوله فى كتبه وعلمه على كتب الفرس ، وعلان الشـــعوبى راوية نسابة فارسى الأصـــل » .

وكان الرشيد شـــديد الاهتمام ببيت الحكمة حين عين لهـــا رئيسا واعـــوانا فكانت كخلية النحـــل الكل يجمع الرحيق من كل مكان ففيها النساخ والمترجمـــون من اليونانية والفارسية وكان فيها مجلدون(٧٧) . أما من حيث الاسم الذى كان يطلق على هـــذه الدار فهو خزانة الحكمة حينا ودار الحكمة حينا ، وحينا آخر يطلق عليها بيت الحكمة . أما خزانة الحكمة فهو اسم الموضع الذى يخزن فيه الكتب وفى القرآن الكريم : « وان من شى الا عندنا خزائنه »(٧٨) فاستعملوه للدلالة على المكان الذى حفظت فيه الكتب ، وقـــد استعملت كلمة خزانة للدلالة على ذلك فى هـــذا العصر كثيرا .

فقـــد روى أن الجاحظ أراد أن يهـــدى الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم كتاب سيبويه فقال له ابن الزيات : أوظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : « ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائى وتهـــذيب عمرو ابن بحر الجاحظ ، يعنى نفسه » فأخذها(٧٩) . وأما البيت فاستعملوه فى الدار واطلقوه على حـــوانيت التجار والمواضع المباحـــة التى تباع فيها الأشياء ويبيح أهلهـــا دخـــولها(٨٠) . وقـــد أطلقـــوا فى هـــذا العصر كذلك بيت المـــال على المكان الذى يحفظ فيـــه مال الدولة ، فلا يبعـــد أن يكونوا قـــد أطلقوا كذلك بيت الحكمـــة على المكان الذى حفظت فيه الكتب . أما كلمة الحكمة فقـــد استعملوها فيما يرادف فلسفة فالظاهر انهم أطلقوا خزانة الحكمة أو بيت الحكمة على مكان المجموعة من هـــــذه الكتب لأن كلها أو أكثرها ليست من الكتب الدينية بل من الكتب التى عنى بنقلها من الأمم الأخرى وأكثر هـــذه كتب فلسفة أو حكمة ، وان كان فيهـــا شىء من التحـــف

(٧٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٧٧) أحمد أمين : ضـــحى الاسلام ج ٢ ص ٦٢ .

(٧٨) ســورة الحجــر ، الآية ٢١ .

(٧٩) ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد : (**وفيات الأعيــان وأنباء أبناء الزمان**) . (المطبعة الميمنية ــ القاهرة ١٣١٠ هـ) ج ١ ص ٥٤٩ .

(٨٠) ابن النــديم : الفهرســت ص ١٩٠ .

والآثار . كما كان سلم[81] وسهل بن هارون مشرفين على الخزانة ، اما متعاصرين ، ولكل دائرة اختصاص أو متعاقبين . ويظهر أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن ، كل مجموعة من الكتب خزانة ، وان سهل بن هارون كان مشرفا على القسم الذى احضرته بعثة القسطنطينية — كذلك يغلب على الظن ان كتب الرشيد قد افردت فى خزانة ، وكتب المأمون قد أفردت فى أخرى . ثمانا نرى أن ابن النديم يستعمل احيانا خزانة المأمون ، وأحيانا أخرى خزانة الرشيد[82] .

وكل ما يدلنا فى تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة ، وقد اعتاد الخلفاء ان يفعلوا هذا فى قصورهم[83] . أما اذا انتقلنا الى عصر المأمون رأينا ان رغبته فى الفلسفة والعلوم العقلية ، اشد وميله أقوى وتبع ذلك اتساع العمل فى بيت الحكمة .

روى ابن النديم : « ان المأمون كان بينه وبين ملوك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون بذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم وصاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امر بنقله فنقل ، وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ الى بلاد الروم »[84] .

قال ابن نباته عند الكلام على سهل بن هارون : وجعله كاتبا على خزائن بيت الحكمة . وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرص وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليه أحد ، فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هارون خازنا لها[85] .

كما أرسل بعثة الى القسطنطينية لاحضار الكتب اليونانية من طبية وفلسفية ، وانه كان بين أفراد البعثة صاحب بيت الحكمة وهو سلم ، ومعروف أنه كان فى

---

(٨١) سلم هذا هو صاحب دار الحكمة . جرونيباوم (جوستاف) ، حضارة الاسلام ص ٢٧ .

(٨٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٠ .

(٨٣) أحمد أمين : ضحى الأسلام ج ٢ ص ٦٤ .

(٨٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٣ .

(٨٥) ابن نباته المصرى : (سرح العيون) . (القاهرة ١٢٧٨ هـ) ص ١٣٢ .

القسطنطينية مكتبة كبيرة أنشئت سنة ٣٦٦ هـ وعنى بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغ ما فيها نحــو مائة ألف مجلد ، ومن التراجمة علان بن الحسن الوراق الشعوبى ، وكان هــذا فى خزانة الحكمة فى عصر الرشيد والمــأمون . كما أنشئت المراصــد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة(٨٦) . واتجه المــأمون الى بيت الحكمة فأفرد فيها لكل عالم ركنــا فتزدحم جنبات هــذا البيت بالعلماء والفلاســفة والمترجمين والمؤلفين وأئمــة اللغة ورجال الأدب . الى جانب الكتاب المنشئين، كان هناك كتاب مؤلفون نذكر منهم عبد الله بن المقفع سنة ١٤٣ هـ وكان مختصا بالمنصور وله من الكتب كتاب كليلة ودمنة ، والأدب الكبير ، والأدب الصغير ، والدرة اليتيمة ورسالة فى الأخلاق ، وله كتب أخرى نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج فى ســيرة أنوشروان ، وكتاب سيرة ملوك العجم(٨٧) . كما أن سهل بن هارون سنة ١٧٣ هـ أقام فى بغــداد يخــدم المــأمون وقــد تولى له رياسة بيت الحكمة ولــه من الكتب ديوان الرسائل والاخوان والمسائل وغيرها(٨٨) . وعلى بن عبيد الريحانى كان مختصا بالمــأمون وقــد ذكر له ابن النــديم(٨٩) نحوا من خمسين مؤلفا ضاعت كلها .

---

(٨٦) ابن قتيبه ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (**المعــارف**) (نور محمد ، كراتشى – باكستان ١٢٩٦ هـ/١٩٧٦ م) ص ٩ ، ١٠ .

(٨٧) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان ص ١٤٩ .

(٨٨) الجاحظ : (**البيان والتبيين**) (تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مكتبة المثنى ببغــداد ١٩٦٠ م) جـ ١ ص ٣٠ .

(٨٩) ابن النــديم : الفهرســت ص ١١٩ .

ثانيا ــ الطرق والوسائل التى تم بهــا انشاء بيت الحكمة :

وظــل بيت الحكمة يواصل رسالته فى الترجمة حتى بعــد انتهـــاء العصر العباسى الأول ، وكانت الثروة العظيمة التى تجمعت لخلفــاء العصر العباسى الاول قــد أنفق الكثير منها فى هــذا الزاد العلمى العظيم وثمــة أمور اخرى كان لهــا اثرها فى الاقبــال على المعرفة القــديمة وورود مواردها ممثلة فى الحركة التعليمية ، وشيوعها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقــافة العربية ، فنشأت العقليات التى لا تقنــع بالثقافات التقليــدية انمــا ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة وكان المورد الاغريقى الذى عبــوا منه عبــا(٩٠) .

وعصر الخليفة المــأمون عصر الازدهار العلمى الذى ازدهرت ونشطت فيه حركة الترجمة نشاطا واسع النطاق ، فقــد كانت بيت الحكمة من أهم مراكز الثقافة اليونانية ونشرها بين العرب الذين اقبلوا فى ذلك الحين اقبالا منقطع النظير وشجعهم على ذلك اقبال الخليفة نفسه على الثقــافة العقلية واعتزازه بالحرية الفكرية ، وتسامحه من الناحية الدينية ، تسامحا أدى الى تدعيم التيارات العقلية الجديدة ، التى اصطبغت بالثقافة اليونانية(٩١) . ومن هنا كان المــأمون من أكبر انصار مذهب المعتزلة الذى يقوم فى أساسه على تمجيد العقل والاعتزاز بحريته ، ولا يعنى ذلك أنه لم تكن هنــاك ترجمات قبــل عهد المــأمون فكما ذكرنا فقــد بذلت قبــل ذلك العهد جهــود ضخمة من قبــل الخليفة المنصور ثم هارون الرشيد من بعــده لنقل المــادة العلمية اليونانية الى اللسان العربى ، وقــد كان للبرامكة وزراء الرشيد نصيب كبير فى هــذه الجهود فقــد كانت عنايتهم بالثقافة اليونانية عناية كبيرة جعلتهم يعضدون العلماء ويشجعونهم على دراستها ونقلها(٩٢) . كما جعلهم يرسلون الرسل لشراء مخطوطات اغريقية من الأمبراطــورية الرومانية(٩٣) .

وقــد تركز الاهتمام على نقــل المؤلفات الفلكية والرياضية والطبية ، كما نقلت

---

(٩٠) د. حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : (**العالم الاسلامى فى العصر العباسى**) (دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٣ م) ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٩١) كارل . بروكلمان . (**تاريخ الشــعوب الاســلامية**) . (بيروت ــ لبنــان ١٩٥٣) ج ٢ ص ٣٨ .

(٩٢) د. عبد الحكيم بلبع : (**أدب المعتزلة فى القرن الرابع الهجرى**) (مطبعة الرســالة ــ القاهرة ١٩٦٥ م) ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٩٣) أوليرى : («مسالك الثقافة الاغريقية) ص ٢٢٨ .

بعض كتب ارسطو وغيرها . كما كانت بيت الحكمة تشتمل على الكتب الشرعية واللسانية وما ترجم عن اليونانية والفارسية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية(٩٤) . ولقد كان الأمين على نقيض المأمون ينتمي الى المدرسة السنية ، ويروى أنه حينما سمع بنظرية المريسى حول خلق القرآن هدد بأنه لو قبض عليه لقطع راسه ، لقد راى المأمون باعتباره أمير المؤمنين أن يصدر قرارا بخلق القرآن وطلب من القضاة تأييده وعارض ابن حنبل بشدة هذه البدعة ، ولكن بعض كبار الفقهاء ايدوا راى المأمون بدون تردد(٩٥) . وقد شجع المأمون طلابه على التردد على بيت الحكمة للقراءة ودبر لهم سبل الاقامة وأسباب الراحة فذهب الى حد اقامة جناح ملحق بالدار يضم عدد ثلاث حجرات صغيرة خصصت لينال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة ، كما يقدم لهم الطعام والشراب دون مقابل(٩٦) .

ولم تال الدولة جهدا فى تزويد قاعات المكتبات بالخزائن والمناضد والمقاعد كما وفرت للقراء المحابر والأقلام والأوراق(٩٧) . ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى ، فى العصور الوسطى واتباعها هذه الأنظمة وفتح أبوابها لكل قارىء ، وتسخير كل هذه الإمكانيات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر . ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور . وقد اثبتت هذه الدار أنها أهم مجمع أسس لنشر الثقافة بين جمهور المسلمين ، وكانت الترجمة من بين أعمالها الرئيسية(٩٨) . فقد أنشأ المأمون ديوانا خاصا بالترجمة على رأسه حنين بن اسحاق وأمر بوضع خارطة للعالم سميت « الصورة المأمونية » وهى أول خريطة للعالم فى عهد العباسيين ، ولذلك يلقب بعض المؤرخين المأمون بأستاذ الحضارة العربية لأثره العلمى الكبير فى المجال الحضارى(٩٩) . كما أسند

---

(٩٤) عبد الله بن العباس الجرارى : (**تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا**) . (دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٢٣٣ .

(٩٥) خودابخش (صلاح الدين) : الحضارة الاسلامية ص ١٣١ .

(٩٦) محمد ابراهيم الصيحى : (**العلوم عند العرب**) . (مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة – بدون تاريخ) ص ٧٧ ، ٨١ .

(٩٧) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٣ .

(٩٨) HITTI, P. K. : **The History of Arabs,** London 1928, p. 310.

(٩٩) أحمد فريد رفاعى : (**عصر المأمون**) . (مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ م) ص ٣٧٥ .

الاشراف فى بيت الحكمة لحنين بن اسحاق ، وقد أمدها المأمون بمختلف الكتب والمصنفات التى تحوى كل العلوم التى اشتغل بها العرب(١٠٠) .

كما انشأ المأمون وهو نفسه عالم رياضى دارا للتعريب ورصد فيها علماء لتهذيب الكتب المترجمة وتوجيه اسماء المعرفة من الاعلام والأجناس ، على ما يناسب المنطق العربى(١٠١) . وكان لهذه الدار الفضل الأكبر فى تهذيب الكتب المترجمة وتوحيد الأسماء المعربة ثم رقة الألفاظ لانغماس القوم فى الحضارة ، واخلادهم الى الترف ، وايثار الموالى للكلام السهل والأسلوب المبين ، لأنهم حذقوا اللغة بالدراسة والصنعة لا بالتلقين والطبع(١٠٢) .

وقد كان حنين بن اسحاق الذى جعله المأمون على رأس المترجمين (١٩٤ هـ/ ٢٦٠ هـ) شديد العناية بعمله حتى قيل أنه كان لا يعتمد على أقل من ثلاث نسخ ليستطيع مقارنتها والاطمئنان الى مصدر صحيح ينقل عنه(١٠٣) . ويتضح هذا مما ذكر عما انفقته الدولة على ترجمة كتب اليونان فقد قدر ذلك وحده بـ ٣٠٠،٠٠٠ دينار فيما يرون .

وتلقى بيت الحكمة جديد المصنفات العربية التى شارك فيها علماء المسلمين من الفرس والروم ومصر وغيرها من أقطار الدولة ممن تعرب آباؤهم وأجدادهم بعد الفتح(١٠٤) . كما ذكرنا من قبل أنه من اشهر من تولوا منصب القيم على بيت الحكمة فى عصر المأمون « سهل بن هارون » الفارسى الأصل فكانت تحت اشرافه مئات من المترجمين والخطاطين والنساخ وآخرين من المجلدين والمذهبين . ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست أسماء المشهورين الذين برعوا فى فن تذهيب المصاحف وصناعة تجليد الكتب فى خزائن بيت الحكمة كما ذكر أسماء مشهورى المترجمين(١٠٥) .

---

(١٠٠) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى جـ ٢ ص ٢٧٤ .

(١٠١) مصطفى صادق الرافعى : (**تاريخ آداب اللغة العربية**) . دار الكاتب العربى – بيروت – لبنان ١٩٧٠ م صـ ٢٠٥ .

(١٠٢) د. أحمد حسن الزيات : (**تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية**) مطبعة الرسالة – القاهرة – بدون ص ٢١٣ .

(١٠٣) د. بهى الدين زيان : (**الغزالى مباحث فكرية عن حياته الاسلامية**) (دار نهضة مصر بالفجالة – القاهرة – بدون) ص ١٤ .

(١٠٤) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(١٠٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .

وقــد كان علماء العربية والاسلام خارج العراق يجعلون واجبهم الى بغــداد واجبا علميا فيحجون[١٠٦] الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيه من نفائس المخطوطات فى زمن لم تكن المطبعة فيه قــد عرفت لتيسر الاطلاع على هــذه النفائس والتعريف بها ونشرها والافادة منها ، واستمرت كذلك لمدى قرون خمسة تقريبا .

(١٠٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢١ .

ثالثا — العـوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة :

كانت النهضة العلمية تساير عصر القـوة للدول الثلاث فكانت بيت الحكمة فى بغـداد عنوان هـذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها كما كانت دور الكتب العامرة فى المشرق ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية ، وخزائن كتب النجف الاشرف وخزانة سيف الدولة الحمدانى فى حلب وحماه ودمشق وطرابلس . كانت هـذه الدور الثقافية وأمثالها ممـا لا يتسع المجال لاستيعابه يعطى تفسيرا تاريخيا لهـذه النهضة التى حملت أمتنا لواءها فى العصر الوسيط(١٠٧) .

وفى الحـق أن انشاء المـأمون العباسى دار الحكمة فى بغـداد كان عاملا هاما وحاسما فى انتشار العلوم حيث اختار هـذا الخليفة أحـد البرامكة وزيرا له وهـذا البرمكى سليل أسرة قـديمة كان من أسلافها منذ قرون . وقـد عرف هـؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم فى تذوق الدراسات والكتب ، وجعلوا من بغـداد مركزا علميا قـدر له أن يطغى على سمرقند بجمع الروائع الأدبية الصينية والسنسكريتية(١٠٨) ، والمؤلفات البيزنطية من الغرب فى وقت واحـد .

وكانت هـذه الدار من عـدة وجوه أعظم المعاهـد الثقافية التى أنشئت فى ذلك الزمان(١٠٩) . حيث أنشأ المـأمون مرصـدا فلكيا بالشماسية وطلب الكتب حيث سمع بوجودها فقـد طلب من أمير صقلية بعض الكتب الفلسفية والعلميـة فأرسلها لـه ونقـل من خراسان الكثير من الكتب الى بغـداد ، وأرسل جماعة من المترجمين الى بلاد الروم لترجمة عـدد من الكتب . وكانت الكتب التى يرسلها ملك الروم مزخرفة . وقـد وصـل فن بعضها ما يجعلها تحفـة فنيـة . ففى سـنة (٣٢٦ هـ/٩٣٧ م) وصـل كتاب الروم الى الخليفة الراضى ببغـداد ، وكانت الكتابة بالرومية والترجمة بالعربية بالفضـة(١١٠) .

---

(١٠٧) طرازى « الفيكونت فيليب » : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٠٨) جاك. س. ريسلر : (**الحضارة العربية**) ترجمة محمود غنيم (طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ م) ص ٨٣ ، ٩٨ .

(١٠٩) د. عبد المنعم ماجد : (**العصر العباسى الأول**) . (مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٧٧ م) ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(١١٠) ابن الجوزى ، على بن عبد الرحمن : (**المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم**) (حيدر آباد — الدكن — الهند — دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ) ص ١٥٤ .

من هنا يتضح لنـــا أن الخلفاء والأمراء لم يبخـــل احـــدهم بمـــال أو جهـــد فى تزويدهم لهـــا بمختلف المؤلفـــات الثمينة ويسروا اسباب الراحـــة لروادها . فمـــا كان منهم الا ان ارسلوا البعوث للبحث عن الكتب والتراث الفكرى القـــديم(١١١) . وقـــد دخل أبو يوسف القزوينى المعتزلى المتوفى (٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م) بغـــداد ومعه عشرة جمال عليها كتب(١١٢) .

ثم أنشأ البغـــداديون المكتبات على مثال بيت الحكمة ، أشهرها مكتبة سابور ابن أردشير وزير بهاء الدولة فى محلة بين السورين سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد كلها بخطوط الأئمة المعتبرة ، وكان المؤلفون يقفون عليها نسخا من مؤلفاتهم ، واحترقت فيما احترق من محـــال الـــكرخ عند مجيء طغرلبك أول ملوك السلاجقة الى بغـــداد(١١٣) سنة ٤٤٧ هـ .

وممن تولى حفظ ما بقى فيها والاشراف عليها عبد السلام البصرى(١١٤) . اللغوى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . واشتهر بجمع الكتب من بنى العباس الخليفـــة الناصر بن المستضىء(١١٥) المتوفى سنة ٦٢٢ هـ . ولكن على الرغم من أن بيت الحكمة كانت ذات شـأن فى العالم الاسلامى من حيث انها أول أكاديمية ومؤسسة علمية تشبه فى اقبـــال العلماء والطلاب عليها للبحث والدرس كخلية النحل يعودون محملين بالشهد الذى يشفى النفـــوس والعقول . فان ما نالته فى عهـــد الرشـــيد والمـــأمون كان أزهى عصورها . وتجلى ذلك فى الخليفة المـــأمون أكثر من حيث ما كان يهب للعلم من وقته ورعايته ، ونال العلماء كثيرا من عطفه وعنايته . لكن لم ينل بيت الحكمة من العناية العلمية ما ناله فى عهد الرشيد والمـــأمون ، بل ضعف ذلك فنجـــد ان الخليفة المعتصم قـــد أهمـــل شأن هـــذا البيت العظيم ، وقـــد توالت عليه الأحـــداث بعـــد ذلك ، ممـــا زاد فى الاقلال من شأنه . ولكنه يظل يقاوم الى أن داهم التتار بغـــداد ، وقتل هـــولاكو المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فانتهى بذلك مـــع الأسف أمر هـــذه المؤسسة العظيمة ، واندثرت خزانة الكتب ، وعفت آثارها .

وحقا ان ما نالته هـــذه المؤسسة الثقافية وما أنفـــق عليها من مال ورعاية من ترجمات الاغريق ممـــا يعـــد مضرب الأمثال .

---

(١١١) Madkour, L. Organon : D., **Aristote Dans Londe,** Paris 1934, pp. 28,29.

(١١٢) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكى : (**طبقات الشافعية الكبرى**) (المطبعة الحسينية بمصر – القاهرة ١٣٢٤ هـ) جـ ٤ ص ٢٣٠ .

(١١٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ص ٢٢٦ .

(١١٤) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٤١٢ .

(١١٥) ابن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٤٦ .

الفصل الثالث : النظام الإداري في بيت الحكمة



١ ـ القائمون على تنظيم بيت الحكمة .

٢ ـ المشرفون على بيت الحكمة .

٣ ـ رواتب العاملين داخل بيت الحكمة .

أولا — القائمــون على تنظيم بيت الحكمة :

يكاد المؤرخــون أن يجمعوا على أن القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) هــو العصر الذى شهد قمــة التطور فى المؤسسات الحضارية والثقافية الاسلامية ، وكانت بغــداد فى هــذا القرن قــد اكتمل فيها عقــد العــلم ، وازدهرت بأجــلة العلماء الذين نزحــوا اليها من حــواضر العالم الاسلامى ، وورثت المدينتين العظيمتين البصرة والكوفة ، فانتقل كثير من علمائهما اليها .

واذا نحن علمنا انه لم يكن فى ذلك العصر مطابع وانمــا هناك مؤلفون يؤلفون ونساخ ينسخون أدركنا ما يقتضيه عمــل مكتبة من الجهد العظيم والمــال الوفير حيث لم تكن المكتبة مقصورة على الكتب بل كانت أحيانا مجتمعا يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء ويتداولون فيما بينهم المسائل العلمية . وهــذا ما جعل هــذا العصر يزخر بالعلم والعلماء ، وكان بجانب هــذه المكتبات العامة مكتبات خاصة لكل عالم تشتمل على الكتب التى يحتاج اليها فالغنى منهم يطلب النساخين أن ينسخوا له الكتب التى يريدها ، والفقير ينسخ بنفسه ، ورووا عن السجستانى المحــدث أنه كان لــه كم واســع وكم ضيق فسئل عن ذلك فقال الواسع للكتب والآخر أحتاج اليه(١١٦) .

وروى عن أحــد علمــاء أصبهان أنه أنفق فى شراء كتبه ثلاثمائة ألف درهم وقالوا ان أبا يوسف القزوينى المعتزلى دخل بغــداد ومعه عشرة جمال عليها كتب . وليس أدل على عظمة تراثنا من أن بيت الحكمة كانت فى أيام هارون الرشيد تحــوى مليون كتاب ، أما المــأمون فقــد نقــل الى بغــداد مائة بعير من الكتب من أوروبا حتى أنه جعل ذلك فى عقــد الصلح بينه وبين ملوك الروم(١١٧) .

وقــد جعل الخليفة هارون الرشيد يوحنا بن ماسويه مرشفا عاما على ترجمة الكتب ؛ بينما جعل المــأمون سهل بن هارون وهــو برتبة وزير مشرفا على بيت الحكمة لمــا كان لها من أهمية فى نظره ونظر الدولة التى يرأسها ، وزادت محتويات هــذه الدار بمــا قــدم اليها هــدية من الحكام العرب أو الأجانب تقربا الى الخلافة الاسلامية بالاضافة الى ما كانوا يبيعونه بأسعار مرتفعة جــدا . فقــد أهــدى صاحب جزيرة قبرص مجموعة قيمة من الكتب الى بيت الحكمة ، وكذلك فعل قيصر القسطنطينية بعــد ان طلبها المــأمون . ولعــل أشهر المترجمين أو المعربين انمــا

---

(١١٦) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(١١٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

ظهروا فى فترة حكم الرشيد والمأمون أمثال : أبو سهل الفضل ، ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق وحنين بن اسحاق وعمر بن الفرخان وثابت بن قرة[١١٨] وكان العمل أقساما كل قسم له رئيس مسئول عنه ، ومساعدون مسؤولون أمامه ، وهذا فى رأينا يفسر ورود أسماء عدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصحاب بيت الحكمة .

وكانت بيت الحكمة مكتبة واسعة رتبت فيها الكتب ونضدت فى رفوف خاصة بحسب لغتها وفروع العلم الذى يتحدث فيه ، وزودت بالمقاعد للقراءة والمطالعة وجعل لها قيم لحفظها وترتيبها وتسليم كتبها الى القراء وما شاكل ذلك وكانت تضم فرقا خاصة للترجمة والنسخ[١١٩] .

ويقسم النشاط فى دار الكتب بين حجرات . فبعضها للنسخ وبعضها الآخر للاطلاع والمراجعة ، وثالث للدرس والمناقشة وربما اشتملت هذه الدار على حجرات للموسيقى يختلف اليها الدارسون للترفيه واستعادة النشاط كلما أعياهم الكد والسأم[١٢٠] . لم تخل مكتبة ذات شأن سواء كانت عامة أو خاصة عن فهرس يرجع اليه استعمال مجموعة الكتب ، وكانت هذه الفهارس منظمة للغاية فهى تشمل الكتب التى بالمكتبة مرتبة حسب موضوعاتها وبجانب هذه الفهارس العامة ، كانت هناك ورقة خاصة ملتصقة بكل دولاب من دواليب الكتب ، وقد كتب على هذه الورقة عناوين الكتب التى يحتويها ذلك الدولاب ، وأرقامها فيه بالاضافة الى عنوان الكتاب ورقمه وكانت الفهارس تشمل ملاحظات عن الكتب التى فقدت أو بعض أوراقها ، ولم توجد جميع أجزائها[١٢١] ولنجل جولة سريعة فى مكتبات العالم الاسلامى لعرض ما عثرنا عليه من ذكر لهذه الفهارس التى عرفها المسلمون ونظموها منذ ذلك العهد المبكر ، ومن الواضح أن الفهارس ترتبط ارتباطا تاما بالمكتبات الكبيرة . من أجل هذا سيشتمل حديثنا عن الفهارس ايضاحا لنقطة هامة ، هى غنى المكتبات وما حوته من ذخائر . وأول ما نسوق من ذلك هو قول ابن سينا أنه اطلع على فهارس مكتبة السامانيين فى بخارى ، واختار بضعة كتب طلب أن يطلع عليها ، فأحضرت اليه فى الحال ، ويحكى ابن سينا انه رأى من الكتب ما لم

---

(١١٨) أنور الرفاعى : (**الاسلام فى نظمه وحضارته**) . (دار الفكر – بيروت – لبنان ١٩٧٣ م) ص ٥٤٤ .

(١١٩) أنور الرفاعى : الاسلام فى نظمه وحضارته ص ٥٤٤ .

(١٢٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٢١) Islamic Culture (111-1929) p. 229.

يقـــع اسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان رآه من قبل ولا رآه أيضا من بعد(١٢٢) .

وقام المـــأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة الذى انشاه ابوه (هارون الرشيد) واهتم بأنواع عـــدة من الثقافة ، فلم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية ، فقـــد اهتم بجمع الكتب الاغريقية وبعث وفـــدا الى ليـــو الأرمنى لجمع الكتب الاغريقية ليطلع عليها واضطر القيصر الى الموافقة على ذلك . وفى ذلك الحين كان حنين بن اسحاق ويعقوب الكندى على استعداد تام لترجمة الكتب الاغريقية الى اللغـــة العربية ، وقـــد درس حنين اللغة اليونانية فى الاسكندرية ، كما درس اللغة العربية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى(١٢٣) فى البصرة ،وبعـــد اجادة هاتين اللغتين بدأ تحت رعاية المـــأمون بترجمة الكتب الاغريقية وكانت مهارته عامة بتقريب المـــأمون لـــه ، فكان لا ينقطع عن اغـــداق الصلات عليه ، ولمـــا كان حنين نفسه مغـــرما بالكتب فقـــد تحول الى آسيا الصغرى وســـوريا للبحث عن الكتب وكان أول كتاب ترجم الى اللغة العربية هـــو كتاب بطليموس فى الفلك وقام بترجمته ابراهيم بن صلت وراجعه وصححه حنين بن اسحاق(١٢٤) .

وقـــد اتخـــذ المـــأمون بطانته من علماء اليونان والسريان والفرس فانتقـــل الى بيت الحكمة علماء حران والرها وجنديسابور ونقلوا اليهاما امتازوا به فى التراث الانسانى فى مدارس اليونان والرومان والشرق الأدنى وشمال أفريقيا فورثتها بغداد جميعا(١٢٥) . ويبـــدو أن المـــأمون ومن أتى بعـــده حاولـــوا أن يجمعـــوا فى هـــذه المؤسسة الثقافية العظيمة القسم الأكبر من تراث الاسلام حتى عهدهم مـــع عناية خاصة بالمواد التى لهـــا صلة بأصلهم .

فقـــد ذكر بن النـــديم(١٢٦) أنه كان يوجـــد فى خزانة المـــأمون كتـــاب بخط عبد المطلب بن فلان الحميرى من أهـــل وزن عليه ألف درهم فضـــة كيلا بالحـــديدة ومتى وعاه بها أجابه شهد الله والمكان .

---

(١٢٢) Barthold, W. : **Turkestan Down to the Mongol Invasion.** Luzac 1928, p. 9,10.

(١٢٣) الخليل بن احمد من علماء اللغـة والأدب : ابن القفطى : أخبـار العلمـاء باخبـار الحكماء ص ١١٨ . ومن المؤرخين من يرى أن الخليل بن أحمد كان بأرض فارس فلازمه حنين حتى برع فى لسان العرب : صاعـد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .

(١٢٤) خودابخش (صلاح الدين) الحضارة الاسلامية ص ١٣٢ .

(١٢٥) نجيب العقيقى : (**المستشرقون**) دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م ج ١ ص ٧٩ .

(١٢٦) ابن النـديم : الفهرست ص ١٧٤ .

ويبدو لنـــا ان خزانة بيت الحكمـــة كانت مقسمة الى اقسام كبرى بحسب اللغات فهـــذا قسم الكتب الفارسية ، وهـــذا قسم الكتب اليونانية ، وهـــذا قسم الكتب السريانية ... الخ . وكل قسم تحت رياسة شخص مشرف عليه ومسؤول عنه ، والجميع يعـــودون فى أمورهم الى شخص اعلى . ويقول المقـــدسى(١٢٧) وهـــو يواصـــل وصـــفه لمكتبة عضـــد الدولة فى شـــيراز : لـــكل نوع من الكتب فهـــارس فيها عنـــاوين كتب . ويسجل أبو الحسن البيهقى أنه رأى بنفسه فهـــارس كتب الصاحب بن عباد وان تلك الفهارس كانت تقع فى عشرة مجلدات(١٢٨) .

وقـــد كانت الفهارس معروفة فى العراق منذ عهد خزانة الحكمة ، حدث الحسن ابن ســـهل قال : قال لى المـــأمون يوما : أى كتب العجم اشرف ؟ فذكرت كثيرا منها ثم قلت : جاد يذان خرد (يتيمة السلطان) يا أمير المؤمنين . فدعا المـــأمون بفهرست كتبه وجعـــل يقلبه فلم ير لهـــذا الكتاب ذكرا . فقال : كيف يسقط ذكر هـــذا الكتاب من الفهرست(١٢٩) . وكان لمكتبة المدرسة النظامية ببغـــداد فهرس شامل دقيق رآه ابن الجـــوزى المتوفى (٥٩٧ هـ) وهـــو يقول عنه : لقـــد نظرت فى بيت الكتب الموقوفة فى المدرسة النظامية فاذا به يحتوى على نحـــو ستة آلاف مجلد(١٣٠) .

ولمـــا فرغ المستنصر بالله من بناء مدرسته نقـــل اليها من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستون جمـــلا ، وجعلت فى خزانة الكتب وتقـــدم المستنصر الى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحضور للمدرسة واثبات الكتب واعتبارها ، والى ولـــده العـــدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة فى داره أيضا ، فحضروا واعتبروها ، ورتبها أحسن ترتيب ، مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها(١٣١) .

وكان يتولى الأعمال فى دار الكتب طائفة من الموظفين وهم : الخازن والمترجمون وطائفة النساخ ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المناولين ، وطائفة الكتبة ، وطائفة

---

(١٢٧) المقـــدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٤٤٩ .

(١٢٨) ياقـــوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٣١٥ .

(١٢٩) محمد كرد على : (**رســائل البلغــاء**) . (مطبعة لجنة التاليف والترجمة ـ القـــاهرة ١٣٩٩ هـ/١٩٤٦ م) ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(١٣٠) ابن الجـــوزى : (**صــيد الخــاطر**) . (تحقيق السيد عبد القادر عطـــا . مكتبة الكليـــات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ١٣٩٩ هـ) ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(١٣١) ابن الفـــوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ص ٥٤ .

المجلدين . وكان الناسخ ينسخ ما يطلب منه نظير أجر وعليه أن يرتب أوراق كل نسخة بعد جمعها واصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء(١٣٢) . أما الخازن أو الأمين كما يسمى فى العصر الحاضر فكان يسند اليه الاشراف على أعمالهم الفنية والادارية جميعا ويجلب الكتب اليها ويلاحظ فهارسها ، وييسر للناس أسباب المراجعة والاطلاع ، لذلك كان يختار الخازن من الأدباء وأصحاب الأقدار بين المثقفين والعلماء كسهل بن هارون(١٣٣) .

وقد استدعى اختراع الورق(١٣٤) وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب وهؤلاء هم الوراقون الذين لعبوا دورا مهما فى تاريخ الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية ، ذلك أن الوراقين آنذاك كانوا هم الناشرون للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها فى الواجهات والاتجار بها ، وقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاء وأصبحت الوراقة مهنة راقية . وانتشرت دكاكين الوراقين فى طول البلاد وعرضها وأصبح للمؤلفين المشهورين وراقون يختصون بهم ، وأصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الأدباء وتعقد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات بحيث يمكن تشبيهها بيسر بالصالونات الأدبية التى انتشرت فى أوروبا وخاصة فرنسا ابان القرن الثامن عشر .

والحقيقة أننا نجد ذكر الوراقين منذ عهد الرشيد أى منذ استعمال الورق فى الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة ، يدل على ذلك القصة التى يوردها ياقوت الحموى(١٣٥) فى معجمه حيث يقول : وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال كان اسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة فى أيام الرشيد الى بغداد ، واحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله فى دار من دوره واغلق عليه الباب ودفع اليه كتب أبى عبيدة وأمره بنسخها فكنت أنا وجماعة من اصحابنا نصير الى الأثرم فيدفع الينا الكتاب والورق الأبيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذى نرده اليه ، فكنا نفعل ذلك ، وكان الأثرم يقرأ على أبى عبيدة وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك .

وقد كانت واجبات الوراق كثيرة اذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت اشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه .

(١٣٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ .

(١٣٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٣٤) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام ص ٧٥ .

(١٣٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٧ ، ٧٨ .

وارتبطت صناعة الورق بمهمة نسخ الكتاب ، والنساخون هم الوراقون الذين ينسخون المخطوطات ويسوقونها . وكان على الوراق أن يختار نوع الورق ويقــوم بنسخ الكتاب أو يشرف على نسخه ، وقــد ظهرت طائفة من الكتاب الذين يحترفون النسخ للوراقين أو لأصحاب المكتبات العامة أو الخاصة نظير أجر . أى أن النسخ كان مهنة بعض المتعلمين يكتسبون منها . وكانت هناك صورتان للنسخ صورة فردية بأن ينسخ الناسخ الكتاب بنفسه ، وصورة جماعية بأن يجلس عــدد من النساخ بعــدد النسخ المطلوبة ، ثم يملى عليهم من النص المطلوب نسخه وهم يكتبون . وبعــد الفراغ من نسخ المخطوط لابد من مقابلته بالأصل .

ومن الشروط الأساسية للصناعة أن يكون الناسخ دقيقا فى عمــله وأمينا ، صحيح أن الناسخ المحترف قــد يقصر فى عمله (ولكن قــل أن نجــد ناسخا كان يتعمد الأخطاء قصــد تغيير نص أو تحريفه) على حــد تعبير روزنتال[١٣٦] .

ولعل ما يوضح لنا هــذا التثبت الشديد بالدقــة والأمانة ما نراه لدى بعض النساخ الذين كانوا يضطرون أحيانا الى الاسراع فى نسخ المخطوطة التى كتبــوها فنجــدهم ينبهون القارىء بقولهم : (اننى لم أراجع قراءة المنسوخ لاصلاح الأخطاء التى ربمــا وقعت فى هــذا الكتاب ولست متيقنا من أن النسخة هــذه خالية من الأخطاء وذلك لأننى كنت مسرعا جــدا)[١٣٧] . وكانوا يشترطون أيضــا مقابلة ما ينسخونه بأصل صحيح موثوق به ، لأن المقابلة متعينة للكتاب الذى يراد النفع به . قال الامام الشافعى ويحيى بن أبى كبير : (من كتب ولم يعارض — أى لم يقابل — كمن دخــل الخــلاء ولم يستنج) .

وهناك ناحية هامة وهى معرفة المسلمين للنشر المتخصص ، اى ان بعض الوراقين كانوا يتخصصون فى نشر لون معين من المعرفة كالفلسفة أو الأدب أو الشعر أو يتخصصون فى نشر أعمال مؤلف بعينه فمثلا يحــدثنا ابن النــديم عن (وراقى المبرد) ويحــدثنا فى مكان آخر عن (تلاميذ الكندى ووراقيه)[١٣٨] .

وكانت تجارة الكتب تجارة رائجة ومنظمة ، لهــا أسواقها المعروفة وتعقــد

---

(١٣٦) فرانتز ، روزنتال : (**مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى**) . ترجمة انيس فريحه . (بيروت - لبنــان ١٩٦١ م) ص ٦٢ .

(١٣٧) المرجع نفســه . ص ٦٢ .

(١٣٨) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٥٠ ، ٣٧٩ .

فى اسواقها مزادات لبيع الكتب وعرف بعضهم بسمسار الكتب وكان بعض هؤلاء علماء ومؤرخين مثل أبى المعالى سعد بن على بن القاسم الأنصارى الخزرجى الوراق الحظيرى المعروف بدلال الكتب (سمسار الكتب) مؤلف كتاب زينة الدهر فى التاريخ(١٣٩) (زينة الدهر فى لطائف شعراء العصر) .

كذلك زخر العالم الاسلامى بالمكتبات وبهواة جمع الكتب ومحبيها حتى أصبحنا نرى علماء وهواة بلغ عدد كتبهم أرقاما خيالية . ومما ساعد على هذا التطور اختراع الورق الذى يعد من النعم التى أسداها المسلمون الى الحضارة العالمية واستدعى هذا بالتالى ظهور الوراقين وفتحهم الدكاكين الكثيرة وازدهار تجارة الكتب ووجود طائفة هم النساخون الذين أصبحت مهمتهم نسخ المخطوطات واعدادها للبيع(١٤٠) .

فلا عجب ان هم اعتنوا بها وأحلوها أعلى منزلة عندهم . تقول أولغا بينتو فى مجلة « الثقافة الاسلامية » : « أن كل ما له علاقة بالكتب تطور بشكل رائع ملحوظ ، فقد نسخت الكتب وزخرفت وجلدت بشكل أنيق جدا ، وقد أحيطت بأعظم ضروب العناية والرعاية ونشرت بين الناس ، وان جميع ذلك كان هدف واهتمامات الثقافة الاسلامية »(١٤١) .

ولقد حوت أكاديمية بيت الحكمة فريقا من المجلدين همهم تجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال ، وقد حفظ لنا ابن النديم اسم أحد مجلدى بيت الحكمة هذه فيذكر « ابن أبى الحريش وكان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون »(١٤٢) .

وبذلك ساهم بيت الحكمة فى ترجمة كتب فى علوم مختلفة وبلغات متعددة الى العربية . وكان المترجم يملى كتابه المترجم على عدد من النساخ حتى تتعدد نسخ الكتاب الواحد وتجلد هذه الكتب وتودع نسخ منها فى بيت الحكمة(١٤٣) حتى تتاح الفرصة للقراء للاطلاع عليها والاستفادة منها .

---

(١٣٩) أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده : (**مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم**) . تحقيق كامل بكرى وزميله (دار الكتب الحديثة ـ مصر) ج ١ ص ٢٦٣ .

(١٤٠) د. محمد ماهر حمادة : (**الكتاب العربى مخطوطا ومطبوعا تاريخه وتطوره حتى مطلع القرن العشرين**) (دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ/١٩٨٤ م الرياض ـ السعودية) ص ١٠١ .

(١٤١) بينتو ، أولغا : (**المكتبات العربية فى العصر العباسى**) فى « الثقافة الاسلامية » (المجلد الثالث ١٩٢٩ م) ص ٢١٢ .

(١٤٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٤ .

(١٤٣) المصدر نفسه ص ١٠ .

وكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة والنسخ والتأليف فيجلس النساخ فى أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجـــور . وكذلك المؤلفون والمطالعـــون . ومن نساخ بيت الحكمة علان الشعوبى أصله فارسى وكان راوية عارفا بالأنساب والمنافرات وكان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـــأمون والبرامكة وله كتاب فى مثالب العرب هتك فيه العرب وأظهر مثالبها(١٤٤) . وقيـــل أنه أهـــداه لطـــاهر بن الحسين قائد المـــأمون فأنعم عليه بثلاثين ألف درهم تنشيطا وتشجيعا له . وكان اعـــلان الشعوبى هذا حجة بالرغم من ذلك فان له كتبا عديدة فى المثالب فله كتب أيضا من فضائل بعض القبائل ككتاب فضائل كنانه وفضائل ربيعه ، ولكن نشاطه العلمى اتجه على وجـــه التخصيص الى ذكر مثالب العرب . ولقـــد ضاعت هـــذه الكتب ولكننـــا نجـــد بعض القطع منها هنا وهناك فى الكتب التاريخية والأدبية(١٤٥) .

ولم يلبث أن صار التجليد مـــع الأيام صناعة رابحة وفنا أصيلا يشيع التذهيب والتزويق وتفنن(١٤٦) بعضهم فى تجليد الكتب وزخرفتها والعناية بخطها وأيضا تحلى بالذهب ، ويتنافس رواة الكتب فيما كتبه الخطاطون كابن مقـــلة وابن البـــواب . وكانت المكتبات على وجه العموم تزود بالحبر والورق ، وبعض الأغنياء يتبرع بذلك حسبة لوجـــه الله .

أما المناولون فكان عملهم أن يرشـــدوا القراء الى مواضع الكتب على الرفوف ، أو ينقلونها من أماكنها الى حيث يطلبونها ، وكانوا يعملون فى دور الكتب العـــامة والخاصة ويحفظ لنـــا التاريخ أسماء طائفة من دور الكتب العظيمة التى لهـــا فى نشر الثقافة وخـــدمة العلم فضل مذكور ومقام كبيت الحكمـــة فى بغـــداد ودار الحكمـــة فى القاهرة ودار الكتب فى قرطبة(١٤٧) .

ويمكننا القـــول أن هـــذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قـــد أصبحت زمن المـــأمون أكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة تحوى أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقـــل وأماكن للتأليف الى جانب الرصـــــد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسته .

---

(١٤٤) جرجى زيدان : تاريخ التمـدن الاسلامى ج ٢ ص ٢٢٦ .

(١٤٥) أبو الفرج الاصفهانى : (**الأغـانى**) . (طبعـة دار الكتب المصرية والساسى ١٢٨٥ هـ) ج ١٢ ص ١٥٦ .

(١٤٦) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام ، ج ٢ ص ٢٢٣ .

(١٤٧) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨١ .

ثانيا ــ المشرفــون على بيت الحكمة :

وكان لبيت الحكمة قيم يدير شئونه يسمى صاحب بيت الحكمة ، وأشهر مديريها سهل بن هارون وهــو فارسى شعوبى شــديد التعصب على العرب وله فى ذلك كتب كثيرة ، وقــد انتقل هــذا الى البصرة ثم الى بغــداد وكان شاعرا حكيما عظيما وله رسائل فى البخل ، كما كان يتولى الهيمنة على ادارة بيت الحكمة الخاصة بالدولة المــأمونية فى بغــداد ، وكان يتولى تنظيم خزائن المــأمون . وسعيد بن هارون الكاتب شريك سهل بن هارون فى بيت الحكمة وكان بليغا فصيحا ويحكى عنه الجاحظ ولــه من الكتب كتاب الحكمة ومنافعها وله رسائل مجموعة . وكان سلم صاحب بيت الحكمة مــع سهل بن هارون وله نقول من الفارسى الى العربى(١٤٨) .

أما رئاسة بيت الحكمة فكانت لسهل بن هارون حيث كان المــأمون ميالا الى جمع الكتب من مختلف الثقافات ، وقــد استطاع أن ينقل ــ من جزيرة قبرص ــ كثيرا من الكتب اليــونانية التى زخر بهــا بيت الحكمة ، كما حفلت بها مكتبته الخاصــة(١٤٩) .

ولمــا كان مثل هــذا العمل فى حاجــة الى جهابذة العلماء والأدباء والمترجمين فقــد حشد لــه القوى وجعل عليه سهل بن هارون(١٥٠) ، ومن ثم فقــد عاش هــذا الكاتب فى هــذا الجــو العلمى الخالص الذى جعل منه عالمــا ضليعا ، وكاتبا بليغا ، ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ وأشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الأدبية .

وقــد رأى المرحوم محمد كرد على(١٥١) : « ان سهل بن هارون تولى خزانة المــأمون الخاصة وتولى خزانة الحكمة لــه أى أن لــه منصبين وكلا العملين عظيم فى بابه ولكنهما من نمط واحــد وفى ذلك ما يشير الى أن المــأمون لم يكن يضن عليه من قصره ولا يقنعه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط » .

وكان أبو عثمان الجاحظ يفضل سهل بن هارون ويصف براعته وفصاحتــه

---

(١٤٨) ابن النــديم : الفهرســت ص ١٧٤ .

(١٤٩) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد : (العقــد الفريد) تحقيق أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابيارى . ط ٢ (لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٤٨ م) ج ٣ ص ٢٧٤ .

(١٥٠) ياقــوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(١٥١) محمد كرد على : (أمراء البيان) . (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٥٠ م) ص ١٥٢ .

ويحكى عنه فى كتبه ويصف ابن النـديم أنه كان بخيلا وعمل رسائل فى البخل وعمل الحسن بن سهل رسالة يمدحـه فيها ويرغبه فيه ويستسمحه فى خلال ذلك فأجابه الحسن على ظهر رسالته : وصلت رسالتك ووقفنا على نصيحتك وقـد جعلنـا المكافاة عنها القبول منك والتصـديق لك والسلام[152] ولم يصله عنهـا بشىء . أما سلم[153] فقـد كان أحـد الأفراد الذين ارسـلوا الى بلاد الروم للحصـول على المخطوطات ويبـدو أنه قـد عهـد اليه برئاسة قسم الكتب الفارسية ، وفى نفس الوقت الاشراف على النقـل من الفارسية الى العربية وكلا العملين مهم فى ذاته .

والفضل بن نوبخت هـو أبو سهل الفضل بن نوبخت[154] فارسى الأصـل ، وقـد ذكر نسب آل نوبخت فى كتاب المتكلمين ولهـذا الرجل نقل من الفارسية الى العربية ومعوله فى علمه على كتب الفرس . وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد . عهـد اليه الرشيد بالقيام بشئون خزانة كتب الحكمة ويذكر القفطى عن الفضل بن نوبخت ابى سهل « أنه مذكور مشهور من أئمـة المتكلمين ... وكان فى زمن هارون الرشيد وولاه القيـام بخزانة الحكمة ، وكان ينقل من الفارسـية الى العربية ما يجـد من كتب الحكمة الفارسية »[155] .

وكذلك عهد الرشيد بتعريب الكتب التى وجـدها فى أنقرة وعمورية الى يوحنا ابن ماسويه وكان شيخ النقلة فى عصره ووضعه أمينا على الترجمة[156] . وفى رأى محمد عاطف البرقوقى أنه هـو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب وهى تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعـد واصبحت تدعى دار الحكمة[157] .

يبدو لنـا أن خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة الى أقسام كبرى بحسب اللغات فهـذا قسم الكتب الفارسية وهـذا قسم الكتب اليـونانية وهـذا قسم الكتب السريانية ... الخ . وكل قسم تحت رئاسـة شخص مشرف عليه ومسؤول عنـه ،

---

(١٥٢) ابن النـديم : الفهرست ص ١٤٧ .

(١٥٣) المصـدر نفسـه ص ١٧٤ ، ٣٨٢ .

(١٥٤) أبو الفتوح التوانسى : (**من أعلام الطب العربى**) . (دار الكاتب المصرى - القـاهرة ١٩٧٣ م) ص ٢٢ .

(١٥٥) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٥٥ .

(١٥٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٥٧) محمد عاطف البرقـوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٩ .

والجميع يعـــودون فى أمورهم الى شخص أعلى مسؤول عنهم وهم مسؤولون أمامه .
هــذا فى راينا يفسر ورود أسماء عـــدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصـــحاب بيت الحكمة . من أمثال محمد بن موسى الخوارزمى العالم الرياضى الفلكى الذى ظهر فى عصر المـــأمون وكانت لـــه مكانة سامية لـــديه ، فأحاطه بالرعاية ووكل اليه شئون « دار الحكمـــة »[158] .

(١٥٨) مصطفى الشهابى : (الجغرافيون العرب) • (دار المعارف بمصر ـ القـــاهرة ـ سلسلة اقرأ ـ عـدد ٢٣٠ ـ فبراير ١٩٦٢ م)ص ٤٠ .

ثالثا ــ رواتب العــاملين فى بيت الحكمــة :

وكان يلحـــق ببيت الحكمة علمـــاء لهم رواتب محـــددة وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هـــؤلاء علماء فلكيون ذلك لأن المـــأمون الحق ببيت الحكمة مرصـــدا لاصلاح آلات الرصـــد ، وكانت أعماله بالضرورة من بيت الحكمـــة ، بل كان بعضـــهم من خارجـــه . وصاحب بيت الحكمـــة يشرف على العـــاملين فيها وعليه ان يرتب الكتب ويعـــد فهارسها ويصنفها . وقـــد قيل ان يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم المعروف هـــو أحـــد أصحاب الارصـــاد فى القصر المـــأمونى كما كان جـــد احمـــد الطيبى المعروف بالصنوبر الحلبى وأولاد موسى بن شـاكر[١٥٩] (محمد وأحمد والحسن) وغيرهم من رجال بيت الحكمـــة فى العصر المـــأمونى أو ممن كان يتردد على هـــذه الدار للعمل فيها بصفة رسمية أو للمطالعة والنسخ أو الترجمة والتأليف .

ولا ندرى كم كان ينفق المـــأمون على مكتبته هـــذه شهريا أو سنويا ولابد أنه مبلغ ضخم جـــدا بالنسبة للعمل الذى قامت به تلك المكتبة وبالنسبة للمهمة التى اخـــذت تنفيذها على عاتقها ، وكذلك بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يعملون فيها ، ذلك أن أغلبهم بحاثة وعلماء من الطراز الأول ونعتقد ان رواتبهم كانت أعلى رواتب يمكن أن يتقاضاها أمثالهم .

ونستطيع بشىء من الموازنة أن نصل الى رقم تقريبى لرواتب الموظفين فيها ، ذلك ان ابن أبى أصيبعة يذكر نقـــلا عن السجستانى أن بنى شـــاكر وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقـــون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قره[١٦٠] وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة[١٦١] . وأما محمد ابن عبد الملك الزيات الذى كان وزيرا أيام الواثق ، فقـــد كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ فى كل شهر الفى دينار[١٦٢] . وقـــد ذكرنا سابقا عطاء المـــأمون لحنين بن

---

(١٥٩) أولاد شاكر : محمد وأحمد والحسن من رعاة العلم والأثرياء وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم ، ومن انشـــط العناصر التى كانت فى بيت الحكمـــة . (د. الشحات السيد زغلول : **السريان والحضارة الاسلامية**) . (دار الكاتب المصرى فرع الاسكندرية ١٩٧٣ م) ص ١٩٢ .

(١٦٠) ثابت بن قره ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى ٢٨٨ هـ عمـل فى جملة منجمى المعتضـد ، وكان ذا منزلة عالية عنده ، وله دور كبير فى حركة الترجمة ، وهـو الذى أدخـل رئاسة الصابئة الى أرض العراق (**ابن جلجل ، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل**) . (**طبقات الأطباء وحكماء**) . تحقيق فؤاد السيد (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ــ القاهرة ١٩٥٥ م) ص ٧٥ .

(١٦١) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٤٣ .

(١٦٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٦ .

اسحاق عما كان ينقله من اليونانية الى العربية ، وكيف أن ذلك العطاء كان زنة ما ينقله مثلا بمثل[١٦٣] . فاذا كان الأمر كذلك واذا كانت رواتب الموظفين الذين ينسخون وينقلون لدى وزير من وزراء الدولة يبلغ الفى دينار فى الشهر ، فكم يجب أن تكون رواتب موظفى ومستخدمى بيت الحكمة ؟ . اعتقد أن الجواب هو لا أقل من عشرين الف دينار فى الشهر وربما أكثر من ذلك باستثناء النفقات الأخرى كثمن الحبر والورق واجور التجليد وثمن الكتب الجاهزة واثاث المكتبة وغيرها .

ووجه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقلوا الذخائر الأجنبية للسان العربى ، وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأعد الواثق نعما متوالية ، وخيرا وفيرا ، وفى احدى المرات أعطاه دراهم تساوى ثلاثمائة الف روبية[١٦٤] .

ويورد لنا المقريزى[١٦٥] قائمة بالنفقات السنوية لمكتبة دار الحكمة مفصلة تفصيلا واضحا ولكنها اقل سعة وسخاء وفيما يلى نصها :

ورق النسخ (ربما كان ذلك يشمل مرتبه أيضا)	٩٠ دينارا
مرتب الخازن	٤٨ دينارا
مرتب الفراش	١٥ دينارا
لتجليد الكتب (ربما شمل أجرة المجلد)	١٢ دينارا
ورق وحبر وأقلام للمطالعين	١٢ دينارا
ثمن الحصر العبدانى	١٠ دنانير
ثمن الماء	١٠ دنانير
ثمن لبود للفرش فى الشتاء	٥ دنانير
ثمن طنافس فى الشتاء	٤ دنانير
مرمة الستارة	١ دينار

وكانت المرتبات لموظفى المدرسة المستنصرية محددة على الوضع التالى : لخازن الكتب فى كل يوم عشرة أرطال خبزا ، وأربعة لحما ، وفى كل شهر عشرة دنانير ، وللمشرف فى كل يوم خمسة أرطال خبزا ، ورطلان لحما ، وفى كل شهر ثلاثة

---

(١٦٣) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(١٦٤)

Khuda Bukhshi, Contribution to the History of Islamic Civilization, Calcutta 1905, p. 269.

(١٦٥) المقريزى : الخطط والآثار ج ١ ص ٤٥٩ .

دنانير . وللمنازل فى كل يوم أربعـــة أرطـــال خبزا وغرف طبيخـــا فى كل شـــهر دينـــاران(١٦٦) .

ومن مكتبات بغـــداد(١٦٧) الشهيرة المكتبة التى الحقت بالمدرسة المستنصرية وهى ذات قاعات واســـعة للمطالعة مجهزة بمـــايساعد على القراءة من مقاعـــد وصهاريج لتبريد مياه الشرب وســـاعة حائط لمعرفة الوقت والتنبيه الى اوقات الصـــلاة .

هـــذا الى ان كثيرا من الأغنياء والوزراء كانت لهم مكتبات خاصـــة فابن العميد وزير عضـــد الدولة كان لـــه مكتبة فلمـــا نكب حمد الله كثيرا على أن بقيت لـــه مكتبته لأنها أهم شيء عنده(١٦٨) .

وكان على بن المنجم ممن جالس الخلفاء ، وكان له خزانة كتب عظيمة فى ضيعته وسماها خزانة الحكمة ، وكان يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ويتعلمون ، والكتب مبذولة والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن المنجم(١٦٩) . وهـــو الذى أعـــد مكتبة الفتح بن خاقان وأشرف عليها ، وكان من خاصـــة ندماء المتوكل ، وخصص أيضا بمن جاء بعـــده من الخلفاء الى أيام المعتمد ، وكان راوية للأشعار والأخبار ، شاعرا محسنا وله صنعة مقـــدما عند الخلفاء(١٧٠) .

على أن أكثر هؤلاء الخلفاء المثقفين الذين شجعوا ورعـــوا حق الرعاية مؤسسة بيت الحكمة ولم يبخلوا بالجهد ولا بالمـــال ولا بكل شيء فى سبيل دفع عجلة التقـــدم الى الامام من أمثال الرشيد والمـــأمون والواثـــق ومن بعـــدهم . هـــذا الى جانب جهود عـــدد لا يحصى من الأمراء والوزراء والحكام المحليين والأفراد المتميزين السابق ذكرهم . ولا ننسى استقرار المجتمع الاسلامى وتدفق الثروة عليه ممـــن جعله يؤسس المؤسسات العلمية العظيمة أمثال بيت الحكمة كما نجـــد عـــددا من العلماء والفضلاء والوجهاء والرؤساء انقطعوا للعمل فى هـــذه الأكاديمية مثل أبناء شـــاكر والخوارزمى وعلان الشعوبى وسلم وسهل بن هارون وسعيد بن هارون وغيرهم .

---

(١٦٦) عـواد كوركيس : (**خزائن الكتب القديمة فى العراق**) . (مطبعة المعارف ـ بغـداد ـ العراق ١٩٤٨ م) ص ١٦٥ .

(١٦٧) انور الرفاعى : الاسلام فى نظمه وحضارته . ص ٥٤٥ .

(١٦٨) احمد أمين : (**ظهـــر الاســـلام**) . (ط ٣ ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٣٦ م ج ٢ ص ٢٢٠ .

(١٦٩) المرجـع نفســه ص ٢٢١ .

(١٧٠) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٠٥ .

الفصل الرابع : أثر بيت الحكمة في حياة المجتمع العباسي



١ ـ تشجيع الحركة العلميـــة فى بيت الحكمـــة ٠

٢ ـ التغييرات التى طرأت داخـــل بيت الحكمـــة فى التصنيف والترجمة ٠

٣ ـ نشر روح اليقظـــة الاسلامية فى المجتمع العباسى ٠

٤ ـ انقـــاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العـــالم الاسلامى لحفظ التراث من الضـــياع ٠

اولا ــ تشجيع الحركة العلمية فى بيت الحكمــة :

ادى التمــازج الحضـــارى والثقـــافى بين مختلف الأقـــوام والعروق والأجناس والثقافات الى بروز الحضارة الاسلامية ذات الشخصية الواضحة المميزة التى اشترك فى انتاجها عــدد كبير من العروق والأجناس ، وذوى الحضارات المختلفة والديانات المختلفة ، وفيه بلغت هــذه الحضارة درجة كمالها وبلوغها الأوج . وقــد تطورت فيه جميع المعارف الانسانية وانتشرت فى ارجاء العالم الاسلامى من حــدود الصــين والهنــد شرقا الى الأندلس وحــدود فرنسا وايطاليا وسويسرا غربا . ثم لم تلبث هــذه ان انتقلت الى أوروبا وساهمت الى حــد كبير ، فى انهاضها وايقاظها من سباتها ، وفى جعلها تأخــذ من الحضارة بنصيب موفــور(١٧١) .

وقــد بلغ العصر الذهبى ذروته فى عهــد هارون الرشيد وابنــه المــأمون ، حيث استكمل المجتمع الاسلامى تطــوره بعالميته الجامعــة ، وموارده الاقتصـــادية الهـائلة ، وحياته الثقافية الرفيعة ، يغــذيها تقــابل الفكر والثقافة العربيين مــع الحضارات الاغريقية والهندية والفارسية ، بينما ينحسر دور الجزيرة فى توجيــه الثقــافة العربيــة(١٧٢) .

ونريد بالحضارة(١٧٣) ما تبلغ اليــه الدولة من الثروة وبسطة العيش والتوســع فى أسباب الترف والرغــد فى ارقى درجات عمرانها . والدولة الاسلامية ادركت تلك الدرجات اولا فى العصر العباسى ببغــداد فى اواســط القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى) الى اواسط القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

فبلغت بغــداد(١٧٤) ذروة الرخاء فى عصر هارون الرشيد (١٧٠ هـ/١٩٣ هـ ــ ٧٨٦ م/٨٠٩ م) وابنه المأمون (١٩٨ هـ/٢١٨ هـ ــ ٨١٣ م/٨٣٣ م) وصارت أهم مدن الشرق وذاع صيت الرشيد فى الآفاق ، فأرسلت بلاد التتر والهنــد والصين

---

(١٧١) د. محمد ماهر حماده : (**الوثائق السياسية والادارية العـائدة للعصر العباسى الأول**) . (مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م) ص ٥ .

(١٧٢) جون. بادوا وآخرون : (**عبقرية الحضــارة العربية ينبوع النهضـــة**) (مركز الوثائق والدراسات بأبو ظبى ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(١٧٣) جرجى زيدان : تاريخ التمــدن الاسلامى جـ ٥ ص ٦١٦ .

(١٧٤) جوستاف لوبون : (**حضارة العرب**) ترجمة اكرم زعيتر (دار احياء الكتب العربية ط ٣ ــ القــاهرة ــ ١٩٥٦ م) ص ١٧١ ، ١٧٢ .

رسلا الى بلاطه وارسل عاهل المغرب الحقيقى وصاحب الحول والشوكة والامبراطور شرلمان ، الذى كان يملك ما بين المحيط الاطلنطى ونهر الألب . وهو الذى لم يملك غير أناس سوى الهمج وفدا ليبلغ الرشيد ، أطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس فأجابه الرشيد الى سؤله .

وبلغت الدولة العباسية(١٧٥) أوج العظمة والاستقرار فى العصر العباسى الأول ، بسبب توالى كثير من الخلفاء الأقوياء على حكم الدولة ، فانتشر الأمن والاستقرار فى أرجاء الامبراطورية العباسية . مما دفع معظم خلفاء هذا العصر الى طبع عصرهم بطابع العظمة والفخامة والترف . وكانت البيئة الثقافية(١٧٦) من أقوى العوامل فى النهضة العباسية اذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية فى نواحيها المتعددة ويمدونها بمالهم وجاههم ، وقد بالغوا فى اكرام الأدباء فجالسوهم وولوهم أحيانا المناصب العالية ثم حذا الأمراء والوزراء حذو الخلفاء فى أكبر مدن الدولة ، فكانوا يتنافسون فى ذلك كما يتنافسون فى فتح دور العلم ، واظهر الجيل الجديد ميلا شديدا الى الحياة العلمية وتشجيعها . لا عجب فى ذلك فقد رأينا ما كان هنالك من نماذج مدنيات واختلاف حضارات ووعى عام أرهفه ما ناله القوم من ثقافات الشعوب المتمدينة .

---

(١٧٥) د. توفيق سلطان اليوزبكى : (**الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية**) . (مطبعة الرسالة - بغداد ١٩٧٠ م) ص ٦٨ .

(١٧٦) د. طه الحاجرى : (**الجاحظ حياته وآثاره**) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٨ م) ص ٣٤٦ .

ثانيا ــ التغيرات التى طرأت داخل بيت الحكمة فى التصنيف والترجمة :

أن الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغييرات الجذرية كانت قبل كل شيء نصرا للاسلام والداعين الى الاصلاح الدينى ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنب مع العلوم الأجنبية ، فالعلماء العباسيون هم الذين وضعوا معظم المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة ، والأدب من جهة أخرى . ومن الظواهر التى تستحق التسجيل فى هذا العصر وهو العصر العباسى الأول وعصر ظهور بيت الحكمة هو تدوين التراث العربى كله شعره ونثره ، فكان هذا العمل الجليل من أهم منجزات بيت الحكمة فى تاريخ الفكر العربى(١٧٧) .

وفى الحق لا نريد أن نمر بهذه الظاهرة مرورا عابرا فهى من أهم آثار بيت الحكمة التى نحن بصددها ، انما ينبغى أن نقف عندها ونسأل عن الدوافع التى أدت الى مثل هذا الحادث الفكرى ثم نتحدث عن تفاصيله مشيرين الى نتائجه ، فالطاقات الجديدة التى دخلت فى الاسلام واستعربت والملايين المتعطشة الى المعرفة لم يكن من المعقول أن تقنع بالتراث الذى يحتكر روايته شفاها جماعة من الحفاظ انما كانوا فى حاجة الى أن يجدوا بين أيديهم التراث كله مجموعا ليكون غذاء لروحهم ووقودا لنهضتهم ، كما أن النظرة العلمية الجادة التى جاءت نتيجة للاحتكاك بالفكر الهلينى بوجه خاص نتيجة لاسلام الموالى واستقرارهم .

ولم يكن من المعقول أن ننظر نظرة الاعتبار الى التراث المروى مشافهة لما كانت الحاجة ماسة الى متون بين يديها تقتلها درسا وبحثا . وثمة اعتبار آخر نبع من المفكرين العرب أنفسهم الغيورين على تراثهم الفكرى هو خوفهم الى أن تمتد الى هذا التراث غير المكتوب يد الوضع والانتحال والتزييف بسبب الاعتبارات التى استجدت على الحياة العربية فى القرن الثانى الهجرى ، كالشعوبيين الذين كانوا ينقلون من الثقافة العربية ويزدرون بكل ما هو عربى(١٧٨) .

وكان العربى فى حاجة الى مواجهة هذه الحركة وبعث أمجاد العرب القديمة والتاريخ الماضى العربى ، كما أن الفرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة

---

(١٧٧) د. حسن أحمد محمود وزميله : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٦١ .

(١٧٨) د. حسن أحمد محمود وآخرون ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

كانتمند الى التراث العربى لتلتمس منه ما يؤيد وجهة نظرها ، وتكسب نشاطهـا طابعـا مشروعا . وهـذا ما جعـل الخلفاء العباسيين يهتمون بالمؤسسات العلمية والثقافية كبيت الحكمة حيث عينوا لـه جلة العلماء ، للترجمة والتصنيف والنسخ والتجليـد والاشراف ورتبـوا لهم المرتبات والأجـور السخية لكى يخـدموا النهضة العلمية وليقـوموا على وجـه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم .

ثالثا ـ نشر روح اليقظة الاسلامية فى المجتمع العباسى :

لو نظرنا لتمازج الثقافات الذى حدث فى بغداد وفى بيت الحكمة ومن يعمل بها لوجدنا أنه لما عمرت بغداد(١٧٩) توافد الناس اليها من كل حدب وصوب فريق يطلب الكسب وفريق تستهويه الحياة العلمية والفكرية وفريق يطلب حياة الترف ، فاذا بغداد معترك تشارك فيه الى جانب العربى الفارسى والرومى والنبطى والتركى والصينى والهندى والبربرى والزنجى وفيهم المسلم والنصرانى واليهودى والصابئى والسامرى والمجوسى والبوذى وغيرهم .

وهؤلاء بلا شك قد حملوا الى بغداد ألوانا من الفكر والثقافة سرعان ما انتفعت بها بغداد وأثرت فيها . وقد شهد المجتمع البغدادى(١٨٠) تكتلات اجتماعية قائمة على أساس قومى منذ العقد الأخير من القرن الثانى الهجرى . وتمثل ذلك أيضا فى انقسام عنصرى ومناقشات بين العرب والعجم . ويلمس المقدسى(١٨١) : وجود ظاهرة التكتل القومى والمذهبى فى أسواق بغداد ، عندما يشير الى وجود المجوسى ضمن العاملين فى أسواق بغداد (العاصمة) بالاضافة الى أهل الذمة . سواء أكانوا من النصارى أو اليهود ، مع وجود اغلبية مسلمة من الحنابلة والشيعة . وما بين أولئك من مشاحنات تنعكس على علاقاتهم مع بعضهم البعض .

وقامت الدولة العباسية(١٨٢) على رأس مواليها من أهل خراسان والعراق ، وكان لهؤلاء الموالى شأن كبير فى السياسة والعلم والتعليم ، فمن هؤلاء الموالى علان الشعوبى وسلم وغيرهم ممن قام بدور بارز فىتنظيم بيت الحكمة واعلاء شأنها . وساهم أهل الذمة فى بغداد فى ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول ونشر المعرفة ، فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لأبناء كبار رجال بغداد ، وترجموا من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية . ذلك أن الخلفاء العباسيين الأوائل عنوا بترجمة الكتب العلمية ، واستعانوا بأهل الذمة فى حركة الترجمة(١٨٣) .

---

(١٧٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٨٠) د. حمدان الكبيسى : (**أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى**) . (مطبعة وزارة الاعلام – بغداد – العراق ١٩٧٩ م) ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(١٨١) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٢٦ .

(١٨٢) الشيخ محمد الخضرى : (**التشريع الاسلامى**) . (المكتبة التجارية الكبرى – مصر – القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١٧٠ .

(١٨٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

وقــدر الخلفاء جهودهم ومنحوهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلمــاء الموثوق بهم من أهــل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتيــاغ طرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ، ويعهدون الى التراجمة من أهــل الذمة بنقل هــذه الكتب الى العربية(١٨٤) .

ومن أشهر من ساهم فى حركة الترجمة بنصيب موفــور من أهــل الذمة حنين ابن اسحاق ، نشأ على حب العلم ، وتتلمذ على الطبيب الحاذق يوحنا بن ماسويه ، وتوجــه الى الدولة البيزنطية ، وأقام بها فترة من الوقت يدرس خلالها اللغــة اليونانية ، وعــاد الى العراق ودرس اللغــة العربية دراســة مستفيضة على الخليل ابن أحمد ، ثم عاد الى بغــداد ومكنته معرفته القــوية باللغتين اليونانية والعربية من القيام بنشاط كبير فى حركة الترجمة(١٨٥) .

ان بغــداد(١٨٦) لم تكن العاصمة السياسية ومركز الخلافة فحسب بل كانت الى جانب ذلك ملتقى العلماء والتجار ، وزعماء الحركات السياسية والمذهبية . لكن أكبر حزبين كانا بهــا ، فى بداية القرن الرابع الهجرى ، هما الحزبان المتشددان فى التمسك بمذهبهما وهما الحنابلة والشيعة . وليس هذا غريبا فى المجتمع العباسى(١٨٧) الذى تمثل الاسلام وعرف قــدر العلم ومكانته ، فهيأ له وسائله واخــذ بأيدى أهله الى أعلى الدرجات ، وليس عجبا أن يسارع المسلمون الى المكتبات ، وحــوانيت الوراقين ، ومؤسسات التعليم ما دام الاسلام قــد فتح أبواب العلم أمام المسلمين جميعا ، وحث على التعليم ، وجعــل العلم أساسا فى رفــع الدرجات وان كان كل ذلك لمــا يدهش له الباحثون من غير المسلمين ، لأنهم لم يقفوا فى التاريخ على أمة أمدت الحضارة الانسانية بالتراث الفكرى كأمة الاسلام .

وكانت الدولة العباسية فى أولى مراحلها وأيامها تحتــاج الى توطيــد أركانهــا واستكمال بنيانها مثلها فى ذلك كمثل كل دولة حــديثة ناشئة ، ولقــد كانت عناصر الحياة الاجتماعية فى بغــداد ثراء عريضا ينصب فى أيدى الخلفاء من منابع عــديدة

---

(١٨٤) Hitti, P. K. : The History of Arabs, London 1949, p. 327.

(١٨٥) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

(١٨٦) آدم متز : (**الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى**) ترجمة د. محمد عبد الهــادى أبو ريده (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ط ٢ — القاهرة ١٩٤٧ م) ج ١ ص ٨٧ .

(١٨٧) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٤١ .

وحياة عقلية راقية بلغت مبلغها من النضج واقبلت على بغـــداد من كل مكان فنـــــا وغناء وحياة طرية مترفة ، بدأت فى الحجاز وانتقلت الى الشام والكوفة ثم جنت ثمارها بغـــــداد(١٨٨) .

(١٨٨) أحمد عبد الستار الجوارى : (**الشعر فى بغـداد حتى القرن الثالث الهجرى**) . (مطبعـة وزارة الاعـلام - بغـداد - العراق ١٩٦٥ م) ص ٣٦ .

رابعا — انقاذ التراث بإدخال نظام المكتبات على العالم الاسلامى لحفظ التراث من الضياع :

اما الحياة العقلية(١٨٩) فقد شهد العراق بواكيرها من قبل أن تنشأ بغداد او تظهر الدولة العباسية الى الوجود . فكانت نشأة المعتزلة فى البصرة ، وكانت نهضة الرواية وعلم اللغة فى الكوفة . ثم قام الخليل بن احمد وتلاميذه فى البصرة والكوفة فكانت المذاهب النحوية والدراسات اللغوية والأدبية . وعلى الجملة فقد قامت بغداد وربيع الفكر فى ابانه والحياة العقلية مزدهرة تؤذن بثمار دانية التطوف . وتلاقت هذه المقومات الاجتماعية فى المجتمع البغدادى فطبعته بطابع متميز ، عرفه التاريخ بالمزاج البغدادى ، واشتهر بالظرف وتذوق الحياة ، والاستمتاع بألوانها وضروبها المختلفة ، وكانوا الى جانب استمتاعهم بالحياة وترفها يقبلون على العلم ويطلبون منه نصيبا حسنا حتى لقد قال فيهم احد المحدثين « ما رايت اعقل فى طلب الحديث من اهل بغداد »(١٩٠) .

ومن عوامل التجديد فى بغداد غلبة الاعاجم على الحياة الاجتماعية وصيرورتهم عنصرا اساسيا من عناصر التوجيه الاجتماعى ، فانطبع المجتمع العباسى فى كثير من نواحى الحياة فيه بطابع غير عربى ، وعرف الترف والبذخ وأصبح اللهو والشراب والأنس أشبه شىء بالضرورة اللازمة للحياة . وكان فوق ذلك من تزلزل بعض القيم الاجتماعية التى سار عليها المجتمع الاسلامى محتفظا بالتقاليد العربية(١٩١) .

وحدث من جراء ذلك أيضا أن اعان القوم على تسرب الحضارة الفارسية الى الحضارة العربية ، ودخول الأفكار الغريبة والعقائد الأجنبية التى اتضح ان من أغراضها ومراميها زلزلة العقيدة الاسلامية ، ومهاجمة الدين الذى حمله العرب فى عقر داره(١٩٢) . ولعله من المسلم به القول بأن العصر العباسى الأول(١٩٣) شهد

---

(١٨٩) أحمد عبد الستار الجوارى : الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى . ص ٤٠ ، ٤٥ .

(١٩٠) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٠ .

(١٩١) أحمد عبد الستار الجوارى : الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

(١٩٢) أحمد الشايب (**العامل السياسى فى أدب العصر العباسى الأول**) . (مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة — بدون تاريخ) ص ٢٥ .

(١٩٣) د. فاروق عمر : (**العباسيون الأوائل**) . (مطبعة الرسالة — بغداد — العراق ١٩٦٣ م) ج ٢ ص ٩١ .

نشاطا كبيرا فى الحقول الفكرية والعقلية فى المجتمع الاسلامى وما نتـج عنه من ظهور المدارس المختلفة فى التفسير والتشريع واللغة والآداب والتاريخ وعلم الكلام وغيرها من العلوم العقلية والنقلية . ممـا جعل تنظيم المعارف يبدأ الى جانب التدوين الذى فتح امام المجتمع العباسى آفاقا جـديدة فى المعرفة ، فاطلعوا على طائفـة من الآثار الأجنبية فى العلوم والفلسفة وبخاصة الآثار اليونانية والفارسية والهندية فأدى ذلك الى النهضـة العلميـة التى رعاها الخلفـاء والوزراء والأمراء والعلمـاء والأدباء والشعراء . فقـد وصلت بغـداد فى عهد الرشيد الى قمة مجـدها ومنتهى فخارها ثم لمـا افضت الخلافة الى المـأمون أتم ما بدأه جـده المنصور فأقبـل على طلب العلم فى مواضعه واستخراجه من معادنه . فداخـل ملوك الروم وسألهم عما لديهم من كتب الفلاسـفة فبعثـوا بمـا حضرهم من كتب أفلاطـون وأرسـطو وأقليدس وجالينوس وبطليموس وغيرهم(١٩٤) .

على أن اكثر هؤلاء الخلفاء قربوا اليهم العلماء والأدباء واستوزروهم وزادوا فى انشاء المكتبات وجلبوا لهـا نفائس الكتب ، ولم يضنوا فى سبيلها بمخزون التـلاد فقامت المكتبات العلمية بدور فعال فى نشر العلم والثقافة بين أبناء الأمم الاسلامية ، وقامت أيضا بحفظ التراث من الضياع ، فلا يقـل دورها عن دور المساجد والمدارس فى النهضة العلمية لأن الكتب فى ذلك الوقت لم تكن ميسرة(١٩٥) . وكان المهتمـون بالعلم والمعرفة يذهبـون الى المكتبات العالمية حيث تتوافر الكتب والمراجع فيقراون ويطلعون على آراء الأقـدمين من العلماء عن طريق كتبهم وآثارهم .

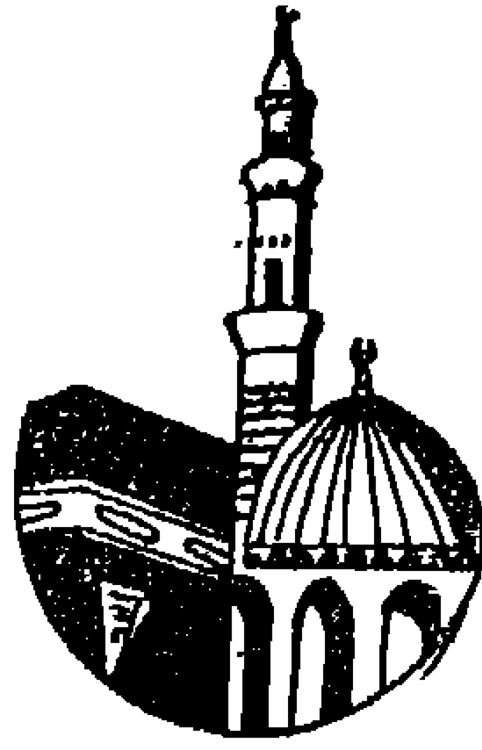
ويحـق لنا أن نطلق على المكتبات اسم « المعاهـد العلمية » لأن الدور الذى كانت تقـوم به لا يقـل عن دور المعاهـد الرسمية ، وكثيرا ما كانت تمثل هـذه المكتبات النوادى الفكرية حيث يجتمع طـلاب المعرفة ومحبوها تدور بينهم المناظرات والمناقشات . فالتشجيع العلمى والتزام الدولة بتقـديم كل ما يلزم لكل طلاب العلم والمعرفة . ولا شـك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى واتباعها هـذه الأنظمة وفتح الأبواب لكل قارىء ، وتسخير كل هـذه الامكانيات لخـدمته دليل ناطـق على تقـدم العرب الفكرى والعلمى ومدعـاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمـداد من نور . فقـد أثبتت مؤسسة بيت الحكمـة الثقافية أنها سـاهمت فى انقاذ التراث وادخال نظام المكتبات على العـالم الاسلامى لحفظه من الضياع . وهكذا بقيت بغـداد مهـد الحضارة ، ومقر العلم والنور وعين العـالم الاسـلامى وقلبـه .

---

(١٩٤) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصفهانى . ص ٢٦٥ .

(١٩٥) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقـافة الاسلامية . ص ٣٣ .

الباب الثانى



ويشمل الفصـــول الآتيـــة :

الفصـــل الأول : تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها .

الفصـــل الثانى : التدريس والمدرســـون فى بيت الحكمة .

الفصـــل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة .

الفصـــل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة .

الفصل الأول : تاريخ المدارس الإسلامية وأثر بيت الحكمة فيها



١ ـ نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة ٠

٢ ـ المدارس الاسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة ٠

٣ ـ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية ٠

ان الأمم التى تبغى مجـدا عليها أن تخلق فى الأفراد روح الايمان بقابليتهم على الابتداع ، وأن تنشىء فيهم الشعور بالعزة القومية وذلك الاهتمام بماضيها وربطـه بحاضرها وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم ومآثرهم فى ميادين العلوم وما كان لهـا من أثر فى تقـدم الحضارة[1] .

وبغـداد كما وصفها المقـدسى فى قـوله : « بغـداد (لأهلها) الخصائص والظرافة ، والقرائح واللطافة هـواء رقيق وعلم دقيق كل جيد بها ، وكل حسن فيها ، وكل حاذق منها ، وكل قلب اليها ، وكل حرب عليها ، وهى أشـهر من أن توصف ، وأحسن من أن تنعت ، وأعلى من أن تمـدح »[2] .

بلغت بغـداد حاضرة بنى العباس من الرقى درجـة لم تبلغها مدينة غيرها فى تلك العصور ، فكانت زهرة المشرق وجنـة الدنيا . شيدت فيها القصور حتى سميت مدينة القصور ، وغرست فى أنحائها البساتين والحـدائق الغناء ، وامتلأت بالميادين الكبيرة ، منها (الميدان المربع) وكان ميدانا فسيحا أمام قصر الخليفة تقـام فيـه استعراضات الجند والمباريات الرياضية وسباق الخيل ووضعت بطرقاتها المصابيح للانارة ليلا ، وازدحمت المدينة بالمساجد الكبيرة التى شيدت فى بناء ضخم على شكل هندسى جميل وازدانت جـدرانها بالزخارف البديعة والنقوش الزاهيـة . وبزت بغـداد سـائر المدن بمـا حـوته من أسباب المدنية الزاهرة اذ امتلأت بالمدارس ، ودور العلم التى كانت تدرس بها سائر العلوم ، وأقيمت بها دور الشفاء والملاجىء ، وأتى النـاس أفواجا من جميع أنحـاء الدولة الى (دار السلام) واتخـذوها مقرا لهم ، وبلغ عـدد سكانها فى ذلك الحين قرابة مليونين من السكان[3] وخلاصة القول :

---

(١) قـدرى حافظ طوقان : (**تراث العرب العلمى فى الرياضـيات والفلك**) . (دار الشروق – بيروت – لبنان ١٩٦٣ م) ص ٢٣ .

(٢) المقـدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١١٩ .

(٣) د. محمود أحمـد الحفنى : (**اسحاق الموصلى**) . (المؤسسة المصرية العـامة للتاليف والنشر – القـاهرة ١٩٦٤ م) ص ٥٢ .

كانت بغـــداد عروس المدائن ومنارة الحواضر . أما الخلفاء العباسيون الأول فكانت لهم أثناء قرن كامل من (١٣٢ هـ/٢٣٢ هـ) الكلمة العليا التامة على العالم الاسلامى شرقا وغربا يأتمر النـــاس بأمرهم ، وليس لأحـــد مهما علت منزلته وكبر شأنه أن يرد لهم قـــولا أو يعصى لهم أمرا . وكانوا فى حيـــاتهم مثال الأبهة والجـــلال ، وكان الخليفـــة يجمـــع بين السلطتين المدنيـــة والدينية ، وهـــو الرئيس الأعلى فى الأمور السياسية والعسكرية ، ومصـــدر القـــوة ومرجعها وقـــد اخـــذت الدولة العباسية من مظاهر الأبهة والعظمة ما لم تعرفه الدولة الأموية من قبل(٤) .

كانت مدينة العصر العباسى أزهى عصور العروبة والاسلام تتجلى فى منـــاحى مختلفة ومذاهب من الفنون والعلوم متعـــددة نشهدها فى مجالى الحياة المشرقة بعمران المدن ، وازدهار الحضارة التى تترجم عنها دور الحكمـــة . وتعبر عنهـــا المدارس والمعاهـــد ومجالس العلماء ومناظراتهم فى مساجد بغـــداد والبصرة والكوفة تلك المدينة التى شـــع نورها حتى شملت كافـــة الأقطار الاسلامية . وترتبط الحيـــاة الثقافية بالعواصم والمدن الكبرى ، ويمكن أن يرد تاريخ الثقافة فى أمة الى تاريخ بعض مدنها ، وهـــذه المدن مقصـــد طلاب العلم والمعرفة ، يحجون اليها كما يحجون الى الأماكن المقـــدسة ، وقـــد لا يقنعون لمجرد الرحـــلة والزيارة ، بل يستقرون ويقيمون حيث اطمأنت نفوسهم فطاب لهم البحث والدرس . والمدن العلمية كانت ولا تزال ملتقى الأجناس والشعوب المختلفة ، وهى تتنافس عادة فيما بينها وتتسابق فى انشاء المعاهـــد والكليات وبناء قاعات البحث والمكتبات واقتناء الكتب والمخطوطات واجتذاب العلمـــاء وكبـــار الباحثين(٥) .

وبغـــداد من أكبر عـــواصم الدنيا فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ورثت ملك كسرى ومعظم بلاد الدولة الرومانية وفتحت أبوابها لثقافات الشرق والغرب فأخـــذت منها ما اخـــذت وأضافت اليها ما اضافت وأصبحت أكبر مركز ثقافى فى العالم قامت فيها طـــوال اربعة قرون أو يزيد دراسات دينية ولغـــوية وعلميـــة وفلسفية قـــد لا يكون لهـــا نظير فى مدينة أخرى(٦) .

---

(٤) المرجـع نفســه ص ٥٣ .

(٥) د. محمود أحمد الحفنى : اسحاق الموصلى ص ٨١ ، ٨٢ .

(٦) د. أحمد فكرى : (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧٨ م) ج ١ ص ٥١ ، ٥٣ .

لقد كان العراق فى القرن السادس الهجرى يموج بحركة ثقافية لا حدود لها شغلت الجميع على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وأعمارهم ودياناتهم . لقد كانت المدارس والجوامع والمكتبات البغدادية تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من الأقطار المجاورة والبعيدة على حد سواء ، حتى ليندر أن نجد عالما اشتهر وذاع صيته فى العالم الاسلامى يومذاك دون أن تكون بغداد صاحبة الفضل عليه ، ويكفى العراقيين فخرا أن المدرسة النظامية ببغداد كانت المعهد الذى يطمح كل عالم ان يدرس فيه(٧) .

---

(٧) د. حسين أمين : (تاريخ العراق فى العصر السلجوقى) . (مطبعة الارشاد - بغداد - العراق ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م) ص ٢٢٨ .

اولا — نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة :

ان التربية والتعليم فى الاسلام ترمى الى هدف مزدوج وهو سعادة المرء فى الدنيا والآخرة . فقد سمحت للفرد بالتنعم فى الدنيا والعمل للحياة الآخرة . فقد دعا الاسلام الى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ، والاستقامة فى السلوك والى ضبط النفس والى التعاون والبذل والمفاداة ، كما مجد الحرية والمساواة فعاشت الأمة الاسلامية كريمة مرهوبة الجانب محبة للنظام تعمل اذا دعيت للعمل ، وتبذل الغالى والرخيص اذا أريد منها البذل والمفاداة(٨) .

وللقرآن الكريم الفضل الأكبر فى انتشار التعليم والتهذيب بين العرب والمسلمين ، فقد تناول الأخلاق والمزايا الشريفة ، وحدد علاقة الفرد والعائلة ، ووضع للمرأة حقوقا وواجبات وحض على تعلم العلم ، وصار القرآن العظيم أصل التعليم فى العالم الاسلامى ، واختلف المسلمون فى أقطارهم فى طرق تعليم القرآن للولدان باختلافهم . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم — المسجد للدراسة واستمر المسجد مكانا لتعليم القرآن والحديث والقصاص ينطقون والفقهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأموى — وكان هناك حلقات علوم الدين وحلقات لعلوم اللغة العربية(٩) .

لقد وجه الاسلام جل عنايته واهتمامه بطلب العلم وجعل القرآن الكريم الأشخاص غير المتعلمين فى عداد الأموات فى حين جعل المتعلمين فى مصاف الأحياء وقد اعترف الرسول الكريم بأن حبر العلماء يرتقى الى مصاف دم الشهداء(١٠) . وقال أيضا ان الطريق الموصل الى معاهد العلم هو الطريق الموصل الى السموات ، وان الله عز وجل حينما يريد أن يكرم شخصا يمنحه نور العلم والمعرفة ، معرفة الدين والاحاطة بأصوله وفروعه(١١) . ان هذه الأقوال وما يماثلها من اقوال وتعاليم أخرى قد تركت انطباعا عميقا فى أذهان جمهرة المسلمين ، ففى فترة وجيزة من التاريخ أنجب الاسلام مشاهير العلماء . ويكفى أن نشير الى انه

---

(٨) عمر رضا كحالة : (**المرأة فى عالمى العرب والاسلام**) . (المطبعة الهاشمية - دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) جـ ٢ ص ١١٢ .

(٩) المرجع نفسه ص ١١٣ .

(١٠) محمد رستم ديوان : (**المكتبات فى العصرين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط**) . مجلة الاسلام والعصور الجديدة ، نقلا عن مجلة المورد عـ ٤ ، (بغداد - العراق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ، ترجمة يوسف عبد القادر ، ص ٢٨٤ .

(١١) المرجع نفسه ص ٢٨٤ .

فى القرن السادس الميلادى ظهرت المبادىء الاسلامية التى دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنذ انبثاقها كان التعليم قرينا لهـا وكانت أولى الآيات القرآنية تشير الى العلم كما قال تعالى : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** »(١٢) .

وهناك آيات عـديدة تدعـو المسلمين الى طلب العلم وتحثهم على التعلم ، قال تعالى : « **يرفـع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات** »(١٣) . كما كانت الآيات القرآنية الكريمة ترفع من قـدر العلم وتعلى شأن العلماء وتمجـد العقل والمعرفة وتخفض من الجهل وأهله وكثيرا ما تقرنه بالعمى وتشبهه بالضلالة والظلمات الحالكة كما قال تعـالى : « **وما يستوى الأعمى والبصـير ولا الظلمـات ولا النـور** »(١٤) . « **قـل هـل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »(١٥) . « **لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بمـا أنزل اليك وما أنزل من قبلك ... أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما** »(١٦) .

وقـد اعتبر القرآن الكريم التعليم من وظائف النبى صلى الله عليه وسلم حيث جاء فى قوله تعالى : « **وقـل رب زدنى علمـا** »(١٧) . « **ربنـا وابعث فيهم رسـولا منهم يتـلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتـاب والحكمـة ويزكيهم ، انك أنت العـزيز الحكيم** »(١٨) . « **فاسـألوا أهـل الذكر ان كنتم لا تعلمون** »(١٩) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى تدعـو للعـلم وتمجـد العلمـاء قـول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « وان العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخـذه أخـذ بحظ وافر »(٢٠) . « ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله لـه

---

(١٢) سـورة العـلق ، الآيات من ١ الى ٥ .

(١٣) سـورة المجـادلة ، الآية ١١ .

(١٤) سـورة فاطـر ، الآيات من ١٩ الى ٢١ .

(١٥) سـورة الزمـر ، الآية ٩ .

(١٦) سـورة النسـاء ، الآية ١٦٢ .

(١٧) سـورة طـه ، الآية ١١٤ .

(١٨) سـورة البقـرة ، الآية ١٢٩ .

(١٩) سـورة النحـل ، الآية ٤٢ .

(٢٠) الامام الحافظ ابو عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخـارى الجعفى امير المؤمنين فى الحـديث : (**صحيح البخارى**) . (عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ج ١ ص ٤٥ .

طريقا الى الجنة »[٢١] . « ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »[٢٢] . « ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بمـا صـنع »[٢٣] . « اطلبـوا العـلم ولـو بالصين »[٢٤] . « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء »[٢٥] . « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢٦] . « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البـدر على سائر الكواكب »[٢٧] . « غـدوة فى طلب العلم ، أحب الى الله من مئة غزوة »[٢٨] .

وقال سيدنا على رضى الله عنه[٢٩] :

وما الفخـر الا لأهـل العـلم انهم ... على الهـدى لمن استهدى أدلاء

وقـدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهـل العلم أعـداء

ففز بعلم تعش حيـا لـه أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وما من شـك أن التعليم من مستلزمات تطـور وازدهار المجتمع الانسـانى وهـو من أبسط مظاهره ، ليس سـوى تكييف الفرد مع ضروريات الحياة ولوازمها فى بنيته ، واذا كان الاسلام هـو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكل مظاهرها فقد كان فهمه ودراسته أمرا لابد منه لأفراد الجماعة الاسلامية ، فالتعليم اذن كان من مستلزمات الدعـوة الجـديدة لتحقيق التربيـة الصحيحة التى تهـدف الى الدعـوة الاسـلامية .

ومن الواضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف بناء أمة جديدة وانشاء حكومة تضاهى الحكومات القائمة فى عصره من وجـود طبقة متنورة تتحمل عبء الدولة والدعوة . ولهـا قوة الحجة والمقـدرة على الاقناع بالطرق العلمية . وتذكر المراجع[٣٠] التاريخية انه لم يكن بين العرب عـدد كثير من الذين يتقنـون القـراءة والكتـابة .

ويذكر القلقشندى[٣١] : « ان عـدد الكاتبين من بين العرب عند بعث النبى

---

(٢١) ، (٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) الغزالى : (**احيـاء علوم الدين**) . (مطبعـة الحلبى – القـاهرة ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م) جـ ١ ص ١٨ .

(٢٤) ، (٢٥) ، (٢٦) ، (٢٧) ، (٢٨) ، (٢٩) : المصـدر نفسه جـ ١ الصـفحات : ١٨ ، ١٥ ، ١١ ، ١٦ ، ٣٢١ ، ١٧ .

(٣٠) د. حسين أمين : (**نشأة الحركة العلمية فى العراق**) . مجلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق ، عـ ٤ (١٩٧٧ م) ص ٩ .

(٣١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٥ .

صلى الله عليه وسلم لم يكن يزيد على بضعة عشر نفرا » . ولهـــذا كان من أهـــداف النبى صلى الله عليه وسلم العمل على نشر التعليم بين المسلمين وتشجيعهم على ارتياده وواكب المسجد الدعوة الاسلامية ولازمها كما كانت المعاهـــد الأولى للتعليم فى صـــدر الاسلام ، واصبح المسجد المكان الطبيعى والملائم لتلقى العلوم . وانتشرت المساجد فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، فقامت بدورها ورسالتها الدينية والتهذيبية والتعليميـــــة .

ولا شـــك أن المسجد فى صـــدر الاسلام كان هـــو المنتدى الوحيد فى اى مدينة اسلامية ، فيه يلتقى العرب المسلمون بغيرهم من أبناء الشعوب المختلفة ، وهـــذا الانتقاء أدى الى أن يتعرف الفرس مثلا فى العراق على الأفكار الدينية الجـــديدة ، ويتلقونها باللغـــة العربية الفصحى ، كما يتعرفون على تراثهم الفكرى ، وبخاصـــة التراث الأدبى . ويعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها فى الاسلام ، بأهميته الكبرى فى الحياة الدينية والسياسية والفكرية ، ففيه تقـــدم فرائض الدين وفيـــه يبايع الخلفـــاء والأمراء وتبحث أمور الحرب والســـلم ، وكثيرا ما تحـــدث فيـــه التجمعات السياسية وكان الأمير يعلن فيـــه ما أنيـــط به وما اعتزمه من أمر . وبقى المسجد الى أواخر القرن الثالث الهجرى على الأقـــل المدرسة التى يتلقى فيها الناس العلم والمعرفة ويلتقى فيها العلمـــاء والأدباء فيتناقشون أو يلقـــون المحاضرات فى حلقـــاتهم وينشرون علمهم كما يقـــول القصاصون والوعاظ بوعظ النـــاس وارشادهم وتبصيرهم بمبادىء الدين الاســـلامى .

وقـــد صنف الكثير من الكتب فى المساجد الاسلامية ويؤكد ذلك المخطوطات الكثيرة المنتشرة فى أنحاء العالم(٣٢) وفيها يشير مؤلفـــوها وناسخوها بأنهـــا ألفت ونسخت فى عـــدد من المساجد كما أن كتب التاريخ والتراجم تزخر بأخبار العلمـــاء والفقهاء الذين اتخـــذوا من المساجد أمكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيهـــا يقيمون ويعيشون ويتدارسون ويدرسون ويؤلفون آثارهم الفكرية . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب بل كانت منبرا للعلوم والمعارف كما ارتفعت كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم فـــوق مجـــد التدين الأعمى . « حبر الطالب أقـــدس من دم الشهيد » .

وحـــول أعمـــدة الجامع كان يجلس الأستاذ ويلتف حوله الطلبة او التلاميد

---

(٣٢) محمد سعيد الطريحى : (**خزائن الكتب الاسلامية القـديمة فى الكوفة**) . مجلة المورد المجلد ٩ عـ ٤ (١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ص ٣٠١ .

لتلقى العلم وكانوا يسمونه فى ذلك الوقت حلقة وينسبون كل حلقة فى الغالب الى أستاذها فيقولون حلقة أبى اسحاق الشيرازى فى جامع المنصور . وهــذه الحلقــة أبوابها مفتوحــة لمن يشاء رجــلا كان أو امرأة لكل الحــق فى ســؤال الأستاذ او مقاطعته معارضا ، وكان هــذا النظام أكبر دافــع للأساتذة يدفعهم دائما للاعــداد المتقن فى دروسهم والتعمق فيها . كما كان لأى معلم الحق فى أن يلقى ما شــاء من محاضرات وأن يتخــذ الأستاذ الموضوع الذى يريد الحــديث فيه ولكن الجمهور المثقف الواعى بنقــده الدائم ويقظته كان يحمى تلك المجالس من أن يتسرب الى قيادتها مدعى علم أو من لم تنضج ثقافته وتكتمل(٣٣) .

وحــول أعمــدة المساجد أتيحت دائما للطلاب فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل أنحــاء العــالم المترامى الأطراف . ولقــد كان المتعلمون فى طريقهم يزورون مراكز الثقافة الاسلامية الواقعــة فى بغــداد ودمشق .

وقــد أدت مساجد العراق قسطا كبيرا فى نشر العلوم والمعارف وكانت بحــق مراكزها منارات للاشعاعات الفكرية ، وقــد اشتهرت مساجد عــدة كانت أشــبه بالجامعات اليوم وأهمها جامع المنصور ببغــداد . وكان لهــذا الجامع العظيم المكانة العلمية فى بغــداد وكان لا يفــوز بالتدريس فيه الا كبار العلماء الذين أوتوا حظــا كبيرا من العلم والمعرفة . فقــد أنشأ هــذا الجامع الخليفة العباسى عندما بنى مدينة بغــداد عام ١٤٦ هـ وجعله ملاصقا لقصره الشهير (قصر الذهب) وأعاد الرشيد بناءه مــع زيادة مساحته ، ثم أضيفت زيادات كثيرة فى عهد الخلفاء العباسيين(٣٤) .

أما جامع البصرة فقد كان من أهم المراكز العلمية فى العراق . وشهد هذا الجامع حلقات المعتزلة التى احدثت حركة الاعتزال ، فلعبت دورا كبيرا فى الاتجاهات الفكرية والسياسية فى العالم الاسلامى فى العصر العباسى الأول . وفى مسجد البصرة هذا كان الشعراء والأدباء يجتمعون ، وقــد ذكر الجاحظ انه ادرك بالبصرة رواد المسجد بين المريدين ، واتخــذ الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى عام ١٧٤ هـ المسجد مقرا لــه . ويعتبر الخليل أول من رسم علم اللغة وأول من صنف فيه ويذكر ابن خلكان

---

(٣٣) زغويد هونكه : (**شمس العرب تسطع على الغرب**) • ترجمــة فاروق بيضــون وكمال دسوقى • (المكتب التجارى للطباعة والتوزيع – بيروت – لبنان ط ١) ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ •

(٣٤) د• محمد حسين الزبيــدى : (**المراكز الثقافيــة فى العراق فى القــرنين الرابع والخامس الهجريين**) • مجلة المؤرخ العربى – بغــداد – العراق عـ ١٥ (١٩٨٠ م) ص ٢٠٤ •

سبب وفاته انه دخل المسجد فصدمته سارية وكان يقطع بحرا من العروض(٣٥) .
كما يعتبر الخليل بن احمد أول من وضع علم العروض وفن المعاجم فى العربية وقد عاش معظم حياته فى البصرة متزهدا متعففا ومن أشهر طلابه سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ والذى يعتبر امام البصريين فى النحو .

وهناك المسجد الجامع فى الكوفة الذى بنى فى عام ١٤ هـ وأنشأه سعد بن ابى وقاص وجدده زياد بن أبيه عام ٥٠ هـ وقد كان لانتقال على بن أبى طالب الى الكوفة واتخاذه اياها عاصمة له أثر كبير فى اذكاء النهضة العلمية فيها(٣٦) .
واشتهر مسجد الكوفة هذا بأنه كان مدرسة لاقراء القرآن ففيه كان يجلس الشيوخ الأمراء فيلقنون طلاب العلم القراءات التى رووها بأسانيدهم ومن أشهر قراء الكوفة عبد الله بن حبيب ربيعة الضرير وكان أول من جلس لاقراء القرآن الكريم فى مسجد الكوفة(٣٧) .

كما كان مسجد الكوفة مركزا من مراكز دراسة الفقه وازدهارها . ففى هذا المسجد ظهرت بوادر مبادىء الفقه المبنى على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب والسنة ، كما ظهرت فى مسجد الكوفة أيضا مدرسة لتفسير القرآن الكريم ، واشتهر من رجالها سعيد بن جبير حيث كان عالما بالتفسير ، وعلى بن حمزة الكسائى الذى انتهت اليه رياسة الاقراء بعد حمزة بن حبيب فكان يجمع طلابه ويجلس على كرسى يتلو عليهم القرآن الكريم ويسمعون ويضبطون فيه(٣٨) .

ويحيى بن زيد الفراء عنى بدراسة القرآن الكريم وتفسيره ويعتبر الفراء من نحاة الكوفة وشيوخها فى العربية قال ثعلب : « لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع »(٣٩) . لأنها تأثرت باللغات الأخرى وبذلك كادت أن تفقد خصائصها الأصيلة لذا انبرى الفراء وأمثاله الى وضع قواعد الضبط فى اللغة للحفاظ على تلك الخصائص كما نجحوا نجاحا

---

(٣٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٩ .

(٣٦) ابن الجزرى ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد : (**غاية النهاية فى طبقات القراء**) .
(مكتبة الخانجى – مصر ١٣٥ هـ/١٩٣٢ م) جـ ٢ ص ٤١٣ .

(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ٢ ص ٤١٣ .

(٣٩) الأنبارى ، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (**نزهة الألباء فى طبقات الأدباء**)
تحقيق محمد الفضل ابراهيم . (دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – بدون) ص ٦٥ .

بعيدا فى جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ومطاوعة لارادة الكتاب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم أعنى بهـذا انهم نجحوا فى جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ، وبتطورها قادرة على مواكبة التطور الحضارى والمعايشة بين اللغـات الانسانية عامة .

وهكذا اصبحت المساجد الاسلامية فى العراق معاهـد مهمة تشد اليها الرحال للدرس والتدريس كما كان يطمع العلماء فى أن ينالوا منصبا تدريسيا فى تلك الجوامع لمكانتها العلمية([40]) . ومن أجـل أن يحقق المسجد مطامع مريديه وتيسير عملهم العلمى نقـد الحقت فى كل مسجد مكتبة عامرة تضم عـددا وفيرا من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ، وقـد تسابق الناس الى تزويد تلك المساجد بالكتب وان بعض المسلمين كان يوقف كتبه على المساجد ، طلبا للأجر أو الحفـاظ عليها من أن تبـددها الأيدى وهكذا صارت بعض المساجد أشبه بالأكاديميات الثقافية .

وكان لهـذا الأثر الكبير فى نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف . والى جانب المسجد كمعهد للتعليم كانت توجـد أماكن اخرى لتعليم الأطفال وهى الكتاتيب ومفردها (كتاب) وفى الكتاب يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادىء الدين الاسلامى ، وبعض المعلومات من الحساب والنحو وشيئا من اشعار العرب ، وتوجـه العنـاية فى الكتاب الى تحفيظ الصبيان القرآن الكريم([41]) . ويتقاضى المعلم أجرا على عمله ، والدراسـة فى الكتاتيب أشبه بالدراسـة فى المدارس الابتدائية فى يومنا هـذا . أما الربط وهى جمع رباط وأصل الربط ما تربط فيه الخيول المعـدة للدفاع والمجاهـدة والمرابط هـو المجاهـد يدافع عمن وراءه فالرباط جهاد النفس والمقيم فى الرباط مجاهـد نفسه ويطلق أيضا على بيت الصوفية . ولم تكن الربط دورا مقصورة على التعبد والتزهـد ، وانما كانت فضلا عن ذلك مواضع للتأليف والتصنيف والاقراء والتثقيف والاجازة والمحاضرة وغيرها وكان من عادة واقف الرباط أن يجعل فيـه وقفا من الكتب للمطالعة والدرس والاستنساخ والمراجعة والاستشهاد ، وكان لخزائن الكتب فى الربط قـوام يتولون خزنهـا وصيانتها ومناولتها وترتيبها([42]) ومن أشـهر الربط فى بغـداد فى العصر البويهى :

(٤٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٤١) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٣ .

(٤٢) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية فى العراق فى القرنين الرابع والخامس الهجريين عـ ١٥ ص ٢٠٥ .

(أ) رباط الزوزنى المتوفى عام ٤٥١ هـ(٤٣) .

(ب) رباط شيخ الشيوخ وقد بناه عميد العراق وقد أشار ابن الأثير الى ذلك بقوله « أما عميد العراق فقتله البساسيرى وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ وقد شيد هذا الرباط على نهر المعلى »(٤٤) .

(جـ) رباط ابن رئيس الرؤساء الأولى ويعرف برباط الدركاه أما رئيس الرؤساء فهو الوزير أبو القاسم على بن الحسين بن أحمد المعروف بابن مسلمة وكان كاتبا للخليفة القائم بأمر الله فاستوزره « ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى » ولما احتل البساسيرى بغداد باسم الدولة الفاطمية قطع خطبة بنى العباس وخطب للمستنصر بالله الفاطمى وقبض على هذا الوزير وصلبه حتى مات مصلوبا سنة ٤٥٠ هـ .

وهكذا نرى أنه بجانب المجالس الزاهرة ورعاية الأمراء والوزراء للعلم والمعرفة هناك سبب آخر لازدهار الفكر فى هذه الحقبة من الزمن هو تيسير الاطلاع والقراءة وتيسير التعليم وحضور الدرس الذى أدى الى ظهور مراكز لتدريس العلوم والمعرفة وهى أشبه بالمدارس اليوم ، فكان معظم هذه المراكز عبارة عن حلقات يجتمع فيها الطلاب حول مدرسهم ويلقى المدرسون على طلبتهم ما يحذقون من علوم دينية ودنيوية ثم تجرى مناظرة بين الطلاب ومدرسيهم وكانت معظم هذه الحلقات بصورة عامة تهتم بالمسائل الدينية بالدرجة الأولى ثم بالمسائل الدنيوية التى تتكون من دراسة اللغة العربية والفلسفة والمنطق والفلك وغيرها . ولم يكن نصيب العلوم البحتة كالطب والرياضيات والصيدلة بأقل من نصيب العلوم الدنيوية والدينية .

فكانت تجرى دراسة الطب فى أغلب الأحيان فى المستشفيات التى أعدت لمعالجة المرضى كما جعلت معاهد علمية لتعليم الطب والحقت بها مكتبات كبيرة زودت بعدد كبير من الكتب الطبية الى جانب الكتب العلمية الأخرى .

وخلاصة القول أنه لم تظهر المدارس العلمية المنظمة فى وقت مبكر لأن هناك مراكز أساسية فى العراق كانت تقوم بنفس الدور الذى تقوم به اليوم ومن أهمها ما ذكرناه سابقا من مساجد ومنازل العلماء والربط والمستشفيات ودور العلم والمكتبات .

---

(٤٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١١٥ .

(٤٤) ابن الأثير ، أبو الحسن على بن الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى : (**الكامل فى التاريخ**) . (المطبعة المنيرية – مصر ١٣٤٩ هـ) جـ ٨ ص ٣٥٠ .

ثانيا – المدارس الاسلامية حالتها بعـد انشاء بيت الحكمة :

ان اتساع الحلقات العلمية داخـل المساجد وكثرة المناقشات والمناظرات التى كانت تدور داخلها قـد أبعـدت هـذه المساجد عن مهمتها الأساسية وهى العبادة ولهـذا نجـد أن بعض المساجد قـد أصبحت تتخـذ طابع المدرسـة من حيث بناؤها وتنظيمها وتوفير الغرف فيها للطلاب والأساتذة كما أنه لم تكن هنـاك نفقـات معينة تبـذل فى سبيل نشر العلم ، فظهرت الحاجة الملحـة الى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ، ونشر الثقافة وظهرت فى الوقت نفسه فكرة أن يوقف على هـذا المكان أو المعهد وقف ينتج ايرادا يكفى للانفاق على شئونه وشئون القـائمين بالعمل فيه وكان المـأمون أول من أبرز هـذه الفكرة للوجـود فانه لم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء كان الخليفة شحيحا أم كريما فهيأ للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعـه عن التكاليف المطلوبة لهـذه المؤسسة الثقافية(٤٥) .

ومن المعروف أن تأسيس بيت الحكمة قـد اكتمل على يد المـأمون (٢١٧ هـ/ ٨٣٢ م) ولكنها لم تكن مدرسـة نظامية بالمعنى المتعارف عليه بقـدر ما كانت دارا للنسخ والترجمة الى جانب كونها أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى .

ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن نشأة المدارس الاسلامية يحيط بهـا كثير من الغموض ولا يمكن تحـديدها بتاريخ معين كما يرى آخرون أنه من المرجح أن تكون المدارس قـد سبقت فى ظهورها نشأة المدرسة النظامية فى عام ٤٥٩ هـ أى فى منتصف القرن الخامس الهجرى(٤٦) .

ومهما يكن الأمر فان المرجح أن تكون بعض المصادر قـد خلطت بين المدارس كمؤسسات تعليمية مستقلة وبين أماكن التعليم الأخرى مثل الكتاتيب والمساجد وغيرها . حيث لم يصل الينا من الكتب التى تبحث فى المدارس وأماكن التعليم الا عـدد ضئيل اذا قيس بتلك الأعـداد الزاخرة التى ألفها العرب فى الشئون العلمية والحضارية الأخرى . ولعل من أهم الأسباب التى أدت الى ذلك أن هـذه المؤلفات وضـعت فى العصور العباسية المتأخرة ولم يمض عليها الوقت الكافى لاستنساخها واطـلاع

---

(٤٥) Sayed Ameer Ali : Short History of Saracens, London 1916, P. 274.

(٤٦) د. ابراهيم الجيار : (**دراسات فى الفكر التربوى**) . (وكالة المطبوعات – الكويت طبعة ١٩٧٤ م) ص ١٤٣ .

الناس عليها فسرعان ما عصفت بالبلاد الاسلامية موجـة المغول التى دمرت مـدنا اسلامية كاملة واجتاحت أقطارا واسعة فى بلاد المشرق وأتت على بغـداد والدولة العباسية من القواعد فضاعت مئات الألوف من الكتب الخطية ومحقت دور علم وخزائن كتب لا تعـد ومحيت معاهـد ومدارس مشهورة وقضى على عـدد كبير من جـلة العـلماء والأدباء . ولـما حلت ببغـداد نكبة تيمورلنك وأيامه السود كانت أشـد وطـأة عليها من تلك العواصف الهـوج فلم تبـق حروبه ولم تذر من دور الكتب وخزائنها شيئا يذكر . ولم يبـق من الكتب الا ما كانت منه نسخ عـديدة انتسخت وامتلكها أناس كانوا فى نجـوى من هـذا الأعصار أو احتوتها معاهـد ومساجد كانت بعيدة عن حروبه ونفـوذه يضاف الى ذلك جهل الناس آبان هـذه الفترة بقيمة كثير من هـذه المؤلفـات(٤٧) .

أما الكتب التى كانت بخطوط مؤلفيها ولم يكتب لهـا الاستنساخ فقـد فقدت كلها أوضـاع أكثر أجزائها وخير مثال على ذلك كتاب ابن الفـوطى المعروف « تلخيص مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب » والذى تنص احـدى الروايات على أنه كان فى ثمانين مجلـدا لم يصل الينا منه الا المجلـدان الرابع والخامس وهما بخط المؤلف وقـد وجـد الرابع فى المكتبة الظاهرية بدمشق ووجـد الخامس فى لاهـور بالباكستان . وذكر ابن الفـوطى(٤٨) أن كتبا صنفت عن المستنصر والمستنصرية ولكنهـا لم تصـل الينا .

ان انشاء المدارس فى الاسلام من المنجزات العظيمة التى حققت الأهـداف العلمية والتربوية وقـدمت الخـدمات الجليلة للانسانية جمعاء . وتشير المؤشرات التاريخية أن مدينة نيسابور كانت رائدة المدن الاسلامية فى انشاء المدارس فقـد شيد أهلها مدرسة للفقيه الشافعى أبى اسـحاق الأسفراييني المتوفى سنة ثمـانى عشر وأربعمـائة للهجـرة(٤٩) .

كما تشير المصادر أن مدرسة أخرى انشئت فى تلك المدينة للعـالم ابى بكر

---

(٤٧) د. ناجى معروف : (**المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة**) . (مطبعة الارشـاد — بغـداد — العراق ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م) ص ٩ .

(٤٨) ابن الفـوطى : (**تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقـاب**) . تحقيق مصطفى جـواد (وزارة الثقـافة والارشـاد القـومى — دمشق ١٩٦٤ م) ج ٥ ص ٥٢٨ .

(٤٩) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ١ ص ٩ .

البيهقى المتوفى سنة ثمـان وخمسين وأربعمائة للهجرة(٥٠) . ان انشاء المدارس فى الاسلام يظهر انها مبادرات شعبية حققت للناس طموحاتهم فى أن تكون تلك الأمكنة مراكز علمية تدرس فيها مختلف العلوم والآداب وهى فى عهدها الأول وان لم تستكمل شروط المدرسة فقـد تكونت من بيت لـه رحبة واسعة فيه بعض الغرف للدرس . وقـد تختلف المدرسة من حيث السعة ومن حيث الوقوف التى توقف للصرف عليها وكذلك من حيث الشيوخ الذين يدرسون بها ومكانتهم العلمية واشتهارهم(٥١) .

ويمكننا اعتبار سنة ٤٥٩ هـ حـدا فاصلا بين عهدين فى تاريخ المؤسسات التعليمية الاسلامية . ففى هـذا العام انشئت المدرسة النظامية فى بغـداد مؤذنة ببداية عهـد جـديد انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب ـ التى كانت فى العصر العباسى الأول تقام لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وبعضها كان يعلم فيها أيضـا اللغـة العربية وما اليها من نحـو وعروض(٥٢) ـ والقصور والمساجد ودور الحكمة وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء الى المدارس المنظمة(٥٣) .

ويعتبر ظهور المدارس فى العصر الاسلامى اهم محاولة جـديدة لتنظيم الدراسة واستمرارها لتوفير وسائل التفرغ لهـا ، اذ جعلت مرتبات للمدرسين وزود الطلاب فى حالات كثيرة بالمسكن والمـأكل ممـا ساعد بالضرورة على ايجاد نظـام ثابت وتقاليد مرعية للمدرس والادارة وعمل على استقرار تلك المعاهـد(٥٤) .

وقـد كان التعليم الأولى عاما للجميع وخاصة فى عصر الدولة العباسية التى تبنى فيها الخلفاء العلم والعلماء وابدوا اهتماما كبيرا بالتعليم والمتعلمين ، فعملـوا على توفير فرص التعليم الأولى لكل طفـل والحقوا بكل مسجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادىء العلوم بالاضافة الى تحفيظ القرآن .

وكان من نتائج ذلك أن انتشر التعليم فى الدولة الاسلامية أثناء عصورها المزدهرة حتى كادت الأمية أن تختفى تمـاما . ويعلق أحـد الباحثين على ذلك بقوله : « لقـد

---

(٥٠) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٥١) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية فى العراق عـ ٦ ص ٦ .

(٥٢) عمر رضا كحالة : المرأة فى عالمى العرب والاسلام جـ ٢ ص ١١٣ .

(٥٣) د. ابراهيم الجيار : دراسات فى الفكر التربوى ص ١٤٢ .

(٥٤) أسماء فهمى : (**مبادىء التربية الاسلامية**) . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٧ م) ص ٣٣ .

كانت هـذه الليبرالية العظيمة التى أبداها المسلمون نحـو تعليم ابنائهم من اهم عـوامل ازدهار وتقـدم حضارتهم ، فقـد كان التعليم فى كل أرجاء الدولة الاسلامية لدرجـة انه يروى انه كان من العسير أن تعثر على فرد من المسلمين لا يعرف القراءة والكتـابة »(٥٥) .

اما بالنسبة للتنظيم الداخلى للمؤسسات التعليمية الاسلامية فمن المرجح أن معاهـد التعليم لم تتبع نظام تقسيم الدراسة الى سنوات تعليمية كما لم يعرف تقسيم التلاميذ الى فصول دراسية ، وانما كان التلاميذ يجلسون فى حلقات حـول الأستاذ الذى يجلس على خشبة أو منصة ويستند الى حائط أو سارية من سـوارى المسجد . ويرى كثير من الباحثين أن نظام التربية الاسلامية فى العصور الوسطى قـد تميز بقـدر من الحرية ومراعاة الفروق الفردية تحسده عليها المدارس والجامعـات الحـديثة فقـد كان الطالب هـو الذى يختار أستاذه وينتقى ما يدرسه من علوم وعندما بدأ عهد المدارس النظامية استحدثت بعض القيود اذ كانت تتطلب استمرار الدراسة والتفرغ لهـا ، ولذا كان الطالب فى المدارس النظامية عادة من المتفرغين للدراسة والمنقطعين لطلب العلم(٥٦) .

ويقول المستر (درابر) الأمريكى المشهور : ان المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهـل العلم من النصارى والنسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضـوا اليهم كثيرا من الأعمال الجسام ورقـوهم الى مناصـب الدولة ، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه — ولم ينظر الى البلد الذى عاش فيه العالم ولا الى الدين الذى ولد به ، بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة(٥٧) .

أما بالنسبة لتنظيم المدارس الاسلامية فيمكن أن نستخدم لغـة العصر الحديث فى اعطائه بنية السلم التعليمى على النحو التالى :

١ — المرحلة الأولى : وكانت تقـدم فى الكتاب من سن ٦ — ١٤ تقريبـا . وكان الكتاب يوجـد غالبا خارج المسجد فى منزل الفقيه (المعلم) أو فى الحوانيت .

---

(٥٥) E. H. WILDS : The Foundations of Modern Education). London 1959, p. 216.

(٥٦) د. ابراهيم الجيار : دراسـات فى الفكر التربوى ص ١٤٤ .

(٥٧) د. مصطفى السباعى : (من روائع حضارتنا) . (المكتب الاسلامى — بيروت — لبنـان ط ٣ ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ص ٩١ .

٢ ـ المرحلة الثانوية أو المتوسطة : كانت مدارس هــذه المرحلة تعرف باسم مدرسة المسجد أو الحلقة أو المدرسة ويتراوح سن التلاميذ فيها من ١٤ الى ١٨ .

٣ ـ مرحلة التعليم العالى : وتبــدأ من بعــد انتهاء التلميذ من حفظ القرآن الكريم وكانت توجــد فى احــدى المؤسسات التالية : بيت الحكمة ، المكتبات ، الصالونات الأدبية ، دور العلماء ، المساجد الكبيرة مثل الأزهر وجامــع القرويين وجامع الزيتونة(٥٨) . وذكر ابن خلكان المتوفى (٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) أن الــوزير السلجوقى نظام الملك الطــوسى المتوفى ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م أول من احــدث المدارس فى الاسلام وأن أول مدرسة أنشئت هى المدرسة النظامية التى شرع بانشائها ببغــداد ٤٥٧ هـ/١٠٦٤ م وافتتحها فى ذى القعدة ٤٥٩ هـ/١٠٦٦ م(٥٩) .

فنظام الملك الطــوسى مؤسس المدرسة النظامية ببغــداد والنظاميات التسع الأخرى فى المشرق والعراق ، لم يكن رجــلا سياسيا فحسب بل كان فقيها متحــدثا أيضا . حــدث بمرو ونيسابور والرى وأصبهان وبغــداد ، وأملى الحــديث فى جامع الرصافة وفى مدرسته النظامية ببغــداد وكان يقول : « انى لأعلم أنى لست أهــلا للرواية ولكن أريد أن اربط نفسى على قطار النقلة بحــديث رســول الله صلى الله عليــه وســلم(٦٠) .

وكانت هــذه المدرسة فى الجانب الشرقى من بغــداد وقــد أنشئت لتدريس الفقه الشافعى وشرط الوقفى فيها أن يكون المدرس والواعظ ومتولى الكتب من الشافعية اصلا وفرعا(٦١) ، وكان نظام الملك قــد أمر بانشاء عــدة مدارس أصبحت نموذجا للمدارس الجــديدة ، وغــدا نظام الملك نفسه قــدوة حسنة يحتذى بهــا كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء فى انشاء المدارس كما أن أهمية عمل نظــام الملك ترجــع الى كونه بداية عصر جــديد من الازدهار للمدرسة اذ أصبح السلطان ورجال الطبقة العالية مولعين بتأسيس المدارس ، كما أن تكوين المدرسة على الوضع الذى رسمه نظام الملك وما ألحقه من أقسام داخلية لاقامة الطلاب أصبح فيما بعــد نمــوذجا يحتذى فى سائر المدارس التى أنشئت فى العصور التالية(٦٢) .

---

(٥٨) د. ابراهيم الجيار : (**تاريخ التعليم الحــديث**) . (دار الثقافة ـ القاهرة ط ١٩٧١ م) ص ١٠ .

(٥٩) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان ج ١ ص ٣٩٦ .

(٦٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١٦٢ .

(٦١) ابن الجــوزى : المنتظم ج ٩ ص ٦ .

(٦٢) Encyclopedia of Islam. Art Masjid.

ان الدافــع على الأرجح من تأسيس المدارس النظامية كان مذهبيا وسياسيا فقــد كان نظام الملك شافعيا اشعريا حريصا على مذهبـــه وعاصرت نظام الملك آراء وافكار متباينة كانت منتشرة فى العالم الاسلامى كالمعتزلة والباطنية وبقايا القرامطة من أصحاب الملل والنحــل . كما أن اندرحار البويهيين سياسيا لم يكن يعنى أبدا أن آثار مذهبهم الشيعى فى المشرق قــد زالت لــذا كان لابد من اجراء سريع يزيل ما علق فى أذهان الناس ونفوسهم من آثار هــذا المذهب(٦٣) .

وهــذا ما قامت به المدرسة النظامية والمدارس الأخرى فى بغــداد وأصبهان ونيسابور حيث بنى نظام الملك مدرسته النظامية على شاطىء دجلة ورتب فيهـــا العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية وبنى حولها أســواقا ووقف عليها أوقافا دارة ، ولقــد كان لهــذه المدرسة شأن كبير فى العالم الاسلامى تخرج منها جماعة من فحول العلماء ، وكان من أساتذتها أبو اسحاق الشيرازى وأبو حامد الغــزالى وكمال الدين الانبارى ، ثم امتلأت دمشق وحلب وحمص وحماه وبعلبك وغيرها من بلاد الشام وقرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطـــة وغيرها من بلاد الأندلس ثم مصر والاسكندرية بالمدارس المجانية على غرار المدرسة النظامية(٦٤) .

وتكاد تجمع المصادر العربية مثل الأصفهانى وابن الأثير وابن الجوزى والسبكى وغيرهم على عظمة المدارس النظامية وكثرتها ووفرة ما أغــدق عليها من أموال وما بها من كتب حتى قيل انه أنشأ فى كل مدينة مدرسة من العراق وخراسان(٦٥) .

ولقــد قيل ان ما كان ينفقه نظـــام الملك على المدارس النظامية بلغ ستمائة الف دينار ، وكان وقفها ببغــداد خمسة عشر الف دينار سنويا ونظـــامية أصبهان عشرة آلاف دينار وهكذا(٦٦) . ويكاد يكون غالبا بجانب هــذه المدارس أربطـــة للصوفية والسابلة وكتاتيب لصغار المتعلمين ودور كتب عظيمة لمراجعة العلمـــاء والطلاب غير خزائن كتب الملوك والوزراء التى كانت تحوى مئات من المجلدات(٦٧) .

---

(٦٣) د. نجاح القابسى : (**المعاهد والمؤسسات التعليمية فى العالم الاسلامى**) . مجلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق عـ ١٩ (١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) : ص ١٨٠ ، ١٨٨ .

(٦٤) مصطفى أمين : (**تاريخ التربية**) . (دار المعارف بمصر – بدون) ص ١٧٢ .

(٦٥) د. عبد الحليم منتصر : (**تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه**) . (دار المعـارف بمصر – القـاهرة ط ٦ ، ١٩٧٥ م) ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٦٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقـدمه ص ٦٨ ، ١٦٠ .

(٦٧) د. محمد عبد المنعم خفاجى : (**الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى**) . (الكليـــات الأزهرية – القـاهرة ١٩٥٧ م) ص ٢٣ .

ونظام الملك هذا كان رجلا دينا لـــه مجالس يحضرها أئمة الدين من قراء وفقهاء ومحـــدثين كما أنه أنشأ المدارس فى الأمصار المختلفة لتعليم الحـــديث بل كان هـــو يمليه ، وفى ذلك يقول ابن الأثير : « كان عالمـــا دينا جـــوادا عادلا حكيما كثير الصفح عن المذنبين طـــويل الصمت ، كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء ، وائمة المسلمين واهـــل الخير والصلاح ، امر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد وأجرى لهـــا الجرايات العظيمة وأملى الحـــديث ببغـــداد وخراسان »(٦٨) .

وعرف عن نظام الملك حبه للعلم واصطفاؤه النابغين من العلماء فتوفر الآباء على تعليم أبنائهم حتى يحظوا بالمناصب التى كان يقسمها درجات ويرشح لكل بحسب فضله وعلمـــه ، فيذكر العمـــاد الأصفهانى « فى أيامه نشأ للناس اولاد نجباء على تهـــذيب الأبناء ليحضروهم فى مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل أحـــد لمنصب يصلح له بمقـــدار ما يرى فيه من الرشد والفضل ومن وجـــد فى بلد قـــد تميز وتبحر فى العلم بنى لـــه مدرسة وقف عليها وقفا جعل فيها دار كتب »(٦٩) .

وساعدت حياة الرخاء والرفاهية وما نالته بغـــداد من الشهرة فى آفاق العالم الاسلامى على رغبة العلماء والطلاب فى الذهاب اليها وتلقى العلم بها وقـــد وصف لنـــا ابن جبير ما تركته هـــذه المدينة فى نفسه عنـــد ذهابه اليهـــا من أحاسيس وانعكاسات مبهجة لمـــا فيها من الحياة الزاهرة بأنواع السرور والبهجة حتى اشتهرت فى آفاق العـــالم الاسلامى بذلك وأصبح اسمها علمـــا على البهجة والأناقـــة والانس ومن أهم من أقاموا فيها دروس الأدب أبو منصور الجـــواليقى المتوفى ٥٣٩ هـ وشيخه التبريزى ودرس بها على بن ابى زيد القصبى وابن الجـــوزى(٧٠) .

ان المدارس الاسلامية ــ على ما أعتقـــد ــ كان هـــدفها واحـــدا هـــو العناية بالمواضيع الدينية أساسا ثم الاهتمام بالدراسات الأدبية والعلمية ، ان هذه المدارس ساعدت على اشاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة ، وان اتاحـــة الفرصة للمسلمين القبول فى اى مدرسة فى بغـــداد والبصرة والقاهرة وتونس والرباط وأصبهان كان لـــه الأثر المحمود فى توحيد الفكر الاسلامى وزيادة الترابط الانسانى ممـــا يساعد على اتاحـــة الفرصة للعراقى والسورى والمصرى

---

(٦٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٧٢ .

(٦٩) العماد الأصفهانى ، الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : (**تاريخ دولة آل سلجوق**) . (طبعة ١ مطبعة دار التاليف ــ مصر ــ القاهرة ١٣٧٢ هـ) ص ٥٤ .

(٧٠) ياقـوت الحمـوى : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٢٣٩ .

والفارسى والتركى أن ينعارفــوا وأن تتماس العقول وتحتك الأفكار وتنصهر جميعها فى بوتقة العلم لتبرز أفكارا مدروسة وآراء مجــدية فى حقول الأدب والعلم(٧١) .

وهــذا على ما أعتقــد من أبرز ما قــدمته تلك المدارس فى ذلك العصر من خــدمة للانسانية ولتراثها الخالــد . كما ساعد ذلك اللقاء بين شــعوب البلــدان المختلفة ، فى تعرفهم على عادات ، وتقاليد بعضهم البعض وانتشار اللغة العربية التى أصبحت لغــة الدراسة والثقافة والعلم . ممــا أدى الى الاهتمام بهــذه اللغة وتطــويرها وازدهارها . ويرجع انتشار تلك الثقافات فى البــــلاد الى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لهــا . فمدارس جنديسابور والرها ونصيبين وحران كانت تنشر الثقافة اليونانية ومدرستا الرها ونصيبين كانتا تزخران بالفلسفة اليونانية والتعليم المسيحية فكان فى حران جماعة وثنية تسمى الصابئة نبغت فى الدراسات اليونانية من علمية وأدبية ، أما جنديسابور فقــد أسس النساطرة فيها مركزا مهما للثقافة اليونانية ، ونالت شهرة فائقة فى الطب . وكانت هــذه المدارس كلها منارات اشعاع فى جميع العالم العربى والاسلامى(٧٢) .

ان المدارس العراقية قامت بأداء رسالتها العلمية والتعليمية وقــدمت خــدمات جليلة فى نهضة العلوم الدينية كالتفسير والحــديث والفقه والفرائض والعلوم العربية كاللغة والنحو والصرف والعروض والآداب والعلوم الرياضية والعقلية كالمنطق وعلم الكلام والأصــول والعلوم الطبيعية كالطب والصيدلة وعلم الحيــوان ، وأصبحت لتلك المدارس شخصية بارزة فى عالم الثقافة وفى تربية النشء واعــدادهم لحياة أفضــل(٧٣) . كما أن تلك المدارس كانت مراكز للتطــور الفكرى فظهرت المؤلفات والتصانيف فى شتى مواضيع الفكر والمعرفة ممــا أدى الى تطــوير الآداب والعلوم وازدهارها ، فكانت تلك المدارس بحــق مصادر الاشعاع الفكرى ومنبع الثقافــة الانسانية فى العصور الوسطى الاسلامية حيث انتشر طلابها مشرقا ومغربا ونقلوا تراث بغــداد والمدن العراقية الأخرى كما أصبحت تآليف أساتذة المدارس العراقية المعين الذى يغترف منه المتعلمون فى جميع أنحاء العالم مراكز لالتقاء العلماء والأدباء وأمكنة البحث والتأليف كل ذلك بلا شك ساعد على تطــوير العلوم والآداب ، وعمل على ازدهارها خــدمة للعلم والثقافة والانسانية .

---

(٧١) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية فى العراق عـ ٦ ص ١٠ .

(٧٢) حنا الفاخورى : (الجاحظ) . (دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٥٨ م) ص ١٤ .

(٧٣) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية فى العراق ، عـ ٤ ص ١٨ ، ١٩ .

كانت المدارس العراقية أمكنة صالحة للعلم والتعليم ، وقد عنيت تلك المدارس فى تدريس العلوم والآداب وتربية المواطنين تربية صالحة واعدادهم الاعداد الذى يليق والمجتمع الاسلامى . وقد عنيت المدارس العراقية بالاختصاص فقد كان لكل موضوع مدرسه المختص وكان هذا واضحا كل الوضوح فى المدرسة النظامية والمستنصرية . فعندما توفى أبو زكريا التبريزى أستاذ الأدب فى النظامية أصبح على ابن محمد الفصيحى صاحب ذلك الكرسى(٧٤) لاشتهاره بالأدب .

وكان مجال المناقشة مفتوحا أمام الطلاب ، وكانت للمناقشة بين الأساتذة وطلابهم آداب خاصة تكفل للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته . كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعليم ، ذلك أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره . وكان الأستاذ هو الذى يضع برنامج التدريس وهو الذى يختار المادة العلمية التى يلقيها على طلابه . وكانت الدراسة حرة أى أن الطالب هو الذى يختار الاساتذة الذين يرغب فى مصاحبتهم وحضور دروسهم .

وارتقت المدارس العراقية فى سلم درجات التدريس مرتبة المعيد ووظيفته أن يساعد المدرس أو الشيخ ويوضح ما يصعب على الطلبة من امور فى مادة الدرس . وهذا ما كانت تشترطه المدرسة المستنصرية أن يكون لكل طائفة من المذاهب الأربعة مدرس وأربعة معيدين وأن يكون بالمدرسة طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس يعلمهم الطب(٧٥) .

أن كثرة المدارس والانفاق عليها بسخاء وميل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة أو وقف دورهم وقصورهم لتكون مدارس كل هذا يدل على نهضة ثقافية ووعى علمى لا شك فيه .

ويظهر الصراع المذهبى واضحا فى تأسيس المدارس وفى الدراسة والتدريس بها فلكل مذهب طريقته التى يحاول عن طريقها نشر تعاليمه وتشجيع كبار العلماء على اعتناقها ليستطيعوا التدريس فى مدارس المذهب الخاصة ، فقد كانت المدارس النظامية وفيها نظامية بغداد من أسباب انتشار المذهب الشافعى لأن كل طالب لا يقبل فيها الا اذا كان شافعيا وكذلك المدرسون(٧٦) .

---

(٧٤) الاربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو : (**خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**) تحقيق مكى السيد جاسم (مكتبة المثنى - بغداد - العراق ط ٢ ، ١٩٦٤ م) ص ٢١٢ .

(٧٥) الزرنوجى ، برهان الاسلام : (**تعلم المتعلم طريق التعلم**) (القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٨ .

(٧٦) د. حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

قال أبو البقاء العكبرى : وكان حنبلى المذهب ، جاء الى جماعة من الشافعية ، فقالوا : انتقل الى مذهبنا ونعطيك تدريس النحــو واللغة والنظامية فاقسمت وقلت لو اقمتمونى وصببتم على الذهب حتى ارتوى ما رجعت عن مذهبى(٧٧) .

قال المقريزى : « والمدارس ممــا حــدث فى الاسلام ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وانما حــدث عملها بعــد الأربعمائة من سنى الهجرة »(٧٨) . ولا شــك ان المقريزى يعنى بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصــة توقف لهــا الأوقاف والأموال ، وتجرى على نظم معينة كالنظامية فى بغداد ، ودار العلم والأزهر فى مصر ، والا فان التعليم سابق للدولة العباسية ، ولكنه لم ينتظم الا بعــد القرن الرابع الهجرى . وأهم مراكز التعليم فى العصر العباسى : بغــداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقــدس ويليها حلب وطرابلس مدائن كثيرة من أمصار مختلفــــة(٧٩) .

واهتم العلماء فى مختلف انحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصــال بالعلمــاء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم ، والسبب فى ذلك أن الناس يأخــذون معارفهم تارة علما وتعليما والقــاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة فعلى قــدر كثرة الشيوخ يكون حصــول الملكــات ورسوخها ، وهــذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهــداية ، فالرحلة لابد منها فى طلب العلم واكتساب الفوائد(٨٠) .

قال صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يطلب به علمــا سهل الله لــه طريقا الى الجنة »(٨١) وقوله صلى الله عليه وسلم : « من جاءه الموت وهــو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجــة واحــدة »(٨٢) .

لقــد جرت العادة أن تنسب المدرسة الى منشئها وهــو الغــــالب او الى مدرسها اذا كان مشهورا جــدا أو الى العالم الذى تنشأ لــه أو الى الموضع الذى

---

(٧٧) ابن رجب ، زين الدين ابن الفرج عبد الرحمن شهاب : (**ذيل طبقات الحنابلة**) . (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م) ج ٢ ص ١١١ .

(٧٨) المقريزى : الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

(٧٩) Khaleil Tutah : **Th Contribut:on of the Arabs to Education**) p. 23, London.

(٨٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤١ .

(٨١) البخارى : صحيح البخارى ج ١ ص ٤٥ .

(٨٢) الغزالى : احياء علوم الدين ج ١ ص ١٩ .

اقيمت فيه ، ولابد لنا أن نذكر نبـذة موجزة عن أحـوال المدارس العباسية(٨٣) منذ أن تأسست بغـداد حتى نهاية القرن السابع الهجرى . وممـا يلاحظ فى مواقـع هـذه المدارس أن كثيرا منها كان على ضـفة دجلة أو على مقربة منها ومن هـذه المدارس :

١ — مدرسة أبى حنيفة أو المدرسة الشرقية بباب الطاق وقـد يطلق عليهـا (مدرسة الحنفيين بباب الطاق) انشأها شرف الملك أبو سـعد محمد بن منصور العميد الخـوارزمى مستوفى المملكة بالسلطان ألب أرسلان السلجوقى سنة ٤٩٥ هـ/ ١٠٦٦ م عند مشهد أبى حنيفة . وقال الصـفدى فى ترجمة ابى طالب الزينبى الملقب نور الهـدى المتوفى ٥١٢ هـ : « ودرس بالشرقية التى انشأها شرف الملك ببـاب الطـاق » ... وانتهت اليـه رياسـة أصحاب الرأى ببغـداد . وقـد اشـتهر عـدد كبير من مدرسيها وخزان مكتبتها وكان لا يخرج من خزائنها شىء الا الى ذى أمانة نستظهرا بالرهن عن ذلك(٨٤) .

٢ — مدرسة (تركان خاتون) زوجـة السلطان ملك شـاه بن ألب أرسلان السلجوقى بنتها للحنفية بالجانب الشرقى .

٣ — المدرسة التاجية(٨٥) نسبة الى تاج الملك أبى الغنائم المرزبان ابن خسرو مستوفى ملك شاه السلجوقى بنـاه للشافعيين ببـاب أبرز ببغـداد الشرقية سنة ٤٨٢ هـ ومن أشهر مدرسيها فخر الاسلام أبو بكر الشاشى صاحب المدرسة المعروفة باسمه احد كبار مدرسى النظامية ببغداد ، وسراج الدين النهرقلى أقضى القضاة(٨٦) .

٤ — المدرسة الفخرية(٨٧) : أو دار الذهب أو مدرسة فخر الدولة بعقـد المصطلح فى المـأمونية بالجانب الشرقى من بغـداد وهى للشافعية بناها الوزير فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن عبد الله بن على أبى المطلب الكرمانى البغـدادى المتوفى ٥٧٨ هـ . وقـد بناها لأبى القاسم يحيى بن فضلان الشافعى ودرس فيهـا

---

(٨٣) د. مصطفى جـواد : (**بحث ممتع فى مدارس بغـداد**) . مجلة الأستاذ . بغـداد ـ العراق عـ ٥ ، ٦ (٩٥٨ م/١٩٥٦ م) ص ١١٠ ، ١١٩ ص ٨٦ ، ١١٣ .

(٨٤) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٨٥) ابن الجـوزى : المنتظم : جـ ٩ ص ٣٨ ، ٢٦٠ .

(٨٦) المصـدر نفسـه جـ ١٠ ص ٣٨ ، ٤٨٠ .

(٨٧) ابن الفـوطى : الحـوادث الجامعة ص ٦٣ .

هــو وابنه من بعــده أبو عبد الله محمد بن يحيى أول مدرس للمذهب الشــافعى بالمدرسة المستنصرية . ومن مدرسيها أيضا مجــد الدين أبو طاهر على بن محمــد الواسطى البغــدادى الفقيه . وممن سكن « دار الذهب » أبو المعالى القاسم بن أبى الحــديد المدائنى وقــد تولى الاعادة بها قيما بفن العربية والفقه والجــدل والأصــول والخلافة والحكمة والطب[89] .

٥ — مدرسة درب القيار[90] : أو « مدرســة الحرانى » بدرب القيار شرقى بغــداد بــ « مدرســة ابن بكروسى » وهــو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكروسى الحمامى الحنبلى . بنــاها للحنابلة وكانت تجاور منزله . وكانت ولادته سنة اثنين وخمسمائة ووفاته فى سنة ٥٧٣ هـ ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل . وكان قــد تزهــد واعتزل الناس . وتردد الناس اليه فأقرأ جماعة وتفقه به جماعة .

٦ — « مدرســة زمرد خاتون » زوجــة الخليفة المستضىء بالله وأم الخليفــة الناصر لدين الله . وتعرف « بمدرسة الأصحاب » أى أصحاب الشافعى . وتسمى « مدرســة أم الخليفة » وسميت « بالمدرســة الغربية » لوقوعها فى الجانب الغربى فى بغــداد وتوصــف بــ « الميمونة » بنتها زمرد خاتون للشافعية بالجانب الغربى عند مشهد معروف الكرخى بجوار تربتها . ويظهر أنها بقيت الى عهد سليمان باشا الكبير والى بغــداد . وكانت زمرد خاتون من أرغب النساء فى فعــل الخير ، وكثرهن له فعلا ولهــا بر وأفضال فضلت به أمثالها فى الصــدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لاخفاء له عن نظر متأمل . عمرت التربة قبر معروف الكرخى والمدرسة الى جانبها ووقفت عليها الأوقاف وكان افتتاح المدرسة فى سنة ٥٨٩ هـ ووفاة مؤسسها[91] سنة ٥٩٩ هـ .

٧ — المدرســة الثقتية[92] : أو مدرســة ثقــة الدولة بنــاها لأصــحاب الشافعى وكيل الخليفة المقتفى لأمر الله أبو الحسن على بن محمد الأنبارى الدرينى

(٨٩) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١١٨ .

(٩٠) الحنبلى ، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى : (**شذرات الذهب فى أخبار من ذهب**) . (القاهرة ١٣٥٠ هـ) ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٩١) ابن الساعى ، أبو طالب على بن أنجب تاج الدين الملقب بابن الساعى : (**الجامع المختصر فى عيون التواريخ وعيون السير**) تحقيق د. مصطفى جواد (المطبعة السريانية الكاثوليكية — بغــداد ١٩٣٤ م) ج ٩ ص ١٨٨ ، ٢١٧ .

(٩٢) ابن الفوطى ، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج ٤ ص ٢٧٣ ، ٣٣٩ .

الملقب ثقـة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩ هـ على دجلة تحت راية الخلافة فى باب الأزج بالجانب الشرقى . وكان ثقـة الدولة أول أمره حـدادا فقـدمه المقتفى وقربه وهو زوج الكاتبة العالمـة شهده بنت أحمد بن الأبرى المتوفاة سنة ٥٧٤ هـ . وقـد دفنت ببـاب أبرز قرب المدرسة التاجية وممن درس فيها يعيش بن صـدقة المتوفى سـنة ٥٩٣ هـ وكان اماما فى الفقه(٩٤) . وكان اجل الشافعية فى زمانه . وعز الدين بن عمر الطيارى التسترى وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقى المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وهو الذى بنى له ثقة الدولة المدرسة الثقتية المنوه بها . وعفيف الدين الزبيدى الواسطى وكمال الدين أبو المظفر عبد الودود الواسطى البغـدادى . وكيـل الخليفـة ، وموفـق الدين أبو النصر احمد بن اسفندنار بن عبد الرحمن البغـدادى النقيـه المؤدب المتوفى سـنة ٦٨٥ هـ ومحى الدين أبو المكارم منصور بن الحسن الزنجـانى وقـد تولى التدريس بها سنة ٥٩٣ هـ وممن سكن بهـذه المدرسة محمود الزنجانى وقـد أعاد بها الدرس لكمال الدين عبد الودود(٩٤) .

٨ — مدرسـة بنفشه(٩٥) وتسمى « المدرسة الشاطئية » بنتها بنفشه زوجة الخليفة المستضىء بالله للحنابلة ببـاب الأزج بالجانب الشرقى فى بغـداد سـنة ٥٧٠ هـ وبذكر ابن الزوجى أنها كانت دارا لنظام الدين أبى نصر بن جهير وكانت وصلت ملكيتها الى الجهة بنفشه فجعلتها مدرسة وسلمتها الى أبى جعفر ابن الصـباغ وبعـد أيام سلمتها لابن الجـوزى نذكر فيها الدروس وحضر قاضى القضـاة وحاجب البـاب وفقهاء بغـداد .

٩ — المدرسـة الموفقية(٩٦) : وهى مدرسة للحنفية بنتها بنت السلطان ملك شـاه السلجوقى وزوجـة الخليفة المستظهر بالله ببغـداد الشرقية بدرب « زاخا » على نهـر دجـلة .

قال ابن الجـوزى يذكر قتالا جرى سنة ٥٤٣ هـ ببغـداد فى نهر دجلة بين الأتراك وجيش الخليفة : « وكان القتال تحت مدرسة موفـق » ولعلهـا هى مدرسة

---

(٩٣) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٠ .

(٩٤) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٠ .

(٩٥) الغسانى : **العسجد المسبوك الورقة ١٩٣ — أ ، مخطوط .**

(٩٦) ابن الجـوزى : المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ ، ج ١٠ ص ٩ . ١٣٢ .

الخاتون المستظهرية التى ذكرتها بعض المصادر التاريخية . وقد نسبت الى مملوكها الموفق بن عبد الله الخاتونى الذى دفن بالمدرسة وذكر ابن الساعى أن موفق الخادم هو واقفها . ومن مدرسيها علم الدين ابو زكريا بن محرز البغدادى ، ومجد الدين ابن اللمغانى مدرس مشهد أبى حنيفة .

١٠ ـ مدرسة زبرك « أو مدرسة سوق العميد » وهى مدرسة الحنفية بالجانب الشرقى وهى مدرسة للحنابلة أنشأها أبو حكيم ابراهيم بن دينار العميد كانت مما يلى جامع المرادية حيث كانت تقع مدرسة زبرك(٩٨) وممن تولى التدريس فيها محمد بن احمد بن عبد الجبار ابى المظفر الحنفى من أهل سمنان ، ويعرف بالشطب المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقال عنه الصفدى : دخل بغداد واستوطنها وولى تدريس مدرسة زبرك بسوق العميد .

١١ ـ مدرسة ابن دينار(٩٩) النهروانى الحنبلى الحسنى الفقيه بباب الأزج بالجانب الشرقى وهى مدرسة للحنابلة أنشأها أبو حكيم ابراهيم بن دينار النهروانى البغدادى الملقب بالقدوة وكان يقيم بها . ولد فى سنة ٤٨٠ هـ وتوفى سنة ٥٥٦ هـ ودفن قريبا من بشر الحافى وكان يخيط للناس الثياب وكان عالما بالمذهب والخلاف والفرائض حسن المعرفة بالفقه والمناظرة وكان يضرب به المثل فى التواضع . قرأ عليه خلق كثير وتخرجوا به .

١٢ ـ مدرسة أبى سعد المخزومى(١٠٠) : بباب الأزج بالجانب الشرقى بناها سعد المبارك بن على بن الحسين وهى مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلى . وتعرف بالقادرية وبمدرسة الجيلى أو مدرسة ابن الخزمى وكانت للحنابلة .

١٣ ـ المدرسة التتشية(١٠١) : أو مدرسة خمارتكين التتشى المتوفى سنة ٥٠٨ هـ بناها نجم الدولة خمارتكين بمشرعة درب دينار بالجانب الشرقى من بغداد وكانت للحنفية . وهذا خمارتكين هو خادم الملك تتش بن ألب أرسلان يقال له

---

(٩٧) ابن الفوطى : تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج ٤ ص ٥٢١ .

(٩٨) الصفدى ، صلاح الدين خليل بن ايبك : (**الوافى بالوفيات**) (أستانبول ١٩٣١ م) ص ١٥٦ .

(٩٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢٧ .

(١٠٠) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٨٧ .

(١٠١) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٦ .

داوود السلجوقى . ومن مدرسى « المدرسة التتشية » علم الدين أبو زكريا بن محرز البغدادى ، ويذكر ابن الجوزى من مدرسيها يوسف الدمشقى وابن الشاشى .

١٤ — مدرسة ابن الأبرادى(١٠٢) : وهى مدرسة لأصحاب أحمد بن حنبل بالجانب الشرقى كانت فى الأصل دارا بالبلدية لمحمد بن احمد بن على ابن الابرادى الفقيه الزاهد المعروف بابن الأبرادى الذى توفى فى ٢٢ شهر رمضان سنة ٥٣١ هـ ودفن بباب أبرز .

١٥ — مدرسة سعادة(١٠٣) : وهى من المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية أنشأها بالجانب الشرقى الأمير عز الدين أبو الحسن سعادة الرسائلى الذى وصف بأنه كان يفصح بأكثر اللغات . وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ ودفن فى جوار الامام أبى حنيفة . ومما ذكره ابن الجوزى(١٠٤) أنه كان فى مدرسة سعادة منارة ، ومن مدرسيها فخر الدين الآمدى الصوفى أحد المعيدين بالمستنصرية وكان مدرسا للنحو فيها والقاضى بدر الدين على بن محمد ملاق الرقى المحتسب بجانبى بغداد .

١٦ — المدرسة الكمالية(١٠٥) : أو مدرسة ابن طلحة نسبة الى كمال الدين أبى الفتوح حمزة بن على بن طلحة الشافعى المتوفى ٥٥٦ هـ . ويعرف بابن بقشلان وأصله من الرى . وكان أحد الأماثل الأعيان ولاه المسترشد حجابة باب التونى فى أواخر سنة ٥١٢ هـ وجعله صاحب مخزنه فى سنة ٥١٤ هـ ولم تزل حاله عنده عالية مدة خلافته وكذلك من بعده فى أيام المقتفى لأمر الله الى أن حج واستعفى من الخدمة سنة سبع أو ست وثلاثين وخمسمائة وانقطع فى بيته نحوا من عشرين سنة ، وكان محترما فى زمان عزله يغشاه أرباب الدولة وغيرهم . وبنى مدرسة للفقهاء الشافعية مجاورة لداره بباب العامة ووقف عليها ثلث أملاكه ، ورتب فيها « ابن الخل » مدرسا فيها ولذلك تسمى « مدرسة بن الخل » أحيانا . كما تعرف بمدرسة ابن طلحة . ولما توفى دفن بتربة له فى الحربية مقابلة لتربة أبى الحسن القزوينى . ويظهر أن ابن عمر ابن الشمحل كان متزوجا من ابنته .

(١٠٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٩٦ .
(١٠٣) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة جـ ٤ ص ٣٨٥ .
(١٠٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٠٨ .
(١٠٥) الكتبى ، ابن شاكر محمد : (فوات الوفيات) . تحقيق د. احسان عباس (دار صادر — بيروت — لبنان — بدون) جـ ٢ ص ٤٠ .

١٧ ــ المدرســة الغياثية(١٠٦) : نسبة الى الملك غياث الدين مسعود بن محمد ابن ملك شاه السلجوقى وقــد تسمى « المغيثية » التى تنسب الى أخيه مغيث الدين محمود بن محمد ملك شــاه السلجوقى . والغياثية مدرســة للحنفية ملحقة بالجانب الشرقى من بغــداد وقــد ذكرت فى التراجم بالنسبة الى الاخــوين غيــاث الدين ومغيث الدين . فقــد ذكر ابن الدبيثى الغياثية فى ترجمة أبى الفضل الضرير الحنفى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ هــو المعروف بزين الأئمــة وقال : درس بالمدرســة الغياثية مدة . كما ذكر الذهبى من مدرسيها : المبارك بن نصر الحنفى ابن الذنى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وذكر ابن الفــوطى من مدرسيها مجــد الدين مسعود بن الحسين اليزدى المتوفى بالموصــل سنة ٥٧١ هـ .

١٨ ــ المدرســة المغيثية(١٠٧) : ذكرها ابن الفــوطى فى ترجمة فخر الاسلام النوجاباذى مدرس المغيثية وقال عنه : قــدم مــع والده ظهــير الدين النوجاباذى عندما استدعى لتدريس الحنفية بالمستنصرية وكان تدريسه بالمغيثية سنة ٦٧٧ هـ وجاء فى الحــوادث الجامعة ذكر محى الدين بن المحيا الحنفى مدرس المغيثية ســنة ٦٧٣ هـ من مدرسيها أبو الخير مسعود بن الحسن اليزدى الحنفى ومنتخب الدين أبو الفضــل المعروف بابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وحضر مغيث الدين الى حضرة المسترشد بالله وخلع عليه ومدحه ، واليه تنسب المدرسة المغيثية ببغــداد .

١٩ ــ المدرســة الأسبابذية(١٠٨) : بالجانب الشرقى بين الدربين وذكرها ابن الدبيثى بالأصفهيذية ، وذكرها ابن الساعى وقال عنها : انها سلمت فى سنة ٦٠٤ هـ الى عماد الدين أبى بكر السلامى المعروف بابن الحبير بعــد أن انتقل من مذهب أحمد ابن حنبل الى مذهب الشافعى . وفى العسجد المسبوك : ان أبا معشر الهمذانى كان مدرس « مدرســة بين الدربين » وكان شيخا خيرا فاضلا متواضعا .

٢٠ ــ المدرســة البهائية(١٠٩) : وهى من المدارس الشافعية ، بنيت فى الجانب الشرقى من بغــداد ، وكانت على دجلة قريبة من النظامية ومن مدرسيها : علم الدين أبو الخير داوود الجيلى المدرس ، ومحمد أبو حامد البردى الشافعى . قال ابن

(١٠٦) ابن الفـوطى : الحـوادث الجامعة جـ ٤ ص ٣٨٥ والتلخيص جـ ٥ ص ٢٦٠ .

(١٠٧) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٠٨) محمد بن سعيد بن الدبيثى : (**المختصر المحتاج اليه**) تحقيق د. مصطفى جواد (مطبعة دار الدعان ــ بغـداد ١٣٧١ هـ/١٩٥١ م) جـ ١ ص ١٦٢ وابن الساعى : الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢١٩ .

(١٠٩) ابن الجـوزى المنتظم جـ ١٠ ص ٢٣٤ .

الجـوزى : « ... واخـذت مدرسة كانت للحنفية وقـد كانت قـديما للشافعية وهى بالموضع الأسمى بـبـاب المدرسة على الشط . وقـد حضرت فيهـا مناظرة يوسف الدمشقى وبيـده كانت وآل أمرها الى أن سلمت الى محمد البردى مدرس فيها وحضر قاضى القضاة وشيخ الشيوخ وصاحب البـاب ومدرس النظامية وابن سـديد الدولة كاتب الانشاء » .

٢١ ـ المدرسـة النجيبية(١١٠) : أو مدرسـة أبى النجيب السهروردى بالجانب الشرقى وهـو عبد القاهر بن عبد الله البكرى الصـديقى الشافعى من أشهر أعيان المسلمين ولد سنة ٤٩٠ هـ بسهرورد وتوفى ببغـداد سنة ٥٦٣ هـ ودفن بمدرسـة ولا يزال قبره ظاهرا هنـاك . قال ابن الجوزى عنه : « وكان ممن تفقـه ودرس بالنظامية وبنى لنفسه مدرسة ورباطا ووعظ مدة وكان متصوفا »(١١١) .

٢٢ ـ مدرسـة الشاشى(١١٢) : بناها للشافعى فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الأصـل الفارقى المولد البغـدادى . ولـد بميافارقين فى المحرم سنة ٤٢٧ هـ . وقدم بغـداد ولزم الشيخ أبا اسحاق الشيرازى وتفقه على أبى نصر ابن الصـباغ وانتهت اليه رئاسة الشافعية . وتولى التدريس بالنظامية ببغـداد من سنة ٥٠٤ هـ وحتى وفاته سنة ٥٠٧ هـ .

٢٣ ـ مدرسـة أبى شجاع(١١٣) : وكانت مدرسة للحنابلة بناها ببـاب الأزج عند باب كلواذا ودفن فيها . ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء ، وسبل الخير وكانت وفاته سـنة ٥٢٠ هـ .

٢٤ ـ المدرسـة القيصرية(١١٤) : وكانت على مقربة من رباط الشيخ أبى النجيب السهروردى وهى احـدى مدارس الجانب الشرقى أقام بها فخـر الدين النوقانى عندما قـدم الى بغـداد ودرس فيهـا من سـنة ٥٨٩ هـ وحتى وفـاته سـنة ٥٩٢ هـ .

(١١٠) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٧ .
(١١١) ابن الجـوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٢٥ .
(١١٢) المصـدر نفسـه جـ ٩ ص ١٧٩ .
(١١٣) المصـدر نفسـه جـ ٩ ص ٢٦٢ .
(١١٤) ابن الجـوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٤٥ .

٢٥ ــ مدرسة ابن الجوزى[١١٥] : أبى الفرج عبد الرحمن بن على المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهو مؤلف عدد كبير من الكتب منها : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . وكانت هذه المدرسة بالجانب الشرقى بدرب دينار . وجاء فى حوادث سنة ٥٧٠ هـ ان ابن الجوزى ابتدأ بالقاء الدروس فى مدرسته بدرب دينار فذكر يومئذ أربعة عشر درسا من فنون العلوم . ومن مدرسيها الشيخ أبو محمد عبد اللطيف بن سليمان الخياط .

٢٦ ــ المدرسة المستنصرية : وفى سنة ٦٣١ هـ ببغداد افتتحت المدرسة المستنصرية تلك المدرسة التى شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسى وجعلها موقوفة على المذاهب الأربعة وصار لكل مذهب من المذاهب السنية ركن خاص وله مدرسون وطلبة ، كما درست علوم الطب والأدوية فى هذه المدرسة العظيمة[١١٦] .

وقد جعل المستنصر لمدرسته هذه ميزة أخرى على المدارس الاسلامية وذلك أنه شرط أن يضاف الى مدرستيه الفقه والطب كما يذكر ابن الساعى دارين اخريين لعلمين مهمين من علوم الشريعة والاسلام أولهما دار القرآن والثانية دار السنة[١١٧] .

وظل التدريس بالمستنصرية قائما أربعة قرون منذ افتتاحها سنة ٦٣١ هـ الى سنة ١٠٤٨ هـ عدا فترتين من الزمن الأولى قصيرة جدا وكانت أثناء الاحتلال المغولى لبغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م حيث تعطلت المدارس والربط والمساجد كما يقول ابن الفوطى والثانية طويلة جدا وتبدأ من احتلال الجيوش اللنكية لبغداد بقيادة تيمورلنك .

وكان يدرس بها علوم القرآن والسنة النبوية وعلم الطب والعربية والرياضيات والفرائض وكلها فى مكان واحد يتألف من مبان عديدة ، أو متجاورة . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك فقد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة عن مدارس الفقه أو دور الحديث أو دور القرآن ، كالبيمارستان العضدى بالجانب الغربى من

---

(١١٥) المصدر نفسه ص ٢٥٠ .

(١١٦) د. حسين أمين : (**كتاب المستنصرية**) . مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٢١ .

(١١٧) د. ناجى معروف : (**تاريخ علماء المستنصرية**) . (مطبعة جامعة بغداد ـ العراق ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م) جـ ٢ ص ٢٥ .

بغـــداد ومدرســـة الطب التى انشأها أبو المظفر باتكين بالبصرة سنة ٦٢٩ هـ ق خلافـــة المستنصر ومدارس الطب فى دمشق(١١٨) .

وقــد اجمع المؤرخـــون على ان المستنصر رتب فى المستنصرية خزانة كتب من الكتب النفيســة فى أنواع العلوم المختلفة شىء كثير جــدا ... وجــد برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء ، ورتب لهم فيها الورق والكتابة عمن يريد النسخ(١١٩) .

وممـــا يدل على عناية المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وميله لاقتنائها وخزنها فى دور الكتب التى فى المدارس ما ذكره الصـــفدى قال : « وبيعت كتب العلم فى أيامه بأغلى الأثمان لميله الى اقتنائها وروعى فى تحصيلها . وانكبابه على مطالعتها وحسن خطوطها . ووقفها على أهـــل الفضل وخزنها فى المدارس وصنف الفضلاء فى دولته . يدانـــع المصنف فى فنـــون العلم وتقربوا باهـــدائها اليه »(١٢٠) .

٢٧ ـــ المدرســـة البشيرية : وفى بغـــداد شرعت زوجـــة المعتصم المعروف بباب بشير سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م ببناء المدرسة البشيرية بالجانب الغربى من بغداد فجعلتها وقفـــا على المذاهب الأربعـــة على قاعـــدة المدرسة المستنصرية وافتتحت فى سنة ٦٥٣ هـ وعـــدت المستنصرية قـــدوة لمؤسسى المدارس من الرجال والنساء فى العراق ومصر والشام والحجـــاز حيث شرعوا يبنون مدارسهم على صفتها من حيث الدراسة على المذاهب الأربعة(١٢١) . وحضر الخليفـــــة المستعصم واولاده فجلسوا فى وسطها . ومن مدرسيها سراج الدين النهرقلى أقضى القضاة وشرف الدين ابن عبـــد الله بن الجـــوزى ، ومحى الدين ابن الجـــوزى ونور الدين الخـــوارزمى الحنفى ، وعلم الدين الشارماحى ، وجمال الدين ابن العاقـــولى ، وصـــدر الدين محمد بن شيخ الاسلام . وصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحـــق ، وقاضى قضـــاة سراج الدين الهنائسى ، وعلم الدين اسماعيل بن على النحـــوى ، وشمس الدين الأصبهانى وعبد الرحمن ابن الكواز ، وتاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصـــلى قاضى الجانب الغربى من بغـــداد(١٢٢) .

---

(١١٨) ياقـوت الحمـوى :معجم الادباء جـ ١ ص ١٧٨ ، ٥٨ ، ٣٥٨ .

(١١٩) ابن قتيبة : (**عيـون الأخبـار**) الورقة ٢٣٩ ـ مخطوطة .

(١٢٠) الكتبى : (**الواق بالوفيـات**) جـ ٢٤ الورقة ١٢ من مخطوطة لنـدن .

(١٢١) د. ناجى معروف : (**تاريخ علماء المستنصرية**) . (طبعة جامعـــة بغـداد ـ العـــراق ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م) جـ ١ ص ٣٠ .

(١٢٢) ابن الفـوطى : الحوادث الجامعة ص ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٤٤٨ ، ٥٦٢ .

٢٨ — مدارس واســـط : لقـــد زخرت واســـط فى خلافة العباسيين بعـــدد كبير من المدارس ، ودور القـــرآن والمقرئين والمدرســـين وعـــدت من أهم المراكز لتدريس القرآن والقراءات المختلفة . وأصبحت المدن الكبرى والأقطـــار الاسلامية لا تخلو من واســـطى يدرس فيها القرآن وعلومه . أو مؤلف فى القراءات . كما كثرت فيها الربط التى كانت تؤدى خـــدمات ثقافية واجتماعية فى آن واحـــد . وقـــد وفـــد الى مدارسها كثير من الطلاب لطلب العلم فيها . ولعـــل من أشهرهم الفيروزابادى الصـــديقى البكرى صاحب القاموس المحيط . فقـــد وفـــد اليها من بلاد فارس ، ورحـــل بعـــد ذلك الى بغـــداد وغيرها(١٢٣) .

واشتهر من بين الأساتذة الكبار بواســـط : أبو بكر الباقلانى الذى قرأ القرآن بهـــا . وقرأ عليه الأدب والنحو القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى(١٢٤) ومن علمائها : عماد الدين القزوينى الأنصارى صاحب كتاب آثار البلاد واخبار العباد وكتاب عجائب المخلوقات . وابن الدبيثى الواسطى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وأبو طالب الكتانى المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكان يتولى الحسبة بواسط هو وأبوه(١٢٥) .

والقاضى أبو تغلب الواسطى ، وابن أخيه محمـــد بن الرشـــيدى وكان نظار مارستان واســـط(١٢٦) . وأبو بكر الفاروقى ، والداعى الرشيدى والبدر عبد الجبار ابن المجـــد محـــدث واســـط وفقيهها ، وعبد الله بن عبد المؤمن التاجر الواســـطى الذى أقرأ الناس ببغـــداد وواســـط والبصرة والبحرين ، والذى صنف كثيرا من كتب القراءات والمقرىء أبو العز القـــلانسى وأبو الحسين بنان بن محمد بن حمدان الحمال ، ويزيد بن هارون وكان عالمـــا عابدا مقرئا محـــدثا ... الخ(١٢٧) .

ان ظهـــور الحركة المدرســـية فى المشرق(١٢٨) فى عهـــد الوزير نظـــام الملك السلجوقى عامة وفى العراق خاصـــة وما تبعها من تطـــور لتلك الحركة وتوســـيع وتنظيم ، كان لـــه الأثر الكبير فى انتقال تلك الفكرة الى الأقطار الاسلامية ولا سيما الى مصر والشام . ويجـــد الباحث المدقق أن هناك الكثير من المدارس التى بنيت فى

---

(١٢٣) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٢٦٤ .

(١٢٤) ياقـــوت الحمـــوى : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٢٥٩ .

(١٢٥) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه جـ ١ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١٢٦) المصـــدر نفســـه جـ ١ ص ١١٠ .

(١٢٧) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٢٦٤ .

القاهرة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى سار على غرار سياسة نظام الملك السلجوقى فى نشر المدارس الاسلامية والعمل على تشجيع تشييدها .

ومما لا شك فيه أن المدارس التى نهضت فى بغداد وانتشرت انتشارا واسعا كانت تخدم فكرة نشر المذهب السنى والعمل على تقويته والدفاع عن أصحابه . وان انتقال الفكرة المدرسية الى مصر أيام الحكم الفاطمى معناه العمل فى مصر على اضعاف الدولة الفاطمية الشيعية وفعلا عملت المدارس السنية وخاصة تلك التى انشأها صلاح الدين الأيوبى وعملها المؤثر البالغ فى اظهار المذاهب السنية . فلا غرو اذن أن الاتصال السياسى والاقتصادى والثقافى الذى كان يسود المنطقة الاسلامية وعلى الأخص العراق ومصر كان عاملا مهما فى نقل الفكرة المدرسية الى القاهرة وضعف وانزواء المذهب الشيعى الذى كان المنقذ والمسيطر على مصر بأسرها ، ولعل هذه من النتائج الكبيرة للعلاقات الثقافية التى كانت سائدة بين القاهرة وبغداد والتى كانت حصيلة نشر المدارس فى أرض الكنانة(١٢٩) .

وقد أدت الحركة العلمية التى يعتبر بيت الحكمة لولبها الى ازدياد طلب المعرفة من قبل فئات لا يستهان بها من الناس الأمر الذى أدى الى الاقبال على شراء الورق ، لذا أسست مصانع الورق فى عهد الرشيد فى بغداد(١٣٠) ثم انتشرت صناعته فى أنحاء البلاد العربية وقبل ذلك كان يكتب على ورق البردى أو على الرفوف من الجلود أو العظام أو أى شىء . ووجدت حوانيت الوراقين بكثرة وخاصة فى خلافة المأمون(١٣١) وكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقافة العربية(١٣٢) .

---

(١٢٨) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربى عـ ١٤ ص ٢٠ بغداد ـ العراق .

(١٢٩) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ١٤ ص ٢١ ، ١٩٨٠ م .

(١٣٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦٥ .

(١٣١) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول جـ ١ ص ٣٥٨ .

(١٣٢) د. ناجى معروف : (أصالة الحضارة العربية) دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ط ٣ ، ١٩٧٥ م) ص ٤٤١ .

ثالثا — أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية :

أضحى من المسلم به أن المكتبة برسالتها ، وهدفها عدت صورة حية صادقة للأمم وتقدمها ، ومظهرا حضاريا بمدى اهتمام الشعوب بالفكر ، وصيانة آثاره من العبث والضياع ، فضلا عن الدور الذى تؤديه لحفظ ما خلف السلف من كنوز المعرفة ، وثمار القرائح ونتاج العقل .

ففى العصر العباسى الأول انتشرت الكتابة ، وكثر التأليف ، واشتدت الحاجة الى معرفة ثقافة الشعوب العريقة التى غلبت على أمرها ، وباتت الترجمة عملا منظما تشرف عليه الدولة وترعاه ، وأصبح النقلة شبه موظفين يختارون لهذا العمل بالنسبة لثقافاتهم ومعارفهم . ويعينهم الخليفة ويجرى عليهم المال ، مما ساعد على انتشار الكتب المنقولة عن اللغات ، واتساع حركة التأليف والتدوين والنسخ ، وانشاء المكتبات لتستوعب هذه المجلدات الكبيرة وتعين على استمرار حركة الثقافة والمعرفة(١٣٣) .

فالأمة التى لا تولى الكتاب والمكتبة كل عنايتها هى أمة متخلفة من العسير أن تتبوأ مركزها فى موكب الحضارة ، وكل نهضة لا تقوم على أساس من التخطيط المعتمد على الكتب والمكتبات كأداة فعالة وأساسية فى هذه النهضة يتهددها الفشل .

وفى خلافة العباسيين اختلف الأمر عما كان عليه فى صدر الاسلام حيث اعتنى العرب فى العصر العباسى بفن التدوين ، ووضعت مسانيد الحديث فألفت الكتب فى كل صقع واهتموا حينئذ بانشاء دور الكتب وهى عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص احد جوانبها لمطالعة الكتب ونسخها وتكون هذه الدور موئلا للعلماء والباحثين يناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع وتقوم تلك الدور أحيانا بصورة عرضية بمهمة تعليمية ولا سيما أن بعض روادها يقصدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وأن القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد ويمكن تصنيف خزانات الكتب التى ظهرت فى هذه الفترة الى ثلاثة أصناف :

(أ) خزانات عامة : وهى خزانات الكتب الملحقة بالمدارس والمساجد والربط والبيمارستانات وكانت تعير الكتب للطلاب وأصبح لهذه الخزانات نظام تسير عليه الادارة للاعارة والاستنساخ .

---

(١٣٣) عبد الله أنيس الطباع : (علم المكتبات — الادارة والتنظيم) . (دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ط ١ ، ١٩٧٢ م) ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(ب) خزانات خاصة : وهى الخزانات الشخصية التى كانت فى بيوت الخلفاء والولاة والعلماء والأدباء والأثرياء من الناس .

(جـ) خزانات بين العامة والخاصة : وكان استعمالها مقتصرا على طبقة معينة من العلماء والطلاب ومن أشهر الخزانات فى ذلك العهد خزانة بيت الحكمة التى انشاها الرشيد وازهرت كثيرا فى خلافة ابنه المأمون وقد حوت هذه الخزانة العديد من الكتب القيمة ، وكان فيها الى جانب الكتب العربية المخطوطات الفارسية والسريانية واليونانية وغيرها(١٣٤) .

وكانت هذه الكتب تعار متابل رهن حافظ لقيمتها مما ساعد الطلاب على الاستفادة من هذه الكتب ، أما ادارة خزائن الكتب فكان يتولاها أحد العلماء المشهورين ويطلق عليه الخازن ويساعده فى ذلك المشرفون والمناولون وقد خصصت لهم الرواتب والجرايات .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بغداد تجتذب الطلاب العديدين من مختلف الجهات ولم تكن الدراسة فى معاهد بغداد قاصرة على الناحية النظرية بل كانت هناك أيضا دراسات عملية تعالج أهم النظريات فى الكيمياء والطب والهندسة ، ولعل احصائية القرن العاشر فى عصر المقتدر بالله تبين لنا عدد الأطباء الذين كانوا يمارسون المهنة بعد حصولهم على شهادات رسمية فى الدراسات الطبية قد وصل ٨٦٠ طبيبا . وبجانب هذا العدد الكبير كان يوجد أكثر من ٢٠٠ طبيب يمارسون العمل بدون شهادات وذلك بسبب خبرتهم الطويلة وبسبب أنهم كانوا أطباء فى قصور الخلفاء . وقبل عمل هذه الاحصائية بقليل كان عدد الأطباء المسلمين فقط الذين يعملون فى قصر الخليفة المتوكل ستة وخمسين طبيبا(١٣٥) .

وكان المأمون أول من أبرز فكرة بيت الحكمة للوجود وكان سخيا فى الانفاق عليها وعين لها جلة العلماء للاشراف عليها ورتب لهم المرتبات والأجور السخية فانتشرت فكرة المأمون هذه بين من جاء بعده من الخلفاء والعظماء(١٣٦) فأصبح

---

(١٣٤) محمد سعيد الطريحى : خزائن الكتب الاسلامية القديمة فى الكوفة ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ٣

(١٣٥) د. حسن عون : (**صور ملهمة من واقع المجتمع العربى**) (دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ بدون) ص ٢٥٠ .

(١٣٦) Sayed Ameer Ali : **Short History of Saracens**, p. 274.

من ضروريات انشاء معهد ثقافى أو مدرسة أن يعين لهـا وقف ثابت تتلقى فيه ما يفى بنفقاتها وما يمـدها بمـا تحتاجه من مصروفات ثم تطور هـذا الاتجاه فظهرت الأوقاف أيضا على الذين يشغلون أنفسهم بخـدمة العلم فى المساجد بل ان بعض الأركان والأعمـدة بالمساجد كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف ريعها الى من يجلس بها للتدريس والتعليم(١٣٧) .

وقـد قـدر للخلفاء العباسيين أن يجمعوا فى بيت الحكمة كل الكتب التى نقلت من أنقره وسائر بلاد الروم ، وأن تنشر فى زمنهم مجموعة كبيرة من الكتب المنقولة من اللغـات العالمية المعروفة مثل السريانية واليونانية والفارسية والهندية فى ذلك العصر من علوم الطب والفلك والحكمة والآداب والقصص وغيرها ، هـذا فضـلا عن المؤلفات العربية الجـديدة التى انتجها علماء العربية فى شتى انواع العـلوم القرآنية واللغة والنحو والتاريخ وسائر الفروع الأخرى(١٣٨) .

فكان هارون الرشيد شـديد الحرص عليها ثم جاء من بعـده ابنه المـأمون فزاد فى عـددها كما ونوعا حيث أصبحت المكتبة تنطق بفضله وتشهد للعباسـيين بمكانتهم العلمية ومركز دولتهم الحضارى وأثرت فى التراث العربى الاسلامى بهـذه الكتب(١٣٩) .

واهتم الخلفاء العباسيون بتعليم الرعية ولم يلبث أن جعل من التربية واجبـا ترعاه الدولة فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبلغ ضئيل يقـدر على دفعـه دون مشقة ، ومنذ أن بدأت الدولة تعين المعلمين بالمدارس أمكن الفقراء أن يعلموا أولادهم مجـانا ولقـد افادت حركة التعليم من التنافس السياسى بين المعارضة وأحزاب الحكومة وبدأت أحزاب المعارضة تضع فى برنامجهـا من قبيل الدعاية انشاء تعليم عال لكل طبقـات الشعب ومدارس عليا تشبه الكليـات فأنشأت المدارس العليا فى كافـة المدن الكبيرة(١٤٠) .

ونستطيع القـول بأن التسامح الدينى الذى كان سائدا فى أنحاء العـالم

---

(١٣٧) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٦٥ .

(١٣٨) د. عبد الجبار الجومرد : (هارون الرشيد) . (المكتبة العمومية – بيروت – لبنـان ، ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٣٩) عبد الله أنيس الطباع : علم المكتبات والادارة والتنظيم ص ٢٠٦ .

(١٤٠) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٢ .

الاسلامى فى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية كان كبيرا جدا ولنا ان نشير هنا الى أقوال كثير من كبار المؤرخين الذين أعجبوا أيما اعجاب بهذا التسامح الذى كان فى ذلك العصر من المستحيلات فى غير الدولة الاسلامية ، يقول الأستاذ سيديو « ان المذهب النسطورى المسيحى قد تغلغل وانتشر فى الأجزاء الشرقية من آسيا تحت الحماية العسكرية الاسلامية . ويعجب الأستاذ « دريبر » ان النساطرة لم يسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية فحسب بل ان العرب قد عهدوا اليهم أحيانا بتثقيف أبناء العائلات الكبيرة . ويقول بأن هذا الموقف تحرر مذهل اذا قيس بتعصب أوروبا . وهذ االتحرر قد جعل هارون الرشيد يقلد يوحنا بن ماسويه وهو نسطورى مشرفا على التعليم فى عصره ، أما المأمون فكان مجلسه يتالف من ممثلين لجميع الطوائف التى تدين بملكه . ويذكر الأستاذ دوزى مبرهنا على حرية التفكير فى ذلك العصر قصة نقلها عن أحد علماء الكلام العرب يروى فيها كيف كان يحضر فى بغداد دروسا كثيرة فى الفلسفة يشترك فيها يهود وزنادقة ومجوس ومسلمون ونصارى . ويخبرنا أن الحضور كانوا يستمعون الى كل منهم باحترام عظيم وأنه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الأدلة الصادرة عن العقل لا الى الأدلة المأخوذة من أى كتاب مقدس .

ولا غرو اذن أن يسمح الخلفاء والأمراء المسلمون للنصارى واليهود أن يتقلدوا مناصب الدولة كالمسلمين تماما(١٤١) . وذلك سهل لبيت الحكمة القيام بأكبر مجهود فى ترجمة العلوم الفلسفية والمعارف القديمة وفى حدود منتصف القرن التاسع الميلادى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم(١٤٢) .

ونهض التعليم العالى على وجه الخصوص حينما اهتم الخلفاء العباسيون بحركة النقل ومن أساتذة بيت الحكمة نستنتج ونحكم على مستواها العلمى من مقدرة أساتذته ومديره اذا نظرنا الى منهج التدريس فى الحكمة وجدناه راقيا جدا فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والموسيقى(١٤٣) فاذا كان هذا خريج بيت الحكمة وقد أنهى هذه العلوم فلا ريب فى أن ذلك المعهد كان يساوى الكلية فى يومنا هذا .

---

(١٤١) جلال مظهر : (**الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمى الحديث**) . (مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٩ م) ص ٥٧ .

(١٤٢) جلال مظهر : (**علوم المسلمين أساس التقدم العلمى للحديث**) . (الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ م - عـ ٢٤٧) ص ١١ ، ١٥ .

(١٤٣) د. عبد المنعم ماجد : (**تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى**) . (مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٦٣ .

ولعل من آثار تقدم الحضارة العربية وازدهارها أن التعليم كان حرا من كل قيد اللهم الا الميل والرغبة . هذا يهوى العلوم الشرعية فيتجه اليها وذاك يعشق الحديث فيرحل لطلبه من رجاله وثالث يميل الى علم الكلام أو التصوف أو الطب او الرياضيات فيتعمقها . وأفضل دراسة ما كانت عن ميل أصيل فى النفس(١٤٤) ، ونشأت علوم جديدة مثل علوم التفسير والحديث واللغة ، فلما اتسعت دائرة العلوم اتسع بطبيعة الحال مجال التدريس وشمل هذه العلوم ايضا ، ولما كان الاسلام دينا واقعيا حض المسلمين على الاستزادة من العلم ولم يضع أى عقبات فى هذا السبيل فكان طبيعيا أن تستمر هذه المدارس وأن تنشأ مدارس جديدة وأن يستفيد المسلمون منها ومن علمائها فى وضع حجر الأساس للحضارة العلمية الاسلامية التى بلغت ذروتها فى عهد الخلفاء العباسيين ، وقد كان لبيت الحكمة القدح المعلى فى ازدهار الحركة العلمية فيها .

وكان المأمون مثالا فى انشاء المكاتب فى الممالك الاسلامية كما كان مثالا فى سائر اسباب النهضة العالمية ، فقد اقتدى به كثيرون من الوزراء والأمراء داخل بغداد وخارجها فقد اقيمت دور كتب أخرى كثيرة فى بغداد وجمع لها من الكتب آلاف مؤلفة فكانت هذه الدور جميعها ركنا من أركان النهضة العلمية فى الدولة العباسية(١٤٥) .

وفى الأندلس تشبه بنو أمية بالمأمون فأخذوا فى انشاء دور الكتب وملئها بأنفس الأسفار وعجيب المخطوطات وأشبههم به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة سنة ٣٥٠ هـ وكان محبا للعلم والعلماء وقد انشأ فى قرطبة دار كتب كبيرة وجمع اليها الكتب من جميع الجهات وكان يرسل التجار لشرائها من أسواق العالم ويحضهم على كثرة البذل والعطاء .

واقتدى بخلفاء بغداد الخلفاء الفاطميون بمصر فبدأ العزيز بالله ثانى خلفاء الفاطميين بجمع الكتب فى عصره وخصص لها قاعات سماها خزائن الكتب ويقدر رجال التاريخ عدد أسفارهم بألف مجلد ثم دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر

---

(١٤٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : (**الكندى فيلسوف العرب**) . (وزارة الثقافة والارشاد القومى - القاهرة عـ ٢٦ اعلام العرب) ص ٣١ .

(١٤٥) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠٨ .

الله بن العزيز بالله سنة ٣٩٥ هـ بجوار القصر الغربى بالقاهرة ويقـــدر ما كان فيها من الكتب بنحـــو مائة الف مجلد وهى غير خزانة العزيز أو خزائن القصور(١٤٦) .

(١٤٦) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١١ ، وقـد كانت دار العلم الحاكمية أكبر معهد علمى شهده القرن الرابع الهجرى بناها الحاكم بأمر الله الفاطمى ليجعلهـــا منافسة لدار الحكمـــة فى بغـداد ٠ (محمد عبد الرحيم غنيمة) (**الجامعات الاسلامية الكبرى**) (المغرب ــ تطوان ١٩٥٣ م) ص ٥٩٥ ٠

الفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة



١ ــ عمــل المدرســين فى بيت الحكمــة .

٢ ــ رواتب المدرســين فى بيت الحكمــة .

٣ ــ المواد الدراســية التى تدرس فى بيت الحكمــة .

اولا ــ عمــل المدرســين فى بيت الحكمــة :

ويحس الرشيد بقيمة العلم ومكانته ، وقــدره واحترامه فلا يسعه الا أن يدعو افاضــل العلماء ان يتعهدوا أبناءه بالتربية والتهــذيب والتقويم والتثقيف وهــذا خلف الأحمر يتولى ذلك مــع الأمين فترة من الزمن ، ثم يحل محله بعــد ذلك الكسائى وكذلك يدفــع بالمــأمون الى اليزيد ثم سيبويه ، وممــا يعتبر دستورا للمربين أو نبراسا هاديا للأساتذة لتكون تربيتهم للناشئة على أصــول مرعية ، ذلك الخطاب الذى كتب به الى الأحمر ليجعله عماده فى السير مع الأمين فى ساحات العلم ، وباحات المعرفة ، دون أن يرهقه ، أو يدخل عليه الكراهية والملل . . قال : « يا أحمر ، ان أمير المؤمنين قــد دفــع اليــك بمهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، وفلذة كبده ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن لــه بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخــذه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفــع مجالس القواد اذا حضروا عنده ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنــه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباها فعليك بالغلظة والشدة »(١٤٧) .

وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ويحرصون على تعليم أولادهم بواسطة نخبة من رجالات عصرهم ، فالمنصور ضم الشرقى بن القطامى الى ابنه المهدى(١٤٨) . وقــد حضر بعض أولاد الخليفة المهــدى عند شريك القاضى (١٧٧ هـ) وهــو يلقى الدرس على طلابه ، فاستند ابنه المهــدى الى الحائط وسأل عن حــديث فلم يلتفت اليه شريك . ثم عاد وسأل فعاد شريك الى اهماله فقال ابن الخليفة : تستخف بأبناء الخلفاء ؟ قال : لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه(١٤٩) . ومر مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ونادى محمد بن الحسن ، فذهب هــذا لمقابلة الرشيد فلمــا عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألنى الرشيد : مالك لم تقم مــع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى طبقــة العامة ، فسر باجابتى(١٥٠) .

---

(١٤٧) المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على : (**مروج الذهب**) (القاهرة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٣٨ م) جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(١٤٨) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٧ .

(١٤٩) ابن جماعة ، بدر الدين : (**تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم**) . (حيدر أباد ١٣٥٣) ص ٨٨ ، ٨٩ .

(١٥٠) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ويحكى بالمر[151] : أن ابا معاوية العالم الأعمى كان يتغدى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغداء فأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن الذى فعل ذلك هو الرشيد نفسه على كثرة خدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، انى أعتقد أنك فعلت هذا تكريما للعلم ، فأجاب الرشيد : هو كذلك .

وقد اهتم الخلفاء والعظماء بمؤدبى أولادهم اهتماما عظيما وارتفعوا بمستواهم الاجتماعى الى درجة تناسب مكانتهم من الأمراء وولاة العهود ، فقد كان على بن الحسن الأحمر (١٩٤ هـ) حينما اختير لتأديب الأمين يعيش معه فى حجرة واحدة فى حى متواضع من أحياء بغداد فسرعان ما نقله الرشيد الى مستوى اجتماعى رفيع يصفه محمد بن الجهم : كنا اذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرا من قصور الملوك ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب الملوك[152] .

ومن سمو مكانة المعلم واحترامه من تلاميذه ما حدث ابن محمد بن اسحاق النديم قال : « قرأت بخط أبى الطيب ابن أخى الشافعى قال : أشرف الرشيد على الكسائى وهو لا يراه فقام الكسائى ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون ، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رأسيهما وأيديهما ثم أقسم عليهما الا يعاودا فلما جلس الرشيد مجلسه قال : أى الناس أكرم خدما ؟ قالوا : أمير المؤمنين أعزه الله ، قال : بل الكسائى ، يخدمه الأمين والمأمون ، وحدثهم الحديث »[153] . اما الخليفة المأمون فيعلل لما أثر عن بعض المعلمين من بلادة وتخلف بالعبارة الآتية : « وكان الكندى أقرب الى المعتصم بالله ، فهو مؤدب ابنه ، واليهما كتب كثيرا من رسائله » .

روى المقريزى « أن الخليفة المعتضد بالله هو الذى ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ الى ٢٨٩ هـ/٨٩٢ الى ١٠٩٢ م بنى بجوار قصره فى الشماسية ببغداد دورا ومساكن ومقاصير ورتب فى كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم

---

(١٥١) Palmer, E. : **(Harun Rashid)**. (Marcus Ward, 1881) p.32.

(١٥٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٥ ص ١١٠ .

(١٥٣) ابن النديم : الفيرست ص ٦٥ .

النظرية والعملية وأجرى عليهم الأرزاق السنية »[154] ليقصد كل من اختار علما وصناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه .

وكان المعتضد يطوف يوما فى البستان وهو آخذ بيد ثابت بن قرة اذ جذبها دفعة واحدة وخلاها فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ فقال المعتضد : كانت يدى فوق يدك والعلم يعلو ولا يعلى عليه[155] . نصح أحد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها : وأعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتألفة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدك لما تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الأشياء[156] .

وقيل لأحد أكابر الخلفاء « قد حقق الله لك كل مرغوب ومأرب فهل بقيت لك لذة أو بغية لم تنلها ؟ فقال : نعم بقيت لذة واحدة هى أعلى من جميع ما نلته ، وأفخم من كل ما باشرته ، بل لم تقرب منها ، فضلا عن أن تساويها لذة من لذات الدنيا ولا مرتبة من مراتب الخلافة العليا ، وهى أن أجلس مجلسا كمجلس مشايخ الحديث فأملى وأشرح وأفيد »[157] .

وكن أبو الأسود الدؤلى يقول : ليس اعز من العلم ، والملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك[158] .

وقال الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتى العزام
وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

هذه الأمثلة القليلة نماذج لتراث ضخم يتحدث عن قدر العلماء ومكانتهم

---

(١٥٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .

(١٥٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ٣١٠ .

(١٥٦) **مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول** ، ورقة ٣٧ ب ، مخطوط .

(١٥٧) ابن حجر : **معجم ابن حجر** (دار الكتب المصرية ، ٢٥ مجاميع م ، ٨ ب) .

(١٥٨) الذهبى ، الامام أبو عبد الله شمس الدين : (**تذكرة الحفاظ**) (دار احياء التراث العربى – بيروت – لبنان ١٣٧٤ هـ) ص ٢٠ .

السامية وهى وسواها تدل بوضوح على المنزلة الرفيعة التى كان ينزلها من نفـــوس النـــاس هــؤلاء العلماء والمدرسون .

وقبل انشاء المدارس كانت قصـــور الخلفاء ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات يحج اليها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض ، وجاء وقت كان كل طالب علم يجـــد معهدا يتعلم فيه ، ومعلما يقوم على تعليمه ، وراتبا يقوم بأوده . وكان الجامع المنصور فى بغـــداد ، والجامع الأموى فى دمشق ، والجامع الأزهر فى القاهرة وجامع القيروان فى تونس ، وجامع القيروان فى فاس وجامع قرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير بصنعاء ، الى جانب بيت الحكمة فى بغـــداد ودار العلم بالموصل ، ومكتبة ابن صـــوار بالبصرة ومكتبة ابن الشاطر بالشام ، ودار الحكمة بالقاهرة كانت جميعها بمثابة معاهـــد للعلم فى أرقى صـــوره وكانت فى رعاية الخلفـــاء والحكام(١٥٩) .

وكان من مظاهر النهضة الثقافية والعلمية فى العالم الاسلامى والعناية بوسائلها الحرص على تأسيس المدارس والمكتبـــات . ولقـــــد بدأ التدريس أول الأمر فى المساجد والجوامع ، كما كان يجرى أحيانا فى بيوت المدرسين الخاصة ثم صـــار يعد لـــه دور علم خاصة يؤسسها الخلفاء والولاة وكان يطلق عليها اسم بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة(١٦٠) وصواوين الحكمة . وكانت هـــذه أساسا دور كتب وجـــد فيها أيضا مدرسون وعلماء بالاضافة الى التراجمة والنساخين والمجلدين .

وكانت الشهادة أو الاجازة يمنحها الأستاذ للتلميذ أن يفرغ الطالب من دراسة كتاب أو موضوع يجيز لـــه تدريسه ، ويشرف على ادارة المدرسة ناظر يتولى ادارة شئونها ، ويعاونه المشرف أو المعاون والمسجل أو الكاتب وأمين المكتبة الذى يتولى شـــئون خزائن الـــكتب .

فدار الحكمة كان يتردد عليها أفاضـــل العلماء أمثال محمد بن موسى الخوارزمى الفلكى ويحيى بن أبى منصور المولى الراصـــد المشهور والبلاذرى (أحمد بن يحيى ابن جابر) مؤلف « فتـــوح البلـــدان » الذى يتحـــدث عن الأحـــوال الاقتصـــادية

---

(١٥٩) د. عبد الحليم منتصر : (**أثر العرب فى النهضة الأوروبية**) (الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر – القـاهرة ١٩٧٠ م) ص ٢٠٥ .

(١٦٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ .

والعملة والنقـود العربية وكتاب « انساب الأشراف » الذى يشرح الأنساب والأعمال التى يقـوم بها ذوو النفـوذ والجاه فى عصره[١٦١] .

والمربون المسلمون قـد عرفـوا الطريقة الحـوارية التى ينسبها المربون المحـدثون الى الفيلسوف اليونانى سقراط ، فطـوروها وطبعـوها بطابع دينهم واخلاقهم وبنوا عليها طريقة المناظرة التى تعتبر بحـق من مميزات التربية الاسلامية ... وكان لاشـتداد حركة الاعتزال فى عصر المـأمون وخـلافها أثرها على المذاهب الأخـرى[١٦٢] .

وكثر اهتمام العلماء فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم والسبب فى ذلك « ان الناس يأخـذون معارفهم تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة »[١٦٣] .

ومن العـوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية أن الخلفـاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل نقـل هـذه الكتب ، ويرغبون النقلة وغيرهم بالبـذل والكرم بقطع النظر عن مللهم ونحلهم أو انسابهم حتى أن صاحب كشف الظنون يقول : فى هـذه المناسبة « والحـق أن أعظم الأسباب فى رواج العلم وكساده رغبـة الملوك فى كل عصر »[١٦٤] .

وثمة عامل آخر كان لـه القـدح المعلى فى نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق ، فمما لا شك فيه ان حركة العلم وتدوينه فى العصر العباسى ما كانت تصـل الى ذلك القـدر من الرقى لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو النـدرة[١٦٥] . فالتعليم مدين لصـناعة الورق الـذى به أثرت الكتب والمكاتب وخزائنها وأصبحت مصدرا عظيما للثقافة فساعدت المتعلمين على ارتشاف مناهل

---

(١٦١) محمد الحسينى عبد العزيز : (**الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية**) . (وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٣ م) ص ٦١ .

(١٦٢) د. عمر محمد التومى الشيبانى : (**فلسفة التربية الاسلامية**) (الشركة العربية للنشر والتوزيع – طرابلس – ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م) ص ٤٤٥ .

(١٦٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : **الحواضر الاسلامية الكبرى** ص ٢٤٤ .

(١٦٤) حاجى خليفة : (**كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون**) (طبع دار المعارف التركيـة ١٩٤١ م) جـ ١ ص ٣٩ .

(١٦٥) أحمد أمين : ضحى الاسـلام جـ ٢ ص ٢١ .

العلم وربمـــا كان تأثير استعمال الورق فى خلق النهضة العلمية فى الاســـلام مثل تأثير الطباعة فى اوروبا فى أواخر العصور الوسطى .

ان خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل كان لاستنباط الدولة العباسية ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية عظيمة كان لهـــا أثرها فى الشرق(١٦٦) .

وكان للمدرسين دور سياسى الى جانب وظيفتهم التعليمية فلم يقتصر المدرسون على ان يكونوا مجرد معلمين مجهزين لموظفين فحسب بل صارت لهم أهميتهم فى مجال السياسة الداخلية والخارجية كما كان يختار منهم فى كثير من الأحيان رجال الدولة والادارة كالولاة وأصحاب الشرطة والوزراء والشعراء وغيرهم كما كانوا بمثـــابة مستشارين للولاة والأمراء . وازداد نفـــوذ المدرسين بفضل سلطانهم الأدبى والروحى فعظمت منزلتهم بين الناس فى حياتهم وبعـــد موتهم ومن ثم استطاعوا أن يوجهـــوا الرأى العام . واستغل الولاة هـــذه المنزلة فعنوا بتقريب المدرسين حتى يضمنوا كسب الرأى العـــام واستقرار الأمور(١٦٧) .

واكتسب العباسيون ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم وفتحـــوا الأبواب على مصراعيها لنبوغ الأعاجم وما يستدعى الانتباه أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والتعليم كانوا من الموالى(١٦٨) .

وقـــد عقد ابن خلدون فى المقـــدمة فصلا عن أن « حملة العلم فى الاســـلام اكثرهم من العجم »(١٦٩) . ولهـــذا فقـــد غـــدا النـــاس جميعا من الخليفة الى أقـــل أفراد العامة شأنا طلابا للعلم وعلى الأقـــل أنصارا للأدب فكانوا يجوبون ثلاث قارات سعيا وراء موارد العلم والعرفان ثم يعـــودون الى بلادهم كالنحـــل يحملون الشـــهد الى جمـــوع التلاميذ المتلهفين اليه(١٧٠) .

---

(١٦٦) محمد عبد الجـواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٦ ، ٥٧ .

(١٦٧) د. حسن الباشا : (**دراسات فى الحضارة الاسلامية**) . (دار المعـــارف بالاسكندرية ـ ١٩٦٨ م) ص ١٠١ .

(١٦٨) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ٢ ص ٢٣٩ .

(١٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٦٣٦ .

(١٧٠) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى ج ٢ ص ٢٤٠ .

وتأثر المسلمون بالعلوم التى نقلت الى اللغــة العربية فلم تكن تعرف لديهم حتى أخـــذوا فى درسها والاشتغال بها ، وكان اشتغالهم بها فى أول الأمر لا يتعـــدى النظر والتلخيص والشرح حتى كسبوا ملكاتها ونضج تمدنهم وانتشرت العلوم فى البلاد ، اخـــذوا يتدبرون كل علم يدرسونه منها ويحققون مسائله بكل ما أوتوا من قـــوة وعقل وصحة وفهم فأصبحت العلوم عمـــدتها النظر والقيـــاس والتحليـــل والتركيب(١٧١) .

(١٧١) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ج ٤ ص ١٧٤ .

ثانيا — رواتب المدرسين فى بيت الحكمة :

لم يكن المدرسون فى صدر الاسلام يأخذون اجرا على تعليمهم حتى اذا امتدت واتسعت الحضارة وبنيت المدارس واوقفت الأوقاف جعل للمدرسين فيها رواتب شهرية معلومة واصبح لهم رواتب تختلف بين الكثرة والقلة بحسب الأمصار والمدارس والأوقاف ولكنها على كل حال كانت كافية ليعيش المدرس عيشة هانئة . فالأجر ضرورى فى نظر القابسى فوجه الضرورة « أنه لو اعتمد الناس على التطوع لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هى الضرورة القائدة الى السقوط فى فقدان القرآن من الصدور والداعية الى تثبت اطفال المعلمين على الجهالة »(١٧٢) .

والقابسى ينظر الى الواقع لا يتطلب المثل العليا العسيرة المنال فهو يريد معلما ورعا تقيا مخلصا فى عمله وفى دينه وفى سلوكه يقوم فى التلاميذ مقام الوالد من ولده ويأخذ الصبيان بالشفقة والرحمة والسياسة والحكمة ويبصرهم أحوال دينهم ويحفظهم كتاب الله وسنة رسوله حفظا للدين من الضياع ولم يضن القابسى على المعلم فى سبيل ذلك بالأجر لحفظ المعاش وكسب الضروريات للحياة(١٧٣) .

ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وذيوعها وامتدادها الى أبعد الحواضر ما كان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، ولا شك أن الأمن الموفور والمستوى المعاشى المرتفع والتشجيع الكبير الذى يظفر به الرحالون من الولاة كان لـه أثره العظيم فى اشتداد الرحلة الى الأمصار وامتدادها الى بلاد الشام فأرسل المأمون بعثة القسطنطينية لاحضار الكتب ورحلة حنين بن اسحاق الى بلاد الروم ليتمكن من اللغة اليونانية(١٧٤) .

ونرى أن المأمون قد استعان بأفراد كثيرين من غير المسلمين ليخدموا النهضة العلمية وليقوموا على وجه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا ابن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم وكانوا يمنحون اجورا سخية على القيام بهذا العمل . ويذكر البروفسور أمان الله خان فى بحثه

---

(١٧٢) د. أحمد فؤاد الأهوانى : (**التربية فى الاسلام**) . (دار المعارف بمصر — القاهرة ١٩٧٥ م) ص ١٨٤ .

(١٧٣) المرجع نفسه ص ١٩٢ .

(١٧٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٦٩ .

عن « المـــأمون وبيت الحكمة » أن المترجمين والموظفين فى بيت الحكمة كانوا يتقاضون رواتب شهرية ما يعادل تقريبا ٢٥٠٠ روبية باكستانية بالاضافة الى ان المـــأمون كان يدفـــع مقابل كل كتاب يترجم وزنه ذهبا(١٧٥) .

وقـــد قرب الخلفاء اليهم بعض العلماء الذين اشتهروا فى عصرهم وأقاموا على تعليم ابنائهم وتأديبهم فأجزلوا لهم العطاء ومن أمثال هـــؤلاء : الكسائى على بن حمزة ، وأبو زكريا يحيى بن زياد حظى عند المـــأمون وعهد اليه بتعليم ابنيه النحـــو وله مؤلفات فى النحو واللغـــة(١٧٦) وابن السكيت وأبو يوسف يعقوب بن اســـحاق وكان يؤدب ولـــد جعفر المتوكل .

وارتفعت ثقافـــة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مـــع الفقهـــاء ومـــع العلماء ومـــع الندماء وكان البعض يأخـــذ أرزاقا فى هـــذه الطوائف كلها ، كالزجاج (٣١٠ هـ) فقـــد كان لـــه رزق فى الندماء ، وفى الفقهاء ، وفى العلماء ، ومبلغ ذلك ٢٠٠ دينار كل شهر(١٧٧) .

وقـــد أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قـــدم بغـــداد فقيرا(١٧٨) . وعندما أنشئت المدارس وعين المدرسون بها كان هـــؤلاء يتناولون مرتبات شهرية منتظمة من الخزانة العامة أو من ايراد الأوقاف التى كانت عادة تعين لينفق من ريعها على هـــذه المنشآت ، وقـــد كانت هـــذه المرتبات تختلف باختلاف مكانة المدرس وريع الوقف ، ولكنهـــا كانت على العموم أميل الى الجـــود والسخاء .

(١٧٥) Dr. Amin Allah Khan : Al-Mamun and his Bayt Al-Hikmat). p. 8 (1962, Lahour, Jakistan).

(١٧٦) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(١٧٧) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٩٠ .

(١٧٨) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ١ ص ٣٠٩ .

ثالثا — المواد الدراسية التى تدرس فى بيت الحكمـــة :

ان المدارس الاسلامية فى العصر العباسى أدت دورها البنــاء فى الحفاظ على التراث العربى الاسلامى وتطـوير وازدهار الدراسات الدينية والأدبية والعلمية وقـــدمت خـــدمات جليلة للثقافة الاسلامية .

وممـــا لا شك فيه أن المدارس الاسلامية فى أول نشأتها بذلت عنـــاية فائقـــة فى دراسة العلوم الدينية ، وكان لهـــذا الأمر الأثر الكبير فى تطـــوير وتعميق المواضيع الدينية فعلوم القرآن الكريم والحـــديث والفقه وقـــد ساعد على هـــذا الأمر تفهم الناس لتلك المواضيع وظهور الدراسات العلمية التى تميزت بالمتانة والوضـــوح والجـــدية وأصالة البحث ثم دخلت المواضيع الأدبية كاللغـــــة والنحو والصرف والعروض والأخبار والأدب الى المدارس الاسلامية وكانت العنـــاية فائقـــة بتطوير الدراســـات وبذل مجهودات قيمة من أجـــل خـــدمة التراث الأدبى العربى وتقـــديم البحـــوث القيمة فى هـــذا المجـــال ، كما عنيت المدارس بالعلوم الرياضية وهى تشمل الحساب والجبر والهندســـة والمساحة وبالعلوم العقلية التى تضم المنطق وعلم الكلام وقـــد ارتقى مناصب التدريس فى هـــذه المواضيع نخبة من علماء العرب بذلوا مجهودات قيمة من أجـــل دراســـة تلك العلوم وتوسيع مدارك الطلبة وتقـــديم البحـــوث القيمة فى مجالات العلم المختلفة ممـــا أضاف حصيلة ممتازة فى الميـــدان العـــلمى(١٧٩) .

والمدارس الاسلامية التى عنيت بالدراسات الدينية والعلمية قامت بتخريج أعـــداد كبيرة من الطلبة الذين انتشروا فى العالم الاسلامى وصاروا ينقلون ما تعلموه فى تلك المدارس ، وارتقى العـــديد من خريجى تلك المدارس الوظائف السامية فى مختلف الأمصار الاسلامية . وساعدت هـــذه المدارس على اشـــاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة . وان اتاحـــة الفرص للمسلمين التبول فى أى مدرسة فى بغـــداد أو البصرة أو القـــاهرة أو تونس أو الرباط أو اصفهان كان لـــه الاثر المحمود فى توحيد الفكر الاسلامى ، وزيادة الترابط الانسانى ممـــا ساعد على اتاحـــة الفرص للعراقى أو المصرى أو السورى أو المغربى أو الفارسى أو التركى أن يتعارفوا وأن تتمـــاس العقول وتحتك الأفكار وتنصهر جميعها فى بوتقـــة العلم لتبرز أفكارا مدروسة وآراء مجـــدية فى حقول العلم والأدب(١٨٠) .

---

(١٧٩) د. حسين أمين : (**المدارس الاســـلامية فى العصر العباسى وأثرها فى تطـوير التعـليم**) . مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ٦ . (١٩٨٠ م) . ص ٩ ، ١٠ .

(١٨٠) د. حسين أمين : المدارس الاسلامية فى العصر العباسى ، مجلة المؤرخ العربى عـ ٦ ، ص ١٠ .

هـذا على ما أعتقـد من أبرز ما قـدمته تلك المـدارس فى ذلك العصر من خـدمة للانسانية وتراثها الخالـد . كما ساعد ذلك اللقاء بين البلدان المختلفة فى تعرفهم على عادات وتقاليـد بعضهم البعض وانتشار اللغـة العربية التى اصبحت لغـة الدراسة والثقافة ممـا ادى الى الاهتمام بها وتطـويرها وازدهارها . وقـد تغلبت اللغة العربية على السن اهـل البـلاد التى دخلت فيها وأصبحت لغة الانشاء والتاليف .

يقول نالينو : « ان وحـدة الدين استوجبت أيضا وحـدة اللسان والحضارة والعمران ؛ فصار الفرس وأهـل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القـديمة فى التمـدن الاسلامى الجـديد »(١٨١) . كذلك شجع الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية ؛ « والخلفاء عادة أقـدر على الترغيب فيمـا أحبـوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم ، والولـوع بمـا اولعـوا به »(١٨٢) .

ويقول ابن صاعـد الأندلسى : « لمـا افضت الخـلافة الى عبد الله المـأمون طمحت نفسه الفاضلة الى ادراك الحكمة ، وسمت به همته الشريفة الى الاشراف على علوم الفلسفة »(١٨٣) . ويقول صاحب فوات الوفيات : « لمـا كبر المـأمون عنى بعلوم الأوائل ومهر فى الفلسفة »(١٨٤) . ويذكر أوليرى : « أنه لكون المـأمون تلقى ثقافته فى مرو فى محيط الهيلينية المحـدثة طبق القواعـد الفلسفية على العقائد الاسـلامية »(١٨٥) .

وكان يوحنا بن ماسويه الذى جعله المـأمون رئيسا لبيت الحكمة يعقـد مجلسا للنظر ، ويجرى فيها من كل نوع من العلوم كالفلسفة والفلك والطب والرياضيات ، كما كان يدرس فيها ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقـد تتلمذ عليه حنين بن اسـحاق فترة من الزمن(١٨٦) .

---

(١٨١) كرلو نالينو : (**تاريخ علم الفلك عند العرب**) . (طبع بمدينة روما ١٩١١ م) ص ١٤١ .
(١٨٢) أحمد أمين : ضحى الاسـلام جـ ٢ ص ٢٦٦ .
(١٨٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥٨ .
(١٨٤) الكتبى ، محمد بن شاكر : فـوات الوفيات جـ ١ ص ٢٣٩ .
(١٨٥) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٣ .
(١٨٦) غريغوريوس بن هارون توما الملطى المعروف بابن العبرى : (**مختصر تاريخ الدول**) . (المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥٨ م) ص ٢٥٩ .

وقـــد بلغ من سرور جبريل بن بختيشوع طبيب المـأمون بحنين واعجـابه بروعة ترجماته أن قـــدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء .

يقول القفطى فيهم « وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم محمـــد وأحمـــد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وقـــد بذلـــوا فى ذلك الرغائب ، واحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب وغيرها »(١٨٧) . فاحتضنه هـــؤلاء وكانوا أصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما يجزلون له العطاء وقدموه(١٨٨) بدورهم الى الخليفة المـأمون فعينه عميدا لبيت الحكمة(١٨٩) .

وهكذا نشأ أولاد موسى بن شـــاكر الثلاثة فى بيت كلـــه علم وجـــو مشبع بالمناقشات الكبيرة بين العلمـــاء ، وكان يحيى بن أبى منصـــور يدير « بيت الحكمة » فى بغـــداد ولا غرابة فى أن يصبح أبناء موسى بن شاكر الفلكى من أساطين العلم فى الفلك والهندسة والميكانيكا(١٩٠) .

وقـــد انتقل محمد بن جابر بن سنان البتانى الى بغـــداد فى شبابه وعمـــل فى المراصـــد « بدار الحكمة » ببغـــداد .. وهكذا كان الى أن قيض لـــه ان يصـــبح واحـــدا من أكبر علماء عصره أو من المعروفين فى عهده(١٩١) .

وهكذا كانت بغـــداد فى علو كعبها فى العلم حيث أصبحت القبلة التى توجـــه اليها رواد العلم من كل حـــدب وصوب فى الدولة الاسلامية التى تحـــدثت بذكرها الركبان واسمعت شهرتها الأصم وطرقت أسماع القاصى والدانى الا وهى : « بيت الحكمة » التى تضم فى اركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقـــدم علمى وازدهار ثقافى تمثل فى مختلف العلوم التى كانت تدرس فيها مثل : الفلسفة والفلك والطب والرياضيات واللغات المختلفة كاليونانية والفارسية والهندية الى جانب اللغـــة العربية .

---

(١٨٧) القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٤ .

(١٨٨) اوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(١٨٩) حنين بن اسحاق : (مقـدمة العشر مقـــالات فى العين) ، تحقيق ماكس مايرهـــوف ، القـاهرة ١٩٢٨ م ص ١٦ .

(١٩٠) محمد رجب السامرائى : (علم الفلك عند العرب) . (بغـداد - العراق - دائرة الشئون الثقافية - الموسوعة الصغيرة ، ١٣٨ ، ١٩٨٤ م) ص ٩٥ .

(١٩١) المرجـع نفسـه ، ص ٩٢ .

منهـج التدريس فى بيت الحكمـة :

المرحلة العالية أو مرحلة الدراسة داخل بيت الحكمة	مرحلة الاعـداد للالتحاق بالدراسة فى بيت الحكمـة
بعـد اتمام المرحلتين السابقتين . يتم فيها التدريس عن طريق نظامين : ١ ـ نظـام المحاضرات . ٢ ـ نظـام الحـوار والمناظرة والمناقشة . يدرس فيها العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعـلوم الطبيعية والجغرافيا والموسيقى . المدرس يحاضر فى بعض العلوم العالية فى قاعات كبيرة ، والمعيد يساعد المدرس فيجتمع بفئة من الطلاب ويشرح لهم ما استغلق من المحاضرة ويناقشهم فى مادتها والأستاذ أو الشيخ هـو المرجع الأخير فى موضـوعه . وكان الطلاب ينتقلون من حلقة الى أخـرى يعالجون فى كل منها فرعا من فروع العلم وربما ألحت بهم الرغبة فى الاستزادة من علم منا أرشاقتهم شـهرة أحـد مشاهير المعلمين فانكبوا على دراسـة موضوعه حتى النهاية .	١ ـ من سن ٦ الى ١٤ سنة : تتم داخل الكتاب فى منزل الفقيـه (المعلم) أو الحوانيت ، ويتم فيها حفظ القرآن ، اجـادة الكتـابة والقراءة ، ودراسة قواعـد اللغة ، وممارسـة أوليات الحساب . ٢ ـ من سن ١٤ الى ١٨ سنة : وتتم داخل مدارس المسجد أو الحلقة ويدرس فيها بعض العلوم الدينية من فقه وتفسير وكلام ورواية حـديث ثم معرفة رواية الشعر وسير الاعـلام والأخبار مع التفقه فى اللغـة والأدب والبيان والنقـد .

الشهادة التى تمنح لهم	لباس الخريجين أو العلماء
اذا كان خريج بيت الحكمة قد أنهى دراسة علم من هذه العلوم السالفة الذكر يمنحه أستاذه أجازة تشهد بأنه قد اتقن ذلك العلم ، فاذا كان من الممتازين فيه نصت الشهادة على انه قد أجيز له تدريسه . فحق منح الشهادة ، كان — والحالة هذه — للأستاذ لا للمعهد . اذن الألقاب العلمية لم تكن تمنحها هيئة خاصة بل كان مبعثها تقدير المثقفين . فكان الأستاذ يكتب للخريج أجازة يذكر فيها اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الاجازة . وهذا يشبه الى حد كبير ما استنته الجامعات الأوروبية التى أنشئت فى أواخر القرن الثانى عشر .	كان لباس الخريجين والعلماء عبارة عن عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعى اليوم . وكان هذا الزى ضروريا للمدرسين والفقهاء تمييزا لهم عن غيرهم .

الفصل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة



١ ـ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمـــة ٠

٢ ـ تشجيع حركة التأليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء ٠

٣ ـ عمـل المؤلفـين فى بيت الحكمـــة ورواتبهم ٠

أولا ــ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمة :

لقــد كان لعمليات النشاط الفكرى المختلفة التى تمت بدايتها فى العصر الأموى ، أن تكون قاعــدة لعمليات ونشاط فكرى أوســـع فى العصر العباسى ، والذى عرف بالعصر الذهبى ، والشىء البارز هــو أن حلقات الدرس والتتبع والتأليف والترجمة وتشييد المكتبات العلمية التى كانت على نطاق محــدود نسبيا فى العصر الأموى قد اتسعت وتعــددت فى العصر العباسى وحظيت برعاية الدولة الفائقة . الأهم من ذلك هــو وجود نسبة أكبر من قادة الدولة ورؤسائها ممن كانوا يعنون بالعلم والمعرفة . حيث كانوا ينشئون المكتبات العلمية الواسعة التى بلغ تعــداد كتبها بالملايين بعــد أن كانت فى حــدود الآلاف من قبل . كما أنهم كانوا يحضرون حلقات المناظرة والمناقشة بأنفسهم ، اضافة الى تشجيعهم وتعضيدهم رسميا لكل من يعمل على تنشيط الحركة العلميــة والفــكرية(١٩٢) .

واذا كانت هــذه الظاهرة قــد صــدقت على أبى جعفر المنصــور وهرون الرشيد بصورة ملموسة ، فانها كانت أوسع مدى مــع المــأمون . فلقــد كانت عناية المــأمون للعلم والعلماء ظاهرة بارزة فى عهده . كما عرف بانشائه المكاتب والمدارس العلمية . وعرف بتخصيصه المكافآت الكبيرة لكل الباحثين فى حقول المعرفة المختلفة . كما عرف بأنه كان يجند العلمــاء للترجمة والتأليف وأنه كان يصنفهم حسب حقــولهم ويحضر حلقــات مناقشاتهم . والأكثر من هــذا أن تتبعه دراسته الخاصة قــد أدت به الى أن يجد نفسه قد انتمى الى هذه المدرسة الفكرية دون تلك(١٩٣) .

على كل حال فى أقــل من خمسين عاما من آخر الدولة الأموية الى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قــد دونت ونظمت سواء فى ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحــديث والفقه وأصــوله ، وعلم اللغــة والأدب على اختلافها والعلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وعلم الكلام(١٩٤) .

وكان نشاط المسلمين فى ذلك يسترعى الأنظــار ويستخرج العجب وليس هناك من نشاط يشبهه الا نشاط العرب فى فتــوح البلــدان . وقــد نظم العلماء أنفسهم

---

(١٩٢) د. فاضــل زكى محمد : (**الفكر السياسى والعربى الاسلامى بين ماضيه وحاضره**) . (دار الحرية للطباعة ــ بغداد ــ العراق ط ٢ ١٩٧٦ م) ص ٣١٥ .

(١٩٣) المرجع نفسه ص ٣١٥ .

(١٩٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٩ .

فرقا كفرق الجيش كل فرقة تغزو الجهل او الفوضى فى ناحيتها تخضعها لنظامها ففرقة للغة وفرقة للحديث وفرقة للنحو وفرقة للكلام ، وفرقة للرياضيات وهكذا ، وهم يتسابقون فى الغزو والانتصار ، وتدوين العلم وتنظيمه تسابق قبائل العرب فى الفتوح والغزوات ، كل قبيلة تود أن تكون السابقة فى الميدان ، ووجد فى ساحة الميدان قواد بارزون يتنافسون فى الابتكار ، فاذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة ، بل ويريد بعقله الجبار أن يضع « نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البياع فلا يمكنه ظلمها »(١٩٥) .

وهكذا فى سائر الفروع ، وقد ظل المسلمون ، طوال حياتهم يعيشون على هذه الثروة فى هذا العصر ليس لهم فى الغالب من أثر الا الايجاز والاطناب حينا وجمع متفرق وتفريق مجتمع . أما الابتكار فقليل نادر ساعد على هذه الحركة العلمية الواسعة أو قل نتج عن هذه الحركة والميل الى تدوين العلم ونقله من المشافهة الى الكتابة اتساع صناعة الورق(١٩٦) .

ذلك أن للعرب فى تاريخ العلوم مجدا متألقا لا يخبو ، فقد عكفوا على العلم منذ شرح الله صدورهم للاسلام ووجدوا فى طلب العلم عبادة واستجابة لدعوة دينهم ... فاقبلوا على مناهل العلم اقبالا ، وشجعوا العلماء والأدباء تشجيعا جديرا بالثناء ثم ان بعض الخلفاء والأمراء فى العصر الأموى والعباسى كانوا يتباهون بعلمهم وكانوا يقربون العلماء اليهم ويغدقون عليهم ورفعوهم مكانا عاليا فضربوا بهذا أروع مثل فى الشغف بالمعرفة وتقدير رجالها(١٩٧) .

وقد ظهر ابن النديم بكتابه « الفهرست » فى الربع الأخير من هذا القرن حاشدا فيه صنوف المؤلفات فى عصره وما قبله ، وفيها من كتب الفلسفة مقدار يدل على رواجها واتقانها ، وتفرغ العلماء للبحث والتأليف فى هذا العصر تفرغا لم يعهده السابقون . وقد شاع فى هذا العصر اقتناء الكتب وكثرة المكتبات نصار

---

(١٩٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٤٥ .

(١٩٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٠ .

(١٩٧) د. أحمد الحوفى : (**تيارات ثقافية بين العرب والفرس**) (دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م) ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الملوك والأمراء بعـــد الخليفة الأمين يفاخرون باقتناء المصنفات ويتسابقون الى شراء نوادرها وفى أواخر هـــذا القرن أولعت بغـــداد بالكتب والتأليف(١٩٨) .

واتفق المؤرخون من عرب وافرنج على أن أول طالع سعيد لارتقاء الأمة العربية كان فى القرن الثانى من الهجرة ، حيث سطع نور العلم من بغـــداد فأنار جميع الآفاق مصر والأندلس ، لانه فى هـــذا العصر شرع علماء الاسلام فى تدوين الحـــديث والفقه والتفسير وصناف بن جريج التصانيف بمكة ، وصنف سعيد بن أبى عروبة ، وحمـــاد ابن سلمة وغيرهما بالبصرة ، وصـــنف أبو حنيفة الفقه والرأى بالكوفة ، وصـــنف الأوزاعى بالشام ، وصنف مالك الموطـــأ بالمدينة وصنف أبو اســـحاق المغـــازى ، وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثورى كتاب الجامع ، ثم بعـــد يسير صنف هشام كتبه ، وصنف الليث بن ســـعد وعبد الله بن لهيعة ، ثم ابن المبارك والقاضى أبو يوسف ، وابن وهب ، وعيسى بن عمر النحـــوى ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ورتبت ودونت كتب العربية واللغـــة والتاريخ وأيام الناس وقبل هـــذا العصر كان ســـائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون الكلم عن صحف صحيحة غير مرتبـــة ، فسهل ولله الحمد تناول العلم(١٩٩) .

اتسع افـــق الفكر الاسلامى فى عهـــد السلاجقة اتساعا كبيرا ، فقـــد كانت ملكات المسلمين فى البحث والتأليف على درجـــة عظيمة من النضج كنتيجة طبيعية لحركة الترجمة التى نشطت فى الدولة العباسية ، وكثرة تنقـــل رجال العلم والأدب فى مشارق العالم الاسلامى ومغاربه فى ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التى استقلت عن الخـــلافة العباسية ، فنشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقـــافة وزخر بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء(٢٠٠) .

وكانت المدارس الفكرية لا حصر لهـــا ، وكانت الفنون والعلوم تشجع على الحكمة ، وكان الجـــو يموج بالشعر وبالمتعة الكاملة فى الفهم ، وكانت حياة بغـــداد تنطـــوى على شىء من التسامى ، وفى زمن الرشـــيد لم تكن المدينة قـــد بلغت من العمر خمسين عاما ، لكنها اعتبرت مركزا عالميا فى الدرجـــة الأولى من القـــدر وكأنها

---

(١٩٨) د. زكى المحاسنى : (المتنبى ، من نوابغ الفـــكر العربى) . (دار المعـــارف بمصر ١٩٧١ م) ص ١٢ ، ١٣ .

(١٩٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الاصبهانى ص ١١٢ .

(٢٠٠) د. عبد النعيم حسنين : (سلاجقة ايران والعراق) . (مكتبة النهضـــــة المصرية ـ القاهرة ط ٢ ، ١٣٨٠ هـ/١٩٧٠ م) ص ١٨٧ .

مكان مقدس للفكر ، واذا كانت عظمتها قد نمت فى عصر الامبراطورية ، فانها اصبحت بسرعة المنافسة للامبراطورية البيزنطية[٢٠١] .

فالتاريخ يحدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف الوانه فأمروا بنقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعلوم الاسلامية ، وقد اقتفى اثرهم وسار على منوالهم امراء الدويلات الناشئة فى العصر العباسى الثانى وجعلوا من العلم ميداناللمنافسة وجمعوا العلماء حولهم ، وقربوهم ، حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية لا الفلسفة كلها قد سارت جنبا الى جنب فى طريق التقدم والنضوج[٢٠٢] .

ومن الناحية الثقافية ظهرت آثار سياسة الانفتاح نحو الشرق فى الحركة العلمية ، فكان العصر العباسى عصر احياء للثقافات الاقليمية وبالذات للثقافات الفارسية القديمة ، وهو العصر الذى بلغت الحياة العلمية فيه اوجها ، ونشطت حركة الترجمة عن اليونانية والهندية والفارسية[٢٠٣] .

وفى هذه البيئة العلمية الصالحة ، وفى هذا الجو العلمى الحافل نشأ عدد من العلماء يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن .. وكانت العربية لغة العلم يكتب بها العلماء ، ليقرأها الناس فى أى صقع من اصقاع الوطن الاسلامى الكبير ، وازدهرت حركة الترجمة أيما ازدهار ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة فى مختلف فروع المعرفة العلمية ، نقلوا علوما وابتكروا أخرى ، وأضافوا كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت الى غيرهم[٢٠٤] .

وكان مركز الحركة الثقافية قبل تأسيس بغداد فى البصرة والكوفة ثم شيدت بغداد فغلبت على المدينتين . ويقول اليعقوبى[٢٠٥] : « ليس لها نظير فى مشارق

---

(٢٠١) جاك. س. ريسلر : الحضارة العربية ص ١١٤ .

(٢٠٢) د. فوقية حسين محمود : (**الجوينى امام الحرمين**) . (الدار المصرية للتاليف والنشر - القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م) ص ٤٧ . ٤٨ .

(٢٠٣) د. السيد عبد العزيز سالم : (**دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الأول**) . (مؤسسة الشباب الجامعية - الاسكندرية - بدون) ج ٣ ص ٤٩ .

(٢٠٤) د. صالح رمضان محمود : (**أهم المبدعين فى مجالات الفكر والعلم**) . مجلة المؤرخ العربى - بغداد العراق عدد ١٨ (١٩٨١ م) ص ١٦ .

(٢٠٥) **اليعقوبى** ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح : (**معجم البلدان**) . (بيروت - لبنان - دار صادر ١٩٦٠ م) ص ٢٣٣ .

الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه ، وصحة هواء ، لأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم وهى مع هذا مدينة بنى هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم ... واعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس فى العلم والفهم والأدب . فليس أعلم من عالمهم ، ولا أروى من روايتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ولا أحذق من مفتيهم ولا أعرب من نحويهم ولا أصلح من قارئهم ، ولا أمهر من مطببهم ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أشعر من شاعرهم .

وكذلك ظهر فى بغداد علماء عنوا بتأليف الكتب واقتناء النفيس منها كمحمد ابن عمر الواقدى الذى خلف بعد وفاته ستمائة قمطر كتب كل قمطر منها حمل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار(٢٠٦) ، وله عدة مصنفات .

ويذكر ابن خلكان(٢٠٧) أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى كان عنده ألف جزء من لغات العرب . ونشطت الكتب والمباحث الجغرافية منذ هذا التاريخ المبكر ، ومع افتتاح هذا العصر العباسى الثانى يؤلف عبد الله بن خرداذبه الفارسى الأصل كتابه « المسالك والممالك » وهو يصرح فى مطالعه بأنه اعتمد فى بيان حدود الأرض ومسالكها على كتاب بطليموس ، ومر بنا أنهم كانوا يشجعون بأموالهم والأغداق على الترجمة ، وان كثيرا من الكتب ترجم باسمهم ومن أهمهم بختيشوع(٢٠٨) بن جبرائيل بن بختيشوع ، وبلغ من كثرة ثرائه أنه كان يضاهى الخليفة المتوكل فى الزينة والفرش والمآكل والمشرب .

نخلص من ذلك أن النشاط العلمى الزاخر الذى حفلت به بيت الحكمة فى ظل العباسيين كان له دوره فى دفع حركة الفكر الى الامام ، وكانت دعامة هذه الحركة ترجمة الكتب الأجنبية التى استجلبها الخلفاء من بقاع كثيرة وكان السريان بخاصة هم الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من هذا العمل . ولولا التعريب الذى قام به هؤلاء المترجمون لما انتفع أحد بتلك العلوم لعدم معرفة غيرهم ببلاد اليونان . لا جرم كل كتاب لم يعرفه باق على حاله ، ولا ينتفع به الا من عرف تلك اللغة(٢٠٩) .

---

(٢٠٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ .

(٢٠٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٢ .

(٢٠٨) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٠٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٩ .

ونراهم ينشئون المدارس والمعاهـد العلمية فى كل مكان . ويؤسسون المكتبات فى كل مكان ويبيحون دخـولها لكل قاصـد ، ويدرسون آراء كبار الفلاسفة القدامى جنبا الى جنب مع دراسة القرآن ، وهـذا يلقى جالينوس وارسـطو وافلاطـون واقليدس وبطليموس وما هم له من التقـدير[210] ولم تكن مهنة الوراقة فى عهد الدولة العباسية تقف عند حـد الصفقات التجارية . وانما كانت تتعـدى ذلك الى مهام ثقافية بالغـة الأهمية فى ذلك الحـين ، اذ كان الوراقـون هم الذين ينسخون الكتب ويعرضونها للراغبين فيها . ويتقاضـون على ذلك أجرا متواضعا متوسطه دينـار عن كل كتـاب[211] .

ووصف ابن الجـوزى[212] (٥٩٧ هـ) سـوق الوراقين ببغـداد فى زمنـه بقوله : انها سـوق كبيرة وهى مجالس العلماء والشعراء .

(٢١٠) سيد أمير على : (**روح الاسلام**) ترجمة محمود أمين الشريف (مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٦٣ م) جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(٢١١) Ameer -Ali-short History of Saracens, p. 460.

(٢١٢) ابن الجـوزى : (**مناقب بغـداد**) . (بغـداد ١٣٤٢ هـ) نشره محمد بهجت الأثرى ص ٢٦ .

ثانيا ـ تشجيع حركة التاليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء :

كان التدوين فى المشرق سائرا فى منهج التقدم فى هذا العصر ، فتعددت اغراضه وموضوعات علومه ، وتنوعت أشكال كتبه من مبسوطات مفصلة ومختصرات مجملة ، ورغب العلماء المصنفون فى الافادة والاستفادة ووجود عدة دول متجاورة متنافسة كل منها تحرص أن تفوق الأخرى فى احراز وسائل القوة وعتاد الملك وترفيه العيش ، ولا يكون ذلك الا بتأثيل الحضارة وتعضيد العلم وأغدق ملوك هذه الدول ووزراؤها على العلماء والأدباء ، وتنافسوا فى ضمهم الى مجالسهم واغراء هؤلاء بتأليفهم الكتب بأسمائهم واستنباط دقائق العلوم لفائدتهم ، فكثرت الكتب والمصنفات التى وضعت فى العصر العباسى الأول فى علوم أخرى اشتقت منها كعلوم الأخلاق ، وآداب السلوك ، وسياسة الملك وقيادة الحرب ، وتعبئة الجيوش ، واستعمال الأسلحة وتدبير المال وتصريف وحدة الكسب فى التجارة وتدبير المنزل ، والبحث فى معرفة اسباب العمران(٢١٣) ، واتسع مجال البحث فى الطب والحساب والجبر والهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والجغرافيا وفن الحيل ، والمنطق وعلم الكلام ، وسائر العلوم الحكمية والدخيلة ، فثبتت أصولها ، وتشعبت فروعها وتعددت المذاهب ، وأصبحت بعيدة الشبه بأصولها اليونانية ، وانصبغت بصبغة الروايات وامتزجت باختلاف طرقها(٢١٤) .

وبازدهار حركة التدوين والتأليف والترجمة فى العصر العباسى ، اتسعت دور المكتبات العلمية ، وحفلت بأنواع مختلفة من الكتب المؤلفة والمترجمة وأصبح العلماء يذهبون للاطلاع على هذه الكتب التى كانت الدولة العباسية تحرص على تزويد المكتبات بها ، وكثيرا ما كان الخليفة يرسل البعثات العلمية الى الأمصار المختلفة لشراء الكتب وتزويد المكتبات بها ، وقد فعل الخليفة المأمون ذلك بأن أرسل البعثات الى بلاد الروم للبحث فى خزائنها العلمية الشهيرة عن الكتب الهامة لنقلها الى البلاد الاسلامية وترجمتها(٢١٥) .

وأخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه ، فأخذوا يترجمون العلوم وينقلون الى اللغة العربية علوم اليونان والرومان والفرس والهنود ... ترجموا عن الاغريقية والفارسية والقبطية والآرامية والهندسية ونقلت

---

(٢١٣) د. محمد عبد المنعم خفاجى : الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى ص ٢٢ .

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٢٣ .

(٢١٥) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٣٤ .

الوف الكتب من المكتبات القديمة . واقيمت دور الكتب والمكتبات ، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء ، وتسابقوا فى الانفاق فى سخاء عليهم ، وقبل الرشيد الجزية كتبا كما دفع المأمون وزن ما يترجم ذهبا(٢١٦) فما بالك بمن يقوم بالتأليف ؟ .

وكانت حركة التأليف تسير الى جانب حركة الترجمة بدليل أن بعض المترجمين كانوا يزاولون التأليف والترجمة(٢١٧) فى وقت واحد ، وقد عرفنا من قبل أن علماء العرب كانوا مولعين بالعلم لذلك أكبوا على الدراسة والاطلاع فكسبوا الملكة فى العلم والقدرة على التأليف ومن أجل ذلك كانت نهضة أخرى بعد نهضة الترجمة وهى نهضة التأليف فى العلوم وقد وضح ذلك مما قدمناه ، كما أن الذين اشتغلوا بالترجمة والتأليف كانوا من الأطباء وان اعلام التراث العربى كانوا ينبغون فى أكثر من علم واحد(٢١٨) .

ويقول مؤرخ الحضارة الاسلامية فى عهد الخلفاء : « من الحقائق المشهورة أن الخليفة المنصور ، الذى تنسينا مزاياه الخلقية والعقلية بعض النواحى السوداء من طباعه ، كان من أنصار الحركة الفكرية العظيمة التى بدأت اذ ذاك فى العالم الاسلامى فهو الذى أمر بترجمة الكتب العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وهو الذى ألم بقدر لا يستهان به من العلوم والرياضيات ولم تكد هذه الكتب المترجمة تنشر حتى أكب الناس على دراستها بشغف ولم يقف خلفاء المنصور عند حد تشجيع العلماء البارزين الذين وفدوا على العاصمة من كل حدب بل كانوا هم أنفسهم أشد الناس اهتماما باكتساب كل فروع المعرفة ، وفى عهدهم سارت الحركة العلمية بخطى حثيثة عند العرب ، وبعبارة اخرى عند مختلف الأمم التى انضوت تحت لواء الخلافة ، وكان لكل أمة من أمم العالم العظيمة عصرها الذهبى . كان عصر أثينا الذهبى هو عصر أغسطس ، وكذلك كان للعالم الاسلامى عصره الذهبى(٢١٩) . كان المنصور سخيا نحو العلماء والأدباء حتى أنه جعل من نفسه

---

(٢١٦) د. صالح رمضان محمود : أهم المبدعين فى مجالات الفكر والعلم ص ٢٦٨ ، مجلة المؤرخ العربى عـ ١٨ ، ١٩٨١ م .

(٢١٧) أبو الفتوح التوانسى : (**من أعلام الطب العربى**) (الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦ م) عـ ١٤٤ ص ٢٨ .

(٢١٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦١ .

(٢١٩) السيد أمير على : روح الاسلام جـ ٢ ص ٢٥٤ .

قـــدوة فى محبة العلوم والآداب(٢٢٠) .

فلقـــد عنى خلفاؤه وعلماؤه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها وكان المنصور أسبقهم الى ذلك حيث استقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور من السريان والفرس والهنـــود فترجموا لـــه كتبا فى النجوم والطب ... فنشطت حركة التأليف والترجمة وعظمت صناعة الورق وتبع ذلك ظهور حرفة الوراقين ووجود أمكنة تتخـــذ مباءة للعلماء والأدباء ، يتزودون منها بالعـــــلم ، وكثرت المكتبات وذخرت بالكتب(٢٢١) ، وكان الخليفة المهـــدى للأدب ، مشجعا على التأليف فيه(٢٢٢) وفى حجر المهـــدى نشأ ابن ابراهيم أديبا شاعرا موسيقيا ، ولقـــد شارك فى التأليف فألف كتابا فى الأدب سماه « ادب ابراهيم » و « كتاب فى الطبخ » وآخر فى الطب ، وكتابا فى الغناء الا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاعت فيما ضاع(٢٢٣) .

وكان الهادى مثل أبيه محبا للآداب مشجعا للشعراء ، وكان على سنته فى بغض الزنادقـــة وليس من شـــك فى أن هؤلاء الزنادقـــة قـــد تركوا أثرا ملموســـا فى الدين والشعر والأدب ، أما أثرهم فى الدين فقـــد أحـــدثوا معانى جـــديدة فى تفسير لغـــة القرآن ، وساعدوا على نشر مبدأ التأويل واتخـــذوه وسيلة للطعن فى كتاب الله ، كما أنهم نشطوا فى وضع الأحاديث والدس فيها ، ومن ناحية أخرى انتشر بسببهم علم الكلام واشتد الجـــدل بينهم وبين العلماء والفقهاء فكانت حركة غزيرة فى التأليف والمناظرات ، فوضعت كتب كثيرة للرد على الزنادقـــة واهــــل الالحـــاد(٢٢٤) .

ثم فترت هـــذه النهضة أيام المهـــدى والهادى حتى قـــواها الرشيد بروح البرامكة ، ونشرها فى مملكته المتسعة ، وضم ايوانه نوابغ العلماء وأخذ على نفسه بأن

---

(٢٢٠) ل٠ أ٠ سيديو : (**تاريخ العرب العام**) نقله عادل زعيتر (دار احياء الكتب العربية ـ مكتبة الحلبى ـ القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م) ص ١٨٢ ٠

(٢٢١) احمد امين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦١ ٠

(٢٢٢) د٠ أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ج ١ ص ١٠٥ ، ١١٢ ٠

(٢٢٣) ابن قتيبه ، أبى محمد بن عبد الله بن مسلم : (**المعارف**) ، تحقيق د٠ ثروت عكاشة ـ (دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م) ص ٩ ٠

(٢٢٤) د٠ زاهية قدورة : (**الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى**) (دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ لبنان ط ١ ١٩٧٢ م) ص ١٧١٠

الحـــق بكل جامع جامعة للعلم وأن يصطحب مائة من العلماء كلما سافر وكان يجـــل العلماء على تباين نحلهم(٢٢٥) ، ثم ينشيء (هارون الرشيد) فى نفسك صورة الخليفة العالم الأديب الفقيه بألوان العلم والدين والأدب ، المشجع للفقهاء والعلماء والشعراء والكتاب تشجيعا أصبح فيه مثلا لمن جاء بعـــده فى الشرق والغرب(٢٢٦) .

ولقـــد كانت دولة الرشيد كما يقول الفخرى : « دولة من احسن الدول وأكثرها وقارا ورونقا وخيرا ، وأوسعها رفعة مملكة ، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ، مثلما اجتمعوا على باب الرشيد وكان يصل كل واحـــد منهم أجزل صلة ، ويرفعه أعلى درجـــة . وكان فاضلا شاعرا راويا للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عنـــد الخاصـــة والعـــامة »(٢٢٧) .

ولهـــذا كان عصر الرشيد نفسه من أزهى العصور بالنسبة لحياة اللغـــــة العربية والتأليف فيها ويكفى أن نذكر من علماء هـــذه الفترة أمثال الكسائى والأصمعى والفراء وأبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى لنتبين صـــدق ما ذهبت اليه(٢٢٨) .

يقول ابن أبى أصيبعة : « كان يوحنا بن ماسويه مسيحى المذهب سريانيا تلده الرشيد ترجمة الكتب القـــديمة ممـــا وجـــده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة(٢٢٩) ممـــا شجع حركة التأليف فى بيت الحكمة . ويقال أنه هـــو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كتب كبيرة وهى تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعـــد وأصبحت تدعى دار الحكمة(٢٣٠) « أو بيت الحكمـــة » .

ويمكننا أن نعـــد من النقلة الذين خـــدموا الرشـــــيد ومن بعـــده المـــأمون الحجاج بن يوسف بن مطر اذ أنه نقـــل كتاب أقليدس وأصول الهندسة مرتين الأولى

---

(٢٢٥) د. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربى ص ٣٥٨ .

(٢٢٦) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢٢٧) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٢٨) د. محمد مصطفى هداره : (**اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى**) . (دار المعـارف بمصر ط ٢ ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م) ص ٨٦ .

(٢٢٩) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢٣٠) محمد عاطف البرقـوقى : الخوارزمى العالم الرياضى الفلكى ص ٧٩ .

زمن هارون الرشيد ويعرف هـذا النقـل بالهارونى نسبة لهـارون الرشيد والثانية زمن المـأمون ويعرف هـذا النقل بالمـأمونى(٢٣١) .

كذلك عهـد الرشيد بالقيام بشئون خزانة الحكمة الى شخص يتقن الفارسية هـو الفضل بن نوبخت أبو سهل وهـو فارسى الأصـل . يذكر عنه القفطى أنه مذكور مشهور من أئمـة المتكلمين فى زمن هارون الرشيد حيث ولاه القيام بخزانة كتب الحكمة وكان ينقـل من الفارسى الى العربى ما يجـده من كتب الحكمـة الفارسية ومعـوله فى علمه وكتبه على كتب الفرس(٢٣٢) .

وقـد اتبع المـأمون سياسة والده فى توجيه الغزوات نحـو المدن التى تحوى خزائن عامة للمخطوطات وذلك من اجـل الحصول على تلك الثروة العلميـة التى لا تقـدر بثمن ، ولكنه زاد عليـه زيادة كبرى ، وذلك فى مراسلته ملوك الروم فى القسطنطينية وصقلية وقبرص وطلبه منهم انفاذ ما عندهم من مخطوطات يونانيـة وارساله البعوث المختلفة الى بلاد الروم فى سبيل الحصول على مثل هذه الكتب(٢٣٣) .

وقـد صار التاليف الأصيل فى هـذا العهد جنبا الى جنب مع النقـل والتعريب فقـد زخر العصر بالعلماء والاعلام الذين الفـوا فى مختلف العلوم ، ذلك أن الامام مالك الف كتابه الموطـا فى مطالع هـذا العصر ، وفى الواقع لقـد شاهد هـذا العصر ازدهار الدراسات الاسلامية ونشوء المذاهب الفقهية والف الجاحظ كتبه فى الأدب والتى قيل فيها كتب الجاحظ تعلم العقل والأدب ثانيا(٢٣٤) .

شجع المـأمون التاليف عن طريق بذل المنح السخية وكان هناك عـدد لا حصر لـه من كتب الرياضيات والهندسة والفلسفة والفلك وعلم الارصاد الجـوية وعلم البصريات والميكانيك والطب ... الخ ، كل هـذه العلوم قـد جمعت ويسرت الاطلاع عليهـا لجمهرة القراء(٢٣٥) .

---

(٢٣١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ .

(٢٣٢) القفطى : أخبار العلماء فى أخبار الحكماء ص ٢٥٥ .

(٢٣٣) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام ص ٥٩ .

(٢٣٤) المرجع نفسـه ص ٧١ .

(٢٣٥) جى. دبليو. تومسون : (تاريخ المكتبات فى العصر الوسيط) (نيويورك ، شركة هافنز للنشر ١٩٥٧ م) ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وكان التبرازى المتوفى ٩٢٥ م من علماء الفيزياء حيث كتب ما يربو على منتى كتاب لبيت الحكمة كما ان (ابن ابى الحارث) وهــو من مشاهير مجلدى الكتب عــد كمجلــد للكتب فى هــذه المكتبة . وفى هــذا الجــو العلمى الخلاق والحضــارة الزاهرة والمنيرة قــويت حركة التأليف فى عهد المــأمون حتى انه تخير المؤلفين ممن كان له أثره فى تنوير أفكاره وتحضير أعماله(٢٣٦) .

ويقول سيديو فى كتابه تاريخ العرب العام « كان المــأمون يعــد سلالة الامم فى العلم ، ولم يرد المــأمون ان يشع نور العلم من جــود ولى الأمر الطارىء ، فجعل شرف الآداب فى حرز من تقلبات الحوادث بمــا حبسه عليها من الوقف الدائم ، وفتحت المدارس من كل ناحية ، فصرت ترى لأول مرة فى تاريخ العالم على ما يحتمل حكومة دينية مستبدة تخالف الفلسفة وتهيىء فــوزها وتشاطرها نصرها »(٢٣٧) ونرى المــأمون يضرب به المثل فى عظم الحركة العلمية فيشير « نولدكه » فى « دائرة المعارف البريطانية » وغيرهم يمثلون المــأمون انوشروان وغيره من خــدمة الانسانية ورسل الثقافة العامة ، والحــق ان المــأمون وعصر المــأمون كانا متقــدمين عن زمانهما . اذ كانت حالة المــأمون وحال المملــكة المــأمونية فى ذلك الحين — أرقى بمراحــل من حال ملوك أوروبا وممالك أوروبا . ويقول د. خليل طوطح فى رسالته الانكليزية عن حال التعليم عند العرب : « انه بينما كان شارلمــان يتعلم القراءة مكبا على مطالعة رسائله مــع أترابه فى مدرسة القصر كان المــأمون يعالج الفلسفة ومناقشته أقضيتها هنــاك فى بغــداد »(٢٣٨) .

أما المؤلفون النساطرة فعــددهم وفير ومقامهم رفيــــع أولهم تلك الأسرة الراسخة فى علم الطب والفلسفة آل بختيشوع من جنديسابور وقــد تناقلوا العلم من جيل الى جيل على مدى ثلاثة قرون تقريبا فى عهد العباسيين مؤسسها جورجيس ابن جبرائيل وابن بختيشوع وحفيده جبرائيل وابن حفيده بختيشوع وحفيد حفيده يوحنا من أبناء هــذه الأسرة جبرائيل بن عبد الله وابنه سعيد عبيد الله كلهم خــدموا الطب والفلسفة والمنطق والديانة النصرانية بما عربوا والفوا . نقل الينا أخبارهم ابن أبى

---

(٢٣٦) د. زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى ص ٢٢٢ .

(٢٣٧) ل. أ. سيديو : تاريخ العرب العام ص ١٨٢ .

(٢٣٨) د. خليل طوطح : التربية والتعليم عند العرب ، ص ٦٩ .

أصيبعة[٢٣٩] وأبو الفرج العـبرى[٢٤٠] ، والقفطى[٢٤١] من القـدماء ، شـيخو[٢٤٢] وسليمان صائغ[٢٤٣] وبرغشتراسر[٢٤٤] وماكس مايرهوف[٢٤٥] وبركلمـان[٢٤٦] ودائرة المعارف الاسلامية ويوسـف غنيمة[٢٤٧] .

هـؤلاء هم المؤلفون النساطرة وقـد كانوا من نخبة القـوم علميا واجتماعيا . وكان حنين بن اسحاق مؤلفا غزير الكتابة غزارته فى الترجمة ، كتب فى مواضيع علمية متنوعة كما وضـع ثبتا قيما بكتاب جالينوس المتوفرة فى ترجمات سريانية وعربيـة وقـد نسب (الفهرست) لابن النـديم الى حنين تسعة وعشرين وصفا وكان يرى فيه أبرز مؤسسى العلوم الصحية والعربية[٢٤٨] .

ففى عهد الخلفاء العباسـيين الستة الأول وبخاصـة عهـد المـأمون كان المسلمون يحملون لواء الحضارة ، وكانت الأمة العربية الاسلامية أجـدر الأمم بأن تكون أستاذ البشرية بفضل عبقريتها المرنة ، وتوسط مركزها بين الأمم ممـا أتاح لهـا الانتفاع بكنوز اليونان والرومان وكنوز الهند والصين التى ظلت تغط فى سبات عميق طـوال العصور .

وظهر جليا اشتغال العلماء بالتأليف فى ميادين العلم المختلفة ومن بينها التأليف

---

(٢٣٩) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣ .

(٢٤٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٣ .

(٢٤١) القفطى : تاريخ العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٤٢) شـيخو : (**معـانى الأدب فى حـدائق العـرب**) . (طبعـة بيروت ـ لبنـان ١٩٠٠ م) ج ٤ ص ٢٩ .

(٢٤٣) سليمان صائغ : (**مقال عن أسرة بختيشوع**) . مجلة النجم ـ بغـداد ـ العراق عـ ٤ (١٩٣٢ م ص ٣٧٦) .

(٢٤٤) برغشتراسر : (**حنين بن اسحاق حـول ترجمات كتب جالينوس السريانية والعربية**) . (ليبزج ١٩٢٥ م) ص

(٢٤٥) ماكس مايرهـوف : (**الفلسفة الانسانية الحـديثة**) مجـلة أيزيس عـ ٨ (١٩٣٥ م) ص ٧١٧ .

(٢٤٦) كارل بروكلمان : (**تاريخ الأدب العربى بالألمـانية**) انظر الفهارس .

(٢٤٧) يوسف غنيمة : (**خزائن كتب العراق العامة فى أيام العباسيين**) مجلة المشرق بغـداد ـ العراق عـ ٨ (١٩١٥ م) ص ١٠٩٧ ، ١١٠٧ .

(٢٤٨) لويس ماسينيوس : (**السياسة الاسلامية المسيحية لكتاب النساطرة**) بالفرنسية (فى مؤلفاته الصغرى ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦٣ م) ص ٢٥٠ ، ٢٥٧ .

فى علم اللغـــة والأدب وأخبار العرب وأشعارهم فتركوا لنـــا ذخائر (مثل الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ والأغانى لابى الفرج الأصفهانى) قيمة خـــالدة تعكس صـــورا واضحة المعالم من الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية فى ذلك الزمان[٢٤٩] ولم يكن الوزراء بأقـــل شأنا فى تشجيع حركة التاليف فى بيت الحكمـــة حيث أدرك ذلك سهل بن هارون وزير المـــأمون فى قـــوة شخصية الجاحظ وثقافته العميقة والهـــوة التى تفصل بين أسلوبه وأسلوبهم وبيانه وبيانهم ، فقال كلمتـــه التى هزت أفئدة الديوانيين : ان ثبت الجاحظ فى الديوان أفـــل نجم الكتاب . فبعـــد ان قرا الجاحظ كثيرا واتسعت آفاق ثقافته ووعى علم العربية بشتى فروعها ومختلف الوانها . وبعـــد أن أحاط احاطة شاملة بمـــا ترجم عن اليونانية والهندية والفارسية — رأى أن المؤلفين الذين سبقوه الى التدوين والتأليف ليسوا بأكثر منه ولا أبصر منه ذوقا ، ولا أقـــدر وأعمق منه على تناول قضايا الفكر والأدب بالبحث والدرس . وأخـــذ يؤلف الرسالة تلو الرسالة ، والكتاب تلو الكتاب ، فمـــا فرغ من تأليف كتاب « العباســـة » الذى أهـــداه للمأمون حتى اختاره لتولى ديوان الرسائل فى بغـــداد ، وهـــو منصب خطير لا يتولاه الا الاعلام من ثمـــة الأدب : .. فحز هـــذا الاختيار فى نفـــوس الكثيرين من الأدباء المرموقين . وأخـــذت دسائسهم تنصب عليه . فلم يتركوا قـــذيفة من قـــذائف المثالب الا رموه بها[٢٥٠] .

نعم آثر الجاحظ الحياة الحرة المنطلقة على قيود الوظيفة وجـــودها الموبوء . وقـــد فرض على نفسه أن يتفرغ لعالم الفكر بآفاقـــه الواسعة فلا يكاد يفرغ من تأليف كتاب حـــدد له موضوعه حتى يجـــد موضوعات تنتظره وتنسيه مضض بؤســـه وســـواد فقـــره[٢٥١] .

وممن شجع العلم وأكرم العلماء بنو طاهر فى خراسان والسامانيون فى بلاد ما وراء النهر وبنو طاهر فى طبرستان ، ثم بلاد الفرس وبغـــداد أمراء الدولة . وكان عبد الرحمن الصوفى من أشهر علماء الطبيعة فى عصره صـــديقا حميما للأمير البويهى عضـــد الدولة الذى سمى بحـــق أغسطس العرب الثانى ، وأدخـــل عبد الرحمن شيئا من التحسن على قياس الضـــوء ، وكان عضـــد الدولة نفسه رياضيا فأكرم العلماء الذين وفـــدوا على بغـــداد من كل حـــدب وصوب ، واشترك فى مجالسهم العلمية ، وقام جعفر بن الخليفة المكتفى بالله بارصاد خاضعة لحركة المذنبات وألف

---

(٢٤٩) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الأدب العربى ص ٦٧ .

(٢٥٠) سامى الكيالى : (**النفس الانسانية فى أدب الجاحظ**) . (دار المعارف بمصر ١٩٦١ م سلسلة اقرأ) ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٥١) المرجع نفسه ص ١٨ .

بحثا فيها ، كما اشتغل غيره من الأمراء بدراسة العلوم مع رعاياهم جنبا الى جنب[٢٥٢] .

وهذا (أبو العباس احمد بن محمد مروان) السرخسى عرف العباس باسم « احمد بن الطيب » فارسى الأصل ، وكان من تلاميذ الكندى ويقال انه ينتمى اليه ، وكان متفننا فى علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، حسن المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف[٢٥٣] . مضى عليه زمن كان فيه معلما وصديقا ومستشارا « للمعتضد » ولكن هذا لم يدم طويلا وانتهى الأمر بقتل « السرخسى » لأسباب لم نرد الخوض فيها ، وكان ذلك حوالى (سنة ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م) اشتغل السرخسى بالجبر والحساب والتنجيم والموسيقى وله فى ذلك مؤلفات أهمها « كتاب المدخل الى صناعة النجوم » و« كتاب الاتماطيقى فى الاعداد والجبر والمقابلة »[٢٥٤] ، و « كتاب المدخل الى الموسيقى » وغيرها من الكتب .

وباستقرار الأمر للعباسيين بدأت الحركة العلمية تنمو وتزدهر حيث أصبحت بغداد قبلة الوافدين من أنحاء الدولة الاسلامية فأسست بها دور العلم وعظم شأن مدينة المنصور بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء والقادة حتى ساهم كثير منهم فى تأسيس دور العلم التى أخرجت أعاظم العلماء وفحول الكتاب والمؤلفين الذين كانوا روادالحركة الفكرية فى العصور الوسطى ، كما نشطت حركة الترجمة عن اليونانية والفارسية وأرست دار الحكمة أو بيت الحكمة وغيرها وأقيمت الندوات فى قصور الرشيد والمأمون ، كما عقدت حلقات الدرس والمناقشة والأدب والشعر والفلسفة والمنطق وغيرها[٢٥٥] .

وللثعالبى[٢٥٦] كلمة فى بنى العباس لم تكن بعيدة عن الصواب ، قال فيها : ان لبنى العباس فاتحة وواسطة وخاتمة . فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد ، وبعد الواثق أخذ الانحطاط يتسرب الى جسم الدولة حتى اتى الخليفة السابع والثلاثون المستعصم لاقت الدولة أجلها المحتوم على أيدى المغول سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

---

(٢٥٢) سيد امير على : روح الاسلام : ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٦ .

(٢٥٤) ـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٨٤ .

(٢٥٥) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ .

(٢٥٦) الثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد : (لطائف المعارف) (نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م) ص ٧١ .

لكن ذلك لن ينسينا ذروة النفـــوذ والسلطان والعمران التى بلغها بنـــو العباس ممثلة فى أيام هارون الرشيد وابنـــه المـــأمون اللذين القيا على ذلك العصر هالة مشرقة من النـــور بحيث أصبح يعتبر أزهى عصور التاريخ الاســـلامى على الاطلاق[٢٥٧] . وكما تجلى لنـــا باستطلاع علاقاتهم فى الدول الأخرى وباستعراض حياة البلاط وبساط الارستقراطية فى العاصمة بغـــداد وبمراجعة النهضة الفكرية فى عصر المـــأمون . هـــذه هى النهضة التى لم تعادلها نهضة أخرى[٢٥٨] .

---

(٢٥٧) د٠ فيليب حتى : (**تاريخ العرب المطول**) ٠ ترجمة ادوارد جرجى و د٠ جبرائيل جبور (دار الكشاف ـ بيروت ـ **لبنان** ـ ط ٤ ، ١٩٦٥ م) ج ١ ص ٣٦٩ ٠

(٢٥٨) **المرجـع** نفســه ج ١ ص ٢٧٠ ٠

ثالثا ـ عمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم :

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة ، وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هؤلاء العلماء علماء فلكيون ذلك لأن المأمون ألحق ببيت الحكمة مرصدا لاصلاح آلات الرصد ، وكان عماله بالضرورة من بيت الحكمة ، بل كان بعضهم من خارجه(٢٥٩) وصاحب بيت الحكمة يرشد على العاملين فيه وعليه أن يرتب الكتب ويعد فهارسها ويصنفها ، وضم بيت الحكمة عدة طوائف ، طائفة النساخ ، وطائفة المترجمين ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المنجمين ، وطائفة الكتبة وطائفة المجلدين ، وكان الناسخ ينسخ كل ما يطلب منه نظير أجر ، وعليه أن يرتب لها أوراق كل نسخة بعد جمعها واصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء(٢٦٠) .

وحين فرغ الجاحظ من تأليف كتاب « البيان والتبيين » أهداه الى قاضى القضاة أحمد بن أبى داوود فأعطاه خمسة آلاف دينار وحين فرغ من تأليف كتاب « الزرع والنخيل »أهداه الى ابراهيم بن العباس الصولى فأعطاه أيضا خمسة آلاف دينار . وقبل تأليف هذين الكتابين كان قد فرغ من تأليف كتاب « الحيوان » فأهداه الى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاه خمسة آلاف دينار . واذا تجلت مواهبه الفذة جعل التأليف صناعته ، فما من باب الا ولجه باطمئنان وجلى فيه ، وقد كثرت كتبه ورسائله حتى بلغت على حد بعض الرواة ، ثلاثمائة وخمسين مصنفا لم يصلنا منها غير « البيان والتبيين » ـ البخلاء ـ الحيوان ـ المحاسن والاضداد(٢٦١) .

وكان بيع الكتب وشراؤها ونسخها وتجليدها يشغل حيزا كبيرا من حياة الناس الاقتصادية والمعاشية ، فقد كان للكتب سوق تباع فيه كما تباع بقية البضائع ، ويقع سوق هذا بباب بدر ببغداد الشرقية(٢٦٢) ، وعرف أبو المعالى سعيد بن على الحظيرى(٢٦٣) ، المتوفى سنة ٥٦٨ هـ بأنه دلال الكتب فى بغداد(٢٦٤)

---

(٢٥٩) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(٢٦٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ .

(٢٦١) سامى الكيالى : النفس الانسانية ، ص ١٩ .

(٢٦٢) الأصفهانى ، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الرجاء : (خريدة القصر وجريدة العصر) . ؛ لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٥١ هـ ـ القاهرة) جـ ٢ ص ٣٤٤ .

(٢٦٣) نسبة الى الحظير وهى قرية كبيرة كانت من أعمال بغداد . من جهة تكريت من ناحية دجيل ـ معجم البلدان ـ الحظيرة .

(٢٦٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٤ .

وكان معاشـــه من الكتب(٢٦٥) . وقـــد اشتهر جماعة بجـــودة الخط ، وكان قسم من هؤلاء ممن يحرص الناس أن يحصلوا على كتب بخطوطهم لمـــا عرفت به من الدقـــة والجمال . فقـــد عرف أبو الحسن على بن عبد الرحيم المعروف بابن القصار اللغوى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ بأنه كتب بخطه الكثير من كتب الأدب وشعر العرب ... والناس يتنافسون فى خطـــه ويغالون به(٢٦٦) .

وكذلك اشتهر موهوب بن احمد المعروف بابن الجواليقى المتوفى سنة ٥٤٠ هـ بأنه مليح الخط كثير الضبط ، صنف التصانيف وانتشرت عنه وشاع ذكره بخطـــه الكثير(٢٦٧) . وكان صـــدقة بن أبى الحسين المتوفى سنة ٥٧٣ هـ يعرف بالناســـخ . لأنه كان يعيش من نسخ الكتب . وكان ما يتقاضاه الخزان العظام فى المستنصرية كابن الساعى وابن الفوطى وهما من كبار مؤرخى العراق لا يزيد عن (عشرة دنانير فى الشهر)(٢٦٨) . وكان على بن عيسى وزير المقتـــدر يعطى الطالبيين والعباســـيين وأبنـــاء الأنصـــار(٢٦٩) .

وكان ابن الفرات يعطى الفقهاء والعلماء والفقراء وأهـــل البيوتات أكثرهم مئة دينار فى الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك(٢٧٠) لهـــذا كله كانت كل أنظـــار الناس موجهة الى الخلفاء والأمراء . فالعلماء ان أرادوا الغنى لم يجدوه الا فى خدمتهم ، والشعراء ان أرادوا العيش لم يجـــدوه الا فى مديحهم . ومن أبرز مظاهر الحركة الثقافية الكبرى فى القرن السادس الهجرى الاقبال على التأليف والتصنيف ، وهـــذا الغرام بالكتب والتسابق لاقتنائها وبذل الأموال الطائلة فى سبيل ذلك . فأبو محمـــد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ كان مولعـــا بالكتب حتى أنه لم يحث أحـــد من أهل العلم وأصحاب الحـــديث الا وكان يشترى كتبـــه كلها بل انه باع داره ليشترى بثمنها كتبا حين وجـــد أن ما معه من نقود لا يكفى(٢٧١) .

---

(٢٦٥) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه جـ ٢ ص ٨١ .

(٢٦٦) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان جـ ٣ ص ٢٥ .

(٢٦٧) ابن رجب : ذيل الطبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢٦٨) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٣٥ .

(٢٦٩) الصابى ، أبو الحسين هلال بن المحسن : (**تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء**) . (مطبعـــة البابى الحلبى – مصر – القاهرة – بدون) ص ٣٢٣ .

(٢٧٠) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان جـ ١ ص ٣٧٢ .

(٢٧١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٣١٩ .

وحين عرفت كتب أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ اشاروا عليه ، أن يبخرها ويصلح ما يمكن منها ، فبخرها بأكثر من ثلاثين رطلا وطلع على راسه وعينيه ، فأحدث له العمى وكف بصره[٢٧٢] .

لقد خاض عالمنا الكبير (الكندى) حقولا شتى من المعرفة وتناول بالتأليف مواضيع مختلفة فى علوم الكيمياء والطب والحساب والمنطق والأدب والهندسة والسياسة والجدلية وعلمى الفلك والنجوم ووضع الألحان الموسيقية وغير ذلك من البحوث التى تناولت تقلبات الجو والبرد والثلج والضباب والرعد والبرق والصواعق ، وكان عالمنا على جانب كبير من الثقافة والفلسفة اليونانية وكان متمكنا منها ، وقد أحصى ابن النديم مؤلفات ومترجمات الكندى بـ (٢٤١) مؤلفا وقد نشر الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده مجلدين تضمنا خمسا وعشرين رسالة من مصنفاته وسماها بـ (رسائل الكندى الفلسفية) وقد ترجم بعض المستشرقين بعض مؤلفات الكندى الى اللغة اللاتينية والألمانية وغيرها من اللغات الأجنبية[٢٧٣] .

فالكندى واسع الاطلاع متبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، وهو لم يقف عند حد الاطلاع والتبحر بل أنتج وكان منتجا الى أبعد حدود الانتاج ، يدلنا على ذلك مصنفاته العديدة التى وردت فى الفهرست وقد جعلها ابن النديم على سبعة عشر نوعا وهى تزيد على (٢٣٠) كتابا ورسالة : فلقد وضع الكندى : ٢٢ كتابا فى الفلسفة ، ١٩ كتابا فى النجوم ، ١٦ كتابا فى الفلك ، ١٧ كتابا فى الجدل ، ١١ كتابا فى الحساب ، ٢٣ كتابا فى الهندسة ، ٢٢ كتابا فى الطب ، ١٢ كتابا فى الطبيعيات ، ٨ كتب فى الكريات ، ٧ فى الموسيقى ، ٥ فى النفس ، ٥ فى تقدم المعرفة ، ٩ فى المنطق ، ١٠ فى الاحصائيات ، ٤ فى الاحداثيات ، ٨ فى الابعادات[٢٧٤] .

ومن هنا يتجلى لنا خصب قريحة (الكندى) وأنه كان واحد عصره فى معرفة العلوم بأسرها وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظيم جهوده . ويرى بعضهم أن مؤلفات الكندى من أهم العوامل التى دفعت الراغبين فى التحصيل الى التلمذة

---

(٢٧٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٢٧٣) د.حسين أمين (**الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى**) . مجلة المؤرخ العربى – بغداد العراق عـ ٩ (١٩٧٨ م) ص ١٢ ، ١٣ .

(٢٧٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٧٤ .

عليه والأخـــذ عنه . كما راى فيها انها زانت دولة الخلافة فى زمن المعتصم فقال ابن نباتة : « وكانت دولة المعتصم تتجمل « بالكندى » وبمصنفاته وهى كثيرة جدا »[٢٧٥] .

والكندى يعتبر رائد الحقيقة ، فقد كان يقـــدس الحـــق والعلم والعناية بهما ويعتبرها من المميزات الأساسية للاسلام وللروح الاســـلامية ، ويعبر الكندى فى رسائله عن شكره لكل من جاء بشيء من الحـــق مهما كان يسيرا ، لأن معرفة الحقيقة ثمرة نضـــال الأجيال فى عصور متطاولة ويذكر الأستاذ « ديبـــور » فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الاسلام « كان الكندى واســـع الاطلاع فى جميع العلوم وقـــد تمثل كل ما كان فى عصره من علم »[٢٧٦] . وجماع القـــول فى مصنفات الكندى ومؤلفـــاته ورسائله ، انها تدل على شمول عام بميادين المعرفة ، وعلى أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات والتيارات الفكرية فى عصره لا تتهيأ للعقول الكبيرة .

---

(٢٧٥) ابن نبـاته المصرى : سرح العيـون . ص ١٠٢ .

(٢٧٦) د. حسين امين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى ، مجلة المؤرخ العربى عـ ٩ ص ١٣ .

الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء في بيت الحكمة



١ ـ تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة .

٢ ـ رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة .

٣ ـ مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة .

اولا — تشجيع الخلفاء المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة :

انتشرت المجالس العلمية فى بغداد التى تضم العلماء فى الدور والقصور والمساجد ، ويتناظرون فيها فى فروع العلم المختلفة . وقد حرص الخلفاء على عقد هذه المجالس ، ومما لا شك فيه أن هذه المناظرات ادت الى رواج الحركة العلمية لأن المناظرة اذا كانت تتم أمام خليفة او أحد كبار رجال الدولة ، فان المشتركين فيها حريضون على اتقان مادتها العلمية حتى يدعم رأيه بالأسانيد المعقولة والمقبولة ، ويحظى بتقدير الحاضرين ، وكان للخلافات فى الراى التى تحدث بين رجال العلم اثر كبير فى تقدم الحركة العلمية ، ذاك انها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس واعداد انفسهم حتى لا يخذلوا فى مجلس المناظرة مما يسىء الى سمعتهم ومكانتهم(٢٧٧) .

كان من عوامل انتعاش الحياة الفكرية فى هذه الحقبة من التاريخ أن كانت هنالك ندوات يغشاها المتبحرون من أعلام اللغة والأدب ممن لهم بصر بالشعر ، وذوق فى النقد ، ودراية بالمنحول او المسروق ، وربما حضر تلك الندوات الخليفة على جلالة قدره وعظم منزلته ، وخطر جاهه ، وكان يشارك فى الراى ويدافع بالحجة ، ويرجح بعض الجوانب على الآخر بما عنده من علم ، وما لديه من تحصيل ولا يقتصر فى ذلك كله على فن واحد او معرفة بعينها أو ثقافة خاصة ، ولكنه كان ملما بأكثر من ناحية ، وعالما بكثير من العلوم ، يخوض فيها خوض الحاذق ويحاول فيها جدل الباحث ، ويهدر فيها هدير الموج فى البحر المتلاطم ، وقد عرفنا أن الذين اعتلوا عرش الخلافة منذ أبى العباس السفاح حتى أيام المتوكل كانوا هكذا يضيفون للعلم ويشجعون الأدب بالندوات والمجالس ، فأبو جعفر المنصور يقول للامام مالك وقد مر بدار الهجرة حاجا ان الناس يتخبطون فى أحكام شريعتهم ، ويجادلون فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا أرجو أن تختار لهم من تلك الأحاديث ما يكون لهم بمثابة الاعلام التى يهتدون اليها او المعالم التى يترسمون طريقها فلا يضلون فى حكم ولا يختلفون على حق(٢٧٨) .

فيجمع مالك بن أنس كتابه الموطأ مسترشدا برأيه معتمدا على توجيهاته التى كانت له بمثابة الأستاذ المعلم والدليل الهادى ثم لا يفوته أن يعترف بذلك ليدلنا

---

(٢٧٧) ابن الجوزى : مناقب بغداد ص ٣٦ .

(٢٧٨) د. ابراهيم أبو خشب : (تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول) . (دار الفكر العربى بالقاهرة — ١٩٧٤ م ، ط ١٩٧٥ م) ص ٢٢ .

بهـذا على مقـدار ما كان عليه المنصور من كفاية يستطيع بها ان يتصدر المجالس ويتزعم المحافـل[٢٧٩] وتروى لنا الأخبار أن المنصور كان وهـو شاب جادا فى طلب العلم والأدب ، وكان يقصـد مجالس الفقهاء والأدباء[٢٨٠] .

والمعروف عن الخليفة المنصور بجـولاته فى البلدان فى فترة شبابه وحضوره المناظرات والحلقات الفكرية والدينية فى مساجد البصرة والكوفة والمدينة والاهـواز والموصـل وغيرها . ولعـل ذلك ساعد على ذوقـه وسعة وكثرة معرفته وولعـه بالحـديث والأخبار وفى رواية انه عـاد مرة من البصرة الى دار والده فى الشام واخذ يتكلم فى القـدر والمسائل الكلامية وحين سمعه والده منعه من ذلك .

وقـد كان المهـدى يوجـه المناظرات العلمية والأدبية ويجعل أيامه موزعة توزيعا عادلا على العلوم والفنون يستقبل العلماء فى يوم ، والأدباء فى يوم ، ورجال الفنون الأخرى فى يوم آخر ، وكان كل جماعة من هـؤلاء جميعا ، يعرضون عليـه ما وصـل اليه تحصيلهم او انتهى اليهم علمهم وكان يناقش فى ذلك كله عن سـعة علم ، ونضـوج عقل وكثرة وعى ، وعمق تفكير ، وكان اذا شعر من احـد بفتور ، او تقصير حثه على الجـد ، ودفعه الى المزيد[٢٨١] .

والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهـدا فى سبيل تشجيع الحركة العلمية فكان الرشيد من ابلغ الناس كلاما ، وأحسنهم نطقا وأكثرهم علمـا وفهما ، كتب الى ولاة الأمصار كلها والى أمراء الأجناد يطالبهم بتشجيع العلم واهله فقال : فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه فى ألف من العطاء ومن جمع القرآن واقبـل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ومقاعـد الأدب ، فاكتبوه فى ألف دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحـديث وتفقه فى العلم فاكتبوه فى اربعة آلاف دينار من العطاء واسمعوا قـول الفضلاء فى عصركم وعلماء دهركم واطيعـوا الرسول وأولى الأمر منكم وهم أهـل العلم[٢٨٢] .

وبلغ من تشجيع الرشيد للعلم والتعليم أن الغـلام كان يحفظ القرآن الكريم

---

(٢٧٩) المرجع نفسه ، ص ٢٢٠ .

(٢٨٠) د. صالح الحمارنة : (عمرو بن عبيد وعلاقته بأبى جعفر المنصور) مجلة المؤرخ العربى - بغداد عـ ٢٢ (١٤٠٤ هـ/١٩٨٢ م) ص ٢٠٥ .

(٢٨١) د. ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ، ص ٢٢١ .

(٢٨٢) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

وهو ابن ثمان سنين ويتبحر فى الفقه ويروى الحديث ويناظر المعلمين وهو ابن أحد عشر عاما(٢٨٣) .

وكانت الحلقات العلمية فى حضرة الخلفاء تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . كانت للمأمون حلقة علمية تجمع فيها علماء الديانات والمذاهب كلها ، وكان يقول لهم ابحثوا ما شئتم من العلم من غير أن يستدل كل واحد منكم بكتابه الدينى كيلا يثور بذلك مشاكل طائفية . ومثل ذلك كانت الحلقات العلمية الشعبية . قال خلف بن المثنى لقد شهدنا عشرة فى البصرة يجتمعون فى مجلس لا يعرف مثلهم فى الدنيا علما ونباهة . وهم الخليل بن أحمد صاحب النحو (وهو سنى) والحميرى الشاعر (وهو شيعى) وصالح بن عبد القدوس (وهو زنديق ثنوى) وسفيان بن مجاشع (وهو خارجى صفوى) وبشار بن برد (وهو شعوبى خليع ماجن) وحماد عجرد (وهو زنديق شعوبى) وابن رأس جالوت (وهو يهودى) وابن نظير المتكلم (وهو نصرانى) وعمر بن المؤيد (وهو مجوسى) وابن سنان الحرانى (وهو صابئى) كانوا يجتمعون ويتناشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار فى جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هذا الاختلاف الشديد فى دياناتهم ومذاهبهم(٢٨٤) .

وتطورت بعد ذلك مجالس الخلفاء فى العصر العباسى ، فكانت من أروع المجالس فى أثاثها وسعة رحابها ، وكثرة علمائها وأدبائها وتنوع أبحاثها وفنونها ، هذا عدا مجالس الطرب التى كانت الصبغة الأدبية غالبة عليها بما يشار فيها من حديث الشعر والشعراء وتفسير الكلمات التى يتغنى بها المغنون ومن أشهر حلقات بنى العباس فى فخامة مجالسهم وروعتها الرشيد والمأمون . أما الرشيد فقد كان يحتشد فى مجالسه أعلام العلماء من كل فن وعلم ، وحسبك أن كان من رواد مجالسه من الشعراء أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف ومن الفقهاء أبو يوسف والشافعى وأحمد بن الحسن ومن اللغويين الأصمعى والكسائى ومن المؤرخين الواقدى المؤرخ الشهير(٢٨٥) .

ومن المناظرات الفقهية التى وقعت فى مجلسه أن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة وصف الكسائى بأنه لا يحسن ، وإنما يحسن شيئا من كلام العرب ، فقال

---

(٢٨٣) ابن قتيبة : (**الامامة والسياسة**) . (القاهرة ١٣٢٢ هـ) جـ ١ ص ٩٩ .

(٢٨٤) د. مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ٨٩ .

(٢٨٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٤ .

الكسائى من تبحر فى علم واحد اهتدى به الى سائر العلوم ، فقال له محمد يختبره : ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة اخرى ؟ قال الكسائى : لا . قال محمد لماذا ؟ فأجاب الكسائى : لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر(٢٨٦) . فالفقهاء والمتكلمون فحدث ما شئت عن شغفهم ببغداد وهيامهم فيها وعما كان لهم من مجالس المناظرة والجدال .

فأما الحياة العلمية فقد كانت على شدة الاضطراب السياسى غضة نضرة ، وربما امتاز عصر أبى العلاء بالمجامع العلمية ببغداد فقد كان للأدباء على اختلافهم مجمع زعيمه الشريف الرضى ومجمع آخر حول الوزير سابور بن أردشير الذى خصص الثعالبى فى اليتيمة فصلا لمدحه ، وكان هناك مجامع فلسفية وكلامية منها العامة التى يشهدها الناس كافة كمجمع الشريف الرضى ومنها الخاصة التى لم يشهدها الا أفراد تآخوا واتفقوا على ألا يحضر اجتماعهم الا من نحا نحوهم فى الرأى المجمع الذى يلتئم يوم الجمعة من كل أسبوع فى بيت أبى أحمد بن الحسن البصرى صاحب الصوت البعيد فى علم تقويم البلدان وكانت المحاضرات تلقى على الناس من أئمة اللغة والفقه والكلام ، حسبك أن تعلم أن أبا حامد الأسفراييني وهو من فقهاء الشافعية كان يحضر درسه ألف وسبعمائة من الطلبة منهم التلاميذ والمتعلمون والأساتذة المعلمون والرجوع الى ترجمته فى وفيات الأعيان(٢٨٧) .

وواضح من هذين النصين كيف كان يلتقى أصحاب الملل والنحل والأهواء المختلفة فى المجالس ، وكيف كانوا يثيرون كثيرا من المسائل التى تتصل بأهوائهم ونحلهم ومللهم ويتحاورون حوارا طويلا . وكانت هناك مجالس أخرى للمتفلسفة والمتكلمين ، ويقال ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان أعمر مجلس بمدينة بغداد يحضره المتطبب أو المتكلم أو المتفلسف ويجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب وكان تلاميذه يقرأون عليه كتب المنطق لأرسطوطاليس وكتب جالينوس فى الطب(٢٨٨) .

وكانت لأبى داوود المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والواثق ندوة كبيرة

---

(٢٨٦) المرجع نفسه ، ص ١٦٥ .

(٢٨٧) د. طه حسين : (**تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى**) . (ط ٦ ، دار المعارف بمصر ـ بدون) ص ١٣٢ .

(٢٨٨) ابن أبى أصيبعة ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ١ ص ١٢٤ .

يحضرها من كبار المترجمين والأطبـاء سـلمويه وابن ماسـويه وبختيشوع وابن جبريل(٢٨٩) .

ولقـد كان للمرأة دور فى المباحثة والمناظرة وهى ليست بأقـل من الرجـل فزبيدة ام جعفر زوجـة الرشيد كانت تنظم الشعر وتناظر الرجال فى شتى نواحى الثقـافة والفـكر(٢٩٠) .

وكانت عائشة بنت الرشيد من أفضـل نساء عصرها تشجع الأدباء والشعراء وتجزل الصـلات لهم وكذلك علـيـة بنت الرشـيد كانت من الشـعراء ومن ربات الراى ، وعرف عنها الحزم ، وكذلك كان ابوها يعتمد عليها فى مهام أموره ويفضى اليهـا بأسراره(٢٩١) .

اما العباسـه بنت المهـدى فكانت سيدة أديبـة فاضـلة وكان الرشيد يشركها فى مجلسه مـع وزيره جعفـر بن يحيى البرمكى حينمـا ينظر فى الأمـور الهامة لأنه يانس برأيها ، ويطمئن اليها(٢٩٢) . ثم كانت تعقد مناظرات فى قصـور الخلفاء والأمراء ودور الولاة والعلماء ومن أكثر هـذه المناظرات شهرة تلك التى كانت تعقـد فى عهـد المـأمون فى قصره . ولم تكن تلك المناظرات او المجالس دورا مخصصة للدرس والتدريس ولكنها كانت على كل حال مراكز علم(٢٩٣) كل ذلك ساعد على ظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغـداد ممـا جعـل بيت الحكمة ذا مكانة مرموقـة تمتلىء بالكتب المختلفة وتضاف اليها المصنفات العظيمة ممـا شـجع اصحابها على التأليف والمباحثة والمناظرة حتى ان علان الشعوبى كان راوية عارفا بالانساب والمناظرات ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـأمون(٢٩٤) .

وكان المـأمون مثقفا ثقافـة فارسية لأن أمه كانت فارسية وكان يميل الى حرية الفكر والبحث ، ممـا دفعه الى ايجاد « مجالس المناظرة » حتى يتمكن عن طريقها من ازالة الخلاف بين العلماء فيما يدلون به من آراء علمية ، فقـد روى عن

---

(٢٨٩) الجاحظ : الحيـوان جـ ٤ ص ١٢٣ .

(٢٩٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥١٥ .

(٢٩١) عمر رضا كحالة : (أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام) . (المطبعـة الهاشمية ـ دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) جـ ٣ ص ٣٣ .

(٢٩٢) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٩٠ .

(٢٩٣) د. احمد فكرى (أبحـاث الندوة الدوليـة لتاريخ القـاهرة) . (دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م) ص ١٨٧ .

(٢٩٤) Brown Edward G. : **A Literary History of Persia.** London 1909, p. 281.

القاضي يحيى بن أكثم انه قال : امرنى المـــامون عند دخوله بغـــداد ان اجمع لـــه وجـــوه الفقهاء واهـــل العلم من بغـــداد فاخترت لـــه من اعلامهم اربعين رجلا وأحضرتهم وجلس لهم المـــأمون . فسأل عن مسائل ، وأفاض فى فنون الحـــديث والعلم . فلمـــا انفض المجلس الذى جعلناه للنظر فى أمر الدين قال المـــأمون يا ابا محمـــد ... انى لأرجـــو ان يكون مجلسنا هـــذا .. بتوفيق الله وتأييده ... سببا لاجتماع هـــذه الطوائف على ما هـــو أرضى وأصلح للدين(٢٩٥) .

فكان المـــأمون يجلس كل أسبوع للمناظرة فقهاء الاسلام فى زمانه وكانوا يلتقون حـــول مائدة ، ويستمعون بعضهم الى آراء بعض ، ويقبلون النظر فى القضـــــايا المطروحة وقـــد يتفقـــون من بعـــد خـــلاف فقـــد دخـــل الكندى الشـــاب المعتد بنفسه الى مكان الاجتماع ، فنظر حـــوله ، ثم تخطى القـــوم حتى يجلس قريبـــا من الخليفة وكان مجلس الرجل من الخليفة يحـــدد فى العادة مكانته من الحاضرين وقـــد جاء مجلس الكندى فـــوق مجلس أحـــد الفقهاء البارزين فغاظـــه ذلك وسأل الكندى كيف يتجرأ ان يتبوأ مجلسا افضل من مجلسه - فرد عليه الكندى « لأنى أعرف ما لا تعرف ، ولا تعرف ما اعرف »(٢٩٦) .

وكان لهـــذه المجالس دور كبير فى تشجيع الحركة العلمية وازدهارها لأن اشراف الخليفة المباشر عليها فى جميع مجالاتها قـــد أعطاها أهمية كبيرة ولهـــذا انطلق فى التعميق والبحث والمناقشـــــــة والمناظرة معتمدين فى ذلك على تشجيع الدولة للعلم والعلماء وفى أخبـــار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطـــرق علمية تجريبية غير مكتف بمـــا يقرأ وما سيسمع وغير قانع بمـــا يحصل عليه بتلك الطرق(٢٩٧) .

وظلت حرية التفكير هى السنة المـــألوفة فى بلاط الخليفة ويصف المسعودى مجلسا من المجالس العلمية التى كان يعقـــدها المـــأمون فى آخر النهار . كان المـــأمون يجلس فى كل يوم للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء ، فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من ســـائر أهـــل المقالات ادخلوهم حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعـــوا اخفافكم ، ثم أحضرت الموائد وقيل لهم أصيبوا من الطعام والشراب ، وجـــددوا الوضـــوء فاذا

---

(٢٩٥) د. على ابراهيم حسن : (**التاريخ الاسلامى العام**) . (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ٢ ١٩٧٢ م) ص ٤٠٧ .

(٢٩٦) جـون. س بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية- ينبوع النهضة ص ٨٠ .

(٢٩٧) د. فاروق الذبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٢٩ ، ٣٠ .

فرغــوا أتوا بالمجــامر فبخروا وطيبــوا ثم اخرجـــوا فاستدناهم حتى يدنوا منـــه ويناظرهم احسن مناظرة وانصعها وأبعــدها عن مناظرة المتزمتين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون(٢٩٨) .

اما مجالس المناظرة ومكانتها السامية فى العصر المــأمونى : فقــد وقفت على طرف عظيم منه : نقــول ان المناقشات الحادة بين سيبويه والكسائى فى شأن مسألة نحــوية ، وبين الشــعراء والأدباء فى تفضــيل شاعر على شــاعر وبين السنيين والمعتزلة فى القــول بخلق القرآن ، وأبهاء الأدب عند الأمين والمــأمون وأنصارهما ، وامراء العرب كأبى دلف وعبد الله بن طاهر وغيرهما لتدل أوضح الدلالة على ما كان للمناظرة فى هــذا العصر من مكانة حتى أصبحت من أهم مميزاته وكبريات آثاره(٢٩٩) .

من جانب آخر نرى أن شخصية المــأمون كان لهـــا أكبر الأثر فى أن يتم هــذا التطور الى غايته ، فقــد كان فى طبيعته رجلا رحب العقل حر النظر واســع الأفق ، كما تشهد بذلك صــور حياته ، وشجع على المناظرة وجعل مجالسه مجالس بحث ونظر وحــوار بين المذاهب المختلفة ، واقبــل على هــذه المتعــة العقلية يحيط بها نفسه ويملأ بها حسه فكان يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق . فقد كان بلاط المــأمون يموج بجمهرة غفيرة من رجال العلم والأدب والأطباء والفلاسفة الذين شملهم جميعا برعايته(٣٠٠) .

وكان المــأمون يشرف بنفسه ويشترك فيها بعلمه وثقافته الواســعة ولم تكن مجالس المناظرة والمباحثة قاصرة على قصور الخلفاء وانمــا تعــدت ذلك الى الجامعات ومعاهــد العلم وبيوت العلمــاء وقــد بلغ ولع علمــاء الاسلام بالمناظرة والمباحثة اذ جعــــلوها من أنواع التسلية والترويح عن النفس والمتعــة الأدبية ، واستمرت المناظرة عاملا منعوامل النشاط والحياة للفكر الاسلامى . حتى أصابها الضعف وانتابتها المزالــق والافات ، فاهتم المتناظرون بالتوافــه من الأمور ووجهوا همهم نحــو مسائل وأمور غير واقعية(٣٠١) .

---

(٢٩٨) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٩٦ .

(٢٩٩) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٤٠٦ .

(٣٠٠) د. طـه الحاجرى : (**الجاحظ حيـــــاته وآثاره**) . (دار المعـــارف بمصر ١٩٦٩ م) ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣٠١) د. عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٤١٦ ، ٤١٩ .

غير اننا لا نوافق الدكتور التومى الشيبانى فيما ذهب إليه لأن المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة كانت على أشدها وتتم فى جو علمى تسوده الحرية المطلقة والمباحثة فى مختلف أنواع العلوم الفلسفية والطبية وغيرها .

وهكذا كان المأمون بحق نجم ولد العباس فى العلوم التى أخذ منها بقسط وافر ، حتى أن البرامكة مع علو كعبهم فى العلوم ، فانهم اعتبروا أشبه بالجهلة بالنسبة له(٣٠٢) . فكانت منازل الخلفاء والوزراء تثار فيها المسائل ، وتناقش فيها القضايا ، وقد ساعد على ذلك اطلاق الخلفاء العباسيين الحرية فى التفكير والاعتقاد ما دام ذلك لا يمس الخلافة ، ولا ينال من السلطان القائم .

وكانت بغداد فى العصر العباسى الثانى كعبة يحج اليها العلماء ، كما كانت روميه فى ابان التمدن الرومانى حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الأتراك كان على مذهب أخيه المأمون فى الاعتزال واكرام الشيعة ، فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه أيام المأمون(٣٠٣) .

وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى حركاته وسكناته ، وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم العقلية والسمعية فى جميع الفروع . وهم حتى فى مجالس سمرهم ولهوهم كانوا علماء أدباء لا يفوتهم تحقيق مسألة أو كشف غامض أو تصحيح خطأ ، كما نلمس ذلك فى الحادثة التاريخية التالية : فى أحد مجالس الخليفة الواثق غنت جارية بين يديه :

أظلوم أن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

فرد عليها بعض الحاضرين نصبها (رجلا) ظانا أنه خبر (ان) فصوابه الرفع على زعمه ،وما درى أن (رجلا) مفعول المصدر و (مصابكم) فى معنى « أصابتكم » وخبر « ان » هو « ظلم » فأنكرت الجارية ما زعمه هذا الرجل وقالت : لا أقبل هذا ولا غيره ، وقد قرأته هكذا على أعلم الناس بالبصرة أبى عثمان المازنى ، فأمر الواثق باحضاره من البصرة الى بغداد ، قال المازنى : لما دخلت على الواثق قال : بناسمك ؟ يريد : ما اسمك ؟ قال المازنى : وكأنه أراد أن يعلمنى معرفة بابدال الباء مكان الميم فى هذه اللغة ، فقلت له : بكر بن محمد

---

(٣٠٢) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول ج ١ ص ٣٤٩ .

(٣٠٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٣ .

المـــازنى . قال مازن شيبان أم مازن تميم ؟ قلت : مازن شيبان ، فقال حـــدثنا ، نقلت يا أمير المؤمنين : هيبتك تمنعنى من ذلك ، وقـــد قال الراجز :

لا تقـــلواها وادلـــواها دلـــوا أن مـــع اليـــوم أخـــاه غـــدوا

قال : فسره لنـــا ، قلت : لا تقلواها : لا تعنفاها فى السير : يقال : قلوته : اذا سرت سيرا عنيفا ، ودلـــوت : اذا سرت سيرا رفيقا[٣٠٤] .

هكذا كانت مجالس الخلفاء فى العصر العباسى كخلية النحل نفـــوس تشفى وعقـــول تتغـــذى بجمال الفكر وروعته وما مجلس الخليفة الواثق الا خير شـــاهد على ذلك .

ويروى الخطيب البغـــدادى[٣٠٥] ان ابن أبى دواد الذى ولـــد بالبصرة ســـنة ١٦٠ هـ قـــد اتصـــل بالمـــأمون عن طريق يحيى بن اكثم ، فـــكان يجلس مجالس المـــأمون فى الجـــدل والمناظرة ، فأعجب المـــأمون بعقله وحسن منطقـــه وقـــربه ، واصبح ذا نفـــوذ كبير فى قصره وكان من وصية المـــأمون للمعتصم « أبو عبيد الله ابن أحمد بن أبى دؤاد لا يفـــارقك التركة فى المشورة فى كل أمرك ، فانه موضـــع ذاك ولا تتخـــذن بعـــدى وزيرا » .

فلمـــا ولى المعتصم جعـــل ابن أبى دواد قاضى القضـــاة وكان يحيى بن أكثم كذلك قاضى القضاة فى أيام الواثق ويتولى المتوكل فأصيب بالفالج وافـــل نجمـــه ، وكانت مدة عظمته ونفـــوذه وجاهـــه نحـــوا من ثمان وعشرين سنة ، ومن سنة ٢٠٤ هـ وهى السنة التى عرفه فيها المـــأمون الى سنة ٢٣٢ هـ وهى سنة خـــلافة المتوكل ومات أحمد سنة ٢٤٠ هـ على ما حكى المسعودى والذهبى وابن خلكان .

وكان ابن أبى دواد عظيم الجـــاه ، قـــوى النفـــوذ ، وقـــد كسب نفـــوذه من شخصيته ومكانته من الخلفاء مثل فى دولة النفـــوذ الفارسى المروءة العربية ، فكان واســـع المروءة ، بعيد الهمة ، كان مظهر مروءته الكرم الوافر الذى يمتلك من قلوب الناس وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة بكرمهم شأن الفرس ، وكان يقال : « أكرم من كان فى دولة بنى العباس البرامكة ثم ابن أبى دواد »[٣٠٦] .

---

(٣٠٤) د. مصطفى السباعى : من روائع حضـــارتنا ص ١٦٨ .

(٣٠٥) الخطيب البغـــدادى : تاريخ بغـــداد جـ٤ ص ١٤٢ .

(٣٠٦) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان جـ ١ ص ٢١ .

وعلى هــذا التدهور السياسى صحبته نهضة علميــة ، وضــعف العاصمة واضمحلالها نشأ عنه عــواصم كل منها مثلت دور بغــداد بنجاح عظيم . يقــول خــودا بخش[٣٠٧] : « وفى الممالك المستقلة او شبه المستقلة التى انقسم لهــا العالم الاسلامى ، قامت أسر حاكمة ، وكانت هــذه ينافس بعضها بعضا فى حماية العــلم والمتعلمين ، فأصبحت القصور الجــديدة فى العواصم المتعــددة مراكز ثقــافية خصبة » . وكانت تلك القصور وما فيها من مجالس فى ذلك العهد تقوم مقام الجامعات اليــــوم[٣٠٨] .

ويقــول العينى[٣٠٩] « وكان السلطان محمود يحب العلم والعلمــاء ويكرمهم ويجالسهم ويحسن اليهم وكانت تعقــد مناظرات طويلة بين يديه » . وحين استولى السلاجقة على بغــداد وعلى أغلب العالم الاسلامى ظهر اسم الوزير نظــام الملك الذى كان الســلطان الحقيقى لدولة السلاجقة الأولى وكان هــو نفسه فقيهــــا وعالمــــا[٣١٠] .

فكانت تعقــد المناظرات فى حضرته ، وقــد خرج لــه الغزالى مرة وناظر الأئمــة والعلماء فى مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ... فــولاه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية ببغــداد[٣١١] .

وطالمــا جرت مناظرات بين ابى اسحاق الشيرازى وامام الحرمين ابى المعالى الجــوينى بحضرة نظام الملك[٣١٢] . والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهــدا فى تشجيع الحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة التى لعبت دورا عظيما فى تنميتها وتشجيع النهضة الفكرية واثراء تراثنا الثقافى فى جميع جــوانبه الدينية والأدبية والفلسفية والعلمية . ويشيد بذلك جوستاف لوبون : ان حب العرب للعلم كان عظيما وانهم بلغــوا درجة رفيعة من الثقافة بعــد أن أتمــوا فتوحاتهم بزمن قصير ، حتى استطاعوا أن يبدعــوا حضارة انبعث فيها الآداب والعلوم والفنون وبلغت الذروة .

---

(٣٠٧) Khuda Bukhsh : **Contribution to the History of Islamic Civilization**, p. 284.

(٣٠٨) احمد امين : ظهر الاســلام جـ ٢ ص ٢٨٧ .

(٣٠٩) العينى ، بدر الدين محمود بن احمد : **عقــد الجمان فى تاريخ أهــل الزمان** جـ ١٣ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٣١٠) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٣٥ ، ١٤٥ .

(٣١١) **الغزالى** : احيـاء علوم الدين جـ ١ ص ٣ .

(٣١٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٨١ .

ثانيا ــ رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخــل بيت الحكمــة :

ومـــا لا شك فيه أن المجتمع كان يرتبط حينئذ بالاسلام ارتباطا وثيقــا فى جميع شئونه الروحية والاجتماعية ولكن كأنمــا أصبح سلطان العقل فوق سلطان الدين ، وكل ذلك باعثه الحقيقى رقى الحياة العقلية فى هــذا العصر ، فاذا كل شىء يناقش فى حرية ، واذا كل شىء يعرض على بساط البحث والجــدل فكان وراء هــذا المجلس الكبير ومجلس يحيى بن خالد البرمكى مجالس صــغرى ما يزال يجتمع فيهــا العلماء ويتجادلون ويتناظرون ، من ذلك مجلس أيوب بن جعفر ابن أبى جعفر أبى المنصور ، وقــد اجتمع فيه يوما النظام وأبو شمر المتكلم ، وكانت فى أبى شمر رزانة تجعله لا يحرك يديه ولا منكبيه اذا جادل أو ناظر ، فاضطره النظام بمــا أورد عليه من البراهين فى مسألة ناظره فيها ان يحرك يديه وان يحبو اليه حبوا يريد أن يسكنه بيــده بعــد أن أعجزه أن يسكته بالأدلة العقلية(٣١٣) .

فكانت الثقافة فى هــذا العصر شيئا طاغيا جارفا تنفعــل به النفوس وتدور حــوله أحاديث المجالس ، كمجلس يحيى بن خالــد البرمكى الذى أشرت اليه من قبــل ، وتنعقــد لــه حلقات الدرس فى المساجد وفى دور العلماء(٣١٤) .

ثم ان الأمراء والوزراء فى الدولة الاسلامية(٣١٥) كان لهم أيضا شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهر هــذه المجالس مجلس الوزير ابن الفرات فى عشرينات القرن الرابع الهجرى ، ومجلس أبى عبد الله الجسين فى سبعينات القرن نفســه . ولعلنا ندرك أن هناك أرضا خصبة لاحتضان العلوم وازدهارها فى هــذا المجتمــع العباسى الذى يحرص فيــه الخلفاء والوزراء كل الحرص على رعاية العلم والعلماء ، وفى ظــل تلك النظرة السامية للعلم والعلماء اتفقت نظرتهم ورغبتهم فى المباحثــة والمناظرة فى بيت الحكمــة .

وما يروى من مناظرة الكسائى وسيبويه بين يدى الرشيد أو بين يحيى بن خالد البرمكى(٣١٦) ،وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل نحلة

(٣١٣) الجاحظ : البيان التبيين ج ١ ص ٩١ .

(٣١٤) د. محمد مصطفى هداره : (**اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى**) . (دار المعارف بمصر ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣١٥) ابن القفطى : (**أنباه الرواة على أنباه النحاة**) . (طبعة مصر ١٣٦٩ هـ) ج ٢ ص ٢٧١ .

(٣١٦) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٨٦ .

يتجادلون فيها ويتحاورون فى كل ما يعرض لهم من مسائل . وفى ذلك يقول المسعودى : « كان يحيى بن خالد البرمكى اذا بحث ونظر . وله مجلس يجتمع فيه أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل . فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده : قد أكثرتم الكلام فى الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجوهر . والطفرة والأجسام والاعراض والتعديل والتجوير والكمية والكيف والمضاف والامامة أنص هى اختيار سائر ما ترونه من الكلام فى الاصول والفروع فقالوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل منكم ما سنح له فيه وخطر بباله »[٣١٧] .

ويصور المسعودى ما عاد على الحركة العلمية من هذه الندوات التى غدت كأنها مجمع علمى كبير فيقول : « قرب المأمون اليه كثيرا من الجدليين والنظاريين كأبى هذيل العلاف وأبى اسحاق بن سيار النظام[٣١٧] وغيرهما ممن وافقهما وخالفهما (يريد المعتزلة وغيرهم) والزم مجالسة الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء واقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق (الرواتب) فرغب الناس فى صناعة النظر وتعلموا البحث والجدل . ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله » .

وقد كفلت الحرية العقلية فى هذا المجلس وهذا المجمع الى أبعد غاية ممكنة بحيث كان كل رأى يعرض للمناقشة العقلية الخالصة حتى آراء الزنادقة[٣١٨] . ويتحدث صاحب النجوم الزاهرة عن مجلس فى البصرة فيقول : « كان يجتمع بالبصرة عشرة من مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل ابن أحمد صاحب العروض (سنى) ووليد ابن محمد الحميرى الشاعر (رافضى) وصالح بن عبد القدوس (ثنوى) وسفيان ابن مجاشع (صفرى) وبشار بن برد خليع ماجن ، وحماد عجرد (زنديق) وابن رأس الجالوت الشاعر اليهودى وابن نظير النصرانى (متكلم) وعمرو بن أخت المؤيد المجوسى وابن سنان الحرانى الشاعر فتناشد الجماعة أشعارا وأخبارا[٣١٩] كما تروى لنا بعض كتب النحو مناظرات بعض العلماء فى النحو والصرف واللغة ، كالفصل القيم الذى عقده السيوطى فى كتابه ـــ الأشباه والنظائر فى المناظرات

---

(٣١٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٣١٨) الجاحظ : الحيوان جـ ٤ ص ٤٤٢ .

(٣١٩) ابن تغرى بردى . أبو المحاسن جمال الدين : (**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**) . (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٧٠ هـ/١٩٥٢ م) جـ ٢ ص ٢٩ .

والمجالسات والفتاوى والمكاتبات والمراسلات(٣٢٠) وقد تناظر ثعلب مع المبرد فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر فى كلمة « لواذا » ومن قوله تعالى : « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا »(٣٢١) . ويروى ايضا أن محمد بن عبد الله بن طاهر كان رجلا لا يقبل من العلوم الا حقائقها وانه كان يجمع بين البصريين والكوفيين للمناظرة(٣٢٢) . ويروى أن الكميت شهد الجمعة بمسجد الجامع فأحاط به علماء الكوفة ورواتهم ، فيهم حماد والطرماح فجعلوا يسألونه حتى اذا فرغوا من سؤالهم اخذ هو يسألهم(٣٢٣) .

وكانت مسألة خلق القرآن أهم موضوع جدلى أثير فى عهد المأمون ، وقد اعتنق المأمون راى المعتزلة فيه ، ولم يدع للناس حرية ما يعتنقون فى هذه المسألة ، بل رأى أن من لم يقل بخلق القرآن فهو مطعون فى دينه ، وكانت وسيلته الأولى الاقناع والمناظرة ، ومن ثم حفلت المجالس بالقول والجدل فى هذا الموضوع الخطير ، وقد دونت كتب الأدب والتاريخ صورا من هذه المناظرات(٣٢٤) .

ولما كانت المناظرة والجدل من أهم ما كان يعتمد عليه المعتزلة فى نشر آرائهم فقد وضعوا أسسا تعتبر بحق قواعد علم للبحث والمناظرة فقد روى « أنه اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال على شرائط : الا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ، ولا تحكم ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ولا تجز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزت لى تأويل مثلها على مذهبى وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته »(٣٢٥) .

وكان عهد سلسلة انتصارات للمعتزلة فى مجالس البحث والمناظرة الكثيرة التى عقدوها مع الشيعة ، والملحدين من الدهرية والثنوية فقد ناظر أبو الهذيل

---

(٣٢٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : (**الأشباه والنظائر**) . (حيدر آباد - الدكن - الهند - الهند ١٣١٦ هـ) ج ٣ ص ١٥ .

(٣٢١) ابن حنزابه : **مجالس أبى مسلم - مخطوط** ص ٦٠ دار الكتب المصرية ٧٧ ادب .

(٣٢٢) ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : (**تاريخ بغداد**) (طبعة ليبسك ١٩٠٨ م) ص ٦٨ .

(٣٢٣) المصدر نفسه ١١٨ .

(٣٢٤) السبكى : طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢١٥ .

(٣٢٥) الأصفهانى ، الحسين : (**محاضرات الأدباء**) . (القاهرة - ١٢٨٧ هـ) ج ١ ص ٤٥ .

العلاف صالح بن عبد القدوس لما قال فى العالم انه من أصلين قديمين : نور وظلمة ، وكانا متباينين فامتزجا فقال أبو الهذيل : فامتزاجهما اهوهما أم غيرهما قال : بل اقول هوهما : فألزمه أن يكونا ممتزجين متباينين اذ لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع(٣٢٦) ذلك اليهما فانقطع وأنشأ يقول :

الى الهذيل جزاك الله من رجل   فأنت حقا لعمرى مفصل جدل

ويعود انتصار المعتزلة على خصومهم فى مجالس المباحثة والمناظرة الى اتصالهم بالفلسفة اليونانية وتزودهم بها حتى ضمنوا انتصارهم كما فعل أبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام(٣٢٧) ودرسوا كذلك المذاهب الأخرى ليتعرفوا مواطن الضعف فيها وليعدوا انفسهم للرد عليها .

على كل حال كانت هذه المجالس والمناظرات سببا كبيرا من أسباب الرقى العلمى ، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر ، وحملتهم على الجد فى تصفية المسائل حتى يظهروا فى هذه المجالس فظهر الثقة الدقيق النظر وحتى لا يفشلوا فيكون فى هذا الفشل القضاء عليهم . كان العلماء يطيلون النظر ويعدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف(٣٢٨) .

وكثيرا ما أخذ المأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسه حيث كان الحوار مذهبيا . فسأل المأمون عليا الرضى : بم تدعون هذا الأمر ؟ قال بقرابة على من النبى صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة رضى الله عنها . فقال المأمون : ان لم يكن هاهنا شىء الا القرابة ففى خلف رسول الله من أهل بيته من هو اقرب اليه من على ومن هو فى القرابة مثله ، وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الأمر حق وهما حيان ، واذا كان الأمر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحار على ابن موسى نطقا(٣٢٩) .

---

(٣٢٦) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣٢٧) احمد بن يحيى المرتضى : (**المنية والأمل فى شرح الملل والنحل**) (حيدر اباد – الدكن ١٣١٦ هـ) ص ٢٧ .

(٣٢٨) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٩ .

(٣٢٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

ولندع الآن عهد المــأمون الزاخر بالعلم والمعرفة ، ولنسر الى العهود التالية لــه : فى مجلس من مجالس الأدب والمناظرة التى عقــدت فى عصر الواثق تلاحى مخارق وحسين بن الضحاك فى أبى العتاهية وأبى نواس أيهما أشعر ، وكانت الملاحاة على مال ، فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتناظران فيه ، فاختار الحسين بن الضحاك شيئا من شعر أبى نواس جيدا قــويا لمعرفته بذلك واختار مخارق شيئا من شعر أبى العتاهية ضعيفا غزلا لا لشىء عرفه فيه الا لأنه استملحه وغناه .واختار الواثق أبا محلم ليتحاكما اليه بالشعرين فحكم أبو محلم لحسين بن الضحاك . فقال مخارق لم أحسن الاختيار للشعر ، ولأبى العتاهية خير ممــا أخــذت وقــد اختار حسين أجــود ما قــدر عليــه لأبى نواس لأنه أعلم منى بالشــعر ولكنــا نتناظر بالشاعرين ففيهما وقــع الجــدال فحكم أبو محلم لأبى نواس فقال : هــو أشعر ، وأذهب فى فنون الشعر وأكثر احسانا فى جميع تصرفه فأمر الواثق بدفــع المــال الى الحسين ابن الضحاك وانكسر مخارق(٣٣٠) .

وكان الوزراء والأمراء البويهيون يحبون أصــحاب هــذه المجالس يشجعونها ماديا ومعنويا فكان عضــد الدولة يمــد يده بالمــال الى أبى سليمان ويصــــله بالهبــات والعطــايا .

ومن المجالس العلمية المهمة الأخرى مجلس الشريف المرتضى على بن الحسين العلوى . وكان يملى فيــه ضروبا من المسائل وكتابه الذى سماه (الغرر والدرر) مجالس أعــلاها فى فنون معانى الأدب كالنحــو واللغة وغيرها . وكان لأبى القاسم على بن المحسن التنوخى حلقة يحضرها طائفة من العلماء والأدباء(٣٣١) . ولأبى حامد الأسفراينى مجلس يحضره ثلاثمائة فقيه وقــد أشار ابن السبكى الى ما كان يقــع بينه وبين غيره من المناظرات ــ وذكر شيئا من المناظرات التى وقعت بين أبى اسحاق الشيرازى والدمغانى وبين أبى الطيب الطبرى وأبى عبد الله الصيمرى ، وبين أبى اسحاق وعبد الجبار المعتزلى وبين الطبرى أبى الحسين الطلقــانى وبين الطبرى والقــدورى وغيرهما(٣٣٢) .

وكان الوزراء يهتمون بمــا يدور فى تلك الاجتماعات من مناقشات وجــــدل

---

(٣٣٠) أبو الفرج الأصبهانى : الاغانى جـ ٦ ص ١٨٨ .

(٣٣١) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٣٢) السبكى : طبقــات الشافعية جـ ٣ ص ٢٤ .

فكان ابن سـعدان يسأل ابا حيان التوحيدى عن اخبار ابى سليمان وكيف يزوره رسـل سجستان أيام الجمعة[٣٣٣]، وكان يعطيه رقعة بخط يده ليباحث ابا سليمان بما فيها من المسائل الفلسفية الخاصة بالنفس قائلا أعرضها على أبى سليمان ولا تدع عنده بل انسخ لـه وحصل ما يجيبك به ويصـدع لك بحقيقته ولخصه ورفعـه بلفظك السهل وايضاحك اللين[٣٣٤] .

وقد نقل ابو حيان اهم ما كان يدور فى مجلس ابى سليمان فى كتابيه (المقابسات) و (الامتاع والمؤانسة) فى كل علم وفن من ادب وفلسفة ومجـون وأخـلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحـديث وغناء ولغـة وسياسة وتحليل شخصيات الفلاسـفة فى عصره والأدباء والعلماء وتصـوير العادات وأحاديث المجالس وغير ذلك ممـا يطـول شرحه[٣٣٥] .

---

(٣٣٣) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٧٢ .

(٣٣٤) المصـدر نفسـه ص ٨٣ .

(٣٣٥) المصـدر نفسـه ص ٢١٢ .

ثالثا — مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة :

كانت تعقــد فى قصور الخلفاء والأمراء حلقات العلم وفيها يتناظر العلمـــاء فى اللغة والأدب والشعر والفقه والحكمة والمنطق وعلم الكلام ، وكانت عنـــاية العباسيين واضحة وأشهر من عقــدت حلقات المناظرة فى قصره من حلقاتهم هارون الرشيد الذى كان قصره كعبة العلماء والأدباء وكان يحضر مجلسه أبو نواس وابو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وابراهيم الموصلى والأصمعى والكسائى والواقــدى وغيرهم(٣٣٦) .

فقد كان هو نفسه أديبا عالمــا قرب العلماء وشجعهم على البحث والمناظرة وقد اعتنق المـــأمون مذهب المعتزلة الذين اعتمدوا على الجـــدل وقـــوة الحجة ولمـــا ضعفت الخلافة العباسية فى بغــداد وانفصلت الأطراف وقامت بها دولة مستقلة تنافس سلاطين هـــذه الدول وأمراؤها فى اجتذاب أشهر العلماء والأدباء الى مراكز حكمهم وقصورهم وأصبحت القصور فى العواصم المختلفة مراكز ثقافية(٣٣٧) .

نظهر فى العراق دور العلم هى كما ترى انها دور خاصـــة بالدرس والبحث ، ولعـــل من أشهرها بيت الحكمة ببغــداد ، ودار العلم فى الموصل ، وبيت الحكمة شبه ما يكون بأكاديمية مختصة بالدرس والبحث وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما كانت تعقــد فيها مجالس العلم للمناظرة من أجــل التوصل الى حقائق العلم ومن مشاهير من اشتغل فى بيت الحكمة أبو سهل الفضل بن نوبخت وكان قــد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية(٣٣٨) يضاف الى هـــذا كله انتشار مجالس المناظرة فى الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفى حضرة الخلفاء فى الفقه والنحـــو والصرف واللغة والمسائل الدينية ، وكان يشد من أزر هـــذه المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والأمراء ونيـــل الحظوة عندهم .. وكان بعض الخلفاء والأمراء يحضرون هـــذه المناظرات ويشتركون فى الرأى يؤيدون البعض ويفنـــدون البعض . وكان العلماء يستعدون للمناظرة يتسلحون لهـــا رغبة فى الشهرة ، وذيوع الصيت ، وكانت تذكيها المنافسة الحادة بين الامراء والخلفـــاء . وقـــد شـــهدت بغـــداد على نحـــو خاص مناظرات فى النحو والصرف واللغة ، ومن أمثالها ما جرى

---

(٣٣٦) Nicholson : A Literary History of the Arabs. London 1923, p. 261.

(٣٣٧) Khuda Bakhsh : Contribution of the History of Islamic Civilization, p. 184.

(٣٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

بين سيبويه والكسائى فى مجلس يحيى البرمكى وما كان بين الكسائى واليزيدى فى حضرة المهـدى ثم الكسائى والأصمعى أمام الرشيد ، وما روى عن محاورة بين ابى العباس احمد بن يحيى مـع ابن الأعرابى فى مجلس الأمير أحمد بن سعيد ، كما تناظر ابو العباس ثعلب مـع المبرد فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر . ومن اشهرها جميعا مناظرات المـأمون الذى كان يرى أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفـة فيسمع من كل رأيه وحجته ، ثم يفصل فى أوجه الخلاف على ضوء هذه الحجج(٣٣٩) .

ويشهد الحكام انفسهم المجالس الأدبية والمناظرات الفلسفية فقـد كان عصر ابن المقفع يزخر بهـذه المجالس الثقافية حيث كان الخليفة يجمع حـوله العلمـاء والأدباء والشعراء الذين يتسابقون لنيل نواله ويبدعـون فى صناعة القصائد وانشاد الأشـعار وحكاية الروايات والنوادر والأمثال وغير ذلك من فنون الأدب ، ممـا جعل هـذه المجالس وما يدور فيها من مناقشات أدبية طريفة عاملا من عوامل انعـاش الحركة الثقافية فى البلاد الاسلامية فضلا عن أن هـذه المجالس كانت تدور حـول بعض المبادىء السياسية وأحقية العباسيين فى الحكم على بنى امية ، فكانت تراثا ذا طابع سياسى له قيمته وخطره وأثره فى التوجيه الفكرى فى هـذه الحقبـة من التاريخ ، وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ، ويعنون بالشعر واللغة والأشعار ورواية الأخبار فكانوا يعتبرون عـدم حفظ الأشعار العربية سبة ليس بعـدها سـبة(٣٤٠) .

وفى هذا العصر ظهر نوعان من العلماء : الأول هم الذين يغلب على ثقافتهم(٣٤١) النقل والاستيعاب ويسمونه أهـل العلم ، والثانى هم الذين تغلب على ثقـافتهم الابتداع والاستنباط ويسمونه أهـل العقل(٣٤٢) .

وقـد ذكر ابن خلكان(٣٤٣) : أن الخليل ابن أحمد اجتمع بابن المقفع وتحـديا فى شتى المسائل . فلمـا افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل بن أحمد ؟ قال : رأيت عقله أكبر من علمه » ، وليس من شك فى أن ابن المقفع قـد غلب على ثقافته النقل

(٣٣٩) د. حسن أحمد محمود وآخرون : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣٤٠) محمد غفرانى خراسانى : عبد الله بن المقفع ص ٤٠ .

(٣٤١) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٣٤٢) المرجـع نفسـه ص ٣٢٤ .

(٣٤٣) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ١ ص ١٧٣ .

والترجمـــة والتاثر بآراء غيره من العلماء ، على حين قـــد غلب على ثقافة الخليـــل الابتكار الذى يتجلى من هـــذه الحقيقة وهى أنه أول من فرع قواعـــد النحو ، واول من صنف المعاجم ، واول من تكلم فى علم العروض ، فالأول اذن ذو علم والثـــانى ذو عقـــل .

وقـــد امتدت المباحثة والمناظرة الى منازل العلمـــاء حيث كان بعض العلمـــاء يخصص فى بيته مكانا للمجالس العلمية التى يرتادها أهـــل العلم وغالبا ما تكون المجالس العلمية التى تعقـــد فى المنازل خاصة وطبقه من الناس يتنافسون فى المسائل العلمية الدقيقة ويتناظرون فى الأدلة والحجج(٣٤٤) .

لقـــد كانت مجالس العلماء دورا لتلقى العلم والمعرفة يؤمها عـــدد كبير من مؤيدى العلم ينهلون من معينه وكانت تعقـــد هـــذه الندوات العلمية فى الليل ومن اشهر هـــذه المنازل فى العصر البويهى منزل الرئيس ابن سينا(٣٤٥) ، وقـــد ضمت هـــذه الدار نخبة عظيمة من العلمـــاء .

وذكر ابن القفطى(٣٤٦) : أن الجوزجانى كان يجتمع كل ليلة فى دار ابن ســـينا طلبا للعلم وكنت أقرأ معه كتاب الشفاء ، وكان يقرأ من القانون وكان التدريس بالليل لعـــدم الفراغ بالنهار وخـــدمة الأمير شمس الدين ، وقضينا على ذلك زمنا » .

ومن المنازل المهمة أيضا منزل أبو سليمان السجستانى (محمد بن طاهر بن بهرام) كان معيلا لأهـــل العلوم القـــديمة تصـــدى لقراءتها وقصـــده الرؤســـاء الاجـــلاء وانتهت اليه الصـــدارة فى الفلسفة بعـــد يحيى بن عـــدى الذى كان تلميذا وهـــو بلا شـــك من أنبغ تلاميذه وكان فاضـــلا فى العلوم الحكمية متقنا لها مطلعا على دقائقها واجتمع بيحيى بن عـــدى ببغـــداد(٣٤٧) وأخـــذ عنه .

وكان لتشجيع الخليفـــة المـــأمون للأدباء والعلمـــاء والشعراء حيث كان بيت الحكمة تزخر بمختلف الكتب والمصنفات العلمية والأدبية والفلسفية(٣٤٨) ، ممـــا

---

(٣٤٤) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٢٨ .

(٣٤٥) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٢٩٩ .

(٣٤٦) ابن القفطى : أخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٤٧) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٣٢١ .

(٣٤٨) د. ابراهيم الشريقى : (التاريخ الاسلامى فى خلال أربعة عشر قرنا) (القـــاهرة ١٩٧١ م) ص ١٣٨ .

جعل الحلقات تعقد وتدور المناقشات والمجادلات فى القضاء والقـدر وفيما اذا كان الانسان مسيرا أم مخيرا فانقسموا الى فئتين كل فئـة تناصر احـد الرأيين ولذلك احتاجوا فى العصر العباسى الى معرفة ما عند الأمم الأخرى ممـا يفيدهم فى تلك المجادلات والمناظرات(٣٤٩) .

وقـد أسهم بعض الخلفاء فى تلك المناظرات ؛ فكان يجلس المـأمون للمناظرة مـع العلماء والأدباء والشعراء من أول النهار الى آخره يتناظرون بين يديه فيرشدهم ويمـدهم بالأموال والكتب ويتفقـدهم اذا غابوا عنهم ويزورهم فى بيوتهم مـع كثرة العطـاء والرغبة فى حسن الثناء(٣٥٠) .

فنفقت سـوق العلم فى زمانه ، وقامت دولة الحكمـة فى عصره وتنافس أولو النباهـة فى العلوم لمـا كانوا يرون من أخطـائه لمنتحليها واختصاصه لمتقـدميها . فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ، ويلتـذ بمذاكرتهم . فينالون عنده المنزلة الرفيعـة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مـع سائر العلمـاء والفقهاء والمحـدثين والمتكلمين واهـل اللغـة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعليم فى أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعـدهم منهاج الطلب فمهـدوا لأصـول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها »(٣٥١) .

ومن هنا كانت بيت الحكمة منارة يهتـدى بها الخلفاء والشعراء والأدباء والعلماء فيتناقشون ويتناظرون من اجـل الوصول الى الحـق والحقيقة .

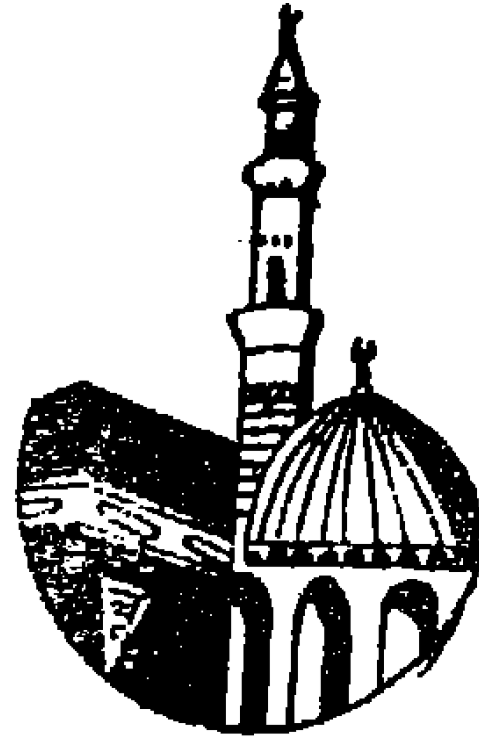
---

(٣٤٩) د. ناجى معروف : أصـالة الحضارة العربيـة ص ٤٢٠ .

(٣٥٠) ابن دحية ، عمر بن حسن بن على الكلبى : (**النبراس فى تاريخ خلفـاء بنى العباس**) صححه وعلق عليه عباس العزاوى (مطبعة المعارف ـ بغـداد ـ العراق ١٩٤٦ م) ص ٤٨ .

(٣٥١) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٧٥ ، ٧٦ .

الباب الثالث



ويشتمل على الفصـــول الآتية :

الفصـــل الأول : بيت الحكمة فى عهـــد المـــأمون ·

الفصـــل الثانى : بيت الحكمة بعـــد عهـــد المـــأمون ·

الفصـــل الثالث : تأثير بيت الحكمـــة كمؤسسة علميـــة وتعليمية على المدارس الاســـلامية ·

الفصـــل الرابع : بيت الحكمـــة كجامعة اســـلامية عظيمة ·

الفصل الأول : بيت الحكمة في عهد المأمون



١ ــ حالة بيت الحكمة قبل عهد المــأمون .

٢ ــ عنــاية واهتمام المــأمون ببيت الحكمــة .

٣ ــ صرف الأموال فى ســبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمــة .

أولا — حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون :

وشهدت بغداد فى عهد منشئها أبى جعفر المنصور ، حركة تدوين العلوم والنقل عن الأمم القديمة فترجمت الكتب عن الفارسية واليونانية الى العربية . وبذلك كانت بغداد منذ انشائها مسرحا لنهضة علمية واسعة النطاق ، وساعد على ذلك أن المنصور نفسه كان راوية للحديث ، بارعا فى العلوم والفنون ولعا بالطب(1) . وكان المنصور أديبا مصيبا فى رأيه سديدا وكان مقدما فى علم الكلام ، مكثرا من كتابة الأخبار ، ويعزز جانب الحكمة ويغدق بره ومعروفه لأهلها . وقد شهدت القرون الأولى من عهد العباسيين حركة ثقافية نشطة ذلك لأن الرفاه الاقتصادى أدى الى انشاء المدن حيث الحياة الحضرية المترفة والسكان ذوو الذوق الراقى والفراغ الكبير نسبيا وحب الاستطلاع(2) .

ولقد كان الخلفاء العباسيون أول من أدرك العناية بالعلم ، فكان حرصهم شديدا على أن يبذل العلماء كل ما يملكونه من جهد لنشر العلم بين الطوائف وافادة الأمة منه بقدر ما تستطيع من استفادة وكان أبو جعفر المنصور يجل العلماء ويجعلهم فى مكان الاعزاز والاحترام ، فلا يغلق بابه دونهم ، ولا يشيح بوجهه عنهم ، ولكنه يقربهم ، ويفسح صدره لهم ، ويبالغ فى رفع منازلهم ويطلب اليهم وضع الكتب القيمة ويشجعهم على أن يقدموا للناس عصارة ما علموه من الثقافات وخلاصة ما حصلوه من المعارف ، يرجو مالك بن أنس ان يؤلف له كتابه الموطأ ليكون عمدة الباحث ونبراس المتفقة وهداية الضال وفيصل المحتكم ، ويستجيب الامام رحمه الله لرجائه ويحقق عدته ، ويستقبل الناس ذلك الصنيع باغتباط ، وتلتف مجالسهم للدراسة فيه ، والفهم له والانتفاع به وكذلك يفعل ابن المقفع ليترجم عن الفارسية كليلة ودمنة وغيره ، ويحذو حذو ابن المقفع كثير من فحول العلم ، وأساطين المعرفة ، ولا تنتهى خلافة المنصور حتى تعج الدولة بالكتب المؤلفة او المترجمة وتتحول البلاد الى دور للدراسة ، ومجالس للعلم ، ونواد للجدل والمناظرة ومعاهد للغة والفهم والثقافة والتهذيب(3) .

ثم يأتى المهدى بعد ذلك فيستن فى هذا سنة حميدة ، ويسلك سلوكا

---

(1) د. زكى محمد حسن : (**كنوز الفاطميين**) . (القاهرة ١٩٣٧ م) ص ٨٢ ، ١٤٠ .

(2) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ ٢ ص ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(3) د. ابراهيم على أبو خشب : (**تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول**) . (دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٤ م) ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

مستقيما ، ويولى العلم والتعليم جهدا مشكورا واهتمام المتفضل ، وعناية الراغب ، ونفكير الجاد ، ويتخـذ لأهـل العلم والأدب ، أياما خاصة من فراغه ليعرضـوا عليه أحسن بضاعتهم ، وأروع نتاجهم ، ولا يفـوته أن يغمرهم بالجـود ، ويعمهم بالاحسان . ويترك فى نفـوسهم الأثر الطيب من اقبـاله عليهم ، وتقـديره لهم ، وتشجيعه اياهم ، ليزيدوا من احسانهم الى البلاد ، وجهودهم للدولة ورفعهم لراية الخلافة واعزازهم للوطن الذى أقلتهم أرضـه واظلتهم سماؤه(٤) .

ويتولى الرشيد الخلافة فلا يشغله شاغل ، ولا يلهيه عمل ولا يحول وجهـه من العلم والعلماء ، وفتح آفاق المعرفة واتساع مجال الثقافة فكان شغوفا بالفنون والعلوم . وكان قصره الزاهى مركزا لمختلف الثقافات ، وأما ولعـه بالشـعر فمضرب بالآداب ، واجازته الشعراء بسخاء فالحديث فى ذلك طويل المناحى(٥) .

كما شهدت بغـداد فى عهد الرشيد نهضة أدبية وفكرية عظيمة لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والفضلاء والكتاب ما اجتمع على باب الرشيد(٦) . ولم يكن دون سابقيه رغبة فى العلم ، وحبا للعلماء ، لقـد حكى عنـه أنه كان يحفظ شعر ذى الرمة(٧) .

فدولة الرشيد التى صورها جرجى زيدان وأمثاله دولة أبى نواس والجـوارى والمغنين ، ودولة الف ليلة وليلة هى : دولة أعـلام العلم والاختراع والحضـارة حقيقة وصـدقا ، فقـد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء مثل : جابر بن حيان الكوفى ، والحسن بن الهيثم ، والبتانى أمثال العـالم المسلم فى أرقى مراتبه . فالعلماء الذين تعتز بهم الانسانية ، لأن نهضتها تدين لهم بالفضل منهم من عاش فى كنف الرشيد ، ومنهم من هيأ له الرشيد كنوز العـلوم فى « دار الحكمة » فنهلوا من مراجعها ومصادرها(٨) . فدار الحكمـة أو بيت الحكمـة يرجح المؤرخـون أن أول من أسس هـذه الدار الجامعـة لمختلف المؤلفات هـو الخليفة هارون الرشيد ثم امدها ابنه المـأمون بعـده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين

---

(٤) المرجـع نفسـه ص ١٤٨ .

(٥) د. أحمد فريد رفاى : عصر المأمون ص ١١٩ .

(٦) د. سميرة مختار الليثى : (جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول) (دار الجيل - بيروت - لبنان ١٣٩٦/١٩٧٦) ص ٢٠٩ .

(٧) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى ج ٧ ص ٣٩ .

(٨) شوقى خليل : (جرجى زيدان) . (دار الفكر - دمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ص ١٧٩ .

الضخمة حتى صارت هـــذه المكتبة من اكبر خزائن الكتب فى العصر العباسي وظلت هـــذه الخزانة(٩) قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى ان استـتولى عليها المغـــول(١٠) فى بغـــداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جـــديدة ، وآراء مبتكرة ، وابحاثا قمية ، وافكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ، ففتحـــوا لهم الأبواب ، واغـــدقوا عليهم العطاء ، وذللوا لهم الصـــــعاب وكانوا يجلسون اليهم دائمـــــا(١١) .

ويمكن أن يوصف بيت الحكمة ببغـــداد بأنه بناية كبيرة فيها عـــدد من القاعات والحجرات الواسعة موزعة فى اقسام الدار ، تضم مجموعة من خزائن الكتب فى كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المـــأمون(١٢) . ووصفت بأنها دار كبيرة مقسمة الى عـــدة أقسام خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة(١٣) . وقـــدر لهـــذه الخزانة أن تصبح أعظم بيوت الحكمة شأنا عند المسلمين لمـــا حوت من كتب نفيسة .

وهكذا كان للرشيد مكانته وقـــدره فقـــد ازدهرت فيه الحضارة الاســـلامية أيما ازدهار وظهرت فيه آثار تحول المدنية فى العصور التى سبقته فقـــد كان قصره المثابة التى يهرع اليها الحكماء والعلماء من انحاء العالم وكانت سوق البلاغة والشعر والتاريخ والفقه والطب والموسيقى والفنون نافقة ، اذ يقابلها الخليفة مقـــــابلة فى سجيته النبل والكرم ، كل ذلك مما آتى أكله وثمره الناضج فى العصور الآتية . ولقـــد كان الرشيد يجيز العلماء فى كل فن جائزات ملكية نبيلة على أن الشعراء كانوا موضع تكريم منه وخاصـــــة مروان بن أبى حفصة الذى منحه الرشيد خمسة آلاف دينـــار

---

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٥ .

(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ .

(١١) محمد ابراهيم الصيحى : (**العلوم عند العرب**) . (مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ـ بدون) ص ٨ .

(١٢) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٤١ .

(١٣) رشيد حميد حسن الجميلى : (**أثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى**) . (أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلـة الكاتبة) ص ٢٠ .

وكساه خلعته تشريفا لــه وامر لــه بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاص مراكبه[14] . يقول ابراهيم الموصلى :

الم تر أن الشمس كانت سقيمة   فلمـا ولى هارون اشرق نورها

يمن أمين الله هارون ذى الندى   فهـارون واليها ويحيى وزيرها

وأما العلم فان بغـداد صارت قبلة لطلاب العلم من جميع الأمصار الاسلامية ، يرحلون اليها ليتموا ما بدأوا فيه من العلوم والفنون فبها المدرسة العليا لطلاب الدينية والعربية على اختلافها فقـد كان فيها كبار المحـدثين والقراء والفقهاء وحفـاظ اللغـة وآداب العرب النحويون وكلهم قائمـون بالدرس والافـادة لتلاميذهم فى المساجد الجامعة التى كانت تعتبر مدارس عليا لتلقى هـذه العلوم وقلمـا كان يتم الانسان وصـف عالم أو فقيه أو محـدث أو كاتب الا اذا رحـل الى بغـداد وأخـذ من علمائها . وجميع هـؤلاء العلماء كانوا يعيشون عيشا رغـدا ممـا كان يفيضه عليهم الرشيد والبرامكة ومن دونهم من الخير الواسع والبر العميم . ولم تكن بغـداد بالمقصرة فى علوم الدنيا كالطب والحكمة وغيرها من سـائر الصناعات فقـد حشد اليها الأطبـاء والمهندسون وسـائر الصناع من الأقاليم المختلفة فاستفاد من العـلوم ممـن سبقهم من الأمم فى المدنية كالفرس وأهـل الهند وأهـل الروم والصـابئة وغيرهم . وزادوا على تلك العلوم بمـا منحوا من المواهب العقلية[15] .

ويؤكد ذلك ابن طباطبا[16] فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانية : « ان الدولة العباسية ساست العـالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمـة وبضائع الآداب فيها نافقة وشـعائر الدين فيها معظمة والحرمات مرعية » .

وفى بغـداد التقى الطب اليونانى بالطب الهندى على صعيد واحـد . فقـد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى مرة الطبيب الهندى منكه الى بغـداد ، وكما سبق للبرامكة أن أمروا بنقـل بعض الكتب الطبية الهندية الى اللغة العربية[17] .

---

(١٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ١٣٣ ، ١٣٥ .

(١٥) الشيخ محمد الخضرى : (**محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية**) . (المكتبة التجارية الكبرى – القـاهرة ١٩٧٠) ص ١٣٥ .

(١٦) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٨ .

(١٧) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٢ .

وهكذا جمعت الكتب التى ترجمت فى الطب والنجوم والهندسة والكتب التى الفت فى الحديث والتاريخ والأدب ووضعت فى خزانة[18] بيت الحكمة .

ومن ميزات العصر العباسى اشتغال الخلفاء والأمراء بالعلم والأدب وأخبار المنصور والرشيد والمأمون وأقاربهم ووزرائهم وشعرائهم تملأ كتب الأدب والتاريخ العربى وكان من حياتهم اعظم دافع لاشتغال الرعية بطلب العلم والنبوغ فيه . ومن مفاخر هذا العهد اطلاق الفكر من قيود التقليد حتى تعددت البدع وتفرقت الفرق وكثرت النحل[19] . .

(18) سعيد الديوه جى : (**بيت الحكمه**) . (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ط ٢) ص ٣٣ .

(19) محمد لطفى جمعه : (**تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب**) (ط ١ المكتبة العلمية – ليون – فرنسا ١٩٠٩ م) من المقدمة .

ثانيا ـ عنـاية واهتمام المـأمون ببيت الحكمة :

والمـأمون بعـد تربعـه على كرسى الخلافة ، وتقلده زمام الحكم أصبح اليد المشكورة على العلم والأدب والثقافة والمعرفة ، والفلسفة والحكمة ، حتى كأنه هو وحـده باعث هـذا العصر والنافخ فيه من روحـه وهـو الذى حول بيت الحكمة الى ما يشبه الجامعة ؛ فصارت مثابة للعلم ومنارة للرشد ، ومباءة للمعرفة ، وأصبحت حضارة العصر كله مدينة لها بما ادت للانسانية من جهود ميمونة مباركة[٢٠] .

وفى خلافة المـأمون لقيت الموسومة بيت الحكمة كنوز العلم الاسلامية الى كنوز العلم الأجنبية وامر بأن تشترى المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى فى عهده واستهل ابو يوسف يعقوب الكندى « فيلسوف العرب » واحـد العقول الكبرى[٢١] فى تاريخ العالم كما دعاه كاردفـو Cardavo .

ويقـول « هـوجز » : « ان عصر المـأمون ازهى فترة فى تاريخ النهضـة بالعالم الاسلامى اذ كان الخليفة نفسه عالمـا من أساطين العلماء ، واختار اصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفـذاذ فى الشرق والغرب ، هـذا ، الى جانب الأسـاتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطـه وزين ملكه »[٢٢] .

ويصف سيد أمير على[٢٣] : « ان بلاط المـأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المـأمون من جهات متعـددة من العالم المتمـدين وشملهم بعنايته ، مهمـا اختلفت مشاربهم أو جنسياتهم ، وكثيرا ما أخـذ المـأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسـه » .

ان المـأمون[٢٤] كان أديبا عالمـا افانين القـول ومناحيه ، وليس ذلك ببعيد على من تتلمذ على شيوخ الأدب كسيبويه واليزيدى ، ويحيى بن المبارك بن المغيرة ،

---

(٢٠) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٤٩ .

(٢١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٣ .

(٢٢) Hughos, Thomas Patrick : Dictionary of Islam, London 1885, p. 295 - 296.

(٢٣) Saed Ameer Ali : Short History of Saracens, p. 278.

(٢٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٣٥٤ .

الذى اخــذ العربية من امثال ابى عمرو بن العــلاء وابن أبى اســحاق الحضرمى ، واخــذ اللغــة والعروض عن الخليل بن أحمد ، والذى الف كتابا فى النحــو لبعض اولاد المــأمون . فقــد افاد المــأمون من هؤلاء وأمثالهم من رجال الأدب والكفاية أيما افادة . قال عمارة بن عقيل : انشدت المــأمون قصيدة مئة بيت فابتدىء بصــدر البيت فيبارى الى قافيته كما قفيته ، فقلت والله يا أمير المؤمنين ، ما سمعها منى أحــد قط ! فقال هكذا ينبغى أن يكون . ثم قال لى : أما مبلغك أن عمر بن أبى ربيعة انشد عبد الله بن عباس قصيدته التى يقول فيها : تشط غــدا دار جيراننا . فقال ابن عباس : وللدار بعــد غــد أبعــد . حتى انشد القصيدة يقفيها ابن عباس ثم قال : أنا ابن ذاك .

وحينما قرب المــأمون الفلاسفة والمتكلمين كان فيه ميل الى العلم والثقــافة حيث جمع فى بيت الحكمة أمهات الكتب العربية وغير العربية مع مئات العلماء والمفكرين والمترجمين . وجمع بلاطه فلاسفة وعلماء تدارسوا القرآن والحــديث والفقه والمسائل المتفرعة منها ولكن المــأمون كان يميل الى آراء المعتزلة ويعجب بأدلتهم العقليــة والنقلية ولذلك أصــبح أحمــد بن أبى داوود المعتزلى ذا نفــوذ كبير فى دولة المــأمون(٢٥) .

كان المــأمون وافر العلم غزير الاطلاع وليس ذلك بعزيز على خليفة ملأ عصره بأنواع المعارف الانسانية ونفخ فيه من روحــه القــوى ، حتى استطاع الباحث أن أن يسميه بسمته ، وأن يرجع فضــل الحضارة العباسية اليه . ولكن المــأمون فى علمه وثقافته لم يقف عند حــد الثقــافة الذاتية ، وانمــا وجــه حرصه الى أن يثير فى نفــوس أصحابه كوامن الرغبة الى التعمق فى الدرس ، والشوق الى ادراك حقائق الأشياء ، وكانت لــه فى ذلك طريقة معروفة هى توجيه السمر والحــديث الى فنــون العلم وضروب العرفان فكان حــديث الليل وحــديث المــائدة يفتح لجلسائه أبوابا من القــول لما كانت تخطر لهم ببال(٢٦) فان المــأمون فى علمه وعرفانه أهــل للاحتذاء والارتسام من أقرانه ، قمين بالتمثيل به والاقتفاء ليكون زمانهم غرة فى جبين الدهر كزمانه ، وليكون نصيبهم نصيبه فى مهابته ورفعــة شأنه ، ورســوخ عرشه وقــوة بنيانه(٢٧) .

---

(٢٥) د. فاروق عمر فــوزى : (**العصر الذهبى عصر الازدهار الحضارى**) مجــلة المؤرخ العربى - بغــداد - العراق عـ ١٥ (١٩٨٠ م) ص ١٤٢ .

(٢٦) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢٧) المرجــع نفســه ص ٣٦٢ .

وفى غضون حكم المـأمون(٢٨) (١٩٨ هـ/٢١٨ هـ ـ ٨١٣ م/٨٣٣ م)وصلت الجهود الثقافية الجـديدة الحـد الأقصى . فقـد أنشأ الخليفة فى بغـداد دارا رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة وكان احـد مترجميها « حنين بن اسحاق » الفيلسوف العبقرى العظيم المواهب والطبيب النطـاسى الواسع الاطـلاع والتشخصية الرئيسية فى عصر المترجمين هـذا .

واختار المـأمون سهل بن هارون كاتبا على خزانة الحكمة التى ضمت آلاف المراجـع فى كل علم وفن ، وخصص مكان معين للمؤلفات اليونانية وعكف المترجمون على العمل فى جـد ونشاط ظهر أثرهما واضحا فى تقـدم علوم الطب عند العرب(٢٩) .

ويقول العالم بلنتو : « ان اهتمـام المسلمين بالمكتبات لا يوصـف فهى مزودة بحجرات متعـددة بها رفـوف لوضـع الكتب وبعضها مخصص للاطـلاع وبعضها للنسخ وبعضها لحلقات الدراسة » . ولأهمية خزائن بيت الحكمة جعل سهل بن هارون كاتبا عليها وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمـأمون من قبرص(٣٠) .

ان بيت الحكمة هـذا كان أكاديمية علمية بالمعنى الصحيح ، ولابد لنـا ان نشيد بالجهود العلمية التى بذلتها هـذه المؤسسة . ذلك ان النقـل والتعريب كان آنذاك صعبا كل الصعوبة لأن النقلة كانوا يطرقون موضوعا جـديدا كل الجـدة عليهم ولا سيما اذا تذكرنا المصطلحات العلمية الكثيرة التى كان يجب عليهم ايجـاد بديل لهـا باللغة العربية ، وقـد تمكنوا فى اغلب الأحيان من ايجاد البديل المناسب ونقولهم هـذه بشكل عام جيدة ، وقسم كبير من التراث اليونانى لم تعرفه أوروبا الا عن طريق النقـول العربية(٣١) .

ان قيام بيت الحكمة البغـدادى وازدهار حركة ترجمة الكتب الطبية والفلسفية والعلمية الأخرى من اليونانية الى السريانية فالعربية ، ونبوغ حنين بن اسـحاق ومدرسته وعلى رأس تلاميذها ابن اسحاق وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم ، فكانت مدرسة كاملة للترجمة ذات نهج علمى ، وانتاج زاخر ، وعرف العالم العربى

(٢٨) توماس أرنولد وآخرون : (**تراث الاسلام**) . (ط ٣ دار الطليعة ـ بيروت ـ لبنـان) ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٢٩) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٩ .

(٣٠) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٥ .

(٣١) ابن نباته المصرى : سرح العيون ص ١٣٢ .

اقــوى حركة للترجمة بفضل بيت الحكمة على عهــد المــأمون والمتوكل وتكاثرت بيوت الحكمة والعلم فى ســائر أنحاء العالم الاسلامى ومنهم سلم الحرانى الملقب بصاحب بيت الحكمة وهــو معاصر للمــأمون ، وقــد لمع خاصة ثابت بن قرة الذى انتقل من حران الى بغــداد(٣٢) .

قال جوستاف لوبون عن المــأمون انه كان يخــلو بالحكمــاء ويأتى بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علمــا منه بأن اهــل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده . فلهــذا السبب كان اهــل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيــا لفقــدهم » . وكان أولئك يحيطون بخلفاء بغــداد وكان يمكن لهــؤلاء الخلفاء أن يعــدوا قصورهم أول قصور العالم وأنضرها(٣٣) .

ويعتبر بيت الحكمة اول مكتبة علمية ذات شــأن فى العــالم الاسلامى ، ولعــله اول جمعية علمية يجتمع فيها العلماء للبحث والدراسة . وكان عصر المــأمون أزهى عصور العلم ، وكان الخليفة نفسه مثال الخليفة العالم ... يهب وقته ورعايته للعلماء ويمنحهم عطفه وتشجيعه . ونادى الخليفة بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء فهيأ للعلماء أرزاقا يتقاضون فى أوقات ثابتة يفيض ريعها على التكاليف المطلوبة . وكان الخلفاء العباسيون يعــدون انفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم لابد أن تكون مراكز ثقافية ومدارس يلتقى فيها العلماء والطلبة وخصص بعض الخلفاء فى قصورهم دورا ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضــع منها رؤساء كل صــناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية(٣٤) .

فكان المــأمون يجل علماء اليهود والنصارى ، ويحتفى بهم فى مجلسه لا لعلمهم فحسب بل لثقافاتهم فى لغــة العرب وحــذقهم فى معرفة لغــة اليونان وآدابها ، ومن تشجيع الخلفاء لأهــل العلم واكرامهم لرجال الأدب ، ومن انصراف همم أولى الفضل الى التأليف والترجمة ان السبيل التى سلكتها الآداب فى صــدر العصر العباسى قــد بلغت غايتها فى أيام المــأمون ، فعصره اذن هــو الثمرة الناضجة ، لتغير الآداب فى العصر العباسى(٣٥) . ويعتبر العصر الذى بلغت فيه الآداب العربية الذروة من الكمال المقــدور لهــا(٣٦) .

---

(٣٢) الأب يوسف حبى : (يوحنا بن هيلان معلم الفارابى فى المنطق) مجــلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق عـ ٣ (١٩٧٥ م) ص ١٧٧ .

(٣٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧٤ .

(٣٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٩ .

(٣٥) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٣٦) المصدر نفسه ص ٤٠٢ .

كما اقترن اسمه (المـأمون) بتلك النهضة الفكرية التى ازدهرت فى العصر العباسى الأول ، بوجه عام . وفى عصر المـأمون بوجه خاص ذلك لأنه شارك فيهـا بنفسه حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وأنه فيلسوف الخلفاء وحكيم بنى العباس . واهتم بالتراث القـديم وجمعه وخاصة التراث اليونانى . فأرسل بعثات من العلماء الى القسطنطينية وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ونقلها الى بيت الحكمة فى بغـداد ، وكان هـذا البيت بمثابة معهد علمى يضم مكتبة لنسخ الكتب ، ودارا لترجمتها الى العربية ، وكان له مدير ومساعدون ومترجمون ومجلدون لكتب وقـد بلغ من شغفه بالثقافة الاغريقية أن زاد اهتمامه بهـذا البيت وما حـدث فيـه(٣٧) .

فعصر المـأمون من العصور الاسلامية الزاهرة ، ولم تكن شخصيته سياسية بقـدر ما هى شخصية أدبية ، فقـد شجع النهضة العلمية وحرية الفكر ، ودفـع حركة النقـل والترجمـة الى الأمام(٣٨) فكان عصره من أزهـى عصـور العـلم فى الدولة العباسية لميله الى تحصيل العلوم والمعارف ونشر المعـرفة بين أفراد الأمة الاسلامية وقـد تجلى ذلك فى امداد « بيت الحكمة » فى بغـداد الذى وضـع أساسه الرشيد وضمت مختلف العلوم والفنون ، ممـا جلبه من بلاد الهند والروم والفرس وغيرها حتى أصبح أشبه بجامعة علمية تحـوى دارا للكتب ، يجمع فيها العلمـاء للترجمة والتأليف والدرس وبه أماكن خاصة للنساخين لنسخ الكتب لأنفسهم ولغيرهم بأجـور معينة . واشرف عليه موظف عرف باسم « صاحب بيت الحكمة » كان الخلفاء يختارونه ممن اتصف بسعة العقل والأمانة العلمية(٣٩) لو لم يكن المـأمون خليفة ، لكان أحـد العلماء البارزين فى العصر العباسى ، نشأ نشأة علمية ، وعاش فى وسـط علمى ، ومال الى مذهب الاعتزال ، لأنه مذهب يعتمد على العقـل فى محاكمـاته للأشياء ، فأفاد المـأمون من مركزه السياسى لتدعيم الحركة العلمية ، فأمر بنقـل جميع ما يقـع عليه من كتب فلسفية ومنطقية لتأييد مذهب الاعتزال ، ولم يتعصب للفلسفة فقط بل عطف على جميع العلوم ، وأنفق فى سبيلها بسخاء ، حتى أنه أعطى وزن ممـا يترجم ذهبا ، وكان يضع علامة على كل كتاب يترجم لـه ويشجع الناس على قراءة الكتب المترجمة ويرغبهم فى تعلمها ، ويضع الجوائز الكبيرة فى المناظرات التى كانت تجرى تحت اشرافه أو تحت رعايته ، واقتدى المـأمون أهـل الوجاهة

---

(٣٧) د. أحمد مختار العبادى : (**فى التاريخ العباسى والأندلسى**) . (دار النهضـة العربية – بيروت – لبنان ١٩٧٢ م ط ٢) ص ١٠٨ .

(٣٨) د. على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٩٧ .

(٣٩) المرجع نفسه ص ٤٠٧ .

والثروة فتقاطر المترجمون والنساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة وغيرهم على بغـداد . وكثر الوراقـون وباعـة الكتب وراجت صـناعة العـلم والآداب ، واغتنى محترفـوها(٤٠) .

يقول خودا بخش(٤١) عن المـأمون عند الحـديث على النهضة الأدبية والنشاط العلمى فى العالم الاسلامى : يبـدو عصر المـأمون وهـو أزهى العصور ومكانته القمة بالنسبة الى سواه ... ومن الحق أن يقال ان جميع الحركات الثقافيـة فى الأقطار الاسلامية منذ عهد المـأمون هى فروع للأصول التى غرسها وسقاها ذلك الخليفة العظيم . فهـذا بيت الحكمة اول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمـأمون بمـا منحه له عن عنايته ، وما أضفى عليه من قـوة ، وما أنفق من مال . وعن طريق هـذا المعهد كسبت اللغـة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بمـا يجرى فى بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، فلم يجـد العالم غير الترجمات العربيـة وسيلة للوصول الى هـذا التراث(٤٢) .

وليس من شـك فى أنه قـدر للمـأمون أن يخـدم الثقافة الاسلامية خـدمة جلى خلال العشرين سنة من مقامه فى بغـداد عن طريق اهتمامه الشخصى بعـلوم اليونان(٤٣) ، وذلك أن المـأمون لمـا هادن صاحب هـذه الجزيرة (جزيرة قبرص) ارسـل اليه يطلب خزائنه من كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليها احـد ، فجمع صاحب هـذه الجزيرة بطانته ، وذوى الرأى عنده واستشارهم فى حمل الخزانة الى المـأمون ، فكلهم اشاروا بعـدم الموافقة الا مطرانا واحـدا فانه قال : الرأى أن تعجل بانفاذها اليه فمـا دخلت هـذه العلوم العقلية على دولـة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها ، فارسلها اليه واغتبط بها المـأمون(٤٤) .

غير أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المـأمون الذى كان واسـع الثقافة حر الفكر ، ولـه شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هـذا أولى بيت الحكمة عنـاية خاصـة كان من نتائجها تطـور الثقافـة عنـد المسلمين ، ودخـول العلوم

---

(٤٠) أنور الرفاعى : الاسلام فى حضارته ونظمه ص ٥٣٢ .

(٤١) — Khuda Bukhsh : Islamic Civilization, pp. 270-277.

(٤٢) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٤٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠١ .

(٤٤) ابن نباته المصرى : سرح العيون ص ١٦٦ .

الأجنبية اليوم واختصاصهم لهذه العلوم . مما أدى الى حفظ ذلك التراث ونقله الى الأجيال التالية ، وكان على وشك أن يضيع . وقد ضم بيت الحكمة كتبا وضعت فى الأصل بلغات مختلفة ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرين ينقل بعضهم من اللغة اليونانية ، وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق ثالث من الهندية[٤٥] وهكذا .

ومن أجل هذا نجد يحيى بن خالد البرمكى الذى يشرف على شئون الدولة بوجه عام وعلى النهضة الثقافية بوجه خاص يرسل فى طلب بعض العلماء الهنود المتفوقين ويعين من يترجم عنهم كتبهم وأفكارهم الى اللغة العربية وبواسطة هؤلاء العلماء الهنود الذين استدعاهم يحيى نقلت فنون من الثروة العلمية من الهندية الى العربية[٤٦] . ومن أبرز مترجمى المأمون من أهل الذمة يوحنا بن البطريق ، وكان أمينا على ترجمة الكتب العلمية حسن التأدية للمعانى وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب[٤٧] .

مما تقدم نرى أن بيت الحكمة كانت تنال جل اهتمام المأمون وعنايته ، ومع ذلك بقيت بغداد على بعدها — أستاذا لأهل هذه الأقطار فاتخذوها قبلة لهم فى تفكيرهم وسعوا اليها سعى الحاج الى بيت الله الحرام ، وتوافدوا عليها من فارس والحجاز ومصر والشام ومن المغرب والأندلس وتركزت فيها الحركات الأدبية[٤٨] والعلمية زمنا طويلا . كما كانت معينا فياضا سائغا ينهلون منه ويردون على الدوام حياضه ، ويقتفون أثره ويحملون رسالته ويتمون أداءها ، لبثت بغداد نفسها تجنى ثمار نهضتها العلمية الأولى . فزخرت بفحول العلماء ، وكبار المؤلفين وأساطين الأدباء وبلغاء الشعراء ، والمبتكرين من أهل الفلسفة والكلام وغيرهم ، وانضجت فى رجالها روح التخصص فى النواحى العلمية . كما ازدهرت التآليف الشائعة بها ويشهدون حلقات ودروس علمائها ومناظرات أدبائها ومحاورات ظرفائها ومسابقات شعرائها ، ومفاكهات أئمة المجالس فيها . وامتلأت كذلك فى خلال هذه المدة بشتى الكتب طارفها وتليدها ، وتضخمت دور كتبها فأصبحت تراثا فكريا ثمينا ، وذخيرة علمية

---

(٤٥) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٢ .

(٤٦) Khuda Bukhsh : (Islamic Libraries The Nineteenth Century L11) P. 128.

(٤٧) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٦ ، ٣٣٩ .

(٤٨) محمود رزق سليم : (**عصر سلاطين المماليك**) . (مكتبة الآداب بالجماميز بالقاهرة ١٩٤٩ م) ص ٦ .

نفيسة ورمزا انسانيا ساميا لمرحلة من مراحل العلم ، ودور من أدوار الحضـــارة والمدنية[٤٩] . وبذلك كله ظلت بغــداد زهاء خمسة قرون هى العاصمة الروحيــة الفكرية للمسلمين قاطبة وللناطقين بالعربية ، وظــل بيت الحكمة منارة تهتــدى بـه الشعوب الاسلامية والعربية فى عز ازدهارها فى عهد الخليفة المـــأمون .

(٤٩) المرجع نفسه ص ٦ ، ٧ .

ثالثا ــ صرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة :

كانت رعاية المــأمون لبيت الحكمة ، وما انفق عليه من مال وما جرى فى عهده من ترجمات لتراث الاغريق مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء فهيأ للعلماء أرزاقا سخية يتقاضــونها فى أوقات ثابتة ، يغيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهــذه المؤسسة العظيمة . وكذلك جرى العمــل من بعــده على أن يكون معهــدا أو مؤسسة لهــا وقف ثابت يفى بنفقاتهـــا(٥٠) .

وكان يتقاضى كل من حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للنقــل والملازمة(٥١) ، واتخــذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا ، وكان أبو يوســف أول من غير لبس العلمــاء واقترح لتميز هــذه الطائفة عمامة سوداء أو طيلسانا لعله الروب الجامعى اليوم ، ومنذ ذلك الحين أصبح هــذا الزى ضروريا للمدرسين(٥٢) وازدهرت بيت الحكمة وارتقت فى عهــد المــأمون لميله الى الفلسفة والعلوم العقلية . وأنفق أموالا طائلة فى نقــل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها .

وكان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم . فسهل بن هارون صــاحب خزانة الحكمة للمــأمون كان حكيما شاعرا ، وجــدير بالذكر أنه فارسى شــعوبى المذهب شــديد العصبية على العرب ويصف الجاحظ براعته وفصاحته فى عــدة كتب(٥٣) .

وازداد النشاط الفكرى والثقافى فى بيت الحكمة بزيادة عــدد الكتب فى عهــد الخليفة المــأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص المــأمون على نقلها الى بيت الحكمة بل نجــده يطلب من يوحنا بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغــداد . وقــد كان يوحنا يعرف اللغة اليونانية ، وضمت هــذه الكتب الى بيت الحكمــة وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(٥٤) وكان العلماء فى

---

(٥٠) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ص ٧٣ .

(٥١) محمد أسـعد طلس : (عصر الازدهار وتاريخ الدولة العباسية) . (دار الأندلس ــ بيروت ــ لبنــان ــ بدون ، ط ١) ص ١٦٤ .

(٥٢) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٧٥ .

(٥٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ١٧٤ .

(٥٤) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٨٠ .

الدولة الاسلامية يودعــون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة وهــذا يدلنا على اهمية بيت الحكمة كمركز اشعاع فكرى للانسانية وهــذا ما يحــدث الآن بالنسبة لكل مؤلف عليه أن يودع نسخا من مؤلفاته أو مؤلفاتهم فى دار الكتب المشهورة فى بنده كدار الكتب المصرية فى القاهرة او غيرها من البلاد الاسلامية الأخرى .

فحينما نقول المــأمون باطلاقه فاننا نعنى المــأمون العباسى بن هارون الرشيد فكان الخليفة المــأمون العباسى كوكبا لامعا فى سماء الاسلام ، فى السياسة ، وفى الفكر والفلسفة وفى العلم ، فهــو نموذج للحكام المتنورين المستنيرين الذين نقيسهم به اذا قلنا (فى التاريخ الحــديث) : بطرس الأكبر (فى روسيا) ولويس الرابع عشر (فى فرنسا) وفردريك الكبير (فى ألمــانيا) وحينما نذكر عظماء الحكام فى الاسلام من أولئك الذين تركوا جهودهم على الحضارة الانسانية ـــ فلابد أن نذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والوليد بن عبد الملك ، والمــأمون العباسى ، وعبد الرحمن الناصر ويوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبى والمنصور الموحــدى ، والظــاهر بيبرس ، ونفرا كثيرا من ملوك المسلمين فى العراق والشام ومصر والأندلس والهنــد وتركيــا من المشرق والمغرب(٥٥) .

كان المــأمون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى أيامه ويرغبهم فى تعلمها ، ومن ثم تقــدمت الحركة العلمية فى عهــده ، وتنافس أولو النباهــة من العلماء والفقهاء والمحــدثين والأدباء والشعراء فى تحسين انتــــاجهم فأجزل لهم العطاء ، شــغل علماء بغــداد وغيرها من الحواضر الاسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقــل وترجمة العلوم الأجنبية الى العربية ، لكنهم فى القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصى ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجع السبب فى ذلك الى ما كان للعامل الدينى من أثر فى حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينيــة وما ترتب على ذلك من حرصهم على دراســة العلوم اللغوية ، لأنها خير زاد لفهم الدين(٥٦) .

وكان اكثر الخلفاء تسامحا فى الدين المــأمون الذى بلغ به تسامحه أن انتصر

---

(٥٥) د. عمر فروخ (المــأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعلم) مجلة الباحث ـ بيروت ـ لبنان عـ ٤ (السنة الرابعة ـ أبريل ١٩٨٢ م) ص ٩ .

(٥٦) د. محمد جمال الدين سرور : (تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق) ، (دار الفكر العربى ـ القــاهرة) ص ٢٠٩ .

المعتزلة فى القــول بخلق القرآن ، فكانت الأفكار من حيث الدين مطلقة الحرية لا يكره الرجــل على معتقد أو مذهب . وقــد اجتمع ستة أخــوة لأبى جعــد اثنان منهما يتسيعان . واثنان مرجئان واثنان خارجيان وكلهم تحت سقف واحــد(٥٧) .

ولقد تم هــذا التزاوج فى البيئات التى تعبق بالروح الهلينية بدافع من مساواة الاسلام بين معتنقيه ، اذ لم يكن ثمــة تعصب أو انحياز ، انمــا كانت المساواة وكان التسامح هما الأساس الذى بنى عليه الاسلام معاملته لأهــل الأديان الأخرى . وقــد كان لذلك اثره فى استثارة هممهم ، وتحريك رغبتهم فى المشاركة فى ألــوان النشاط المختلفة التى تدور حــولهم(٥٨) .

يقول جوستاف جرونيباوم(٥٩) : « وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى بواكير صــدر الاسلام مرضية مقبولة » .

ويقول ف. بارثولد(٦٠) : « وكان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمنة الأولى لحاجــة الفاتحين الى هــذا العنصر المسيحى المتفوق على العــرب حضــــارة » .

ولكن ولا شــك أبدا فى أن المــأمون قــد حفظ بعمله جانبــا كبيرا من تراث الفكر الانسانى ثم عمــل على نشر ذخائر ذلك الفكر فى العالم الاسلامى . ومن العالم الاسلامى انتشر هــذا النور الساطع فى أرجاء العالم المتحضر كلها(٦١) .

والمــأمون هــو الذى أولى بيت الحكمة فى بغــداد جل اهتمامه وصرف الأموال فى سبيل ازدهارها وارتقائها ، وبعــد أن كان نقــل الكتب يقوم به الأفراد تطــوعا واتجارا ، جعل المــأمون هــذا النقل لكتب العلم والفلسفة « ادارة رسمية » فى الدولة . وجعل فيها الموظفين من كل طبقة ونوع . وكانت الكتب تنسخ له (أى يشير

(٥٧) محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب – المقدمة .

(٥٨) د. الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٢٨ .

(٥٩) جوستاف جرونيباوم : حضارة الاسلام ص ٢٢٣ .

(٦٠) ف. بارثولد : (**تاريخ الحضارة الاسلامية**) ترجمة حمزة طاهر (دار المعــــارف بمصر ١٩٤٢ م ط ٣) ص ٥١ .

(٦١) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعــلم . مجــلة الباحث ع ٢٢ (١٩٨٢ م) ص ١٥ ، ١٧ .

هــو بنسخها عن أصــول عربية أو ينقلها عن أصــول غير عربية وتفسر لــه) اذا كانت موضوعاتها تحتاج الى مثل هــذا التفسير[٦٢] .

وقــد كان فى خزائنه هــذه كتب بخطوط مختلفة[٦٣] ، كما كان قــد أخــذ (الطالب) أصحابه وكتابه بتجــويد خطوطهم .

لقــد كان للمــأمون ولعــه الشخصى بالأمور العلمية الفلسفية ، فكان يعقــد مجالس المناظرة فى حضرته ويبعث فى طلب العلماء والاعلام لحضورها من بيزنطه . وكان يتصيد الكتب النادرة ، ويدفــع فيها المبالغ الطائلة ، ويجعل بعضها شرطا من شروط الهــدنة مــع الروم ، كما أقام (بيت الحكمة) فجمع فيه مكتبة ضخمة هائلة وجهازا كبيرا للترجمة من مختلف اللغات الى اللغة العربية حشد لــه سبعين مترجما . ولقــد أدى هــذا العمل الى ظهور عصر الترجمة الثانى فى تاريخ الفكر الاسلامى ، أو الى التعجيل فى ظهوره على الأقل كما مزج الثقافات المختلفة مزجا قويا واعتنى باللغة العربية بتراث فكرى واسع وعجل فى ظهور ما نسميه بالثقافة الاسلامية[٦٤] .

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين ، بل اهتم جماعة من الأثرياء فى عهد المــأمون بنقل كثير من الكتب الى العربية . ومن هؤلاء بنو شاكر المنجم الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بالذهاب الى بلاد الروم ، فأحضر اليهم كثيرا من طرائف الكتب والمصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب[٦٥] . ومن الكتب التى ترجمت فى عهده الحــكم الذهبية لفيثاغــورس ، وبعض مصنفات لابواقراط وجالينوس ، وكتاب السياسة المدنية لأفلاطــــون ، وكتــاب المقــولات والطبيعيات لأرســطو[٦٦] . وكان عهد المــأمون أرقى عهود العلم فى العصر العباسى وذلك لأمرين . الأول : أن المــأمون نفسه قــد اشتغل بالعلم وأمعن فيه فبينما كان بمرو فقــد جالس كثيرا من العلماء وأخــذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينيــة كالحــديث والتفسير والفقه واللغــة العربية فكان لذلك محبا للعلم ولازدياد نشره . والثانى : ما كان نفسها اذ ذاك حيث وجد فيها شوقا الى العلم والبحث وكثرة العلماء

---

(٦٢) ابن النــديم : الفهرســت ص ٥ ، ١٠ .

(٦٣) المصــدر نفســه ص ١٧ ، ١٩ .

(٦٤) د. شــاكر مصطفى : (**دولة بنى العباس**) . (وكالة المطبوعات – الكويت ط ١ ، ١٩٧٣ م) ج ١ ص ١ .

(٦٥) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٤٠ .

(٦٦) أحمد أمين : ضحى الاســلام ج ١ ص ٣٧٨ .

فى كل مصر من امصار المسلمين فتوافق راى الامام واستعداد الأمة فكان من وراء ذلك ما نقصه من تقدم حركة العلم ورفعة بغداد(٦٧) .

فليس غريبا على الخليفة المأمون ان يعرف عهده بالعصر الذهبى فقد قام بتوسيع (بيت الحكمة) التى اسسها والده الرشيد فكان بلاطه مزدحما بمشاهير الأساتذة والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين قدموا من جميع انحاء العالم . ومن مختلف المعتقدات والجنسيات . وقد أغدق عليهم دونما تمييز فى الجنس والرعاية الواسعة كما اغدق الأموال الطائلة على المؤرخين والفلاسفة والنحويين وجامعى الحديث الذين تجمعوا فى عاصمة ملكه . ولقد قام المأمون باكتناز سجلات أيام الجاهلية عند العرب وأغنى بيت الحكمة فيها بالاضافة الى جمعه شعر العرب القدامى والرسائل والوثائق الأرشيفية(٦٨) .

ان ضخامة مكتبة المأمون والعدد الهائل من الكتب التى احتوتها يمكن تصورها بسهولة فى حقيقة كون مدينة بغداد رغم تعرضها للسلب والنهب مرات عديدة وسرقت منها الكتب الأدبية ولكنها رغم كل ذلك فان عدد الكتب التى بقيت سالمة حتى القرن السابع الهجرى كان هائلا جدا(٦٩) .

ومن حسن الحظ فان أبى أصيبعة قد حصل على هذه الكتب وذكرها فى ترجمة حنين بن اسحاق . ومنذ عصر المأمون فان ممارسة جمع وحفظ الكتب قد اصبحت سمة عامة فى أرجاء بغداد طولا وعرضا ، وان معظم الوزراء وأفراد الحاشية الملكية وكبار رجال الجيش يملكون مكتباتهم الخاصة بهم وصرفوا المزيد من المال من أجل جمعها وخزنها(٧٠) .

وفى خلال العصر العباسى أدخل المسلمون تحسينات كبيرة فى حقل النشاط الفكرى فتم تشييد المكتبات الكبيرة وأدخلوا علوما جديدة فى حقل العلم والانسانيات كما ادخلوا فى معارفهم المكتشفات المهمة مثل الجغرافيا والكيمياء والطب ... الخ .

---

(٦٧) الشيخ محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ .

(٦٨) محمد رستم ديوان : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط ، عن مجلة المورد عـ ٤ ص ٢٨٥ – بغداد .

(٦٩) مقالات الشبلى – المجلد السادس ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، – غرام كاره – الهند .

(٧٠) محمد ديوان رستم : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسط – عـ ٤ مجلد ٩ ص ٢٨٦ ، ١٩٨١ م – بغداد .

وكما اشرنا كان الخليفة المأمون هو السباق الى هذا فكان من كبار رعاة العلم والعلماء[٧١] . فترجمت المؤلفات العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وذلك فى عام ٢١٥ هـ وقد اشار ابن النديم الى ذلك فى كتابه الفهرست .

وكان الأساتذة الهندوس يتدفقون من الهند أفواجا الى بلاط الخليفة العباسى فى بغداد حيث كان موضع ترحيب الخلفاء الذين كلفوهم بترجمة بضعة كتب من السنسكريتية الى العربية وقد تم تعيين بعض الأساتذة الهندوس فى بعض المناصب المهمة فى بلاط الخليفة[٧٢] .

هذا هو المأمون بن الرشيد الذى ازدهرت وارتقت بيت الحكمة فى عهده كما بلغت حركة الترجمة ايضا فى عهده شأنا كبيرا ، وفتح آفاق العلم والمعرفة بصورة لم يسبق لها مثيل كما شجع العلماء والأدباء والمفكرين ، فكان من أهم من تعهدوا برعاية البذور التى غرسها من قبل الراشدون والأمويون فى بستان الحضارة الاسلامية .. وحتى اينعت وعبقت بأريجها الدنيا . هذا هو المأمون يسمع عن عالم شهير فى الرياضيات فى القسطنطينية — هو « ليو » فيكتب اليه رسالة جاء فيها : « اننا نعرف الشجرة من ثمارها .. وتعرف الأستاذ من تلميذه لهذا فانك يا من زودت العلم الكثير من الأمور أنت بين مواطنيك مجهول بسبب فضيلتك .. وغزارة علمك ... أنت لم تجن ثمار علمك وحكمتك .. ولم تنل من مواطنيك أى تشريف أو تكريم .. ولا يتردد اذن فى القدوم الينا ، ولسوف نعرف لك نحن قدرك .. ونقدر فيك علمك . فاذا فعلت هذا وجئت فان العرب سوف يحتفون بك ويمنحونك شرفا عظيما وأموالا كثيرة لم ينلها من البشر أحد »[٧٣] .

هكذا كان خلق الخليفة المأمون العربى العالم الذى يعلن استعداده للذهاب بنفسه الى بلاط خصمه لاستحضار أحد العلماء حتى لو افترضنا أن هذه كانت صورة مبالغة من جانب المأمون فان مجرد التفكير فيها والافصاح عنها دليل صدق على حضارة العالم العربى آنذاك وعلى رقى مؤسساته العلمية وخاصة بيت الحكمة .

---

(٧١) مقابلات الشبلى — المجلد السادس ص ٤ ، ٧ — غرام كاره — الهند .

(٧٢) مقالات الشبلى ، المجلد السادس ص ٤ ، ٧ — غرام كاره — الهند .

(٧٣) د. رافت عبد الحميد : (السلوك الحضارى والعسكرية العربية « تقدير العرب للعلم والعلماء ») ، مجلة درع الوطن — أبو ظبى — الامارات العربية المتحدة ، عدد ١٥٨ (١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ م) ص ٥٧ .

الفصل الثانى : بيت الحكمة بعد عهد المأمون



١ ـ بيت الحكمـة تستمر فى رحلتها العلمية والأدبية .

٢ ـ عناية الخلفـاء والوزراء ببيت الحكمة بعـد المـأمون .

٣ ـ الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعـد عهد المـأمون .

أولا — بيت الحكمة تستمر فى رحلاتها العلمية والأدبية :

سجل التاريخ نهضة للثقافة العربية الاسلامية فى العصر العباسى فى شتى مراحله ، وازدهرت الترجمة التى نقلت للمحيط العربى ثقافة الفرس ، والهند واليونان وفلسفتهم . وكان الخلفاء العباسيون الأولون مشاعل للعلم والمعرفة بما أنشئوه من المعاهد والمدارس ، وبما أقاموه من الأندية والمجالس وبما بذلوه من المكافآت للأدباء والعلماء والمؤدبين والولاة(٧٤) .

واذا كان العصر العباسى هو دون شك فترة الأوج فى العطاء فانه كان أيضا على المستوى نفسه فى الخصب السياسى ، يصف صاحب الفخرى دولتهم بأنها « كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة والحرمات مرعية ، والثغور محصنة ، وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر وانفلتت الدولة »(٧٥) .

ان استمرار حركة النقل بعد المأمون كانت ديدنا لكثير من الناس ، واستمر العقل والتصحيح والتحقيق فى التراجم السابقة ، وشاعت اللغات الأعجمية بين الناس حتى أصبحت الهندية واليونانية والفارسية لغات شائعة عند الطبقات المتأدبة التى لم تصل الى رتبة العلماء . وأهم ما ترجم فى هذا الدور كتاب الفلاحة النبطية نقله الى العربية احمد بن على بن المختار النبطى المعروف بابن وحشية(٧٦) سنة ٢٩١ هـ .

نقول بالرغم من هذا كان هذا العصر بحق أزهى العصور الاسلامية على الاطلاق وأن خلفاءه كانوا من أقوى الشخصيات ، فقد عرف أبو العباس السفاح بجبروته وقوة شخصيته واشتهر أبو جعفر المنصور بالحزم واليقظة وشدة البأس ، وكان المهدى يجلس للمظالم بنفسه والهادى يخوض المعارك متقدما الصفوف والرشيد الذى تحدثت بأقاصيصه الركبان والمأمون الذى يمثل عصره

---

(٧٤) د. محمد كامل الفقى : (الأدب فى العصر المملوكى) . (الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٦ م) ص ١٥ .

(٧٥) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٧ .

(٧٦) أنور الرفاعى : الاسلام فى حضارته ونظمه ص ٥٣٣ .

عصر الاسلام الذهبى والمعتصم الذى اشـــــتهر بشــجاعته والواثق المحب للعلم والعـــــلماء[77] .

وقــد اشـــتهر بعــد المــأمون أمراء شـــغفوا بحبهم للكتب وجمعهم اياهــا وتأسيسهم للمكتبات الفخمة ، وانفاقهم على النقل كمحمد بن عبد الملك الزيات الذى نقلت باسمه عــدة كتب والتف حــوله فريق من أكابر الأطباء والفلاسفة مثل يوحنا ابن ماسويه وجبرائيل بن بختيشـوع وبختيشوع وابنه داوود وابن سرابيون واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفورى وحبيش بن الحسن[78] .

وقــد ذكرنا سابقا أبناء شاكر محمد وأحمد والحسن وانقطاعهم للعمل ببيت الحكمة ويظهر انهم بعــد وفاة المــأمون بدأوا يعملون لحسابهم الخاص وجمعــوا حــولهم النقلة والبحاثة وخاصة حنين بن اسحاق الذى عاد يلازم بنى موسى (هم انفسهم أبناء شاكر) بن شاكر رغبوا فى النقــل اليونانى الى العربى وعرفــوا على ذلك الجــل العظيمة[79] .

وقــد دخــل فى خــدمتهم أيضا حبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهما . وأولاد موسى هؤلاء كانوا مهندسين وفلكيين ولهم استنباطات لم يسبقهم اليهــا أحــد وبرهنوا للمــأمون أن محيط الأرض ٢٤٠٠٠ ميل برهانا محسوسا فضلا عن مهارتهم بالرصــد وغيره[80] .

يقول القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى عند كلامه على خزائن الكتب الشـــهيرة فى الاسلام : « فقــد كان للخلفاء والملوك فى القــديم مزيد اهتمام وكمال اعتنــاء حتى حصلوا على العــدد الضخم ، وحصلوا على الخزائن الجليلة ويقال ان أعظم خزائن الكتب فى الاسلام ثلاث خزائن : احــداها خزانة الخلفاء العباسيين فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاســة ، ولم يزل على ذلك الى أن دهمت بغــداد من التتر وقتــل ملكهم هــولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغــداد فذهبت خزائن الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها »[81] .

---

(٧٧) د. زاهية قدوره : الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية فى العصر العباسى ص ٢٣٧ .

(٧٨) ابن أبى أصيبعة : عيــون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٧٩) المصــدر نفســه ص ١٧٣ .

(٨٠) جرجى زيدان : تاريخ التمــدن الاسلامى ج ٣ ، ج ٥ ص ١٤٨ .

(٨١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ .

وواضح أن القلقشندى يعنى بخزانة الخلفاء العباسيين بيت الحكمة هـذه وقـد استمرت حركة النقل بعـد المـأمون نشيطة مدى قرن آخر من الزمان . وليس معنى هـذا أن بيت الحكمـة قـد اختفى أو اندثر ، فلقـد ظـل يغالب الأحـداث ، ويجاهـد فى سبيل البقاء ولكنه بقاء المكلوم الهزيل ، وفيما يلى نصوص ثلاثة عن حياته بعـد المـأمون : ذكر ابن أبى أصيبعة[٨٢] : أن يوحنا بن ماسـويه تقلـد ترجمة الكتب اليونانية فى بيت الحكمة وخـدم هارون والأمين والمـأمون وبقى على ذلك الى أيام المتوكل .

ذكر ابن النـديم فى كتابه الفهرست[٨٣] — أنه (فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى) نقل نمـوذجا لكل من الخط الحميرى والحبشى من هـذه الخزانة .

وذكر القلقشندى[٨٤] : ان هـذه الخزانة ظلت حتى دهم التتر بغـداد وقتـل ملكهم هـولاكو المستعصم آخر خلفاء العباسيين ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمهـا ، وأعفيت آثارها . ان ما اشتهر به خلفاء بنى العبـاس من أمثال المنصور والرشيد والمـأمون والمتوكل من حيث جمعهم للمخطوطات الكبيرة التى خلفتها الحضارات الهندية والفارسية والسريانية واليونانية وحفظها فى مكتبة بيت الحكمة لهـو دليل على عظمتها واستمرارها لرحلة العلم وجـوانبه الفكرية رغم أنها كانت مصـدرا من مصادر الثقافة العربية الاسلامية فى الطب والفلسفة والفلك فتأثرت بذلك المدن الاسلامية الأخرى من أمثال البصرة والكوفة ودمشق[٨٥] ، وغيرها .

وبعـد انتهاء حكم المـأمون تزعزع مركز بيت الحكمة فى بغـداد لحـدوث بعض الاضطرابات السياسية التى استمرت حـوالى ستة عشر عاما الى أن بويع جعفر بن محمد (المتوكل على الله) والذى استمر حكمه أربعة عشر عاما (٢٣٢ هـ — ٢٤٧ هـ/٨٤٧ م — ٨٦١ م) فاتبع سياسة المـأمون من مساعدة العلماء وتشجيعهم على استئناف بحـوثهم وبذلك عادت الحركة العلمية الى ازدهارها وانقشعت سحابة الصيف لتكشف مرة أخرى عن غيوم لمعت وظهرت مواهبها فى مختلف ميادين العلم[٨٦]).

---

(٨٢) ابن أبى أصيبعة : عيـون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٧٥ .

(٨٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٨٤) القلقشندى : صـبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٨٥) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى والعربى الاسلامى ص ٢٧ .

(٨٦) د. امام ابراهيم أحمد : (**تاريخ الفلك عند العرب**) . (الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٥ م) ص ٣٣ .

واذا كانت الدولة العباسية فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى حيث عاش المسعودى ، وقد تميزت بمظاهر الضعف والاضطرابات السياسية ، الا أنها شهدت نهضة علمية ثقافية كبرى .. فهذه الولايات الاسلامية وان كانت قد استقلت عن الدولة العباسية اداريا وعسكريا وماليا الا أنها ساهمت مساهمة كبيرة فى النهضة الثقافية(٨٧) والفكرية .

وبعد ، فنقول ان هذا الاضطراب السياسى والانقسام السياسى لم يؤثر فى الحضارة الاسلامية ذلك أن هذا العصر الذى حفل بالحروب والفواجع والكوارث والذى انقسمت فيه دار الخلافة الى عدد كبير(٨٨) جدا من الدويلات الهزيلة والذى سيطر فيه الأعاجم الجهلة وبعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من العربية والذى حفل بالمبادىء المنحرفة عن الاسلام كالباطنية الذين استشرى شرهم وعظم خطبهم وكانوا أشد على المسلمين من أى عدو لهم ، أقول انه فى هذا العصر وصلت الحضارة الاسلامية الى أوجها وذروة تطورها(٨٩) .

ونبغ العظماء فى كل حقل وفن ولسنا بصدد تعليل هذه الظاهرة ولكننا نريد أن نقول ان بذور النواة الأولى غرسها الاسلام فى أرض خصبة وسقتها الرعاية والعناية بمزيد من الاهتمام والاحتياط ، ولذلك أنبتت هذه البذور الطيبة ثمارا يانعة على الرغم من كل ما حدث من تمزق وانقسام . ولا تنس كذلك ظهور مشاعل أضاءت الطريق المظلم وأعنى بذلك الحكام المتنورين أمثال عضد الدولة ونظام الملك وغيرهما . كما أن تعدد المراكز الحضارية وتنافس الحكام على اجتذاب العلماء والدارسين كل ذلك مع غيره من العوامل أدى الى حدوث هذه الظاهرة بلوغ الحضارة الاسلامية أوجها فى عصر الاضطراب السياسى والضعف والتمزق والفتن(٩٠) . هذا كله يقودنا الى أن حيوية الاسلام وحضارته وتوجيهه نحو النور أقوى بكثير من عوامل الهدم والتجزئة والفرقة والخصام .

---

(٨٧) د. على حسنى الخربوطلى : (**المسعودى ، من نوابغ الفكر العربى**) . (دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م) ص ١٧ .

(٨٨) د. محمد ماهر حماده : (**الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة**) مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ص ٢٠ .

(٨٩) المرجع نفسه ص ٢١ .

(٩٠) المرجع نفسه ص ٢١ .

ثانيا — عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعد المأمون :

كان الخلفاء العباسيون يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والعرفان ، ومثابة يلتقى فيها العلماء والأدباء(٩١) .

ولا سيما العصر العباسى الأول — أدباء يتذوقون الأدب الرفيع البعيد عن التكلف ويقيمون الندوات لتنافس الأدباء . ثم ان الدولة كانت مشغولة بأمور جسام لاتساع رقعتها وكثرة مناوئيها وسريان انتيار الحضارى والانشغال بعلوم كثيرة فى الثقافة الاسلامية وما ترجم عن الثقافة الفارسية والهندية واليونانية ، كل ذلك شغل الأدباء شعراء وكتابا عن الجرى وراء انحرص على المحسنات اللفظية ، كما تعد هناك معاهد للعلم التى كانت ببغداد مجالس للمناظرات بين المعتزلة وأهل السنة والمناطقة(٩٢) .

وشهد العراق فى مطلع القرن الرابع ونهاية القرن الخامس الهجريين نهضة علمية كبيرة نضجت فيها العلوم على اختلاف أنواعها ونمت وازدهرت وصارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية قبلة العلم والمعرفة على الرغم من تدهور الحالة السياسية وضعف الخلافة وفقدان السيطرة على الأقاليم والولايات . واستبد الأمراء والولاة بالسلطة وانفصالهم عن الخلافة فى أغلب الأحيان . وظلت بغداد كعبة العلماء يقصدونها من كل حدب وصوب حتى سقوطها ٦٥٦ هـ على يد المغول(٩٣) .

وقد زار المقدسى هذه البلاد وملخص ما قاله من الناحية العلمية : « ان اقليم العراق اقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، ولطيف الماء ، عجيب الهواء ، مختار الخلفاء ، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد القراء ومنه كان أبو عبيدة الفراء ، وحمزة والكسائى وكل فقيه ومقرئ وسرى وأديب وحكيم ، وداع وزاهد ونجيب ، وظريف ولبيب ، اليس به البصرة التى قوبلت بالدنيا ، وبغداد الممدوحة فى الورى والكوفة الجليلة وسامراء »(٩٤) .

---

(٩١) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور الخلفاء فى تقدمه ص ٥١ .

(٩٢) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الأدب العربى ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٩٣) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية فى العراق فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ١٥ ، ١٩٨٠ م ص ٢٠٢ .

(٩٤) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١١٣ .

وكان عهد المأمون هو أزهى عصور بيت الحكمة ، ولم يجد هذا المعهد بعد المأمون من يمنحه عناية المأمون ورعايته ، وكان أول من قلل من شأنه أن يتولى المعتصم الخلافة بعده (المأمون) والمعتصم قليل المعرفة بالثقافة لا يجد لذة ولا يتذوق لها حلاوة فلم يرع بيت الحكمة كما كان يجب — وانما اتجه الى جلب المماليك وتدريبهم والسرور ببطولتهم ، ثم هجر بسببهم بغداد الى سامراء (المدينة الجديدة) فأصيب بيت الحكمة بصدمة أخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد وعدم رعايتهم لما فى العاصمة الأولى من منشآت ثم تزاحمت الأحداث على بغداد وما فيها من مؤسسات ، وكثرت الحروب والفتن وكلها تنتقص من هذا المعهد وتقلل من شأنه ، وتخفت من صوته[٩٥] .

ثم جاء الخليفة الواثق فاقتفى أثر المأمون وسار على نهجه واستن سنته ، فكان الواثق يعطف على أهل بيته ، ويتفقد أحوال الرعية . افرد فى قصره مكانا للمناظرة والجدل ، ولذا اطلق عليه « المأمون الأصغر » وشغف بالوقوف على آراء العلماء ، حتى أنه طلب من حنين بن اسحاق كتابا يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء ، فأتمه وسماه « كتاب المسائل الطبيعية » وعاش فى أيامه الشاعر أبو تمام صاحب ديوان الحماسة الذى أجزل الواثق له العطاء ولكثير غيره من الشعراء الذين زخر بهم عصره ، فقد كان الواثق نفسه شاعرا يقول الشعر ، ونبغ فى عهده الكندى فيلسوف العرب وحنين بن اسحاق فى الطب واليعقوبى والبلاذرى وأبو حنيفة الدنيورى وهم من فطاحل المؤرخين[٩٦] .

وكان للخليفة المتوكل[٩٧] نشاط ملموس حيث جدد مدرسة المترجمين ومكتبة فى بغداد والقى عبء ادارتها على عاتق حنين بن اسحاق واختاره رئيسا لها ومهد الخليفة ورجال دولته لتلاميذ النصارى سبل البحث العلمى وقدموا لهم جميع التسهيلات للسفر والتنقيب عن المخطوطات اليونانية وحملها الى بغداد لترجمتها واننا لنجد (حنينا) يتحدث عن كتاب الآن مفقود فى ذلك الزمن نادر ، فيقول : « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت فى طلبه ارجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أظفر الا بما يقرب من نصفه فى دمشق » .

---

(٩٥) ابن قتيبة : المعارف ص ١٠ .

(٩٦) د. على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٤٢٣ .

(٩٧) توماس أرنولد وآخرون : تراث الاسلام ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

واستطاع المتوكل فى الحقيقة أن يعيد الحياة الى بيت الحكمة حينما اختار رئيسا لهـا حنين بن اسحاق العبادى من قبيلة عباد بالحيرة وهو أحـد مشاهير الأطباء الذين تلقـوا العلم على يدى ابن ماسويه وكانت طريقته فى الترجمة : تحويل النص الاغريقى الى السريانية ثم يترك لمساعديه ترجمة هـذه الى اللغة العربية . واخيرا يقارن هـو بين النصوص الثلاثة كى يتأكد من دقـة نقلها من لغة الى أخرى بل بلغ من حرصـه وأمانته فى هـذا العمـل أن نقـد ترجمات قام بهـا بنفسـه فى مستهل حياته(٩٨) .

فالعراق من عهد المتوكل الى آخر الدولة البويهية لم تزل لهـا الصـدارة فى العلم والادب والفلسفة ، ويدل ما ذكره الخطيب البغـدادى من تراجم على ثروة واسعة فى العلم والعلماء ، من جميع الفروع كالتفسير والحـديث والفقه والشـعر والأدب . نعم ان المتوكل نصر أهـل الحـديث على المعتزلة واضطهدهم وكان فى هذا خسارة كبيرة على الحركة الفكرية ، ولكن مـع ذلك ظـل علم الكلام قويا(٩٩) . والعلم والأدب عادة فى أشـد الحاجة الى هـدوء بال ، وطمأنينة نفس وراحة فى الرزق ، فـا لم توجـد هـذه الثلاثة لا يستوى لهـا طريق ، ولا يؤمل لهمـا نجاح شأنهما شأن الزهرة الناعمة ، اذا عصفت بها العواصف ، ولم ترد فى أوقاتها ذبلت أوضعفت(١٠٠) .

وكان الخليفة العباسى المعتضد بالله يكثر من مجالسة العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويشارك مشاركة فعلية فى حـل مشكلاتهم وكان يسهر الليالى الطـوال مستمعا الى مناقشاتهم حـول ما يبتدعـون من مستحدثات العلم ، وكان يقـدم اليهم كثيرا من الهـدايا والمنح ، فكان للعلماء فى عهـد المعتضد بالله مكانة اجتماعية خاصة يتمتعون بها ، وكان المعتضد بالله يحترم ثابت بن قرة فيكنيه « بأبى الحسن » مـع أنه ليس بين أبنـائه من اسمه حسن(١٠١) كما كان عصر المسـتنجد(١٠٢) (٥٥٥ هـ — ٥٦٦ هـ/ ١١٦٠ م — ١١٧٠ م) عصر ازدهار الترجمة عن الفرس واليونان

---

(٩٨) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ .

(٩٩) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٢١ .

(١٠٠) المصدر نفسـه ص ٢٦٤ .

(١٠١) د. على عبد الله الدفاع :موجز فى التراث العلمى العربى والاسلامى ص ١٠٢ .

(١٠٢) البلاذرى ، احمد بن محى بن جابر : (فتـوح البلـدان) نشره ووضع ملاحقه وفهارسـه صلاح الدين المنجـد (مطبعة لجنـة البيان العربى — القاهرة ١٣١٨ هـ) جـ ١ ص ٨ .

التى انعشت التراث الاسلامى كما يعتبر عصر التراث الذى انضج فى قصور المعتصم ومن جاء بعـده من خلفاء العصر العباسى الثانى .

وقـد اخرج هـذا العصر كثيرا من الامراء والوزراء الذين شجعوا الحركة العلمية ، اما لرغبتهم العلمية ، واما لتزيين مجالسهم بالعلماء . كما تزين بالتحـف الطريفة . ذلك أنهم فيما مضى من العصور العباسية كانت بغـداد وحـدها هى مقصد العلماء والشعراء والأدباء لأنها عاصمة المملكة الاسلامية كلها . فلم ينبغ واحد منهم فى أى قطر ، ويحب أن يشتهر الا ويقصد بغـداد لينال الشهرة(١٠٣) .

وقـد عملت عوامل عـديدة على ازدهار بغـداد علميا وأدبيا منها :

١ ــ تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء .

٢ ــ حاجة الوزراء الى أساطين البيان والشعراء لأنهم وجـدوا فيهم سبيلا الى ابلاغ الرغائب ولسانا به يتحـدثون .

٣ ــ المجالس التى كان يعقدها العلماء فى بيوتهم .

حظيت الحركة العلمية والأدبية فى العهدين البويهى والسلجوقى بقـدر كبير من اهتمام المؤرخين ، فتضمنت كتب التاريخ والأدب والتراجم معلومات مفصلة ، بحيث أصبح لدينا صـورة واضحة كل الوضوح عن عناية الوزراء بالعلم والأدب عن طريق تشجيع العلماء والأدباء واغـداق الأموال عليهم لدفعهم الى الانتاج ؛ حتى أصبحت مجالس بعض وزراء ما بين العهدين مقصدا فى ازدهار الحركة العلمية والأدبية وكانت مجالسهم تضم كبار العلماء والأدباء فيحيطونهم بالرعاية ممـا يشجعهم على تأليف الكتب ونظم الأشعار فى مدحهم والاشادة بفضلهم(١٠٤) .

كان عصر نفـوذ الأتراك الذى سبق العهد البويهى يسوده الاضطراب كمـا بلغت فيه الدولة حـدا كبيرا من الضعف والتفكك بسبب تسلط الأتراك وانشغال الناس بالمنازعات الطائفية والمذهبية ممـا ساعد على تقـدم الحركة العلمية ؛ فلما دخـل البويهيون بغـداد وقبضوا فى أول عهدهم على أزمة الأمور اندفع بعض أمراء البويهيين ووزرائهم فى تشجيع الأدب العربى مـع أنهم من اصل فارسى(١٠٥) .

---

(١٠٣) احمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(١٠٤) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٨ .

(١٠٥) د. محمد مسفر الزهرانى : (نظـام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى) . (مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) ص ١٨٤ .

نبغ فى عهدهم كثير من العلماء والأدباء والفلاسفة ، فكانت الرى وأصفهان من مراكز الثقافة والعلم فى مشرق الدولة الاسلامية وبخاصة فى عهد البويهيين ، وقد تقدمت الحركة العلمية(١٠٦) فى الرى بعد أن استقر فيها الوزير البويهى أبو الفضل العميد الذى تشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والأدباء والشعراء ، حتى أنه كان يقضى جزءا من يومه مشغولا بهم(١٠٧) ، وكان هذا الوزير أديبا عالما يضرب به المثل فى البلاغة حتى قيل أن الكتابة بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد(١٠٨) . وسمى (بالجاحظ الثانى) لمكانته الادبية الرفيعة ، وكان متبحرا فى علوم الهندسة ، والمنطق والفلسفة ومن مؤلفاته كتاب « المذهب فى البلاغات » وكتاب « يضم ديوان رسائله »(١٠٩) وبلغ من اهتمام أبى الفضل ابن العميد بالكتب انه انشأ مكتبة عظيمة وعين احد العلماء خازنا لها وهو مسكويه(١١٠) .

عنى البويهيون بانشاء المكتبات العامة فى العراق ، وبذلوا لها المال فرتبوا لها المشرفين ، والمؤرخين والعمال لادارة شئونها وقد سميت هذه المكتبات « بدور العلم » ويدل مجرد اسم هذه المكتبات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة . فكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة وهى خزانة كتب ليس غير . أما المكتبات الجديدة فتسمى « دار العلم » وخزانة الكتب جزء منه وعلى هذا فان دور العلم عبارة عن دار كتب عامة تقام فيها الندوات العلمية وتجمع طوائف عديدة من العلماء يجتمعون فيها للمناظرة والدرس ومن أشهر دور العلم : بيت الحكمة ، وقد ورث البويهيون هذه الدار عندما استولوا على بغداد وقد ذكر ابن النديم(١١١) وجود بيت الحكمة فى النصف الأخير من القرن السابع الهجرى بقوله انه (نقل نموذجا لكل من الخط الحميرى الحبشى من هذه الخزانة) وقد ظلت هذه المكتبة تؤدى رسالتها العلمية بكل همة ونشاط بفضل جهود الخلفاء والوزراء ولم تكن المكتبات فى شرق الدولة الاسلامية ومغربها مقصورة على أولى الأمر من الخلفاء والوزراء ،بل اهتم العلماء وطلاب العلم بالكتب وبتأسيس المكتبات اهتماما

---

(١٠٦) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٩ .

(١٠٧) ابن مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب : (تجارب الأمم) . (طبع مكتبة المثنى - بغداد العراق) ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٨١ .

(١٠٨) الثعالبى : (يتيمة الدهر) . (القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م) ج ٣ ص ٤ .

(١٠٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٠٤ .

(١١٠) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٩ .

(١١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩ .

منقطع النظير ، وقد وقف كثير من العلماء كتبهم على طلاب العلم حتى أن الامام الحافظ أبا حاتم محمد بن حيان البستى سنة ٣٥٤ هـ وضع مؤلفاته الكثيرة فى دار خاصة فى بلدة (بست) وجعلها وقفا على أهل العلم(١١٢) .

ولم يقتصر النشاط العلمى واقتناء الكتب ، وانشاء المكتبات على الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم ، بل تعداهم الى غيرهم . اذ كانت حيازة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخه من كتاب نادر مجالا كبيرا للتفاخر والاعتزاز(١١٣) .

فكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قد بنى مكتبة ضخمة وعين يحيى بن المنجم مشرفا على بيت الحكمة وكانت تلك المكتبة تعتبر فريدة من نوعها فى تلك الأيام . وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق(١١٤) يصرف عشرة آلاف روبية(١١٥) فى الشهر الواحد لترجمة واستنساخ الكتب وكان المؤرخ العربى(١١٦) (عمر الواقدى) (٣٣٦ م/٨١١ م) يملك فى مكتبته ما حمولته من الكتب تعادل حمولة ١٢٠ جملا ويملك فى مكتبته ٦٠٠ رف صفت عليها أنواع الكتب وقبل بضع سنين من وفاته باع جزءا من هذه الكتب بسعر ألفى قطعة من الذهب .

وتعتبر (دار العلم) فى الموصل من المكتبات التى أسسها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى(١١٧) . وكان متحمسا للمعرفة وحب العلم وكان ثمة حشد كبير من الشعراء والأساتذة فى بلاطه . وكان صفى الدين مولعا بالنشاطات ميالا لجمع الكتب لمكتبته وكذلك كان شأن أخيه ، وكلا الأخوين من الشعراء المجيدين فى ذلك العصر وعين أحد الأساتذة قيما على مكتبته(١١٨) .

---

(١١٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ١٢٥ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٥ .

(١١٤) محمد رستم ديوان : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط ص ٢٨٦ .

(١١٥) الروبية : عملة هندية أدخلها الانجليز عند احتلالهم شبه القارة الهندية ، والروبية تساوى ٧٥ فلسا ولا تزال هذه العملة قيد التداول فى كل من الهند وباكستان وبنغلاديش . عن مجلة المورد ، م ٩ ، ع ٤ ، ص ٢٨٦ .

(١١٦) جى دبليو. تومسون : تاريخ المكتبات فى العصر الوسيط ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(١١٧) أ. س. قاسمى : (المكتبات فى العالم الإسلامى) ، صحيفة جامعة بيشاور – الباكستان (يناير ١٩٥٨ م) .

(١١٨) سيد أمير على : روح الاسلام ص ٣٧٣ .

اما فى العراق فكان للوزراء أبى محمد المهلبى وأبى المنصور بن صالحان وأبى سوران وسابور بن أردشير أثر كبير فى النهوض بالحركة العلمية والأدبية فكانت مجالسهم تزخر بالعلماء والأدباء[119] . وكان الوزير المهلبى[120] أديبا بارزا وشاعرا بليغـا ، ولـه ثلاثة مؤلفات تتضمن رسائله وتوقيعاته وديوان شعره . وكتـاب عن البلاد والمـالك والطرق والمسالك يسميه ياقـوت « كتاب العزيزى »[121] . وكان هـذا الوزير محبا لرجال الأدب[122] . ومن الأدباء الذين حظوا بقـدر كبير من عطفه ورعايته أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى مؤلف كتاب الأغانى[123] ، ويصـف مسكويه دور هـذا الوزير فى انعاش الحركة العلمية والأدبية : « وتوفر مـع ذلك على اهـل الأدب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ، ونوه بهم ، ورغب الناس بذلك فى معاودة ما أهمل منها »[124] . كذلك عنى أبو منصور بن صالحـان عناية كبيرة بالعلم والعلماء ، وكان له مجلس خاص يقصده أهـل العلم[125] . وقـد عرف بسخائه فى اغـداق الأموال على العلماء .

وكان الوزير الحسين بن أحمد بن سـعدان واسع الاطلاع ملمـا بكثير من العلوم والآداب ، وقـد ضم مجلسه عـددا كبيرا من أبرز رجال العلم والأدب فى أواخر القرن الرابع الهجرى مثل مسكويه (أبو حيان التوحيدى) الذى ألف له كتابا عن الصـداقة والأصـدقاء[126] . كما أن كتابالامتاع والمؤانسة ما هـو الا تسجيل للمحاورات والمناقشات الأدبية والعلمية التى كانت تجرى فى مجلس ابن سـعدان بينه وبين أبى حيان التوحيدى[127] ولم يأل الوزير ابن سعدان جهدا فى أن يجعـل مجلسه حافلا بجلة العلماء والأدباء وكان يباهى مجلسه من أمثال أبى حيان وأبى زرعـه وابن مسكويه وأبى الوفاء ثم مجلس سيف الدولة[128] . الذى استطاع أن

---

(119) أحمد أمين : ظهر الاسـلام جـ ١ ص ٢٥٥ .

(120) الثعالبى : يتيمـة الدهـر جـ ٢ ص ٥٨ .

(121) ياقـوت الحمـوى : معجم البلـدان جـ ١ ص ١١ .

(122) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ٢ ص ١٢٤ .

(123) ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٥٠ .

(124) ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ١٢٥ .

(125) ابن كثير . ابو الفـداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى : (البداية والنهاية) (طبـع مكتبة المعارف ــ بيروت ومكتبة النصر الرياضى ١٩٦٦ م) جـ ١٢ ص ١٩ .

(126) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٣٦ .

(127) المصـدر نفسـه ، المقـدمة .

(128) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقـدمه ص ٥٢ .

يجـــذب نحـــوه ذوى الرياسة من أدباء العصر وعلمائه ، فأحاطوا اسمه باطار من السمعة الخالدة ومجلس آخر كان يزدان بأمثال : البيرونى والعتبى والفردوسى . يقول العينى : وكان السلطان محمود الغزنوى يحب العلم والعلماء ويكرمهم يجالسهم ، ويحسن اليهم ، وكانت تعقد مناظرات طويلة بين يديه(١٢٩) .

وازاء هـــذا الانحطاط السياسى كنت تجـــد رقيا فى الحياة العقلية فكأن العلوم والفنون لا ترقى الا فى عصور الفوضى والاضطراب(١٣٠) . فقـــد نتج عن تفكك الدولة العباسية أن عمـــد أمراء الدول الصغيرة ســـواء لاسباب سياسية أو بدافع حـــب الظهور أو الابقاء على تقاليد بغـــداد ابان مجـــدها - الى تشجيع العلماء وتقريب الفئة الممتازة من الادباء والشعراء والعطف عليهم(١٣١) .

وبعـــد أن كان نصير العلم الخليفة ووزيره أو بعض عماله فى بلد واحـــد ، أصبح نصراؤه فى هـــذا العصر عـــدة ملوك وأمراء ووزراء من اشـــتهر فى العـــالم الاسلامى(١٣٢) . فغـــدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من مراكز الثقـــافة العربية واستمرت الحركة العلمية التى ظهرت زمن المـــأمون فى سيرها المطرد . وعدت تلك القصـــور الجـــديدة فى العواصم المتعـــددة مراكز خصبة ، وكانت تلك القصور . وما فيها من مجالس فى ذلك العهد فى مقام الجامعات والجمعيات العلمية اليـــوم . ولم يأل الوزير عـــون الدين يحيى بن هبيره جهدا فى نشر العلم والمعرفة - وكان يقرب أهـــل العلم ويحضر مجلسه الفقهاء والادباء ورجال الحـــديث ويناقش كل عالم فى تخصصه(١٣٣) . تعميقا واذكاء لروح البحث والمناظرة كما عنى باقامة دور العـــلم بجنبى مدرسة بغـــداد ورتب لهـــا المعلمين .

وهكذا كان للوزراء فى الدولة الاسلامية شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهرها مجلس الوزير ابن الفرات فى القرن الرابع الهجرى ، ومجلس عبد الله بن الحسين ولعلنا نتساءل بعـــد كل هـــذا هـــل كان يمكن أن تكون هناك أرض أكثر

---

(١٢٩) العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد : عقد الجمان ، القسم الأول ج ١٩ ص ١٥١ .

(١٣٠) د. طه حسين : تحـديد ذكرى أبى العلاء المعرى ص ٤٥ .

(١٣١) د. ابراهيم الكيلانى : (أبو حيان التوحيدى) من نوابغ الفكر العربى عـ ٢١ (دار المعـارف بمصر ١٩٥٧ م) ص ٨ .

(١٣٢) جرجى زيدان : (تاريخ آداب اللغـة العربية) (طبع بمصر ١٩١٣ م) ج ٣ ص ٣٢٣ .

(١٣٣) ابن الدبيثى ، جمال الدين الواسطى : ذيل على ذيل تاريخ بغـداد مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٥٠ تاريخ . ج ١ ف ٢ رقم ١٤٥ .

ثالثا — الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعد عهد المـأمون :

لو أردنا تفصيل هـذه الحركة العلمية المباركة وما قام به العرب والمسلمون ، لاحتاج الامر الى بحث طويل . وان فى مؤلفات : ابن النـديم والقفطى وابن جلجل ، وصاعـد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة ، وحاجى خليفة ، تطلع المرء انى الجهـود الكبيرة التى بذلوها فى ترجمة الكتب المختلفة ، واقبسـالهم الشديد على دراسـتها وتدبرها ،والتأليف بها . كان هـذا بزمن لم تبلغه أمة غيرها فى عـدة قرون ، فاجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقـل من قرنين . فكانت بغـداد مركز العـلم والأدب والفـن(١٣٩) .

وكان أبو يوسف يعقـوب بن اسـحاق الكنـدى الفيلسوف العربى المتوفى (٢٦٠ هـ/٨٧٣ م) فى طليعة العلماء واحد الأقطاب فى هـذه الحركة العلمية المباركة ، ويعـد من الرعيل الأول بين العلماء الذين تناولوا مختلف العلوم وشتى المواضيع : فى الكيمياء والطب والموسيقى والفلك والمنطق والرياضيات والطبيعيات والالهيات ، وكان لـه اليد الطولى فى توجيـه الثقافة ، وتذليل عويصها فى القرن الثالث للهجرة — التاسع الميلادى . ويمتاز الكندى باطلاعـه الواسع على اللغات الأخرى التى ترجم عنها ، وتمكنه من ابداء المعنى بدقـة وامعان . واتحف المكتبة العربية بكتب عـديدة بين مترجم ومنقح ومهـذب ومؤلف فهو من علمـاء العرب والمسلمين الذين مهـدوا طرق العلم وحلوا ما أشكل منه(١٤٠) . وقـد وصفه ابن جلجل بقـوله : « انه ترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » وهكذا كان الكندى من مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن اتى بعـدهم(١٤١) وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم (التراجمـة) يجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمـونها ، ولم يكن اهتمام الخلفـاء مقصورا على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط ، بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقه والكلام وأيام العرب وأخبارها وكانوا يعقـدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بهـا من العـلوم والآداب والمعارف . وقـد شهدت كثير من قصور الخلفاء والوزراء مجالس علمية يشارك فيها أجـل العلماء ويحضرها الخلفاء أنفسهم(١٤٢) .

---

(١٣٩) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢١ .

(١٤٠) المرجـع نفسـه ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٤١) ابن جلجل : طبقـات الأطبـاء ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١٤٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢٦ .

خصبا لاحتضان العلوم وازدهارها من مثل هــذ المجتمع الذى يحرص ولاة الأمر فيه كل هــذا الحرص على رعاية العلم والعلماء[134] .

كما اسهم وزراء هذين العهدين البويهى والسلجوقى بالحركة العلمية والادبية ، فشجعوا العلماء والأدباء وعقــدوا المجالس الأدبيــة والعلميــة وانشأوا المكتبات وزودوها بالكتب وأسسوا المدارس والعاملين بها وأعــدوا لهــا النفقات اللازمة . هــذا فضلا عن كثير تقلــدوا الوزارة فى تلك الاثناء كانوا من العلماء والأدباء الذين أسهموا بمصنفاتهم فى دفع عجلة التقــدم العلمى والأدبى[135] ثم ان عضــد الدولة خــلا له الأمر وطابت له بغــداد فقتل ابن عمــه عز الدولة ونفــذ الى الطائع وبذل له كل ما يريده وصالحه وأعاده الى دار الخلافة . واشتمل ملك عضــد الدولة على فارس وكرمان وخوزستان والعراق وديار ربيعة والشام ويحمل اليه الخراج من الروم واجتمع على بابه من العلماء والشعراء والأدباء ما لم يجتمع على باب ملك قبــــــله[136] .

وكان عضــــد الدولة الى جانب ذلك كاتبا حاسبا مهندسا نحــويا لغــويا ، كريم الطباع ذا همــة عالية ، مكرما للعلماء محبا لأهــل التخصص حتى انه كان يقدم مقــل أبى على الفارسى ويحمل لــه السنية الى بيت المــال بنفسه ومات رحمه الله سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فى خلافة الطائع ، ودفن بتربة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضــوان الله عليه بوصية منه[137] .

وكان للخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م مكتبة كبيرة جــدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ مكتبة ضخمة فى داره فيها نفائس الكتب فى مختلف العلوم[138] . فلا عجب أن نرى الأمم العريقة تحفــو بعظمائها وتحرص على تراثها فبقيت بيت الحكمة تكابد الزمن فى زمن الخلفاء والوزراء ورجال العلم والأدب منارة لهم ولغيرهم يقــوى نورها حينا ويخبو أحيانا وتلك هى حالها بعــد المــأمون رغم عناية الخلفاء والوزراء بها من بعــده .

---

(١٣٤) د. عرسى محمد عرب : (التراث الطبى العربى بين الأصالة والتجــديد) مجلــة المؤرخ العربى – بغــداد – العراق عـ ٩ (١٩٧٨ م) ص ٩٩ .

(١٣٥) د.محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية ص ٨ .

(١٣٦) محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى : (الأنباء فى تاريخ الخلفاء) تحقيق د. قاسم السامرائى (طبعة ليــدن) ١٩٧٣ م ص ١٨١ .

(١٣٧) المصــدر نفســه ص ١٨١ .

(١٣٨) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٩ .

وبيت الحكمة الذى اسسه العباسيون ببغـــداد ، هـــو اول بيت عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنا ، لمـــا يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات . وكان حنين بن اسحاق وهو أحـــد تلاميذ الخليل بن احمد الفراهيدى على جانب من العلم اشتغل فى بيت الحكمة فترجم هـــو ومن كان يعمل بين يديه كتبا عـــديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطـــق وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقـــل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين كانوا من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة بمـــا أضافوه اليـــه من الكتب كان هـــذا زمن الخليفة المتوكل العباسى[١٤٣] فاجتمع فى بيت الحكمة نخبـــة مختارة من العلماء ، والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والحيل ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقـــدم فى عهد المـــأمون وواكبت نشاطها العلمى فى عهـــد الخلفاء الذين جاءوا بعـــده فكان يحـــوى بيت الحكمة كل نادر وغريب يقصده المؤلفـــون ويجـــدون فيه خير معين لمـــا يرغبون به من العلوم المختلفة[١٤٤] .

وممـــا شجع على الحركة العلمية[١٤٥] ونشاطها فى بيت الحكمة أن الخلفـــاء ذللوا للناس سبل المطالعة والدرس فيها ، الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة من الأمم الأخرى ، والتى رغب الخلفاء فى تيسيرها للناس ، ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقـــدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية ، ففتحوا الأبواب لكل قاصـــد وشوقوا الناس الى التعليم والاقبال عليه ، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ ، كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هـــذه الدار ، وفى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك .

وممـــا أذكى نشاط الحركة العلمية فى بيت الحكمة الحرية التامة والتسامح فلا نجـــد أثرا للتعصب الذميم بل تجـــد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ، ويتكلم أهـــل الملل والنحل بمـــا يبدو لهم وبمـــا يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق[١٤٦] .

---

(١٤٣) ابن القفطى : اخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(١٤٤) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٣٢ .

(١٤٥) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٨ .

(١٤٦) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب القـــديمة ج ١ ص ٥٤ .

ومما يؤيد لنا هذا : انه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء يعمل برايهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين أقوالهم وآراءهم .

لم يكن لبيت الحكمة الذى اسسه العباسيون ببغداد صبغة مذهبية ولم يدعو فيه لمناصرة مذهب على آخر ، ولا تجد فيه أثرا لتقييد الحرية الفكرية ، وتسوده روح العلم ، واكثر كتبه كانت فى علوم الحكمة : من طب وفلسفة ومنطق وموسيقى ورياضيات وفلك ونجوم ، وتولاه علماء أعلام من الأطباء والفلاسفة والفلكيين وغيرهم من أصحاب العلوم العقلية ، وفيه من السريان والنصارى ومن الفرس والشعوبيين ، ومن الصابئة ومن اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الملل والنحل المختلفة . فالحرية الفكرية مطلقة ولكل منهم حق الكلام والمناظرة والتأليف بما يبدو له . حتى ولو كان الأمر ضد العرب والمسلمين(١٤٧) .

والعباسيون لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضوا مذهبهم على الناس ، بل لكل دينه ومذهبه ورايه ، وكان الخلفاء يشاركون فى المناظرات العلمية والدينية ويبدون آراءهم كأحد الحاضرين وتكون عرضة للنقد والرد عليها . هذه الصبغة السياسية لا نجدها فى بيت الحكمة ببغداد فهى مؤسسة ثقافية عالية . تهدف الى نشر الحكمة والأدب(١٤٨) .

ولع الخلفاء الفاطميون بتشجيع المشتغلين فى دار الحكمة بنشر المذهب الشيعى حيث كانت المنافسة بينهم وبين العباسيين فى السياسة والعلم والأدب . وفى القرن الرابع الهجرى اسس الفاطميون دار الحكمة سنة ٣٩٥ هـ/١٠١٥ م أنشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية « أكاديمية » على مثال « الأكاديميات » الموجودة فى بغداد وغيرها من البلاد ، وأطلق عليها دار الحكمة(١٤٩) .

فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء والحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها

---

(١٤٧) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٠ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٥١ . ٥٣ .

(١٤٩) د. حسن ابراهيم حسن : (تاريخ الدولة الفاطمية) (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٥٨ م ط ٢) ص ٤٣٥ .

ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية ، وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والأقلام والمحابر والورق[150] . وكان الحاكم بأمر الله يشرف بنفسه على الحركة العلمية التى كانت فى دار الحكمة ، وتجرى بحضرته المناظرات والمجالس الدينية والعلمية .

يذكر السيد أمير على[151] : ان النفقة عليها (دار الحكمة) بلغت ٤٣ مليون درهم سنويا .بينما يذكر المقريزى : النفقة السنوية عليها كانت ٢٥٧ دينارا فى السنة . ولعل ما ذكره المقريزى هو ما كان يصرف عليها فى أواخر أيامها .

والسبب الذى حمل الخلفاء الفاطميين على أن يضاعفوا النفقة على دار الحكمة وان يصرفوا عليها بجود وسخاء ، أنهم اتخذوها مركزا ثقافيا لنشر دعوتهم ، ومبادىء مذهبهم الذى يؤيد حقهم فى الخلافة وخاصة أن النزاع بينهم وبين العباسيين كان قويا على الخلافة . فالحرية الفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتبفقته فى دار الحكمة مما يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافتهم ، والدار نفسها مركز دعوة واسعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا تجد فى الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعوتهم[152] .

وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد ، فكان ينظمها فقهاء الدولة ، مع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هذا تحت اشراف الداعى ، ثم الخليفة نفسه ، ثم بعد هذا التحفظ تذاع على السامعين . فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ، ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة ، فهى دار دعوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبين بذلك سياسة الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . حيث قتل الحاكم بأمر الله أبا بكر الانطاكى وهكذا نجد أن الصبغة السياسية لدار الحكمة فوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى يدعو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى — المستعلية منهم — ولكنها كانت تسير تحت ستار من العلم والحكمة[153] . وهذا عكس بيت الحكمة التى أنشأها الخلفاء العباسيون .

---

(١٥٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٥٨ ، جـ ٢ ص ٣٤٢ .

(١٥١) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٥١٠ .

(١٥٢) المقريزى : (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق د. محمد حلمى أحمد (لجنة احياء التراث الاسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية — القاهرة ١٣٩٠ هـ/١٩٧١ م) جـ ٢ ص ٥١ .

ولا يعزب عن البال ، ولا يغيب عن الذهن ما اشتهرت به بغداد من علو كعبها فى العلم . فكانت القبلة التى توجه اليها رواد العلم من كل حدب وفى الدولة الاسلامية والتى تحدثت بذكرها الركبان واسمعت بشهرتها الأمم ، وطرقت أسماع القاصى والدانى الا وهى « بيت الحكمة » التى كانت تضم فى اركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقدم علمى وازدهار ثقافى(١٥٤) .

وبهذا نشطت الحركة العلمية فى بيت الحكمة بتشجيع الخلفاء والوزراء بما قاموا به من ترجمة الكتب الأجنبية وارسال الوفود الى الدول الأخرى لجلبها لبيت الحكمة كما كان الشعراء والأدباء والعلماء يغصون ببيت الحكمة التى كانت اشبه بخلية نحل يعودون منها وهم يحملون الشهد الذى يبرىء القلوب والعقول بالفكر والثقافة .

---

(١٥٤) د. محمود احمد القيسية : (الامام ابن الجوزى وكتابه الموضوعات) (أبو ظبى - الامارات العربية المتحدة ط ١ ١٤٠٢ هـ/١٩٨٣ م) ص ٥٠ .

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية



١ ـ بيت الحكمـة نمـوذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلميـة والتعليميـــة ٠

٢ ـ المدارس الاســلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمــة مثل : الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات ٠

٣ ـ موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمــة ومدى تأثرها بها ٠

اولا – بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلمية والتعليمية :

المساجد دين وخلق وهـدى ونور وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ودين قـوة ودرك للعزة فى الأولى والفـوز العظيم فى الآخرة(١٥٥) لذا فان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة فى خارج الجامع كانت من الأمور التى تراود اذهان الخلفاء العباسيين فى بغـداد فى زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، فأوجـدوا من أجـل ذلك دور العـلم وبيوت الحكمة للدراسة وترجمة علوم الأقـدمين وكانت بغـداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل(١٥٦) ويعـد بيت الحكمة من أعظم المعاهد الثقافية حيث التعليم العالى فيها فكانت بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو عـلاوة على كونه دار ترجمة كان معهـدا للعلم ، دار كتب عامة ، وله مرصـد ملحق به(١٥٧) .

ويقول د. خليل طوطح فى كتابه « التربية عند العرب » : قـد لا نكون مبالغين اذا قلنا أن بيت الحكمة كان من أقـدم الكليات الجامعية التى أسست فى التاريخ فيمكن اعطاء بيت الحكمة الأسبقية على سـائر كليات العلم وجامعاته ويضيف طوطح الى ذلك : اذ أصبحت تسمية بيت الحكمة بكلية أو جامعة كان له السبق على الأزهر أيضا – علما بأن الأزهر – كان أول جامعة لأنه أسس قبل جامعات أوروبا(١٥٨) .

بدأ بيت الحكم اول ما بدأ بوظيفـة مكتبة عامة فاصبح لهـذه المكتبة شـان فى العالم الاسلامى(١٥٩) . ثم تطـور واصبح اول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجـأ اليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليـا فأصبحت مؤسسة علمية للثقافة العالية كثر كتبه فى الفلسفة والمنطق والطـب والنجـوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى وكثر المترجمون فى هـذه الدار فى عصر المـأمون ، وكانوا يقومون بواجبهم العلمى ويتبادلون وجـوه الرأى ، وكان

---

(١٥٥) د. سعاد ماهر : (الاثر الواردى فى الفن السلجوقى) مجـلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق عـ ١٠ (١٩٧٩ م) ص ٤٩ .

(١٥٦) د. رمزية محمد الاطرقجى : (بيت الحكمة البغـدادى واثره فى الحركة العلمية) مجـلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق عـ ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٣١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٩) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٥٨ .

هـــذا تطورا هاما فى حيــــاة المكتبة . وتحولت من « خزانة » الى مجمع او اكاديمية للبحث العلمى تعمل على خـــدمة العلم وترجمة ثمار المفكرين[160] . والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث التجريبى المستند الى الملاحظة ، ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفـــة الى العربية ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهـــذه الحركة العلمية .

وقال (سيديو) : « ان أهم ما اتصفت به مدرسة بغـــداد فى البداءة هـــو روحها العلمية الصحيحة التى كانت سائدة لاعمالها . وكان استخراج المجهـــول من المعلوم والتدقيق فى الحوادث تدقيقا مؤديا الى استنباط العلل من المعلولات . وعـــدم التسليم بمـــا لا تثبته التجربة ، مبادىء قال بها أساتذة من العرب وهـــذه هى الأصول التى لقنها العلماء ، ولقـــد كان العرب فى القرن التاسع متمكنين من هـــذه الطريقة الخصبة التى صارت عند المحـــدثين اداة استعملوها للوصول بها الى أروع الاكتشافات »[161] .

ان هـــذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانما كانت هناك أعمـــال أخرى ، منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعهـــا على المكتبات المعروفة آنذاك[162] خارج بغـــداد ، أو بيت الحكمة التونسى فى رقادة ، أو دار الحكمة بالقاهرة وغيرها . كما كانت الكتب المترجمة والمؤلفة يقتنيها الأغنيـــاء والمؤسسات العلمية الأخرى[163] . والاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقـــة الكتب المترجمة كانت تراجع الترجمات التى كان يقـــوم بها النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان (ثابت بن قرة الحرانى) فى دولة المعتضد من الذين راجعوا أو صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضـــــية والفلكية والمنطق . وكان يجيد الاغريقية والسريانية والعربية[164] . كذلك فعـــل (اســـحق بن حنين) فقـــد جعـــل له المتوكل كتابا نحارير عالمين بالترجمـــة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموه[165] .

---

(١٦٠) احمد فريد رفاعى : عصر المأمون جـ ١ ص ٣٧٧ .

(١٦١) ل . ا . سيديو : تاريخ العرب العـام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(١٦٢) رشيد حميد الجميلى : اثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية (أطروحة ماجستير) ص ٢٠ .

(١٦٣) د . ناجى معروف : اصالة الحضارة العربية ص ٤٢٩ .

(١٦٤) ابن القفطى : أخبـار العلماء باخبـار الحكماء ص ١١٥ .

(١٦٥) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٠٣ .

وهناك اشارات فى كتب التاريخ توضح أن عـــددا كبيرا من الأدباء والعلماء فى شتى التخصصات اجتمعوا فى بيت الحكمة ببغـــداد ، وكانت نتاجاتهم كثيرة وعالية ، ساعدت على تطـــوير عملية البحث العلمى وتنشيطها ، ومن ثم ازدهار الآداب والعلوم ، وممـــا يجـــدر الاشارة اليه أن بيت الحكمة ببغـــداد كان يضم العلمـــاء المسلمين والمسيحيين والمجـــوس . وحتى من الشعوبيين المغالين فى بغض العرب من أمثال علان الشعوبى الذى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـــأمون والبرامكة وصنف كتاب الميدان فى المثالب الذى هتك فيه العرب وأظهر مثالبها(١٦٦) ابتـــداء من بنى هاشم قبيلة بعـــد قبيلة على الترتيب الى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتـــاب ابن الكلبى .

وهـــذا أن دل انمـــا يدل على انسانية العـــلم والتعليم فى بغـــداد حاضرة الخلافة العباسية مركز الاشعاع الفكرى الانسانى فى القرون الوسطى حيث تدفقت عليها الأموال ، ورعى خلفاؤها حرية العلم والفن والثقافة .

وقال وليم جيمس : يرتقى العلم بالأصـــالة ويعمـــق التفكير الفريد البعيد عن التقليد فترسخ قـــدمه ويزيد قـــدمه وأعنى بالأصالة هنا العبقرية التى تجلت فى التفكير العلمى العربى أو هى موهبة الادراك بطريقة غير مألوفة(١٦٧) . وهـــو القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى ازدهر فيه العلم والمعرفة ازدهارا فى ظل عاصمة الدولة العربية الاسلامية بغـــداد عاصمة الخلافة العباسية فكان لبغـــداد الريادة فى العلم والمعرفة والثقافة(١٦٨) .

---

(١٦٦) ياقـــوت الحمـــوى : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٦٦ .

(١٦٧) د. سيذوت حليم درس : (الأصالة العربية فى التراث العربى) مجلة المؤرخ العربى – بغـــداد – العراق عـ ٢٢ (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ص ٣١ .

(١٦٨) عبد الرحمن حسين العزاوى : (أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى مؤرخا) مجلة المؤرخ العربى – بغـــداد – العراق عـ ٢٤ (١٩٨٤ م) ص ١٧٩ .

ثانيا ــ المدارس الاسلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة :

يعتبر عهد الرشيد من عهد المــأمون العصر الذهبى فى التاريخ الاسلامى . والواقع انه اجتمعت فى عصر الرشيد أشياء كثيرة جعلت عصره يبدو بهذه الصورة . فقــد أثمرت البــذور والغراس التى غرسها من أتى قبله واتت أكلها آنذاك . كما حفل عصره بعــدد من الشخصيات اللامعة العظيمة ــ سواء فى عالم السياسة أو عالم الأدب . وخيم السلم على البلاد ــ باستثناء بعض الحركات البسيطة التى لم تعق التطور العام . وبدت الدولة العباسية أقــوى دول الأرض ولقــد كان لشخصية الرشيد وولده المــأمون أثر فى هــذا التطور والازدهار(١٦٩) .

ويفيدنا المؤرخون المسلمون انه فى مقــدمة العلوم التى ركز عليها العرب فى صــدر الاسلام ثم فى عهد الدولة العباسية ، وفى عهد المــأمون خاصة علم الطب وبجانبه من علوم الفلسفة ، وعلم المنطق ، وعلم النجــوم والفلك ثم الرياضــيات وغيرها . وقــد اقتبسوا هــذه العلوم من اليونان بواسطة نقول متعــددة قام بها الناطقون بالسريانية خاصة ، ثم طــوروا هــذه العلوم ونهضوا بصرح الحضــارة الاســلامية خير نهــوض(١٧٠) .

ولعل اعمال حنين بن اسحاق فى الترجمة والتى استمرت حتى وفاته فضلا عن الترجمات التى قام بها هــو ومدرسته والتى كانت السبب فى تفجر الثقافة العربية . فان لــه بضع مؤلفات فى الطب والفلك ومن بين هــذه الأخيرة كتاباته المد والجزر والشهب وقــوس قزح وغيرها . ولا يسعنا فى صــدد الكلام عن الترجمة الا أن نشير الى احــدى دعاماتها القــوية فى ذلك العهد وخاصة فى ناحية المراجع الرياضية والفلكية وهــذا العالم الكبير هــو أبو الحسن ثابت بن قــرة الحرانى ، نبــغ فى الطب والرياضة والفلك وكان أحــد الضالعين من رجال الترجمة من الاغريقيــة والسريانية الى العربية ، وتولى زعامة مدرسة المترجمين بعــد حنين بن اســحاق وضم اليه فى أعمالها الكثير من اقاربه ، ومن أهم أعماله فى تلك المدرسة اصــلاحه لترجمات كتاب المجسطى مع تغييرات لمــا تضمنه ذلك المرجع الفلكى(١٧١) .

---

(١٦٩) د. محمد ماهر حماده : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسى الأول ص ٤٦ .

(١٧٠) د. الأب يوسف حبى : يوحنا بن هيلان معلم الفارابى فى المنطق مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ العراق عــ ٣ ، ١٩٧٥ م ص ١٩٥ .

(١٧١) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ ، ٣٥ .

كان العصر العباسى هـو العصر الذهبى للطب العربى ، اذ نبغ فيه عـدد كبير من الأطباء كان من بينهم ابن بختيشوع الذى خـدم هارون الرشيد والأمين والمـأمون والمعتصم والواثق وكان موثوقا به عالج الخلفاء وأولادهم وزوجاتهم . وكان ماهرا فى مهنته ، عالـما فى فنـه ، خلف عـددا من الكتب الهـامة منها : المسائل فى الطب للمتعلمين « علاج العين » ــ علاج اللثة « الأسنان » ، معرفة أوجاع المعـدة وعلاجها ، المولود دون الثمانية أشهر ، الأغـذية ، اللبن ــ فكانت فى جملتها موسوعة طبية هامة . والى جانب هـؤلاء نذكر « ابن ماسويه » الذى كان يعـالج العقم احيانا . وقـد أظهر فى كتابه « الملكى » تصحيحا لأخطاء كان قـد وقع فيها « أبو قراط » و « جالينوس » و « أبو عبد الله التميمى » وموسى أبو الحسن على بن رضـوان وأبو يعقوب اسحاق بن حنين وغيرهم . فكان للأطباء العرب دائمـا منزلتهم المرموقة فى الدولة . ومركزهم الاجتماعى والعلمى الملحوظ كان عـددهم يتزايد دائمـا بسبب اقبال الكثير على مهنـة الطب يتلقونها على أساتذتهم أما بالدروس والتنقيب فى الكتب أو بالملاحظة والتجريب والمران فى المستشفيات على غرار ما هـو واقـع فى كليات الطب فى جامعاتنا فى العهد الحاضر(١٧٢) .

أما آل بختيشوع فكانوا فى عهود الدولة العباسية ، واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع فانه تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حياة الحيوان رسائل تدل على سعة اطلاعه ، فقربه الرشيد ، واتخـذه فى دور الخلافة ، وأخـذ الناس يرجعون اليه فى ما يشير به من العلم فحملهم على الابتعاد عن الدجالين(١٧٣) .

ومن أشهر علماء الرياضيات العرب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ظهر فى عهد المـأمون فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، ووضع كتبا هامة ترجمت الى اللاتينية فكانت مصـدرا هـاما للجامعات الأوروبية وغيرها من كتب بقية الرياضيين العرب ، وعنها اخـذوا المبادىء الأولى لعلم الجبر(١٧٤) .

وقـد تبين لعلماء العرب العلاقة القـوية بين علوم الرياضيات والفلك فدعاهم هـذا الى التوسع فى دراسـة الفلك التى كانت تستهويهم وتخلب ألبابهم وبدأت

---

(١٧٢) محمد ابراهيم الصيحى : (العلوم عند العرب) (مكتبة نهضة مصر ــ القاهرة ــ بدون) ص ٤٦ ، ٤٧ .

(١٧٣) جميل نخلة المدور : (حضارة الاسـلام فى دار السـلام) (مطبعـة الاعتماد ــ مصر ١٩٣٢ م) ص ٢٠٥ .

(١٧٤) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٥٦ .

دراساتهم الجدية المنظمة فى هذا العلم فى عهد المنصور العباسى بوجه خاص فى القرن الثامن الميلادى عندما ترجم محمد بن ابراهيم الفزارى كتاب « سند هند » وهو موسوعة هامة تبحث فى أمور الفلك واعتمد عليه الفلكيون العرب أول الأمر[١٧٥] . كما افادوا من كتاب المجسطى لبطليموس الذى ترجم فى القرن التاسع الميلادى كما تمكن أبو الوفا العالم العربى الذى عاش فى بغداد فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى بفضل آلاته التى ابتكرها من مشاهدة انحراف الشمس بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدما . وقد كانت هذه المراصد العربية عى العون للفلكيين العرب فى دراساتهم وأبحاثهم . فقد قام الخلفاء الذين كانوا يحتضنون هذه النهضة العلمية للمراصد فى كل مكان ، فى بغداد . وفى دمشق وفى القاهرة وفى قرطبة وفى طليطلة كذلك فتحت[١٧٦] .

أما فيلسوف العرب والاسلام الكندى العربى الأصل المتوفى حوالى منتصف القرن الثالث فهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق يتصل نسبه لملوك العرب والأقدمين من كندة[١٧٧] . وقيل من ولد الأشعث بن قيس كان أبوه الصباح من ولاة الأعمال بالكوفة وغيرها ، فى أيام المهدى والرشيد ، ويقول ابن جلجل : ان جده ولى الولايات لبنى هاشم[١٧٨] انتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطق وله كتب عدة كثيرة ، وأنزله المأمون منزلته عظيمة .

وكانت دولة المعتصم تتحمل به وبمصنفاته[١٧٩] . وحاول الكندى فى مذهبه الفلسفى ان يجمع آراء افلاطون وارسطو واعتبر الرياضيات والفيثاغوريسية أساس العلم كله . لقد كان اساتذة الفلسفة الاسلامية العظام يدركون جيدا اهمية التراث الفلسفى اليونانى . وكذلك راحوا يسعون منذ البداية أن يترجموا بكل حماس مؤلفات الفلاسفة اليونانيين فى كل وقت وكانوا يطلعون فيه على النصوص الأصلية لتلك المؤلفات . ان تاريخ هذا النشاط فى ميدان الترجمة لم يدون بعد[١٨٠] .

---

(١٧٥) المرجع نفسه ص ٦٩ .
(١٧٦) المرجع نفسه ص ٧١ .
(١٧٧) ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ٧٣ .
(١٧٨) المصدر نفسه .
(١٧٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٤٧ .
(١٨٠) سليم طه التكريتى (بيت الحكمة فى بغداد وازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى) مجلة المورد – بغداد ، العراق عـ ٨ (١٩٧٩ م) ص ٤٥٩ .

أما مدرسة حران التى قامت فى عهـد الخليفة المتوكل فقـد كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية فى المنطقة التى تكلم أهلها اللغـة السريانية كما كانت مركزا للاتصال الثقافى وظلت تقـوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها علماؤها الى بغـداد فى خلافة المعتضد ، وانجبت هذه المدرسة طبقات متعاقبة من أفـذاذ العلماء والفلاسفة فى طليعتهم أولئك الذين جاءوا من حران أمثال ثابت بن قرة الذى أوصله محمد بن موسى بن شاكر بالمعتضد(١٨١) وأدخله فى جملة المنجمين وسنان بن ثابت الذى كان طبيبا للمقتدر وبلغ من علو منزلته أن وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وأجازتهم . وقـد أظهر الحرانيون الأثر الأكبر فى الرياضيات وخاصة الهيئة ولعل ما فى ديانتهم من تعظيم للكواكب واقامة الهياكل لهـا كان باعثا على نبوغهم فى العلوم الرياضية والفلكية(١٨٢) . ولقـد تفوق الحرانيون على الآخرين بمعرفتهم اللغـة العربية ولـذا كانت ترجماتهم أكثر دقـة(١٨٣) .

فقـد شاعت بينهم بعض الأفكار الأرسطية المشهورة فذكر الفهرست أبو روح الصابئى على أنه مترجم لكتاب الطبيعة كما لخص ثابت بن قرة كتاب التاسوعات وشرح جزءا من كتاب الطبيعة مـع بعض التعليقات لفورفوريوس(١٨٤) ، فلم تكن بيت الحكمة بمعلوماتها المختلفة بمنأى عن التأثير فى المدارس الاسلامية الأخرى التى ظهرت فى تلك الفترة وما بعـدها فنرى أنها قـد اثرت وتأثرت بها .

يقول نالينو : « ان وحـدة الدين استوجبت أيضا وحـدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهـل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القـديمة فى التمدن الاسلامى »(١٨٥) . كما أن اختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم فى المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب فى الشرق فى تلك الأيام بالشىء الكثير ، بل كان الناس يأخـذون عن أساتذتهم شفاها أكثر ممـا يتعلمـون من الكتب(١٨٦) .

---

(١٨١) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٨١ .

(١٨٢) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(١٨٣) خدابخش : الحضـارة الاسـلامية ص ١٥٨ .

(١٨٤) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology. London 1945, vol. I, II, p. 85.

(١٨٥) نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ .

(١٨٦) دى بور : (تاريخ الفلسفه فى الاسلام) ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريده (لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٤٨ ، ٤٩ .

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل افراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية « والخلفاء عادة اقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس اسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به »[187] .

ويصف صاعد الأندلسى ثابت بن قرة فيقول انه « فيلسوف متوسع فى العلوم متفنن فى ضروب الحكم متقلد لجوامع الفلسفة ، له تآليف حسنة فى المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك »[188] فظهر أثر مدرسة حران فى الرياضيات ، وقد تميز الحرانيون بمعرفتهم اللغة العربية ولذلك جاءت ترجماتهم دقيقة . ولعل ذلك يعود الى اهتمام الخلفاء بالعلوم مما دفع كثيرا من الناس الى التشبه بهم فوجد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أثرياء المسلمين وهذا كله يعود الى بيت الحكمة بما كانت تزخر به من العلوم الاسلامية كالفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات .

---

(١٨٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٩ .

(١٨٨) ابن صاعد الاندلسى : طبقات الأمم ص ٤١ .

ثالثا — موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها :

وفى القرن الثانى الهجرى اشتهرت مدينة بغـداد بالدراسات الفلسفية نتيجة تشجيع الخلفاء لهـذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمـأمون ، بينما اشتهرت جامعة الفسطاط فى ذلك العهد بالدراسات الفقهيـة الشافعية لاقامة الشافعى بها ووجـود تلاميذه فيها ، حتى أصبحت مقصـداً للطلاب الراغبين فى الفقه الشافعى . وكانت مصر فى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريبا مركزاً هاما من مراكز الفقه المـالكى لوجـود بعض أصحاب مالك بها مثل عثمان ابن الحكم ورشيد بن سـعد (ت ١٦٣ هـ) وكان طلاب هـذا المذهب يقصـدون مصر لتلقيه عن أساتذتها ، ومن هـؤلاء سحنون أمام أفريقيا فيما بعـد الذى تلقاه عن أبى القاسم من أصحاب مالك ونشره فى أفريقيا . واشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحـديث والفقه وتقصيرها فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها(١٨٩) .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القـديمة لوجـدنا أن درجـة تركيزها على مختلف العلوم تختلف من جامعات قطر الى آخر ، وأحيانا من جامعة الى أخرى حتى فى القطر الواحـد . ولكن الذى لا مرية فيه ان جميع العلوم النافعة كان لهـا وجود فى الجامعات الاسلامية اذا أخـذت كـكل . وكانت هـذه الجامعات يكمل بعضها بعضا ، والطالب الذى لا يجـد علمـا فى أحـداها يمكنه أن يذهب الى أخرى ليدرس فيها العلم الذى ينقصه . وكان ممـا يساعد على ذلك انفتاح أجزاء الوطن الاسلامى بعضها على بعض ، والاعتراف بالهجرة فى سبيل العلم والرحلات العلمية كوسيلتين رئيسيتين من وسائل طلب العلم وحصول المتعلم على المعـارف والخبرات التى لا توجـد فى بلاده فى الجامعات المجاورة له(١٩٠) .

وكان لطلاب العلم فى الوطن الاسلامى شغف كبير بطلب العلم يطلبـونه لنيـل رضا الله ولتوسيع مداركهم وزيادة اطلاعهم على الحقائق المتصلة بطبيعة الـكون والانسان والحياة التى حولهم وقـد ادى هـذا الشغف بالعلم ، واخلاص النيـة فى تحصيله واحتمال المشقات فى سبيله ، الى أن زخرت البلاد الاسلامية ما بين غانة وفرغانة الى ما بين الصين والهند والباكستان والمحيط الأطلسى بالعلوم الشرعية واللغوية والعقلية على اختلاف أنواعها وأقسامها(١٩١) .

---

(١٨٩) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ص ١٧٥ .

(١٩٠) د. عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .

(١٩١) المرجع نفسه ص ٣٩٥ .

فأنشأ المسلمون علوما ، وأخـذوا عن غيرهم علوما ، نقلوا الى لغـة القرآن لغـة العلم فى تلك العصور ، ثم تعمقوا فى درسها ، ونقـدوها ، وصـححوها وشرحوها ، وزادوا عليها ، وقرنوا العلم بالعمل ، فكشفوا ما كشفوا فى العـلوم الفلكية والرياضية وفى الكيمياء والطبيعة ، ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الامم على العلم والتعلم ، والتمحيص والتحقيق ، كما تعاونت الامم التى جمعتها اخـوة الاسلام ، وألفت بينها عقائده وشرائعه وعـدالته ورحمته ودعـوته الى العـلم والعمل هـل يعرف التاريخ أمة أو أمما أودعته ما أودعته الأمة الاسلامية من بين العلماء والأدباء وتراجمهم التى تزخر بها كتب الطبقات : طبقات الفقهاء على اختلاف المذاهب ، وطبقات النحويين واللغويين والادباء والأطباء والحكماء ؟ ، وهل يعرف التاريخ كتبا فى تاريخ البلدان تتضمن[192] من أعـداد العلماء ومناقبهم وسيرهم الحسنة ما نجـد فى تاريخ بغـداد للخطيب البغـدادى وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفى الذخيرة لابن بسام والاحاطة فى اخبار غرناطـة للسان الدين ابن الخطيب ، ونفـح الطيب للمقرى ، وفى تواريخ أخرى للقاهرة ونيسابور وبيهق واصفهان وغيرها من مدن الاسـلام .

وحسبنا أن نعلم أن تاريخ الخطيب البغـدادى ، حـوى زهاء ثمانية آلاف ترجمة للعلماء الذين عاشوا فى بغـداد أو وفـدوا اليها ، والخطيب من علماء القرن الرابع الهجرى، فمـا ظنك بعلماء بغـداد من بعـد القرن الرابع ؟ وما ظنك بعلماء المدن الأخرى فى أرجاء العالم الاسلامى على اختلاف الأجيال والقرون ؟

وقصارى القـول : ان العـالم لم يشهد قبـل المسلمين امة مثلهم اخلصت فى طلب العلم وجـدت فيه، وبذلت الجهد والوقت والمـال ، وبلغت فيه الغايات التى بلغـوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها »[193] ولقـد كان لهـذا التأثر فى العالم الاسلامى آثار طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبلدانه[194] وقـد بين العلاقة المؤرخ ابن خلـدون مزاياها وفضلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم والسبب فى ذلك أن البشر يأخـذون معارفهم وأخلاقهم ، وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علمـا

---

(١٩٢) المرجع نفسـه ص ٣٩٥ .

(١٩٣) د. عبد الوهاب عزام : (**الاسلام والعلم فى الاسلام : اليوم وغـدا**) تأليف مجموعة من العلماء (دار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة - بدون) ص ١٢٩ ، ١٥٩ .

(١٩٤) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ٢٠٨ ، ص ٢١٧ .

وتعليها والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة . الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشـد استحكاما وأقـوى رسوخا فعلى قـدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها .... (الى أن قال) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهـدى من يشاء الى صراط مستقيم »(١٩٥) .

ونحن نقول انه لجـدير بالاعجاب والاكبار تلك الثمرات الباهرات العلميـة والعملية التى أنتجها المسلمون فى العصور الذهبية الراقية ، وانفتاح الحـدود الفكرية لديهم لتقبل الحـق من أى مصـدر ظهر وللشغف بامتصاص العلوم والمعـارف من أى المنابع تدفقت ، وللسعى الحثيث لاكتساب الكمالات الانسانية فى كل مجال من مجالات الحياة ، وفى كل ميدان من ميادين العمل ، وهـو الأمر الذى أملته عليهم أسس الاسـلام الحضـارية .

ولو أن حـدودهم الفكرية كانت مغلقة ، وعقولهم كانت منطوية على نفسها لا تتقبل الحقـائق العلمية التى تأتيها من الأمم والشعوب الأخرى ، غابرة كانت أو حاضرة لمـا بلغـوا من مجـد عظيم ، فى أقصر حقبـة عرفهـا تاريخ الحضارات الانسانية . وكم حرمت أمم نفسها من التقـدم والارتقاء بدافع الانانية الذاتيـة ، والعصبية القومية المقيتة وبسبب عزوفها عن اقتباس معارف الآخرين وعلومهم الصـحيحة(١٩٦) .

ولقـد هيأ للمسلمين الأولين هـذا الانفتاح الفكرى لتلقف المعارف الحقـة واقتباسها واكتساب الكمالات الانسانية سبقا حضاريا فـذا ، لم يضارعه تقـدم حضارى لأية أمة من الأمم(١٩٧) . ويدهش المؤرخ الفرنسى العلامة جوستاف لوبون فيقول : « ان حماسة المسلمين فى دراسة المدنية اليونانية واللاتينية مدهشة حقيقة .. والانسان يقضى العجب من الهمة التى أقـدموا بها على البحث ، واذا كانت هناك أمم قـد تساوت هى والعرب فى ذلك فانك لا تجـد أمة فاقت العرب على ما يحتمـل .. »(١٩٨) .

---

(١٩٥) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٣٦٠ .

(١٩٦) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : (أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها) . (دار القلم – دمشق ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) ص ١٢٤ .

(١٩٧) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٩٨) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة أكرم زعيتر ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٧ .

الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة إسلامية عظيمة



١ ــ هــل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس فيها الطب أيضا ؟

٢ ــ هــل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟

٣ ــ هــل كانت هناك علاقة بين الرصــد المــأمونى فى دمشق وفى بغــداد ؟

اولا — هـــل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس بها الطب ايضا ؟

لمـــا جاء العصر العباسى كان المسلمون قـــد أمعنوا فى التمـــدن وراوا أن حياة الحضارة ، لابد أن تستند الى العلم ، فمالية الدولة تحتاج الى حساب دقيق ، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج الى أدوية مركبة وعـــــلاج مركب(١٩٩) . وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين ما زالت مركزا للثقافة ومصـــدرا للاشعاع العلمى . كما كانت تمـــوج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخـــذت الأنظار تتجه اليهـــا تسائلها العـــون ، وتناشـــدها المساعدة . وكان المنصور قـــد أدركه ضعف فى معـــدته وأصابه سوء استمراء ، وعجز معالجوه عن مداواته ، فجمع الأطبـــاء وقال لهم : « أريد من الأطباء فى سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما فى عصرنا افضـــل من جورجيس بن بختيشوع رئيس الأطباء بجنديسابور ، فانه ماهر فى الطب ، ولـــه مصنفات جليلة ، فتقـــدم المنصور باحضاره فأنفـــذه العامل بجنديسابور الى حضرة الخلافة بعـــد ما امتنع عن الخروج ... ولم يزل جورجيس يتلطف لـــه فى تدبيره حتى برىء المنصور ، وعاد الى الصحة ، وفرح به فرحا شـــديدا ، وأمر أن يجاب الى كل ما يسأل »(٢٠٠) .

وقـــد ظـــل جورجيس فى خـــدمة المنصور حتى تقـــدمت به السن(٢٠١) وبنى له مستشفى(٢٠٢) على طريقة آل بختيشوع بجنديسابور(٢٠٣) وعندما جاء المهـــدى استقدم بختيشوع(٢٠٤) من جنديسابور ليعالج ابنه الهادى ، ولكن الخيزران عـــز عليها أن يستدعيه المهـــدى ، ولا يستطب أبا قريش طبيبها الذى كان يعرف بعيسى

---

(١٩٩) أحمد أمين : ضحى الاســلام ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢٠٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣ .

(٢٠١) كان جورجيوس من السريانيين الذين ينتمون الى طائفـــة النساطرة . أنظر : اسرائيل ولفنسون : (**اللغـــات السريانية**) ص ١٤٦ .

(٢٠٢) عيسى المعلوف : (**تاريخ الطب عند العرب**) (بيروت لبنان ، المطبعة الأدبية ١٩٣٥ م) ص ١٨ .

(٢٠٣) آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جـدها هـذا سريانى بمعنى حظ يسوع ويروى أن لها بقية فى بغـداد وهم بنو غنيمة ، وفى الصالحية « آل الحكيم » وفى دمشق آل لطفى وآل منعم . عيسى المعلوف : (**الأسر العربية المشتهرة بالطـــب**) ص ٦ — يرى ابن أبى أصيبعة أن معنى بختيشوع عبد المسيح لأن اللغـة السريانية البخت العبد ، وعنـده أن البخت لفظـة فارسية معناها الحظ والسـعد ومن تعقيب ابن العبرى فى كتابه مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(٢٠٤) أنظر ترجمة بختيشوع عند القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ .

الصيدلانى[٢٠٥] ، فكان ذلك سرا فى أن يعيده المهدى الى جنديسابور . وفى ايام الرشيد اصابه صداع شديد ، وعجز اطباؤه عن مداواته فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر قال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »[٢٠٦] .

وقد ذكر صاعد الأندلسى ان « بختيشوع له تآليف فى الطب معروفة ، منها كتاب التذكرة وقد علمه لابنه جبريل »[٢٠٧] . الذى قام بعلاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى كما برئت جارية للرشيد بحيلة[٢٠٨] ، لطيفة استعان بها ، كما شفى الرشيد على يديه من مرض ألم به مما دفعه الى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه . ولقد كان للنجاح الذى أحرزه هؤلاء الأطباء اثره فى المكانة التى وصلوا اليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة ، كانوا يعظمونهم لقدر علمهم لا لدينهم[٢٠٩] .

وقد ذكر القفطى أن « يحيى بن خالد البرمكى أحب جبريل عندما عالجه مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب »[٢١٠] . كذلك ذكر بن ابى أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل منه ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له الى حاجة فيخاطب بها جبريل لأنى افعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى[٢١١] . وقد ظل جبريل على هذه المكانة العالية فى عهد المأمون ، فكان كل من تقلد عملا لا يخرج الى عمله الا بعد أن يلقى جبريل ويكرمه .

يقول حاجى خليفة : ان أول من عنى من العباسيين بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور[٢١٢] . وكان ممن قدموا من جنديسابور يوحنا بن ماسويه[٢١٣] (ت ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م) ومن هذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا الى قصور الخلفاء فى بغداد أو سر من راى[٢١٤] .

---

(٢٠٥) راجع أخبار عيسى الصيدلانى : ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٠ .
(٢٠٦) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢٠٧) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .
(٢٠٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٤ .
(٢٠٩) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣ .
(٢١٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٣ .
(٢١١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٢٩ .
(٢١٢) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤ .
(٢١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ .
(٢١٤) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٦ .

وقــد عين يوحنا بن ماسويه رئيسا لمدرسة الطب فى بغــداد وكان من اطباء هارون الرشيد(٢١٥) . وكان الخليفة هارون الرشيد أول من انشأ مستشفى عاما فى العالم بأسره وقسمه الى قسمين قسم للعلاج — وقسم للتدريب ، وتخرج الأطباء وكانت أول كلية طب فى الدنيا بأسرها(٢١٦) تقام بجامعة بيت الحكمة ببغــداد .

وقــد اقام يوحنا بن ماسويه فى بغــداد مستشفى ، كذلك جعله الخليفــة المــأمون فى سنة ٢١٥ هـ/ ٣٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة . وقــد ألف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا(٢١٧) منها كتاب البرهان وكتاب دغــل العين ، وعربية هــذا الكتاب ركيكة مــع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية(٢١٨) . وكان سنان بن ثابت بن قرة مقــدما كأبيه ، وقــد وكل اليه المقتدر امتحان أطبــاء بغــداد سنة ٣١٩ هـ .

ويقول ابن النــديم فى كتابه الفهرست : (وكان منكه الهندى طبيب الخليفة هارون الرشيد ، ونقل عــدة كتب تبحث فى الطب على مذهب أهــل الهند ، ونقــل ابن دهن الذى كان يشرف على بيمارستان البرامكة عــدة كتب فى الطب(٢١٩) .

واشتهر عــدد من الأطباء بترجمة كتب الطب ، وخــدموا المكتبة العربية أجل خــدمة بما ترجموه والفــوه من الكتب الطبية منهم : يوحنــا بن ماسويه ، وآل بختيشوع ، وعيسى بن الحكم ، وزكريا الطيفورى ، وحبيش بن الحسن الأعسم ، وصالح بن بهــلة الهندى(٢٢٠) وغيرهم .

حقا كان بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى ، بل انه كان أول جامعة اسلامية يدرس بهــا الطب فاجتمع فيها العلماء والباحثون الذين يمثلون ثقافــة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها .

---

(٢١٥) محمد عبد الحميد البوشى : (**الاسلام والطب**) (دار القــلم ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٥٢ .

(٢١٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٤١٥ .

(٢١٧) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٢١٨) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٢١٩) ابن النــديم : الفهرست ص ٣٤٢ .

(٢٢٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٣ .

ولعـــل الشواهد السابقة تدل على اهتمام الخلفاء بالطب والأطباء ســـواء بالمعالجة أو انشاء الكليات الطبية فان ذلك يجعلنا نقـــول بأن جامعة بيت الحكمة كان يدرس بها الطب بل وانها من اشهر الكليات الطبية حتى ان اهـــل جنديسابور احتجـــوا على ذلك لأن اكثر اطبـــائهم قـــد ذهبوا الى الخلفاء العباسيين سواء منهم الخليفة هارون الرشيد او المـــامون وعملوا تحت رعايتهم من امثال جورجيس بن بختيشوع ويوحنـــا بن ماسويه .

ثانيا ـ هل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟

وكان الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ/١٩٣ هـ ـ ٧٨٦ م/٨٠٨ م) كثير الاهتمام بعلوم الحكمة ، فصار فى بيت الحكمة دوائر علمية منوعة ، لكل منها علماؤها وتراجمتها ومشرفون يتولون أمورها المختلفة(٢٢١) .

كان يوحنا بن ماسويه يتولى الكتب التى أمر الرشيد بنقلها من عمورية وانقرة عندما غزا بلاد الروم وجعله الرشيد أمينا على الترجمة ـ وأكثرها كانت من كتب الطب ، وعين له الرشيد كتابا حذاقا يعملون بين يديه ، ويساعدونه فى عمله . وخدم بعده الأمين والمأمون وبقى الى أيام المتوكل(٢٢٢) .

فنجد مما تقدم : أن يوحنا كان على جانب من العلوم المختلفة ، عالما بالعلوم التى يقوم بترجمتها لذا عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة كما كان يعقد مجلسا للنظر ، ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن اتم عمارة ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع أهل العلوم والآداب ، وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون(٢٢٣) . وكان يحاضر بهذه العلوم ، ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون يأخذون عنه ويدرس عليه بعضهم ما يرغب به من العلوم فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة . أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة ، حر الفكر له شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هذا أولى بيت الحكمة عناية خاصة كان من نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين ، ودخول العلوم الأجنبية اليهم واحتضانهم لهذه العلوم ، مما أدى الى حفظ التراث ونقله الى الأجيال التالية ، وكان على وشك أن يضيع(٢٢٤) .

وقد ضم بيت الحكمة كتبا فى الأصل بلغات مختلفة ، ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ، ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرين ينقل بعضهم من اللغة اليونانية وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق

---

(٢٢١) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب القديمة فى الخافقين ج ١ ص ٩٩ .

(٢٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ ، ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ .

(٢٢٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٢٢٤) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٢ .

ثالث من الهندية وهكذا . وكان بنو موسى بن شاكر من انشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة وهم ثلاثة اخــوة : محمد واحمد والحسن وعرف أبناؤهم فيما بعـد ببنى موسى المنجم . كما كان حنين بن اسحاق على جانب من العلم حيث اشتغل فى بيت الحكمة فترجم هــو ومن كان يعمل بين يديه كتبا عــديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التى يراسها فى بيت الحكمة لا تقل اهمية عن دائرة ابناء موسى الذين تقــدم ذكرهم(٢٢٥) .

وهكذا اجتمع فى بيت الحكمة نخبة ممتازة من العلماء والأطباء والفلكيين واصحاب الصناعات ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعــارف وبلغ بيت الحكمة منتهى التقــدم على عهد المــأمون(٢٢٦) .

وقــد صنفت الكتب والمؤلفــات التى احضرت من مختلف الأقطــار بحسب موضوعاتها فى بيت الحكمة واختير لهــا المترجمون ممن لهم خبرة علمية بالموضوعات التى يترجمون منه ، بالاضافة الى سيطرتهم على اللغتين اليونانية والعربية ومن اشهر الذين اشتغلوا بترجمة هــذه الكتب يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، ومحمد بن موسى الخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان . فلا غرو أن بيت الحكمة كان أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثــون والمترجمون فهى اكاديمية من الأكاديميات العلمية التى كانت تزخر بها بغداد آنذاك .

وكان التلاميذ يتلقون العلم بالمجان ، كما كانوا يحصلون على الطعام والعناية الطبية ويتناول كل منهم دينارا من الذهب كل شهر لمصروفاته الأخرى ، وكانت تشتمل على مستشفى وحمام ومكتبة مفتوحة للطلبة وهيئة التدريس على السواء(٢٢٧) .

وجامعة بيت الحكمة لجــأ اليها الطلاب فكانت بذلك اول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجــاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة(٢٢٨) وغيرها . وحقا ان ما حظيت به جامعة بيت الحكمة فى عهدى الرشيد والمــأمون ممــا جعلها دار اقامة للطلاب والأســاتذة وتوفير كل ما يلزم للباحثين والعلماء والمترجمين ، وهــذا ما اوضحناه فى حــديثنا الســـابق .

---

(٢٢٥) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(٢٢٦) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ص ١١٧ ، ١٢٠ .

(٢٢٧) ول ديورانت : قصــة الحضارة ج ٤ ص ٣١٩ .

(٢٢٨) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

ثالثا ــ هــل هناك علاقة بين الرصــد المــأمونى فى دمشق وفى بغــداد ؟

كان قيام الدولة العباسية فاتحة عهد جــديد فى تاريخ الاسلام يختلف عن العهد الأموى فقــد نقلت العاصمة من دمشق الى بغــداد التى بناها ابو جعفر المنصور وصارت ولاية الشام تحتل مرتبــة من الدرجة الثانية فى الدولة وكان هــذا الانتقال بذاته يعتبر تغييرا شــاملا فى سياسة الدولة الاســلامية . فقــد زاد اهتمامها بولاياتها الشرقية وقــل اهتمامها بالولايات الغربية ، واولها الشام ومصر والمغرب والأندلس(٢٢٩) .

لا شك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، فقــد كانت هــذه نادرة جــدا قبل النهضة العباسية ، وقــد يكون اليونان اول من رصــد الكواكب بآلات وقــد يكون مرصــد الاسكندرية الذى أنشىء فى القرن الثالث عشر الميلادى ، هــو أول مرصــد كتب عنه ويقال ان الأمويين ابتنوا مرصدا فى دمشق(٢٣٠) . ولكن الثابت أن الخليفة المــأمون أول من اشار باستعمال الآلات فى الرصــد ، وقــد ابتنى مرصــدا على « جبــل قاسيون »(٢٣١) فى دمشق وفى « الشماسية فى بغــداد » وبعــد وفاته أنشئت عــدة مراصــد فى أنحاء مختلفة من البلاد الاسلامية وقــد تبع اشتغال العرب فى أوج ازدهار حضارتهم والنهضــة التي شملت البلاد العربية الاسلامية على تأسيس العــديد من المراصــد وتجهيزها بأحسن الأجهزة ، ممــا دفــع الخلفاء والحكام انفسهم الى تمويل هذه المؤسسات ، وان كانت قــد جرت العــادة على أن الأعيان والأغنياء هم الذين يتبنون مثل هــذه المراصــد ، ينفقــون عليها من مالهم الخــاص ويقــدمونها هــدية لأصــدقائهم من العلماء(٢٣٢) . وتقول زيغريد هونكه فى كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » : بنى العرب المراصــد الجوية وأشهرها مرصــد المــأمون فى بغــداد ودمشق(٢٣٣) .

اننا نرى أن النزعــة العلمية فى الفلك قــد لازمت العرب منذ انتشار الاسلام ثم كانت تلك النزعة تقــوى مــع الأيام ولقــد أهاب جرداق حين قال : « والعرب

---

(٢٢٩) د. حسين مؤنس : (**تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى**) (الكــويت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ط ٥) ص ١٩٦ .

(٢٣٠) رياض باشا : (**علم الفلك عند العرب**) مجلة المقتطف - بيروب - لبنان مجلــد ٣٩ (١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) ص ١٤٦ .

(٢٣١) جبل مشرف على غوطة دمشق شمالا يقرب علوه على ١٢٠٠ م .

(٢٣٢) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٢ .

(٢٣٣) زيغريد هــونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٣١ .

المسلمون اول من قال بابطال التنجيم المبنى على الوهم ومالوا لعلم النجــوم نحــو الحقائق المبنية على الرصــد والمشاهدة والاختبار »[٢٣٤] .

وقــد انشأ المــأمون مرصــدا فى الشماسية ببغــداد وكان اساس تقــدم العرب فى النجوم يرجــع الى المراصــد التى اقاموها والأجهزة التى ابتكروها ، على ان معظم المعــدات الفلكية التى استخدموها مثل الأسطرلاب[٢٣٥] كانت فى الغالب مبنية على النماذج اليــونانية ، واجريت حسابات دقيقة فى الفــلك ، وعلى فروض تفرض لتقليل ما يرى من الظواهر الفلكية[٢٣٦] .

كان سند بن على يهوديا واسلم على يد المــأمون ، وهــو منجم فاضل عالم بتسيير النجوم وعمل آلات الارصاد والأسطرلاب وندبه المــأمون الى اصلاح آلات الرصــد ، وان يرصــد بالشماسية ببغــداد[٢٣٧] .

ومن النتائج أن العرب اخــذوا يقرنون العلم بالعمل فقــد عملوا آلات الرصد ، وانشأوا المراصــد فى كثير من البلدان أقــدمهما المرصــدان اللذان امر المــأمون بانشائهما ، كان احــدهما فى الشماسية ببغــداد والثانى على جبل قاسيون بدمشق وجهز المرصــدان اللذان صنعها الفلكيــون واخــذوا يرصــدون الكواكب ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم فكانت دقيقة الى حــد ما[٢٣٨] .

واقام المــأمون مرصــدا لرصــد الكواكب فى بغــداد وعين نور الدين الطوسى مديرا للمرصــد الذى يشرف على متابعة حركات الأقمار والكواكب وزوده بآلات الرصــد التى يحتاج اليها ، وكان هــذا أول اهتمام العرب بعلم الفلك وباقامة مرصــد بغــداد ، بدأ سير العرب فى الطريق الايجابى نحــو نهضة علم الفلك ،

---

(٢٣٤) المرجــع نفســه ص ١٩٥ .

(٢٣٥) الاسطرلاب : هى كلمة يونانية (الاسطرلابون) و « اسطر » هــو النجم . و « لابون » هى المرآة ، ومن ذلك قيل لعلم النجوم ، أسطرونوميا ، ومنها (Astronomy) . واطلقت هــذه الكلمة « اسطرلاب » على عــدة آلات فلكية تنحصر فى ثلاثة انواع رئيسية : بحسب ما اذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو أو مسقط هــذا المسقط على خط مستقيم أو الكرة بذاتهــا بلا أى مسقط ما . (**دائرة المعــارف الاســلامية**) محمد ثابت الفندى وزملاؤه ، الترجمة العربية ، مجلــد ٢ سنة ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣م . ص ١١٤ .

(٢٣٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .

(٢٣٧) د. احمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٤٨ .

(٢٣٨) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٩٦ .

فاجتمع فى ذلك المرصد حشد من كبار العلماء ، دأبوا على تسجيل أرصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة . وذلك لأول مرة فى تاريخ علم الفلك وكانت تلك الأرصاد تؤخذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور علينا بالمقارنة بين هذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذى كان يتولاه . ومن بين فلكيى المأمون أبو الطيب سند بن على الذى أشرف على بناء المرصد ثم جعله الخليفة رئيسا للفلكيين الذين يقومون بارصادهم تحت ملاحظته . ولما أمر المأمون بقياس محيط الأرض سار على رأس مجموعته الى صحراء سنجار بالعراق حيث عانوا مشاق السير على اقدامهم أكثر من ستين ميلا لتحقيق ذلك الغرض العلمى ، وينسب المؤرخون الى سند بن على الجداول الفلكية ، وان كان المرجح أنها من حساب نخبة الفلكيين فى ذلك المرصد(٢٣٩) .

وقد جمع الخليفة المأمون ببغداد علماء الفلك وعقد لهم مجالس علمية . وعمل فى دار الرصد للمأمون بالشماسية عدة فلكيين منهم : « سند بن على المنجم للمأمون » وقد امتحن مواقع الكواكب ، ولسند زيج مشهور ظل المنجمون يعملون به الى القرن السابع الهجرى . واشتغل أيضا به « العباس بن سعيد الجوهرى » منجم . وحقق مواضع بعض الكواكب السيارة . أما « يحيى ابن ابى المنصور المنجم » فقد عمل بالرصد واصلاح آلاته ، وله تصانيف كتاب «الزيج الممتحن» . كما عمل به « أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى » وله كتاب « المدخل الى علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم » . ثم اشتغل أبناء موسى بن شاكر الثلاثة فى هذا المرصد(٢٤٠) .

وأبناء موسى بن شاكر الذين عاشوا فى القرن التاسع من الميلاد هم من علماء الفلك أيضا ، فقد عنوا بضبط لم يكن معروفا قبلهم هو مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا التقاويم لأمكنة النجوم السيارة ، قاسوا عرض بغداد سنة ٩٥٩ م وقيدوه ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقة أى برقم يصح بعشر(٢٤١) ، وفى « باب الطاق » على نهر دجلة فى بغداد أقيم مرصد مارس فيه أبناء موسى أعمالهم النافعة والكشف عن مكنونات العلوم .

كما اهتم الخليفة المأمون برعاية العلماء فتعهد أبناء العالم موسى بن شاكر

---

(٢٣٩) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

(٢٤٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٨ ، ٢٣٠ .

(٢٤١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٥٧ .

واولاده فكان موسى بن شاكر عالم الفلك العربى المبدع بدار السلام « بغـداد » فى عهد الخليفة العباسى المـأمون وكان فى قصره مقربا ومكرما وصـديقا حميما له ، بل ومن اقرب المقربين اليه ، ورغم مكوثه بقصر الخليفة ، وهـو الذى كان من احسن علماء الفلك آنذاك قـد امضى حياته بالبحث والدرس وعندما حضرت وفاة موسى ابن شاكر ، كان قـد خلف من بعـده ثلاثة من اولاده(٢٤٢) .

ونشأ الأولاد الثلاثة فى بيت كله علم وجـو مشبع بالمناقشات الكثيرة بين العلماء ، وكان يحيى بن ابى منصور يدير « بيت الحكمـة » فى بغـداد ، وترعرع الأبناء الثلاثة فى هـذا الوسط العلمى ، فنبغوا نبوغا ملحوظا(٢٤٣) .

وقـد عظم شأن محمد بن موسى الذى ما كاد ينهى دراسته حتى أمره الخليفة ان يساهم فى قياس حجم الكرة الأرضية فتنقل فى شمال العراق ليقـوم بمـا كلف به ونجح فى مهمته واصبح اشهر رجال عصره فى دقـة ابحاثه الفلكية وقام بحساب شروق وغروب الكواكب حسب الأيام والسنين ، كما تعاون مع أخيه أحمد فى صناعة الآلات الفلكية التى استخدمها لقياس الأجرام السماوية فكانت الآلة التى ابتكرها عبارة عن كرة تتحرك بفعل ما ، ورسمت على الكرة الأجرام والكواكب ، واذا اختفى نجم من النجوم فى السماء يختفى فى الوقت نفسه النجم المرسوم على الكرة عن طريق خط يمثل الأفلاك وعندما يعود النجم فى السماء يظهر النجم على الكرة فـوق خط الأفـق المرسـوم(٢٤٤) .

ومع ذلك فان للبيرونى فضلا كبيرا فى بناء المراصـد العلمية فى بعض المـدن الاسلامية التى ساعدت على أن تكون المراصـد امكنة للتحقيق العلمى والوصـول الى معلومات فلكية . كما عمل البيرونى على اعادة قياس خط العرض فى عـدة مدن من اقليم خـوارزم باستعمال أجهزة مختلفة الحجوم(٢٤٥) .

وقـد اعترف الأفرنج بأن العرب ، أتقنوا صنعة هـذه الآلات(٢٤٦) وجاء فى

---

(٢٤٢) محمد رجب الساماراتى : علم الفلك عند العرب ص ٩٥ .

(٢٤٣) د. عمر فروخ : (**تاريخ العلوم عند العرب**) . (دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ١٩٧٧ م) ص ٥٨ .

(٢٤٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ ، ٦٠ .

(٢٤٥) د. حسين أمين : (**البيرونى عالم ساهم فى تقدم العلوم**) مجلة المؤرخ العربى – بغداد – العراق عـ ١ (١٩٧٥ م) ص ١٥ .

(٢٤٦) ارنولد توماس وآخرون : تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله ص ٣٩٥ .

كتب العرب : « ابا اسحاق ابراهيم بن حبيب الفزارى » من فلكيى المنصور اول من عمل اسطرلابا وأول من ألف فيه كتابا سماه « العمل بالأسطرلاب المسطح » ويقال ان « ما شاء الله » الف كتابا فى ذلك وفى ذات الحلق .

وجماع القول أن للعرب فضلا كبيرا على الفلك فهم : أولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض أغلاطها وتوسعوا فيها ، وهذا عمل جليل جدا اذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها فى العربية . وهذا طبعا ما جعل الأوروبيين يأخذون هذا العلم عن العرب — أساتذة العلم فيه — . ثانيا : فى اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : فى جعلهم علم الفلك استقرائيا وفى عدم وقوفهم عند حد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : فى تطهير علم الفلك من أدران التنجيم(٢٤٧) .

وقد أخذ خلفاء بنى العباس منذ اتخاذهم مدينة بغداد التى أقيمت سنة ٧٦٢ م عاصمة لدولتهم ، يحثون على دراسة علم الفلك والرياضيات وعلى ترجمة ما ألفه أقليدس وأرشميدس وبطليموس وترجمة كتب اليونان فى تلك العلوم ويستدعون العلماء الذين كانوا على شىء من الشهرة فى بلاطهم . وخاصة محبى العلم أن يجمعوا هذه الكتب فى أماكن خاصة سميت « بيت الحكمة » أو دار الحكمة و خزانة الحكمة(٢٤٨) .

وأدت مدرسة بغداد الفلكية فى زمن هارون الرشيد وفى زمن ابنه الخليفة المأمون على الخصوص أعمالا مهمة وأدمجت مجموعة الأرصاد التى اشتمل امرها فى المراصد ببغداد فى كتاب « الزيج المصحح » الذى نأسف على ضياعه(٢٤٩) . وبقيت مدرسة بغداد الفلكية مزدهرة لمدة (سبعة قرون) كما ادت أعمالا جليلة مهمة وادمجت مجموعة الأرصاد التى تم أمرها فى المراصد ببغداد ودمشق فى كتاب « الزيج المصحح » وقد عين العرب فيه مدة السنة بالضبط .

ووضع فلكيو هذه المدرسة ، عددا من التقاويم لأمكنة الكواكب السيارة ،

---

(٢٤٧) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٣٨ .

(٢٤٨) د. نافع توفيق عبود : (**من تاريخ الترجمة عند العرب**) مجلة المؤرخ العربى عـ ١٠ (١٩٧٩ م) ص ٢٣ .

(٢٤٩) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٥٦ .

وتعيينهم بالضبط مبادرة الاعتداليين . فقاسوا (خط نصف النهار) الذى لم يوفق اليه الأوروبيون الا بعـــد « الف سنة » !! وهكذا ظلت هـــذه المدرسة منارة للدارســين ومنهلا عــذبا للطالبين من بعـــد سنين . وخلدت كتب التراث هـــذه المدرســة البغـــدادية . ويجب أن نذكر أن مدرسة القاهرة الفلكية قد نافست مدرسة بغـــداد من حيث العناية بالفلك ، وانشاء المراصـــد ، وقـــد عول العالم ابن يونس المصرى فى ارصاده على ارصاد (بنى موسى بن شاكر البغـــداديين)[٢٥٠] .

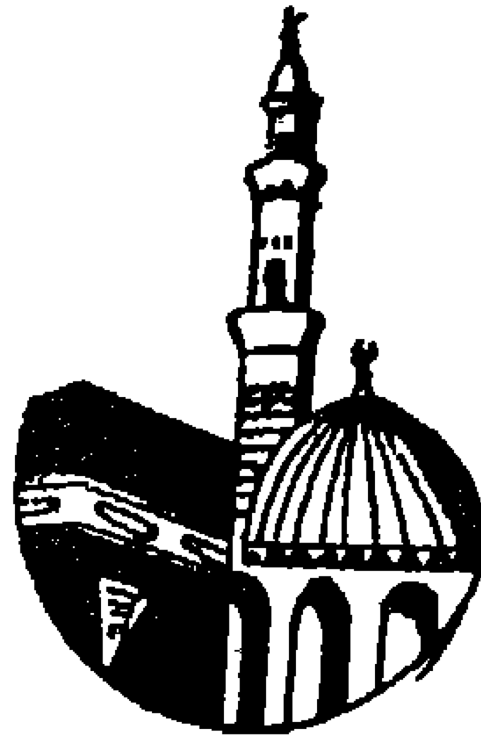
ومن هنا نجـــد ان العلاقة قـــوية بين الرصـــد المـــأمونى فى دمشق وفى بغـــداد ، حرص الخلفاء فى الدولة العباسية[٢٥١] بأن دولتهم دولة اسلامية مهمتهـــا الأولى هى المحافظة على الاسلام والدعوة له والحرص الشديد على القضاء على كل حركة تمس العقيدة الاسلامية ويفتحون أبوابهم للمسلمين من كل جنس . فأضـــفى الازدهار العلمى على عهد الرشيد هالة من المجـــد حتى اعتبره الناس من أزهـــى العصور ، وتوج ابنه المـــأمون تشجيعه للفكر برعايته « دار الحكمة » كجامعة اسلامية عظيمة عمـــل فيها المترجمون على نقـــل ثمار الفكر الى العربية . وقـــد وصف أحـــد المؤرخين هذا الازدهار بقوله : « كانت ايام الرشيد كلها كأنها من حسنها اعراس » .

---

(٢٥٠) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٩ .

(٢٥١) د. حسين مؤنس : تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى ص ١١٧ ، ١٢٧ .

الباب الرابع



الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمـة فيهـــا ٠

الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة ٠

الفصل الثالث : العـلاقة بين مؤسسة بيت الحكمـة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها ٠

الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها



أولا :

١ ــ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ، مثل :

ــ علم الكلام ٠

ــ علم الفلسفة ٠

ــ علم الطب ٠

ــ علم الكيمياء ٠

ــ علم المنطق ٠

ــ علم الرياضيات ٠

ــ علم الفلك والتنجيم ٠

اولا ـــ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة :

أولا ـــ علم الكلام :

ومن العلوم التى ازدهرت فى بغداد فى العصر العباسى الأول علم الكلام وهو يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعين والمنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وأساس هذه العقائد الايمانية تكمن فى التوحيد ، ويقدم فى برهان **عقلى**(١) .

وكان أهل الحديث يرون أن مناقشات المتكلمين وآراءهم بدعة لأن الايمان عندهم هو الطاعة ، وقد غلا خصوم المتكلمين ، فرموهم بالزندقة ، وقالوا : علماء الكلام زنادقة ، والحق أن مناقشات المتكلمين أنعشت الحياة الثقافية فى بغداد ، ولكن ظهرت مشكلة كما سنرى ـــ أثارت جدلا كثيرا بين المتكلمين وأهل الحديث وهى مسألة القول بخلق القرآن ، هل هو مخلوق أم قديم ؟ ولذلك كانت أهمية المتكلمين فى الرد على أهل البدع والضلالات ، فدونوا الأدلة العقلية دفاعا عن الدين(٢) .

لاقى المتكلمون ـــ وقوامهم المعتزلة ـــ معارضة شديدة فى بغداد لأنهم آمنوا بسلطان العقل وتحكيمه فى كل الأمور ، وقد استخدموا ما توصلوا اليه من تقدم علمى خصوصا فى الفلسفة والمنطق فى آرائهم الدينية ، وهاجموا أهل السنة بشدة وضراوة ـــ وأثاروا مسائل كثيرة فى الالهيات والطبيعيات والسياسيات ، وكان لهم مقدرة كبيرة على الجدل والاقناع والحوار **بمهارة** فائقة(٣) .

وأضعف من شأن المتكلمين فى العصر العباسى الأول فى بغداد معارضة الخلفاء العباسيين الأوائل للاعتزال ؛ فكان عمرو بن عبيد من أبرز المعتزلة فى عصر المنصور ، يتجنب المنصور ، لأنه يدرك **مدى معارضته** المعتزلة(٤) .

كذلك كره الرشيد المعتزلة فلما أدرك أن الشاعر العتابى من المعتزلة عظم عليه ذلك وانكره ، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد ، ولم

---

(١) NLCHOLSON : Alitrary History of Persia, p. 337.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ٢٣٧ .

يكن للمتكلمين الحرية فى عهد الرشيد فى ابداء آرائهم فقد نهى عن الجدال فى الدين وزج من خالف ذلك فى السجن(٥) .

واستمرت فكرة الاعتزال تلقى التأييد السياسى من الخلفاء العباسيين وخاصة المأمون ، فالمعتزلة قد ارتفع شأنهم وانتعشوا فى عهده لأنه أيد المعتزلة واعتنق مبادئهم وسار المعتصم على نهجه كما ان الواثق كان يؤمن بآراء المعتزلة . ويجمع المؤرخون على أن بشر بن المعتمر مؤسس الاعتزال فى بغداد غضب الرشيد منه فقال : بلغنى أن بشرا يقول : القرآن مخلوق ، « والله ان اظفرنى الله به لأقتلنه » فقام بشر متواريا أيام الرشيد(٦) .

وقد تتلمذ عليه كثيرون مثل ابى موسى المردار وثمامة بن الأشرس واحمد بن ابى داوود وكانت له صلات قوية بالمأمون(٧) . وأما أبو موسى فيرجع اليه الفضل فى انتشار الاعتزال فى بغداد ، ومن اشهر المتكلمين فى بغداد ابو الهذيل العلاف ، يرجع اليه الفضل فى ادخال الفلسفة على مبادىء المتكلمين ، كان واسع الاطلاع فصيح القول قوى البيان ، يستشهد بالشعر العربى فى مناظراته ، درس الفلسفة اليونانية واستفاد منها فى مناقشاته وابداء آرائه وقد جادل الزنادقة والمجوس وضعاف العقيدة وبلغ من قوة اقناعه وتأثيره أن أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل(٨) .

كما أن أحمد بن يحيى الراوندى ، كان من الفضلاء فى عصره ، وله عدة كتب فى علم الكلام تزيد على المائة ، وقد انفرد بآراء نقلها عنه أهل الكلام فى كتبهم(٩) .

وكان النظام واسع الأفق ، متعدد الثقافات قوى الحجة ، مقنعا قوى التأثير ، تتلمذ على أبى هذيل العلاف الذى لعب دورا كبيرا فى مناهضة البدع والخرافات التى تفشت بين الناس فى بغداد ، اتبع الأسلوب العلمى فى اثبات صحة آرائه ، ودافع عن الاسلام بالمنطق والبرهان القاطع وأظهر للملحدين والخارجين

---

(٥) الجهشيارى ، محمد بن عبدوس : (**الوزراء والكتاب**) . (مطبعة البابى الحلبى ـ مصر ١٩٣٨ م) ص ٢٩٠

(٦) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٧٧ .

(٨) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٥٧ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٨ .

على الدين خطــأ اتجاهاتهم بالأدلة المقنعة . فالنظام أستاذ الجاحظ وقــد شابه استاذه في اعتماده على النقل وسعة اطلاعــه ودراســته للفكر اليــوناني وســعة ثقــافته[١٠] .

وكان علم الكلام هــذا ارهاصا للفلسفة ، وأهم فرق بين علم الكلام والفلسفة أن المتكلم يؤمن أولا بدينه ثم يتلمس الدلائل والبراهين الفلسفية لتقويته والدفاع عنه ، والرد على مخالفيه ، أما الفيلسوف : فيدخل في هــذه المسائل مجردا عن كل اعتبار وهــو طوع الدليل حيثما يكن ، وكان طبيعيا أيضا أن تكون الكراهية سائدة بين المتكلمين والفلاسفة كما فعل الجاحظ مع الكندي الفيلسوف[١١] .

وكان المعتزلة من أشــد الطوائف الاسلامية دفاعا عن الدين وتحمسا لــه ، لذلك فانهم لمــا وجــدوا اليهود والنصارى يدمجــون الدين والفلسفة ويتخــذون منها سلاحا قــويا للدفاع عن ديانتهم ووجــدوا أنهم لا يستطيعون مجاراتهم في ذلك المضمار الا اذا تسلحوا بسلاحهم ، فأقبلوا على درس الفلسفة[١٢] وتعمقتها حتى يتوفر لهم ذلك السلاح الذى يستطيعون به دعم آرائهم وتجلية أفكارهم . يقــول المقريزي : ان المــأمون قــد بعث الى بلاد الروم من عرب لــه كتب الفلاســـفة فتلقاها المعتزلة وأقبلوا على تصفحها والنظر فيها فاشتد ساعدهم بها[١٣] .

ومن هنا أيضا كان المعتزلة هم أول مدرسة فكرية في الاسلام وضحت في آرائهم ومناهج تفكيرهم الملامح الأصيلة للفلسفة اليونانية[١٤] . فقد جاء في تاريخ بغــداد : أن بشر المريسى ، وهــو أحــد كبار المعتزلة الداعين الى القول بخلق القرآن كان أبوه يهوديا صباغا في الكوفة[١٥] . ولكن لم يكد المــأمون يلى الخــلافة حتى كادوا « المعتزلة » يستأثرون دونه بالسلطان ، فلقــد أحبهم المــأمون حبا عميقا ووثق في آرائهم ومبادئهم ثقــة جعلته يستن القوانين ضد من لا يؤمن بهــا فلقد أنشأ مجلسا قضائيا لكى يحصل على موافقة رجال الدين والقضاء وأئمــة القانون على القــول بخلق القرآن ومن كان يعارض ذلك يجلد ويهــدد بالسيف[١٦] .

---

(١٠) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(١٢) CIBB, H. (Muhammedanism) p. 29 (Oxford. 1949).

(١٣) المقريزي : الخطط ج ٤ ص ١٨٣ .

(١٤) د. عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة في القرن الرابع الهجرى ص ١٠٣ .

(١٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٦١ .

(١٦) NILCHOLSON : A litrary History of the Arabs.

لقد انتصر المأمون لآراء المعتزلة أيما انتصار . وتشدد فى التمسك بها وحمل الناس عليهم الى حد التعسف والاضطهاد والتهديد بالسيف كما سبق . وقد اثبت الطبرى كتابا وجهه المأمون الى رئيس شرطته ببغداد يامره بأن يمتحن الفقهاء . واهل الحديث فى خلق القرآن . وقد تضمن هذا الكتاب دفاع المأمون عن هذه القضية ، وأن الخليفة وحده له حق الاجتهاد فى اقامة دين الله وأن العامة والرعية أهل جهالة وعمى عن حقيقة الدين(١٧) .

ولقد كان المأمون محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة فرعى دار الحكمة كمؤسسة علمية وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب فى الفلسفة والمنطق والطب وغيرها(١٨) .

وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره ازهى عصورها لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لها ويدعو اليها وهو الذى شغف بالعلم ومجد حرية العقل(١٩) .

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربى فى العصر العباسى الأول عقلا متفلسفا كما أصبح عقلا علميا . لا من حيث فهمه وفقهه علوم الأوائل بل أيضا من حيث اسهامه فيها باضافاته الجديدة حتى ليضيف علوما لأول مرة فى تاريخ الحضارة الانسانية على نحو ما اضاف الخوارزمى علم الجبر وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمى وأحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثانى للهجرة(٢٠) ، ولعل علما لم يزدهر فى هذا العصر كعلم الكلام .

ويراد بالكلام الجدل الدينى فى الأصول العقيدية لا عند المسلمين وحدهم ، بل عند جميع الملل والنحل ، ومن أجل ذلك نرى الوصف بالمتكلم يضاف الى بعض الرافضة مثل هشام بن الحكم وشيطان الطاق(٢١) . بل نراهم يضيفونه الى اهل

---

(١٧) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : (**تاريخ الرسل والملوك**) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م ، وطبعة الحسينية ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ) جـ ١٠ ص ٢٨٢ .

(١٨) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ١٨٣ .

(١٩) د. عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة ص ١٥٤ .

(٢٠) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ١٣٢ .

(٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠ .

الحجاج من المسلمين(٢٢) . بل لقد أضافوه الى أهل الجدل من المنائية والثنوية والقائلين بالهى النور والظلمة الذين يحامون ويناضلون عن عقيدتهم الفاسدة(٢٣) .

وقد مضى كل متكلم مدافع عن عقيدة هذا العصر يتسلح فى دفاعه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق حتى ليقول الجاحظ « ولا يكون المتكلم جامعا لأفكار الكلام متمكنا فى الصناعة حتى يكون الذى يحسن من الكلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة »(٢٤) .

وكانت هناك قضايا عدة اختلفت فيها آراء علماء الكلام ، ومن أهم هذه القضايا ، قدم العالم وحدوثه ، وذات الله وصفاته ، ورؤية الله يوم القيامة ، والجبر والقدر ، وخلق القرآن ، وتعتبر قضية خلق القرآن من أعقد القضايا التى أثارت نقاشا عنيفا بين علماء الكلام ، واضطهد بسببها عدد من أهل السنة من أمثال الامام « أحمد بن حنبل » الذى رفض أن يقول بخلق القرآن(٢٥) ، ودخل السجن بسبب ذلك .

وصفوة القول : ان مدرسة المعتزلة تمثل فى الفكر الاسلامى الطبقة المثقفة الواعية المدافعة عن الاسلام ، فقد كان منها علماء الكلام المتبحرون وأدباء نبهاء وائمة فى النحو وأعلام فى التفسير ويهمنا هنا بخاصة مفسرو المعتزلة الذين أسهموا فى خدمة القرآن والذين تشير مؤلفاتهم الى الثروة الفكرية الضخمة الضائعة على هذا النشاط العقلى الذى أوتيته مدرسة الاعتزال فواصل بن عطاء له من التصانيف معانى القرآن(٢٦) .

ولا شك أن حركة المعتزلة الفكرية أحدثت أثرا كبيرا فى التفكير الاسلامى بخاصة وفى الفكر الانسانى بعامة لما أتت به من أفكار وآراء تستند الى العقل وتفسر الحوادث والظواهر والأفعال الانسانية بالروح العلمية وبالأسلوب المنطقى

---

(٢٢) الجاحظ : (**ثلاث رسائل**) **وتسمى** (رسائل الجاحظ) . (باعتناء فنكل ، القاهرة ١٣٤٤ هـ) ص ٥٠ .

(٢٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٨ .

(٢٤) الجاحظ : الحيوان جـ ١ ص ١٣٤ .

(٢٥) د. عمر فروخ : (**تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون**) . (المكتب التجارى ، بيروت - لبنان ط ٢ . ١٩٦٢ م) ص ٢٠٢ .

(٢٦) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٩ ص ٢٤٧ .

المعتمد على قـــوة الحجة والاقناع وكان ذلك عاملا مهما فى نشر الأفكار الحرة(٢٧) وعملت على ازدهار الحركة العلمية ٠

كما تعـــد حركة المعتزلة من اهم الحركات الدينية التى ظهرت فى العـــالم الاسلامى ٠ وقـــد ازدهرت هـــذه الحركة فى عصر المـــأمون العباسى الذى وافـــق المعتزلة فى القـــول بخلق القرآن ، واستخدم نفـــوذه فى اقرار هـــذه العقيدة فى أذهان الناس(٢٨) وهى مشكلة خلق القرآن ، تلك المشكلة التى شغلت المـــأمون أكثر ممـــا شغلت المتكلمين وعنى بها المـــأمون نفسه كما عنى بها المسلمون ووقف يناصب العـــداء كل من خالفه ويسومه سوء العـــذاب(٢٩) ٠

وعلى الرغم من الفتن والثورات التى ملأت عهد المـــأمون فان عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية فقـــد اهتم بالمسائل العلميـــة والفلسفية ، وشـــجع النهضة الفكرية ونشر العلوم ، فزود دار الحكمة بمختلف انواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس حتى أصبحت بيت الحكمة اشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل ، كما خصص فيها مواضع للنساخين(٣٠) ٠ فأصبحت بيت الحكمة مؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها تسير على قدم وساق ، كما كان علم الكلام احد العلوم الاسلامية فيها ٠

---

(٢٧) د٠ حسين أمين : (**كتاب المستنصرية**) مجـــلة المؤرخ العربى – بغـــداد – العراق عـ ٤ (١٩٧٧ م) ص ١١ ٠

(٢٨) د٠ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٢١٣ ٠

(٢٩) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ الأمم الاسلامية – الدولة العباسية : ص ٢١٠ ، ٢١٥ ٠

(٣٠) د٠ عبد العزيز سالم : (**دراسات فى تاريخ العرب – العصر العباسى الأول**) ٠ (مؤسسة الشباب – جامعة الاسكندرية ، بدون) جـ ٣ ص ٩٠ ٠

ثانيا ــ علــم المنطــق :

المنطق مشتق من النطق ، وهــذه اللفظة تقال عند القــدماء على ثلاثة معان : احــدها القــول الخارج للصوت والثانى القــول المركوز فى النفس والثالث القــوة النفسانية فى الانسان التى بها يميز التمييز الخاص بالانسان دون ســواه من الحيوان وهى التى بها يحصل للانسان بالمعتقدات(٣١) . وأن المنطق يعطى قوانين فى المنطق بأنواعــه الثلاثة المذكورة .

يقول ابن خلدون(٣٢) : العلوم الطبيعية لازمة للانسان من حيث أنه ذو فكر ، هــذه العلوم عند العرب علوم الفلسفة والحكمة وهى مشتملة على أربعة علوم : الأول علم المنطق ، وهــو علم يعصم الذهن عن الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة بالمعلومات وفائدته تمييز الخطــأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر فى الموجــــودات ليقف على تحقيق الحــــق فى الكائنــات بفكره الحر ، ثم النظــر بعــد ذلك اما فى المحسوسات من الأجسام العنصرية المكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التى انبعثت عنها الحركات ويسمى هــذا الفن بالعلم الطبيعى ، والعــلم الالهى هــو علم ما وراء الطبيعة ، والعلم الرابع هــو الناظر فى المقابير ، ويشتمل على علم الهندسة وعلم الموسيقى وعلم الهيئــة .

وللرازى كتب أخرى فى المنطق والفلك والرياضيات نذكر بعضها من التى وردت فى كتاب طبقات الأطباء وغيره من كتب التاريخ . وكتاب المدخل فى المنطق(٣٣) . وهكذا انبثقت العلوم اليونانية ، ولا سيما منطق أرسطو وانتشرت فى بلدان الشرقين الأدنى والأوســط على يد السريان ســواء فى ديارهم أو حواضرهم ، فازدهرت انطاكية ومن بعــدها حران . وكانت حران حسب رأى مايرهوف « مركزا مهما للثقافة اليونانية فى المناطق التى يتكلم أهلهــا الارامية الشرقية . وكانت الى جانب هــذا نقطة مهمة للتبادل والاقتصاد ــ حتى أن آخر الخلفاء الأمويين مروان الثانى نقل الخلافة وأحيانا فى أثناء خــلافته الى هــذه المدينة »(٣٤) .

---

(٣١) أبو نصر الفارابى : (احصاء العلوم) تحقيق د. عثمان أمين (القاهرة ١٩٤٩ م) ص ٦٢ .

(٣٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٦٦ .

(٣٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٩٢ .

(٣٤) ماكس مايرهوف : (التراث اليونانى فى الحضــارة الاسلامية) ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ، (مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٤٠ م) ص ٧٠ .

وكان لمدرسة جنديسابور القريبة من البصرة أهمية كبيرة ، اذ كانت تدرس فيها الثقافة اليونانية الى جانب الثقافات الفارسية والسريانية والهندية . وقد استردت فى هذه الحقبة شهرتها القديمة بفضل نشاط أسرة بختيشوع[٣٥] .

وفى أوائل القرن الثالث — عندما انتقل الجاحظ من البصرة الى بغداد — نرى يوحنا بن ماسويه يهاجر من جنديسابور الى بغداد ، حيث جعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة وقد تتلمذ عليه حنين بن اسحاق[٣٦] .

ونستطيع أن نتصور قليلا كيف وصلت العلوم اليونانية ، ولا سيما المنطق منها الى الأوساط الاسلامية فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى اى الفترة التى نشأ فيها علم الكلام بمعناه الدقيق على يد المعتزلة . فكان هناك طريقان : الطريق الرئيسى يمر بجنوب فارس وأما الثانى الذى يمر بدمشق والكوفة وربما بالبصرة أيضا فلا نعرف عنه الا اشارات طفيفة[٣٧] .

وفى العصر العباسى رأينا مظهرا آخر — رأينا العلوم الدينية تفيض فيضا فى المملكة الاسلامية فتترجم الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة ، وتترجم الرياضة الهندية ، والتنجيم الهندى ، ويترجم تاريخ الأمم من فرس ورومان ويونان وغيرهم[٣٨] .

فتحولت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفى ، ورأينا العلماء يجتهدون فى شرح كل ما يعرض لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية ، واذا كان هذا فى العلوم الدينية فالأمر فى العلوم الأخرى أشد وضوحا ، فالطب والرياضة والهيئة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق وهذه على العموم ظاهرة جديدة فى العصر العباسى وان كانت النتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلى . فقد ميزت العلوم فى هذا العصر وجمعت مسائل كل علم على حدة ، بل وضعت المسائل المتشابهة تحت باب واحد[٣٩] .

---

(٣٥) الأب فكتور شلحت اليسوعى : (**النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ**) (دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م) ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٦) المرجع نفسه ص ٥٧ .

(٣٧) اميرهوف : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٦١ .

(٣٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام : ج ٢ ص ٨ .

(٣٩) المصدر نفسه ص ٩ .

اهتم المـــأمون بالأدب والفلسفة والعلوم وحقا ما قيـــل من ان كل الحركات العقلية التى قامت فى الامصار الاسلامية يمكن أن ننسبها الى عصر المـــأمون . ولمـــا كانت أم المـــأمون فارسية ، فقـــد كان المـــأمون ميالا بالطبع الى الثقافـــة والحضارة الفارسية وظهر هـــذا الميل بوضـــوح خـــلال اقامتـــه فى مرو فى الفترة الأولى من خلافته(٤٠) . فقد عمل على حفظ تراث الثقافة والحضارة الفارسية .

وقـــد ادت الاكتشافات العلمية والآراء الفلسفية الى حرية الرأى والفكر الى جانب تشجيع الخلفاء ، ولكن هـــذه الآراء الفلسفية جعلت علماء الدين من أجـــل ان يسايروا حاجات العصر يصقلون أسلحتهم ، فيحـــدثنا ابن خلـــدون أن الغزالى وفخر الدين الرازى كانا أول من استخدم المنطق فى المناقشات الدينية . ورغم أنه درس كتب ابن سينا الا أن شهرته فاقت شهرة أستاذه ويعتبر كتاب (احياء علوم الدين) أعظم كتبه قيمة ، وهـــو يشبه ديكارت فى منهج الدراسة(٤١) .

ولا شـــك أن المـــأمون بفضل همته الشريفة وقـــوة نفسه الفاضلة وايمـــانه بحرية الفكر ، وميله الى مذهب المعتزلة كان وراء ترجمة الفلسفة والمنطق وهـــذا راجـــع الى اجلاله للحكماء ورغبته فى الاطلاع على آثارهم وقـــد سلك الأثرياء مسلك المـــأمون ، فاقبلوا على طلب الكتب وترجمتها ومن هؤلاء بنو موسى بن شاكر(٤٢) .

يقول ابن صاعـــد : ان أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة : المنطق والنجوم فأما المنطـــق فأول من اشتهر به عبـــد الله بن المقفع الخطيب الفـــارسى فانه ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة التى فى صورة المنطق ، وهى كتاب فاطاغورياس وكتاب « بارى أرمنيناس » وكتاب « تولوطيقا » وذكر أنه لم يترجم منه الى وقتـــه الا الكتاب الأول وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطـــق المعروف « بايساغـــــوجى » «لفرغوريوس الصورى » . وتميز عمـــا ترجم من ذلك بعبارة سهلة قريبة المـــأخـــذ وترجم مـــع ذلك الكتـــاب الهندى المعروف « كليلة ودمنة » وهـــو أول ما ترجم من الفارسية الى العربية(٤٣) .

---

(٤٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٨ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤١) صلاح الدين خودابخش : حضارة الاسلام ص ١٣٧ .

(٤٢) د. الشحات السيد زغلول : (**الاتجاهات الفكرية فى التفسير**) (الهيئـة المصرية العـــامة للكتاب - فرع الاسكندرية ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤٣) ابن صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥١ .

ان حركة النقــل والترجمة هى تلك الحركة التى حببت الى المــأمون الفلسفة ووجهت عنايته الى المنطق وبعثت فى نفسه حب أرسطاطاليس حتى اصبح موضـــع تفكيره فى يقظته ونومه[44] . وهكذا كان المنطق من العلوم الاسلامية التى كان لهـــا مكانتها فى بيت الحكمة .

(٤٤) د. احمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٩٨ .

ثالثا ـ علم الفلسفة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة سياسية غيرت مفاهيم الحكم ووسائله فحسب بل كانت ثورة اجتماعية وفكرية أيضا لما أعقبها من تغيرات جذرية فى المفاهيم الاجتماعية ونشاط حركة الترجمة والتأليف والابداع الفكرى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . ومن نتائج حركة النشاط العقلى هذه تبلورت المذاهب الفكرية الفلسفية السياسية وغير السياسية . فكان هناك من الصف الأول أهل السنة واصحاب الحديث والشيعة العلوية والخوارج ، ومن الصف الثانى المعتزلة والمرجئة والشعوبية والدهرية والزنادقة وغيرهم . فكانت حلقات المناظرة والمجالس الكلامية والمناقشات فى المسجد والبيت والحلقة هى الظواهر البارزة فى تلك الفترة التى ولع بها العامة من الناس قبل الخاصة وجدوا الى الاستمتاع بما يدور فيها من حوار عقلى وأدبى(٤٥) .

لقد ساد العصر العباسى عقلية جديدة متفتحة جعلته من أخصب العصور الفكرية فى تاريخ الحضارة الانسانية ولعل مرجع هذه الحياة العقلية النشيطة يعود الى حقيقة كون الدولة الجديدة العباسية نتاج اقليمين من اخصب أقاليم الدولة العباسية حضارة هما خراسان والعراق حيث التقت حضارات قديمة وحديثة مختلفة وتفاعلت فأنتجت صراعا فكريا حادا كان له أكبر الأثر فى تكوين العقلية الحضارية المرنة(٤٦) .

وكان للفلسفة شأن عظيم فى العصر العباسى ، فاشتغل بها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الأطباء منهم . وكان الفلاسفة فى هذا العصر متهمين بالالحاد والتعطيل فكان الانتساب الى الفلسفة مرادفا للانتساب الى الكفر ، وشاعت النقمة على الخليفة المأمون ، لأنه كان السبب فى نقل الفلسفة الى اللغة العربية ، حتى قال فيه ابن تيمية : « ما أظن الله بغافل عن المأمون ، ولابد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة » .

ان الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغييرات الجذرية كانت قبل كل شيء نصرا للاسلام والداعين الى الاصلاح الدينى . ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنب مع العلوم الأجنبية . فالعلماء العباسيون هم الذين

---

(٤٥) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٤٦) المرجع نفسه ص ١٣٣ .

وضعوا المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة والأدب من جهة ، وفى الفلسفة والعلوم والطب والجغرافيا ، وعلم الفلك والموسيقى من جهة أخرى(٤٧) . فكان لانفتاح أبواب العلم الاسلامى على الفلسفة وقع بعيد المدى على حياته الفكرية والثقافية فى القرن الثالث الهجرى فهو أولا قد ولد حافزا الى تأنيس المفاهيم الاسلامية والعربية للانسان ، وعلاقته بالخالق والكون عن طريق التوفيق بين مفاهيم الخير والشر فى الاسلام .

فالحياة الثقافية وليدة وعى ويقظة ، وثمرة انطلاق وحرية ، ان الاسلام بعث فى العالم العربى وعيا يقظا خلاقا وأسبغ عليه نعمة شاملة وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقريات واستطاعت أن تقيم حضارة لها شأنها بين الحضارات الانسانية الكبرى ، يتنافس العرب والمسلمون جميعا فى ميدان الثقافة ، فأنجزوا وانتجوا نواحى شتى فى الأدب والفن ، وفى العمران والحضارة ، وفى العلم والفلسفة واسترعى انتاجهم الأنظار وبهروا أوربا فى العصور الوسطى وأخذت تنهل من حياضه ومجاليه . ولم يبق اليوم شك فى ان العلم والفلسفة لدى اللاتين مدينان للعلم والفلسفة عند العرب(٤٨) .

وكان يميز الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه المتنبى شيوع الفلسفة وازدهارها ، فاتبعت الفلسفة وأكثر العلوم العقلية منذ هذا العصر منهجا علميا وصار لها اسلوب مذهبى خاص وقد مشى معها علم الكلام ، وأقبل عليها المتأدبون(٤٩) .

ونحن نعلم أن فلسفة المسلمين انما نبعت من فلسفة الاغريق وخاصة المنطق بما نقل الى العربية منذ عصر المأمون من آثار اليونان ، فتفهم علماء الاسلام هذه الفلسفة حتى عرفوها واتقنوها فأخذوا يعلقون عليها ويحققون فيها وينشئون لهم فلسفة خاصة تتفق مع المنقول الاسلامى من آثار السلف وأعمال الخلف بما يساير المعقول الجديد(٥٠) .

---

(٤٧) جون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ٣٨ ، ٦٩ .

(٤٨) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٤٩) د. زكى المحاسنى : (**المتنبى ، من نوابغ الفكر العرقى**) (دار المعارف بمصر ١٩٧١ م) ط ٤ ص ١٧ .

(٥٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ١٦٠ .

وان تأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية كان أظهر فى مدرسة بغـــداد من مدرسة البصرة لقـــوة حركة الترجمة فى بغـــداد ، لأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤســـاء المسلمين برؤساء المفكرين من أهـــل الديانات الأخرى فنرى ثمامة بن الأشرس يقرر أن العالم نشأ عن طبيعة الله وقـــد كانت الحياة العلمية فى هـــذا العصر العباسى الثانى مزدهرة نامية اذ كانت الامارات الاسلامية تتبارى فى تجميل مواطنها بالعلمـــاء والأدباء وتتفاخر بهم(٥١) .

فكان العقليـــون يعظون فى المساجد ويحاضرون فى الكليات والمدارس ويقومون على تربية الشباب وتهـــذيبه كما كانوا أكبر مستشارى الخلفاء ولا ينكر أنهم نصحوا بحكمة وعملوا على رفـــع شأن الأمة العربية بوصفهم أساتذة ووعاظا وعلماء وأطباء ووزراء وولاة(٥٢) .

ففى عهد المـــأمون بدأ أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب نشاطه الفكرى ولم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطـــونية عن طريق الترجمة والاقتباس ، بل عـــدا ذلك الى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجـــوية(٥٣) .

وذاع صيته فى عهد المـــأمون والمعتصم ، لتعـــدد مواهبه وسعة علمه ، اذ ألف فى الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والسياسة والموسيقى ... الخ وكان ملمـــا بلغة اليونان والفرس والهنود متبحرا فى العلوم والفلسفة واختاره المـــأمون لترجمة كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان(٥٤) .

فالكندى أول من احتذى حـــذو « أرسطوطاليس » كان ملمـــا بحكمة الهنود فسر كثيرا من كتب الفلسفة ووضـــع بعض النظريات الفلسفية فى قالب مفهوم ، حتى أن كتبه فى المنطق وغيره لقيت اقبالا عظيما . « ولـــه رسائل ومؤلفات فى علوم شتى نفقت عند الناس نفاقا عجبا ، وأقبلوا عليها اقبالا مدهشا »(٥٥) .

---

(٥١) أحمد امين : ظهر الاســـلام جـ ٢ ص ٢ .

(٥٢) سيد أمير على : روح الاســـلام جـ ٢ ص ٣١ .

(٥٣) ابن قتيبة : المعـــارف ص ١٠ .

(٥٤) سيد أمير على : روح الاســـلام جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٥٥) أبو حيان التوحيدى : (المقابسات) ، تحقيق ونشر حسن السندوبى ، من مقـــدمة ، (القاهرة - المكتبة التجارية ١٩٢٩ م) ص ٥٨ .

واشتغل الكندى فى « الفلسفة » ولـــه فيها تصانيف ومؤلفـــات جعـــلته من المقـــدمين ويعتبرها المؤرخون نقطة تحـــول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى ، اذ كانت فى عهده وقفا على غير المســـلمين والعرب ويعـــترف الأقـــدمون بأثره فى الفلسفة وفضـــله عليها(٥٦) .

وقـــد حاول الكندى التوفيق بين الفلسفة والدين ، وقال ان الفلسفة علم الحق والدين ، وفى رايه أن الذى يتنكر للفلسفة انمـــا يتنكر للحقيقة وهـــو من ثم كافر . ورأيه فى حدوث العالم يختلف عن رأى أرسطو وهو فى ذلك يتبع تعاليم الدين الاسلامى ويجارى آراء المتكلمين فى عصره ، وبرهان الكندى قـــائم على معنى الزمان والحركة فهو يثبت أن كل ما فى العالم متحرك والحركة هى تبدل الأحوال .

وان كان الكندى قـــد أثر تأثيرا كبيرا فى الحيـــاة العقلية الاسلامية ، فقـــد كان هـــذا العالم معلما ومؤلفا بلغ من الشهرة حـــدا بعيدا .وكان تأثيره الكبير عن طريق مؤلفاته القيمة فى علوم الرياضيات وأحكام النجوم والجغرافيا والطب . وكان من أنبغ طلابه بن محمد الطيب السرخسى (ت ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م) وقـــد نبغ السرخسى فى الكيمياء واجتهد فى حكمة الخالق وقـــدرته فى عجائب مخلوقاته واشتغل بدراسة التاريخ والجغرافيا(٥٧) .

والكندى عقـــل من العقليات الاسلامية الفـــذة التى عملت على تحفيز المسلمين للأخـــذ بعـــلوم الأوائل والتعرف على أفكارهم وآرائهم وقـــد قام بتقـــديم آرائه وأفكاره الفلسفية التى بنـــاها على أساس علمى ومنطقى وخلف تراثا حيـــا تفخر به المكتبة العربية كما تظهر بوضوح نضوج العقلية العربية والاسلامية(٥٨) .

ويتضح هـــذا بمقارنة العصر العباسى الأول بالثانى ففى الأول كان الفـــكر نشيطا يوم كانت الحرية مكفولة ، وفى الثـــانى مال الى الركود بعـــد أن اشـــتدت السلفية على أهـــل العلم ومنعوا من الاشتغال بالعلوم العقلية والفلسفة(٥٩) .

---

(٥٦) قـــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٩٧٠ .

(٥٧) د. حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى مجلة المؤرخ العربى ـ بغـــداد ـ العراق عـ ٩ ص ١٤ .

(٥٨) د. محمد الهاشمى : (**الفكر العربى وجـــذوره وثماره**) . (مكتبة الفـــلاح ـ الكويت ـ ١٩٧٨ م) ص ١٣٩ .

(٥٩) المرجـــع نفســـه ص ١٣٩ .

وهنا يعلل الأستاذ المؤلف لماذا توفرت الحرية فى العصر العباسى الأول ولم تتوفر فى العصر العباسى الثانى منه ؟ ويعلل ذلك بأن المجتمع العربى آنذاك كان يعتمل فى داخله تياران رئيسيان متباينان أو كما سماهما الدكتور محمد الهاشمى فى كتابه « الفكر العربى جذوره وثماره » فريقين « فريق انحدر من بيئة صحراوية قاسية تميزت بشح الموارد وصعوبة العيش الى حد يعجز معه الفرد مهما بذل من جهد فى تأمين حاجاته الضرورية »(٦٠) . وبذلك استولى عليه اليأس وفقد ثقته بنفسه واستسلم للقضاء والقدر ، وعاش عيشة راكدة ، محافظا « يأبى التطور والتحرر ، ويرى فيها بدعة وضلالة » وفريق آخر له جذور عريقة فى الحضارة عاش فى بيئة غنية بالموارد فعمل وأنتج وأفاد من عمله وانتاجه .. وبذلك نشأ نشأة مستقلة يعتمد على ذاته ويثق بقدراته وعقله الخلاق ويرى فيهما مادة الحياة والوسيلة المؤدية الى التغيير والتطوير .. ، هذان الفريقان اللذان كانا القوة الدافعة فى ذلك العصر كانا فى صراع دائم(٦١) .

يقول الفارابى الفيلسوف : « ان أخص الخبرات بالانسان هو عقل الانسان ، اذ بالعقل صار الانسان انسانا(٦٢) . كما يحثنا على التعرف بوعى على تراثنا المجيد فان « المعرفة » هى أثمن شىء يملكه الانسان فى هذه الحياة »(٦٣) .

وكان من أشهر المشتغلين بالفلسفة فى بغداد يحيى بن عدى النصرانى ، وكان رئيس المناطقة فى زمانه أخذ العلم عن بشر بن متى وعن الفارابى ، وكان كثير الانتاج بما ينقل من السريانية الى العربية وبما يؤلف وبما ينسخ ، وقد عمر احدى وثمانين سنة كان فيها حركة دائبة ألف مقالات كثيرة فى المنطق وفى الالهيات ومات ببغداد سنة ٣٦٤ هـ . ومن اشتهر بالفلسفة أيضا أبو على بن زرعه النصرانى اشتهر بالمنطق وعلوم الفلسفة والنقل الى العربية ، اختصر كتاب أرسطو فى المعمور من الأرض ، وألف كتاب أغراض كتب أرسطو المنطقية ، ومقالة فى العقل ... الخ . مات ببغداد سنة ٣٩٨ هـ . وقد فضله أبو حيان على يحيى بن عدى فقال : « وأنه كان حسن الترجمة صحيح النقل كثير الرجوع الى الكتب — محمود النقل الى العربية »(٦٤) .

---

(٦٠) المرجع نفسه ص ٢٦٠ .

(٦١) المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٦٢) الفارابى : (**التنبيه على سبيل السعادة**) (طبعة الهند ١٣٤٦ هـ) ص ٢٢ .

(٦٣) د. محمد الهاشمى : الفكر العربى جذوره وثماره ص ١٠ .

(٦٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

كما كان على راس الفلاسفة ابو بكر محمد بن زكريا الرازى (نسبة الى الرى ؛ مولده ومنشأه بالرى وكذلك عـددناه منها وان تنقـل فى بلاد كثيرة . وهـو من اكبر فلاسفة المسلمين ومتفوقيهم فى الطب النظرى والعملى والالهيـات فى الكيميـاء والأخلاق . وقـد الف فى كل ذلك كتبـا كثيرة أوصـلها بعضهم الى ما يقرب من مائتين(٦٥) .

كما اشتهر من الفلاسفة فى هـذه البلاد أبو الخير الحسن بن موار المعروف بابن الخمار كان نصرانيا — وقـد نقل كتبا كثيرة من السريانية الى العربية واشـتهر بالطب . كما الف فى المنطق والطب والالهيات . ثم الفيلسوف الأديب أبو الفرج على ابن الحسين بن هندو ، كان من تلاميذ ابن الخمار الف فى الطب والف المدخـل فى علم الفلسفة . ووصل الينا من كتبه « الكلم الروحانية » وهى مجموعة لطيفة من الحـكم اليونانية كما كان شاعرا معـدودا من رجال البلاغة المتازين(٦٦) .

ولقـد كان المـأمون محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة فى بيت الحكمة — وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب فى الفلسفة(٦٧) والمنطق والطب وغيرها . وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره أزهى عصورها ، لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المـأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لهـا ويدعو اليها وهـو الذى شـغف بالعلم ومجـد حرية العقل فنالت الفلسفة حظوة عنده(٦٨) .

---

(٦٥) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ٢٥١ .

(٦٧) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ٨٣ .

(٦٨) N.cholson : L.tarary History of the Arabs p. 308.

رابعا ــ علم الرياضيات :

وقد برع العرب فى العلوم الرياضية ، واجادوا فيها واضافوا اليها اضافات هامة اثارت الاعجاب والدهشة لدى علماء الغرب ، فاعترفوا بفضل العرب واثرهم الكبير فى تقدم العلم والعمران . لقد اطلع العرب على حساب الهنود ، فاخذوا عنهم نظام الترقيم ، اذ راوا انه من النظام الشائع بينهم(٦٩) . كما أن العلوم التى تفوق فيها الهنود وكانت لهم فيها قدم راسخة ومعرفة واسعة كالرياضة والتنجيم والفلك والطب والحساب ، وقد اخذ المسلمون من هذه العلوم وأفادوا منها قبل ان يتصلوا بالعلم اليونانى(٧٠) .

وربما كانت الرياضة والفلك هى المادة الأولى التى سبق التأثير الهندى فيها التأثير اليونانى ، وان كان من المحتمل أن يكون الهنود قد نقلوا هذه المادة ابتداء عن اصول(٧١) يونانية ، الا أن المصادر تشير ان تأثر المسلمين بهذه العلوم قد جاء عن الهند بطريقة مباشرة ، فيقر « بروكلمان » أن الطب الهندى والطب اليونانى قد التقيا فى بغداد على صعيد واحد . وان هارون الرشيد قد استدعى الى بغداد طبيبا هنديا اسمه « منكه » وأن البرامكة كانوا قد أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندى الى العربية(٧٢) .

وقد قرر « ديبور » أن كتاب « السند هند » الذى ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قد عرف قبل أن يعرف كتاب الماجيستى لبطليموس(٧٣) وقد سجل البيرونى فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » أن العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك ، كان له الفضل فى توجيه المسلمين الى هذه المجالات .

وعندما رعى الخليفة المأمون « بيت الحكمة » عين محمد بن موسى الخوارزمى رئيسا لها وكتابه عن الجبر عنوانه « الجبر والمقابلة » (الحساب بالرموز) ومن الكلمة الأولى فى هذا العنوان جاءت كلمة ALGEBRA (علم الجبر) ، ومن تصحيف اسم المؤلف الخوارزمى جاءت كلمة « لوغاريتم » وقد كتب جيرارد الكريمو

---

(٦٩) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٤٧ .

(٧٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٣٦ .

(٧٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٣٩ .

(٧٣) ديبور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٤ .

فى ترجمة لهـذا الكتاب : « بعـد ان ظـل حجر الزاوية فى التعليم الرياضى الـذى بنـاه العرب الذين جاءوا بعـده . نبه معاصريهم من الغربيين الأوائل الى روعـة الحسابات الجبرية وفى نفس الوقت نبههم الى حساب الكسور العشرية »[٧٤] . ويقول الدكتور حسن الباشا : ابرز شخصية عربيـة فى تاريخ الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمى — ١٦٣ هـ/٢٣٥ هـ — ٧٨٠ م/٨٥٠ م وقـد استخدم الخـوارزمى فى مؤلفاته الأرقام الهندية — العربية وبفضل هـذه المؤلفات اخـذ الأوروبيون نظـام الأرقام التى يستعملونها الان حيث سميت باسمه فى أول الأمر (Alcorisms) وكان الأوروبيون يستعملون قبل ذلك الأرقام اللاتينية التى لا تساعد على اجراء العمليات الحسابية المعقـدة ومن ثم لم يتح لهم التقـدم فى الرياضيات الا بعـد استخدامهم للأرقام التى يسميها العرب بالأرقام الهندية اعتقادا بأنهم نقلوها عن الهنـود[٧٥] .

امتازت خلافة المـأمون بالتقـدم فى الرياضة ، ولعل أبقى واهم ما أسهم به العرب فى العلم الغربى كان ادخال الأرقام والأعـداد الأفرنجية الشائعة الآن ، فحتى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان علماء الرياضيات فى اوروبا ما يزالون يستخدمون الأرقام الرومانية القـديمة المعقدة ، ولكن بمجرد ادخال الأرقام الأفرنجية حـدث التقـدم فى العلم الرياضى[٧٦] .

وأول من أطلق لفظـة جبر على العـلم المعروف الآن بهـذا الاسـم وعنهم اخـذ الأفرنج هـذه اللفظة ALGEBRA وكذلك أول من الف فيه بصورة علمية منظمة ، وأول من الف فيه محمد بن موسى الخوارزمى فى زمن المـأمون فلقـد كان كتاب الخوارزمى « فى الجبر والمقابلة » منهلا نهل منه علماء العرب وأوروبا على السواء واعتمدوا عليه فى بحـوثهم واخـذوا عنه كثيرا من النظريات — وقـد احـدث اكبر الأثر فى تقـدم علم الجبر كما احـدث كتابه فى الحساب بحيث يصـح القـول بأن الخوارزمى وضع علم الجبر وعلمه — وعلم الحساب للناس أجمعين[٧٧]

---

(٧٤) حيدر بامات : (**اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية**) (دار المرونة الجامعية - الأزاريطة - الاسكندرية - بدون) ص ١٠٤ ، ترجمة د. ماهر عبد القادر محمد على ، وعبد القادر البحراوى .

(٧٥) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٦) انتـونى ناتنج : (**العرب انتصاراتهم وامجـاد الاسـلام**) ترجمـة د. راشـد البراوى (القاهرة - ١٩٤٧ م) ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٧٧) الخوارزمى ، محمد بن موسى : (**مقـدمة كتاب الجبر والمقابلة**) مخطوط قـدمه وعلق عليـه الأستاذان مشرفه ومحمد مرسى (القاهرة ١٩٣٧ م) .

ولقـد كان من حسن نهضتنا العلمية الحـديثة أن قيض الله الأستاذ د. على مصطفى مشرفة و د. محمد مرسى أحمد فنشرا سنة ١٩٣٧ م كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى عن مخطوط فى مكتبة بودلين باكسفورد ، وهـذا المخطوط كتب فى القاهرة بعـد موت الخوارزمى بنحو ٥٠٠ سنة . وقـد عكفا عليه وأوضحا ما استغلق من بحوثه وموضوعاته ، ولقـد نشر الدكتوران الأصل العربى لكتاب الجبر والمقـابلة لأول مرة مشروحا معلقا عليه فى اللغة العربية فأسـديا بذلك خـدمة جليلة للتراث العربى وتاريخ العـلم .

ومهما يكن من شىء فان العمليات الحسابية لم تتطور تطورا كبيرا الا بعـد استخدام العرب لهـذه الأرقام ومن المعروف أن لفظـة زيرو (Zero) فى اللغة الانجليزية . ولفظة (Cipher) التى عرفت عند الانجليز قبلها بمـائتى عام هى تحريف للفظة « صفر العربية » ، وكان استخدام الصفر فى الأرقام العربية مساعدا على التقدم فى علوم الحساب والرياضيات . ومن أشهر أعمال الخوارزمى :

١ ـ الزيج المشهور الذى سبقت الارشارة اليه .

٢ ـ كتاب فى الحساب ويعتبر من أقـدم الكتب فى علم الحساب ، ولم يصلنا الا نسخة مترجمـة .

٣ ـ حساب الجبر والمقابلة وهـو أقـدم كتاب فى الجبر ولا يزال الأصـل العربى مفقودا . وقـد نقـل الى اللاتينية فى القرن السادس الهجرى وظل الكتاب المعتمد فى الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادى وبواسطته عرفت أوروبا علم الجبر وكذلك اللفظة نفسها(٧٨) .

يقول المستشرق الألمـانى جورج يعقوب : « هبة أخرى من هبات العقـل الشرقى لا تقل أهمية عن اختراع الأبجـدية وصلت أوروبا فى العصور الوسـطى وهى (نظام العـدد العربى) الذى هـو عبارة عن آخر بقايا الكتابة الفكرية فى كتاباتنا الحالية . فالثابت أن الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثانى عشر الميلادى ، بينما تحـدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه وكانوا يرسمونه حلقـة والتعبير عن الصفر موجود فى مصادر أخرى كثيرة منها كتاب النقط « لأبى عمرو عثمان بن سـعيد الدانى »(٧٩) .

---

(٧٨) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٩) جورج يعقوب : (**أثر الشرق فى الغرب**) ترجمة فؤاد حسنين على (القـاهرة ١٩٤٦ م) ص ٢٠ ، ٢١ .

وقـد حاول نفر من العلماء ارجاع هـذه الأعـداد الى أصل غربى الا أن التوفيق خان اولئك الباحثين كما خان تلك الفئة التى عارضت الأبجـدية[80] وهنـا نشير الى ما اثبته المستشرق « نـو » نقـلا عن مخطوط باريس السريانى رقم ٣٤٦ لمؤلفـه « ساوير اساخت » فى قوله : « ان العرب لم ينقلوا الأرقام الهندية من بلادها رأسا وانما أخذوها عن السريان كما توصلوا الى علوم اليونان بواسطتهم » [81] أيضا ».

وبلغ من اهتمام العرب بعلم الجبر أن الخليفة المـأمون قد كلف محمد بن موسى الخوارزمى بوضع كتاب فى هـذا العلم وهـذا الكتاب الذى نقله الى اللاتينيـة « روبرت الشيسترى » سنة ١١٤٥ م — و بذلك قـدم العرب علما جـديدا الى اوروبا — وظل هـذا الكتاب مستعملا فى المدارس والجامعات الاوروبية حتى القرن السادس عشر[82] .

وهـذا العلم اخترعـه العرب فىعصر الخلافة العباسـية واستعمله بعض الافرنج بلفظه ذكروا أن الخوارزمى أول من وضعه بشكل علمى . وأول من ألف فيـه آخر عصر العباسيين وبعده أبو كامل شجاع بن اسلم ، ثم جاء الناس على أثره وكتبوا فيه ، وكتابه فى مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة[83] فيه .

ومن حـق الخوارزمى أن يوصف بأنه أبو علم الجبر . اذ أن العلماء الرياضيين الذين سبقوه لم تكن لديهم فكرة عن الجبر وكانت كل محاولاتهم منصرفة الى علم الأعـداد وحـده . ولهـذا يحق القـول بأن الخوارزمى وضـع علم الجبر على أسسه الصحيحة . ولعل خير دليل على أهمية التراث العلمى الرياضى عند المسلمين هـو ابتداء الخوارزمى بمؤلفه المشهور حساب الجبر والمقابلة ، فقـد امتاز عنوان كتابه بأشهر عمليتين من عمليات الجبر فى حـل المعادلات هما الجبر والمقابلة[84] .

ومن القرن الثانى الهجرى حتى القرن السابع الهجرى (الثامن الميلادى حتى السادس عشر الميلادى) كانت بلاد المسلمين مركزا للنشاط العـلمى .. وفى ذلك

---

(٨٠) حسنى أحمد حماد : (**الحضارة العربية نشأتها تطورها آثارها**) (وزارة الثقـافة — مؤسسة التأليف والنشر — القاهرة ١٩٦٧ م) ص ٦٤ .

(٨١) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٤٧٠ .

(٨٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : (**فضل العرب على الحضارة الأوروبية**) مكتبة الأنجـلو المصرية — القاهرة ١٩٧٥ م ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٣) عبد الله بن العباس الجرارى : تقـدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا ص ٥٠ .

(٨٤) المرجـع نفسـه ص ٦٥ .

الوقت كانت أهم وجــوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى « بيت الحكمة » الــذى رعاه الخليفة المــأمون فى بغــداد .. وفى بيت الحكمة هــذه كان تأثير الخوارزمى على الفكر الرياضى أكبر من تأثير أى رياضى فى العصور الوسطى ، اذ أنه اكتشف سنة ٢١٠ هـ الموافق ٨٢٥ م طرقا هندسية وجبرية لحــل معادلات الدرجة الأولى والثانية ما كان منها ذا مجهول أو مجهولين(٨٥) .

ومن علمــاء العرب ايضا الذين لهم فضل على الغرب فى علم الجبر « أبو بكر محمد بن حسن الكرخى » وقــد ألف كتابين « الفخرى فى الجبر والمقــابلة » وكتاب « الكافى فى الحساب » اما فى الهندسة وعلم المثلثات فقــد ترجم العرب كتاب أقليدس فى الهندسة ، هــذه الترجمة العربية هى التى نقلها الأوروبيون الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر كما أن العرب هم الذين ادخلوا المماس الى علم حساب المثلثات(٨٦) . كذلك اقام العرب الجيوب مقام الأوتار وحلوا المعــادلات المكعبة ، وتعمقوا فى أبحاث المخروطات . كذلك اهتم العرب بعلم الميكانيكا حتى اننا نجــد الطــوسى المتوفى سنة ١٢٧١ م يترجم « الــكرة » المتحركة « لأوطالوقلس » وقــد تعمــق العرب فى هذه المعــلومات حتى يرى بعض العــلماء الأوربيين أنهم اخترعوا رقاص الســاعة واستعملوا البندول فى قياس الوقت(٨٧) .

وكان نصر الدين الطوسى أول من شــك فى قياس هندسة أقليدس ويجب ان يعتبر الرائد القديم للوبتشفسكى دريمان فى الهندسة اللااقليمية(٨٨) . ويعترف ابن القفطى بفضــل ابن الهيثم فى الهندســة » فيقول : « انه صاحب التصانيف والتآليف فى علم الهندســة كان عالمــا بهــذا الشأن ، متقنا لــه ، متقننا فيه قيما بغــوامضه ومعانيه ، مشاركا فى علوم الأوائل اخــذ عنه الناس واستفادوا »(٨٩) .

ومن علماء العرب من وضــع مصنفات فى الرياضيات ولا سيما فى الهندســة تدل على استقلال فى التفكير على أنهم سلكوا طرقا لم يسلكها المتقــدمون فقــد وضع « ابن الهيثم » كتاب الجامع فى أصول الحساب ويقول عنه بلفظه : « واستخرجت أصوله بجميع أنواع الحساب من أوضاع « أقليدس » فى أصول الهندسة والعــدد ،

(٨٥) المرجــع نفســه ص ٦٣ .

(٨٦) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : فضل العرب على الحضارة الأوروبية ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٧) المرجــع نفســه ص ٣٦ ، ٣٨ .

(٨٨) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

(٨٩) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١١٤ .

وجعلت السلوك فى استخراج المسائل الحسابية بجهتى التحليل الهندسى والتقدير العددى ، وعدلت فيه عن اوضاع الجبريين والفاظهم »(٩٠) .

والف محمد البغدادى رسالة موضوعها تقسيم المستقيم الى اجزاء متناسبة مع اعداد مفروضة برسم مستقيم ، وهى اثنتان وعشرون قضية سبع فى المثلث ، وتسع فى المربع ، وست فى المخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق ، والف و « ابو لونيوس » ، ونوعت فيه الأطوال وقسمتها وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الأمور التعليمية والمنطقية(٩١) .

وعلى وجه العموم يمكننا فى شىء من الاطمئنان أن نعزو تقدم العلوم الرياضية فى العصر العباسى للأسباب التالية :

١ — انتشار المذهب الشيعى الذى احتضنه الايرانيون لكى تبرز الشخصية الايرانية على مسرح الحضارة الاسلامية ، بفضل قوة تقاليدها التى تتصف بصفة الاستمرار والاتصال بكبرياء الماضى حيث عصر الأكمينين ثم عصر الساماينيين ، ثم جاء الفردوسى الشاعر العظيم ناحيا فى الشاهنامة امجاد ايران الغابرة ، مما مهد للحركة الشعوبية المناهضة للعرب وكان من انصارها ابن المقفع .

٢ — ظهور دويلات حربية يقودها عسكريون أميون من اصل تركى قبلى فى الأطراف الشمالية الشرقية من ايران والزم ما يلزم لهؤلاء الأمراء فى الفلك والرياضيات والتنجيم وحكماء فى الطب يستعينون بهم فى فتوحاتهم تماما مثل ما فى حملة الماريشال مونتجمرى عند الهجوم على العلمين فى الحرب العالمية الثانية حيث استعان باكبر علماء الرياضة الانجليز لكى يحسبوا له خطوات الاحتمالات المختلفة(٩٢) .

وقد تمكن المسلمون من تطوير معارف كثيرة خاصة بهم فى حقل الرياضيات وغيرها . وكانت لهم فتوحات علمية رفعت العلوم الى مستوى يعلو بكثير عن المستوى الذى رفعها اليه الاغريق .. فكان هذا على وجهه الخصوص فى علمى الجبر

(٩٠) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٨٩ .

(٩١) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٣ .

(٩٢) ابو الريحان البيرونى : (استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها) مخطوط ، تحقيق احمد سعيد الدمرداش ؟ الدار المصرية للتاليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٥ ، ١٦ .

وحساب المثلثات اللذين كانا من ابتكارهم ولم تقتصر مآثر المسلمين على الرياضيات بل تجاوزتها الى غيرها مثل الطب والجغرافيــــا والكيمياء والفيزياء والصـــيدلة والزراعـــــة(٩٣) .

ولا ادل على اثر العرب فى الرياضيات من أن البابا كان يحسب بالعربية حيث تقول المستشرقة الألمانية زغريد هونكه : « عندما ارتقى جربرت كرسى البابوية ليصبح البابا سلفستروس الثانى ، كسب ذلك الرجل — دون معاصريه — عن العرب شيئا مهما ، لقـــد كان جربرت يحسب الأرقام التسعة التى تعلمها عن العرب على الحدود الأسبانية . فكان بذلك أول رجل فى الغرب تعلم تلك الأرقام واستخدمها»(٩٤) .

وتقول هـــونكه أيضا : « ان علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربى ، ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقين لعلم المثلثات وهـــذا ميدان لم يخضـــه الاغريق البتة ، ولم يعرفوا عنه شيئا ، ولقـــد تابع الأوروبيون تطـــويرهم لهـــذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب اكثر ممـــا ورثوه عن ديكارت ذاته . كذلك فان الغرب اخـــذ عن العرب فن الحساب فى السدس وأعشاره وتقسيم الدائرة الى ســـــتين جــــزءا »(٩٥) .

والحقيقة التى لا مرية فيهـــا أن العرب قبـــل غيرهم من العلمـــاء بمئات السنين وعلى وجـــه التحـــديد بسبعمائة ســـنة ، وقبـــل أن يوجـــد انجليزى أو ألمـانى حسابهما الغربى ، قـــد وفقوا الى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهـــامة فى العلوم والرياضيات . وأنه ليس من المستبعد جـــدا أن تكون نظرية الفارابى ونظرية ابن سينا فى الأحجام المتناهية الصغيرة هى التى أمدت العـــلماء الغربيين فيها بعـــد وعبر القرون بنظرياتهم فى الـــذرة(٩٦) .

كما ان العالم مدين بعلم الجبر للمـــأمون فى مقـــدمة « كتاب الجبر والمقـــابلة » للخـــوارزمى .

ان المـــأمون هـــو الذى اقترح عليه ايجاد وسيلة يسيرة يستعين بها التجار

(٩٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢١ .

(٩٤) زغريد هـونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا ص ٨١ .

(٩٥) المرجـع نفسـه ص ١٥٩ ، ١٦١ .

(٩٦) المرجـع نفسه ص ١٦٣ .

على اعـداد قـوائم بصـنائعهم واستخراج أثمانها وأرباحها . ويبدو أن الخوارزمى لـما فعل ما اقترحه المـأمون عليه . وجـد أن يبسط الطريقة المنطقية التى وصل بها الى الوسيلة العملية لخـدمة التجار . وفضل المـأمون فى حث الخـوارزمى على وضـع كتابه الجبر والمقابلة(٩٧) .

قال فيليب حتى : « كان الخوارزمى من افضل العقول العلمية من المسلمين ، وهـو بلا شك الرجـل الذى اثر ابلغ التأثير فى الفـكر الرياضى طيـلة العصـور الوسطى »(٩٨) . فان المسلمين لم يقتصروا على اتباع الجبر ، وهـو الأداة الأساسية لتحليل العلمى بل وضعوا كذلك قواعـد للطرق المطبقة والأبحاث التجريبية الحـديثة باستخدام نماذج رياضية .. وكما كان أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى مؤسسا لمدرسة الرياضيات فى بغـداد فان بحوث الرياضيات العربية وبحوث العصـور الوسطى المبكرة اعتمدت الى حـد كبير على رسالته فى علم الجبر(٩٩) .

ومن أبرز علماء الرياضة فى بغـداد أبناء موسى بن شاكر ، وقـد شـجعهم المـأمون وقربهم اليه ، ولهم ابحاث فى الميكانيكا ، كما الفوا فى مراكز النقـل وكتبوا فى الآلات(١٠٠) .

يقول د. حسن الأشمونى فى كتابه : (أثر الترجمة فى حضارة العرب) ما يلى : « نشأ بفضل العلوم المنقولة طائفة من الأطباء والفلكيين والرياضيين استغلوا بحوثهم فوصلوا الى مرتبة النبوغ فى علوم شتى منهم بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيى هـذا العصر ، وأول من ألف فى علم الحيل والآلات والميكانيـكا من المسـلمين »(١٠١) .

اما الأخ الثالث الحسن ، كما روى أحـدهم ، فقـد كان بارعا فى علم الهندسة موهـوبا تربع دهره ، يشهد بذلك جميع الذين عرفوه ، فلمسوا فيه نبـوغا خارقا ، والفـوا عنده ذاكرة نادرة ومخيلة قـوية كانت تمكنه دوما من حـل المسـائل

---

(٩٧) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعلم – مجلة الباحث بيروت – لبنان – عـ ٢٢ ، ١٩٨٢ م ص ٢٠ .

(٩٨) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٩٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٨ .

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٤٨ .

(١٠١) زغريد هونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا « شمس العرب تسطع فى الغرب » ص ١٨٧ .

المستعصية التى لم يتمكن من حلها القـــدامى ، لقـــد وصف نفسه قائلا : « وكلمـــا كنت اغـــوص باحثا عن حـــل لمعضلة تشغل بالى كنت احس كأن العالم فى وجهى واصابنى شعور بالاغمـــاء ، او كأنى مستغرق فى حلم »(١٠٢) .

ومن الأعمال التى حققها الحسن بنفسه ، دون الاشـتراك مـــع أخويه كتاب فى تطع المستديرات وهـــو ايضا موحـــد الشكل البيضوى « الاهليلجى » فى هندســـة الحـــدائق(١٠٣) . لقـــد كان ثابت بن قرة من الذين تعـــددت نواحى عبقريتهم ، فنبغ فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع فى هــــــذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ودرس العلم للعلم ، وشـــعر باللذة العقلية ، فراح يطلبها فى الرياضيات والفلك نقطع فيها شـــوطا بعيدا واضاف اليها ، ومهـــد الى ايجاد فرع من فروع الرياضيات « التكامل والتفاضل »(١٠٤) lcaluculs واشتهر ثابت بن قرة كأســـتاذ للفلسفة والرياضيات ونجح فى تطبيق النظريات الجبرية للهندسة . ولـــذا سمى أبا الهندسة التحليلية كما اعتبر مؤسسها واعظم عالم هندسى فى القرون الوسطى ، كما توصل ثابت بن قرة الى حجم الجسم المكافىء ومن هنا يعـــده كثير من الرياضيين مبتكر علم التفاضـــل والتكامل(١٠٥) .

كتب البروفيسر ديفيد سميث فى كتابه « تاريخ الرياضيات » المجلـــد الثانى « ان ثابت بن قرة صاحب الفضـــل فى اكتشاف علم التفاضل والتكامل حيث أوجـــد حجم الجسم المكافىء وذلك فى عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م ـــ » ومن المعروف أن علم التفاضل والتكامل أعان على حل عـــدد كبير من المسائل الصعبة والعمليات الملتوية ـــ كما اضاف الأستاذ « موسى بول » فى كتابه « ملخص تاريخ الرياضيات » : « فى تقـــديرى ان ثابت بن قرة مناط العبقرية فلم يترك علمـــا من العلوم الا ترجمـــه ـــ وكتب كتبـــا عـــديدة ، ولكنها للأسف نقـــدت كلها ما عـــدا جزءا من الجبر ناقش فيه معادلات الدرجـــة الثالثـــة(١٠٦) .

وهكذا توارث آل قرة العلم عن ثابت وكان منهم ابنه : أبو سعيد بن سنان ، وكان منهم حفدته : ابراهيم بن ثابت وأبو الحسن بن ثابت بن اسحاق أبو الفرج وهؤلاء

---

(١٠٢) المرجع نفسه ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(١٠٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(١٠٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٩٥ .

(١٠٥) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٤ .

(١٠٦) المرجع نفسه ص ٦٥ .

نبغــوا فى الرياضيات والفلك والطب : فقــد كان منهم الطبيب والعالم والفيلسوف والمهندس ــ سلك مسلك جــده فى الطب والهندسة وجميع الصناعات الرياضــية للقــدماء ــ وله تصانيف فى التاريخ(١٠٧) .

كما كان أبو يعقوب بن اسحاق الكندى قــد نبغ فى المرتبة الأولى فى الرياضيات والفلسفة والطبيعية ويرى أن الانســان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبــة وللكندى نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعالم . فيرى أن كل ما يقــع فى الكون يرتبط بعضه ببعض ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شىء والمــادة تتخــذ الصورة التى يشاء العقل افاضتها عليها(١٠٨) ولقــد كان للكنــدى الكثير من التلاميذ الذين استفادوا من مصــنفاته فى الرياضــيات وأحكام النجــوم والجغرافيــا والطــب .

وهناك فى القرن الثالث الهجرى ولــد « الدينورى » هــو احمد ابو حنيفة بن داوود من اهــل الدينــور(١٠٩) وقــد توفى حــــوالى ســنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م كان الدينــورى من النابغــين الذين اشتهروا فى الهندسة والحساب والأدب والفــلك والنبات . اما ابو عبد الله البتانى فهــو من علماء القرن العاشر للميلاد وأحــد الذين اشتغلوا بالفــلك والرياضيات ، وقــد أســدى اجــل الخــدمات ، ويعدم الكثيرون من عباقرة العالم من الذين وضعوا نظريات هامة ، واضافوا بحــوثا مبتكرة فى الفلك والجبر والمثلثات ، ونظرة الى مؤلفاته وأزياجــه تبين خصب القريحة ، وترسم لك صورة عن عقليته الجبارة(١١٠) .

وسماه بعض الباحثين « بطليموس العرب » وقال عنه « سارطون » : « انه من أعظم علماء عصره ، وانبغ علماء العرب فى الفلك والرياضيات » وهــو الذى اهتدى الى فكرة من اســتبدال اوتار الأقــواس التى استخدمها اليونانيــون فى حســابات مثلثاتهم ، بنصف وتر ضعف القــوس اى بجيب الزاوية . ويقول م. تشارلس : « ان البتانى كان اول من استخدم فى مؤلفاته جيب « وجيب تمــام » واستعمله فى حسابات المزولة وأسماه « الظــل الممتد » وهــو ما نسميه فى حساب المثلثات الحــديث « بالظـــل »(١١١) .

---

(١٠٧) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان جـ ١ ص ١٠١ .

(١٠٨) دى دبور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٤٣ .

(١٠٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ١١٦ .

(١١٠) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٤١ .

(١١١) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

وكان البوزجانى من علماء القرن العاشر للميلاد ومن أعظم علماء الرياضة عند العرب ومن الذين لهم فضل كبير فى تقدم العلوم الرياضية وهو محمد بن محمد ابن يحيى بن اسماعيل بن العباس أبو الوفا البوزجانى (الحاسب) . ولد فى « بوزجان » وهى بلدة صغيرة واقعة بين « هراة » و « نيسابور »[١١٢] . وقرأ على عمه المعروف بأبى عمر المغازلى وخاله المعروف بأبى عبد الله محمد بن عبده ، وقرأ أبو عمرو الهندسة على « ابى يحيى الماروتى » وأبى العلاء ابن كرنيب[١١٣] . ولما بلغ من العمر العشرين انتقل الى بغداد حيث فاضت قريحته ولمع اسمه . وظهر للناس انتاجه فى كتبه ورسائله ، وشروحه لمؤلفات « أقليدس » و « ديوفنطس » والخوارزمى .

ويذكر القفطى[١١٤] : « انه لم يزل مقيما فى بغداد حتى توفى سنة ٣٨٨ هـ فكان أبو الوفا احد الأئمة المعدودين فى علمى الفلك والرياضيات وله فيهما مؤلفات قيمة ، وقد اعترف علماء الغرب بأنه من أشهر الذين برعوا فى الهندسة ، وله فيه — أى فى علم الهندسة — استخراجات غريبة لم يسبق اليها ، وكذلك استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع » أما ابو القاسم على بن أحمد المجتبى الأنطاكى من مشاهير مهندسى القرن الرابع للهجرة ورياضييهم فقد ولد فى أنطاكية وتوطن بغداد[١١٥] كان من المقدمين لدى عضد الدولة بن بويه اشتهر بفصاحة اللسان وعذوبة البيان واذا سئل أبان وأتى بالمعانى الحسان[١١٦] ، هذا الى توقد ذهن وحضور بديهة ، مما جعل الرؤساء والحكماء يجلونه ويكثرون دعوتهم اياه الى مجالسهم الخاصة .

وهناك ابو النصر الكلوازى هو « محمد بن عبد الله » من « كلواز » قرب « مدينة السلام » ويسمى « بالبغدادى » لأنه عاش أكثر حياته فى بغداد من رياضيى القرن الرابع للهجرة ومشاهير محاسبيه . وكان أبو الرشيد الرازى هو معشر بن أحمد بن على بن أحمد بن عمرو أبو الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان رازى الأصل بغدادى المولد والدار ، اشتغل بالرياضيات وبرع فيها . ولا سيما فى الحساب ، وخواص الاعداد والجبر والمقابلة ، وقسمة التركات ، عدا المامه بسائر فروع

---

(١١٢) ياقوت الحموى : (**معجم البلدان**) (مطبعة السعادة — القاهرة ١٣٢٣ هـ/١٩٠٦ م) جـ ١ ص ٣٠٢ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .

(١١٤) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٩ .

(١١٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥ .

(١١٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥٧ .

المعرفة . قرا عليــه كثيرون واخــذوا عنه . وتميز فى ايام الخليفة الناصر لدين الله ابو العباس أحمد » وقرب منه واعتمد فى اختيار الكتب التى وصفها فانه أدخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية[117] وتوفى سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م .

وكان كمال الدين بن يونس متبحرا فى الرياضيات والفقه عالمــا بأجزاء الحكمة الأخرى قــد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته . يقـــول ابن أبى أصيبعه : « كان كمال الدين علامة زمانه وأوحــد أوانه وقــدوة العلماء وسيد الحكماء ؛ وقــد أتقن الحكمة وتميز فى سائر زمانه »[118] .

برع فى الحساب ونظرية الاعــداد والجبر والكيمياء والصرف والمنطق ولــه مؤلفات فى علم الهيئة والأسطرلاب ورسائل نفيسة فى الحكمة والمنطق والطبيعيات . ويمكن القول أنه كان لبحوث كمــال الدين قيمـــة كبرى عند علمـــاء عصره وأثره فى تقــدم العــلوم .

ومن المؤسف انه لم يصلنا من نتاج كمال الدين الا القليل ؛ فقــد ضاع أكثره أثناء الانقــلابات والفتن التى حــدثت فى العراق . ومن هــذه المؤلفات التى تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهى : « كتاب كشف المشكلات وايضاح المعضلات فى القرآن » وشرح كتاب التنبيه فى الفقه بمجلدين . كتاب مفردات الفاظ القانون . كتاب فى الأصول . كتاب عيون المنطق — كتاب لغز فى الحكمة . كتاب الأسرار السلطانية فى النجوم . وخلف كمال الدين أولادا اتقنــوا الفقه وسائر العلوم وهم من سادات المدرســين وأفاضــل المصــنفين[119] .

لقــد اعترف له الأقــدمون من العلماء والباحثين بالفضل والنبوغ فى فنــون الرياضة وانواع الحساب والجبر والمقابلة والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره[120] .

(١١٧) المصــدر نفســه ص ١٧٧ .

(١١٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٣٠٦ .

(١١٩) قــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٣٩٩ .

(١٢٠) المرجــع نفســه ص ٣٩٦ .

خامسا ـ علم الطب :

اعتمد العباسيون على أطباء جنديسابور فى العلاج ، فلما مرض الخليفة المنصور ، بعث فى طلب جورجيس بن جبرائيل ، وله خبرة فى الطب ، ومعرفة بأنواع العلاج ،وقد قدره المنصور لأنه احسن علاجه ، ووجد راحة عظيمة فى جسمه ، وتخلص من الأمراض ، وجدير بالذكر أن جورجيس نهى المنصور عن الاسراف بالطعام ، وطلب منه تخفيف الغذاء ، وترجم هذا الطبيب للمنصور بعض الكتب الطبية ، واعتمد على أطباء غيره من السريان(١٢١) .

ونبغ فى بغداد أطباء من اصل سريانى نخص بالذكر منهم يوحنا بن ماسويه ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وله تصانيف قيمة ، وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون(١٢٢) . ومن الطباء بغداد سهل بن سابور وجبرائيل الكحال(١٢٣) .

وحيث دخل الطب العربى مرحلة جديدة من التقدم فى عهد الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور فقد أخذ أطباء جنديسابور ورعاهم رعاية مكنتهم من ادخال الترجمة اليونانية الأمر الذى جعل من بغداد قبلة أنظار أساتذة الطب من جنديسابور وغيرها . وكان أول هؤلاء الطبيب جورجيس رئيس أطباء جنديسابور الذى استقدمه المنصور لمعالجته(١٢٤) . حيث أنزله منزلة كبيرة واكرمه وأمر بأن يجاب الى كل ما طلب وما يطلب ، وبفضل ذلك استطاع جورجيس أن يشكل مع الوافدين من الأطباء الى بغداد نواة علم الطب العربى حيث انتقل العلم من جنديسابور الى بغداد . وعندما تولى الهادى الحكم جلب جورجيس ابنه جبرائيل بن بختيشوع(١٢٥) .

على أن أسرة بختيشوع قد نبغ أفرادها فى علم الطب ، واعتمدت عليهم بغداداعتمادا كبيرا لسعة ثقافتهم فلما مرض الخليفة الهادى أرسل الى جنديسابور باستدعاء بختيشوع ، لكن الهادى توفى قبل مقدم هذا الطبيب ، على أنه عالج

---

(١٢١) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

(١٢٤) هاشم الرازى : (**تاريخ الطب فى العراق**) ، مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ٦ (١٩٨ م) ص ٣٧ .

(١٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٣٣ .

الرشيد ولاحظ دقته وبراعته ، وخلع عليه خلعة حسنة جليلة ، ووهب لــه مالا وافرا وعين بختيشوع رئيسا للأطباء ، وله كتب منها « التذكرة »(١٢٦) . اما جبرائيل ابن بختيشوع فكان مشهورا بالفضل جيد المــداواة ، عالى الهمة حظيا لدى الخلفاء حصل من الخلفاء من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء وجعله الرشيد رئيســا للأطبــاء فى بغــداد .

وبلغ من تقــديره له أن قال : كل من كانت لــه حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأنى افعل كل ما يشاء ، وكان رجال الدولة يقصــدونه فى كل امورهم(١٢٧) . لأنه احسن علاج الرشيد ووزرائه وخاصته ، وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب الا باذنه ، واجزل لــه علاجه ، ولمــا سمح لجبرائيل بعلاج المــأمون شخص مرضه ، ووصف له دواء شفى به ورد اليه الأموال التى صادرها منه ، وبالغ فى اكرامه ، ولمــا مرض جبرائيل طلب منه المــأمون أن ينفــذ اليه ابنه بختيشوع لعلاجه ، ولمــا قــدم على المــامون والتمس فيه سعة العلم بالغ فى اكرامه ورفع منزلته(١٢٨) .

والخلاصة ان آل جورجيس من الأطباء أجــل أهــل زمانهم بمــا خصهم الله من ترف النفوس ونبــل الهمم ومن البر والمعروف والأفضــال والصــدقات وتفقــد المرضى من الفقراء والمساكين والأخــذ بيد المنكوبين .

ومن ابرز المهن التى عمل بهــا اهــل الذمة فى بغــداد ـ لا سيما النصارى ـ مهنة الطب ، فقــد برعوا فى تشخيص الأمراض ووصف العلاج الناجع لهــا ونقلوا الكتب الطبية من اللغة اليونانية الى العربية ، وانكبوا على دراستها واضافة الجديد لهــا مما يتمشى مــع خلاصة تجاربهم وقراءاتهم ، ومن اشــــهرهم جورجيس بن بختيشــــوع(١٢٩) .

ودخل ابنـــه جبرائيل فى خدمة البرامكة ، ومما يجــدر ذكره أن جبرائل هذا عالج الأمين والمــأمون ، وكانت رواتبه سبعمائة الف وأربعة وثلاثين درهما ســنويا وأخص ما ربحــه من الرشيد فكان ثلاثمائة الف وثمانين مليونا من الدراهم(١٣٠) .

(١٢٦) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٤ .
(١٢٧) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٦ .
(١٢٨) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢١٣ .
(١٢٩) Hitti : History of the Arabs, p. 360.
(١٣٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦ .

ممـــا أدى الى تنافس بعض الأطبـــــاء على الامتيازات والتقرب من رجال الحكم واستأثرت أسرة بختيشوع بخيرات الخلفاء . وكان منهم يوحنا بن ماسويه الذى ترعرع فى كنف الرشيد ونبـــغ فى الترجمة حيث ولاه الخليفة أمانة الترجمة(١٣١) . وامتدت خـــدماته الى خلافة الأمين والمـــأمون وكانت الامتيازات التى حصل عليها سببا فى افساد ذمته فأخـــذ يتدخـــل فى الأمور السياسية الى حـــد أن تواطــــــأ مـــع المعتصم(١٣٢) .

ومن أساتذة الطب فى عهد الرشيد يوحنا بن ماسويه النصرانى السريانى ، كان موضع تقـــدير الناس فى بغـــداد ، وله مصنفات قيمة ، وكان يعقد مجالس علميـــة يتناول فيها خلاصة معرفته ، وقـــد وفـــد اليه طلاب العلم للاستفادة من علمـــه والاستزادة من معرفته(١٣٣) . كما عالج بختيشوع بن جبرائيل المـــأمون والمعتصم والواثق(١٣٤) ؛ وجالسهم ونادمهم ونال منهم العطايا السنية وصنف كتبا فى الطب . ومن أبرز الأطباء النصارى فى بغـــداد سهل بن سابور ، ومن أطباء المـــأمون جبريل الكحال ، فكان يتقاضى مرتبا شهريا قـــدره ألفا درهم . وكان أول من يدخل اليـــه فى كل يوم(١٣٥) ، وكان سلمويه عالمـــا بصناعة الطب وعالج المعتصم فى مرضه .

أما خلفاء العباسيين فقـــد كرموا أطباء أسرة بختيشوع الفارسية الأصل ، كما اشتهر منهم أيضا كثير من الأطباء غير المسلمين : أمثال حنين بن اسحاق ، ويوحنا ابن ماسويه ، وقـــد عرف العرب نظاما للمؤتمرات الطبية حيث كانت تعقد الاجتماعات فى بيت الحكمة ببغـــداد وهى التى رعاها المـــأمون أو دار الحكمة فى القـــاهرة التى أنشأها الحاكم بأمر الله وكان على الطلبة والعلماء أن يحضروا الى تلك الدور من شتى بقاع الأرض لحضور تلك الاجتماعات فى مجـــال التأليف العلمى والتزم أغلب الأطباء العرب منهجية فى كتاباتهم بالحرص على ذكر مصادر من سبقوهم(١٣٦) .

---

(١٣١) د. خالد ناجى : (**الطب عند الرازى**) مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٦ (١٩٨١ م) ص ٣٨ .

(١٣٢) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٢ .

(١٣٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٣٤) المصـدر نفسـه ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(١٣٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٩ .

(١٣٦) د. مرسى محمد عرب : (**التراث الطبى العربى بين الأصالة والتجـديد**) مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٩ (١٩٧٨ م) ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

اقام يوحنا بن ماسويه مستشفى فى بغـــداد كذلك جعله الخليفـــة المـــأمون رئيسا لبيت الحكمة[١٣٧] ، وقـــد تمكن من تحقيق مآربه عندما أصيب المـــأمون فى رقبته وهـــو فى طرطوس فقـــد أمر يوحنا تلامذته أن يفتح الخراج فى رقبته قبـــل نضوجها ، ورغم تمنع التلميذ قال لـــه : امض وافتحها كما أقـــول ولا تراجعنى وهكذا أدت العملية بهـــذا الشكل الى وفاة المـــأمون[١٣٨] .

ان المـــال والحظوة مسخا ابن ماسويه وجعلا منه انسانا عـــديم الذين فقـــد خان الأمانة ولم يدانيه بذلك عاقل أو يركن اليـــه حازم . حتى أن الناس أخـــذت تقـــول أن هؤلاء القوم من جنديسابور أخـــذوا يعتقدون أنهم وحـــدهم أهل لهـــذا العلم . ويعملون على أن لا يتسرب الى غير أبنـــائهم وذويهم وقـــد تعصبوا كثيرا لأبناء جنســـــــهم[١٣٩] .

حتى أنه عندما قـــدم حنين بن اسحاق من الحيرة لدراسة الطب فى بغـــداد ؛ سعى يوحنا الى مضايقته واغلاق أبواب التحصيل بوجهه وحـــدث أن ســـأل حنين يوحنا عن بعض ما يقرأ وكان حنين شـــديد الانتباه كثير المطالعة فشعر يوحنا ببعض الاحراج فأمر باخراجه ومنعه من حضور مجلسه وهـــو يقول : « ما لأهـــل الحيرة من دراية بأمور الطب وصناعته فخرج حنين مكروبا ورحـــل بعـــدها الى بلاد الروم لطلب العـــلم »[١٤٠] .

ان صيرورة الطب عند حنين بن اسحاق الذى ولـــد فى الحيرة من قبيلة عبـــاد العربية النصرانية ، اشتهر بنقـــل الكتب اليـــونانية الى السريانية والعربيـــة ومن مؤلفـــاته : « المدخـــل فى الطب » وغيره ممـــا ترجمه عن أفلاطون وأرسطو وأبو قراط وجالينـــــــوس .

لكن الطب اذا ما أصـــبح نوعا من التجارة وخضع للأهـــواء السياسية ، فقـــد ثار بلبلة واسعة فى هـــذا الوسط حيث تصـــدى للمعالجة والتحصيل والترجمـــة أشخاص ليسوا مؤهلـــــين وهم أقرب الى الاحتراف منهم الى العلم ولم تكن الطب

---

(١٣٧) د. الشحات زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٨٦ .

(١٣٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٢ .

(١٣٩) المصـــدر نفسه ص ١٥٨ ، ١٩١ .

(١٤٠) براون ، ادوارد جـورج : (**الطب العربى**) ترجمة د. داوود سليمان على (مطبعة العانى - بغـداد - العراق ١٩٦٤ م) ص ٣٨ .

قواعـــد معينة تحكم تحصيله وممارسته ولم يكن هنـــاك امتحان للأطبـــاء يجيز لهم ممارســـة المهنة زمن الخليفة المقتدر(١٤١) .

لذلك عمل الخليفة المـــأمون الذى أراد أن يجعـــل الطب عربيا أصيلا على أن يكون من بين العرب مترجمون ينقلون الطب والعلم والفلسفة من اليونانية الى العربية مباشرة . وكان على رأس هؤلاء جميعا شيخ تراجمة العصر العباسى بل ومترجم العرب الأكبر حنين بن اسحاق الذى قام مع غيره من التراجمة كثابت بن قرة وابنـــه سنان بترجمة كتب الطب اليونانية الى اللغة العربية ترجمة متقنة دقيقة(١٤٢) .

هـــذا ، وقـــد كان لحنين مؤلفات طبية أشهرها عشر مقالات فى طب العيـــون ـــ كما كتب غيره من أولئك التراجمة كتبا طبية أخرى ، غير أنهم جميعا قلمـــا أتوا بجـــديد فى الكتابات اذ أنهم قـــد اقتبسوا عن اليونان أكثر ما كتبوا فيها . وفيـــه استقر علم الطب فى أذهان العرب وازدهر ازدهارا بالغا ونبغ فيه الكثيرون(١٤٣) .

ووجـــد الخليفة المـــأمون مدرسة للحكماء فى بغـــداد حيث ظلت ترجمة الآثار اليـــونانية ودراستها متواصلة بأشـــد ما يمكن من النشاط والعزم ولعب الطبيب النسطورى حنين بن اسحاق العبادى فى ميدان الترجمة دورا هاما وأسرته ، ولم يشتغل فى بغـــداد وحـــدها بل سار الى ســـوريا وفلسطين وهـــو فى طريقه الى الاسكندرية ليقف على كل وعى العالم القـــديم من الطب ويوسع معارفه العلميـــة باللغـــة اليـــونانية(١٤٤) .

ويقول كارل بروكلمان : « وفى بغـــداد التقى الطب اليونانى بالطب الهنـــدى على صعيد واحـــد ، فقد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى الطبيب الهندى « منكه » الى بغـــداد ، كما سبق للبرامكة أن أمروا بنقـــل بعض كتب الطب الهندية الى اللغـــة العربيـــة(١٤٥) .

---

(١٤١) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن واضح : (**كتـــاب البلـــدان**) • تحقيق دى غـوية (ليـدن ، بريل ١٨٩٢ م) • ص ٤٦ •

(١٤٢) د• حسن أحمد ابراهيم : (**العرب واثراء الدراسات الطبية**) • مجلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق (١٩٨١ م) ص ١٤٥ •

(١٤٣)المرجـع نفسـه ص ١٤٦ •

(١٤٤) أرنولد ، سيرتوماس وآخرون : تراث الاسلام جـ ٣ ص ٣٦٥ •

(١٤٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٢ ص ٣٩ •

ويقول القفطى فى أخبار الحكماء : « والهند هم الأمة الأولى كثيرة العــدد فخمة الممالك قــد اعترف لهــا بالحكمة وأقر بالتبريز فى فنون المعرفة ــ كل الملل السالفة ــ وكان الصين يسمون ملك الهند ملك الحكمة لفرط عنايتهم بالعلوم ــ فكان الهند عند جميع الأمم معــدن الحكمة وينبوع العــدل والسياسة(١٤٦) .

لم يكن الدور الذى قامت به الثقــافة الهندية فى تغــذية العقلية العربية وبناء الفكر الاسلامى بأقــل خطرا من الدور الذى قامت به الثقافة الفارسية ، فقــد كان للهنود من قــديم الزمان علم وحكمة وفلسفة ومعرفة واسعة بالحساب والرياضــة والفلك والتنجيم والطب كما كان لهم آداب وقصص وفنون مختلفة وحرف كثيرة ؛ وقــد عرف المؤرخون فى الشرق والغرب هــذه الثقافة الواسعة التى اشتهر بهــا الهنود فأشادوا وتحــدثوا عنها ، فيقول « ديبــور » : « الهند تعــد بلاد الحكمــة على الحقيقة ــ وكثيرا ما يقول العرب فى كتبهم أنها مهد الفلسفة »(١٤٧) .

نخلص من ذلك الى أن بغــداد أصبح لدى علمائها مادة غزيرة فى الطب ، وقــد شجع الخلفاء العباسيون الأطبــاء على تأدية رسالتهم الانسانية فمنحوهم الرواتب الكثيرة وكافأوهم أحسن مكافأة كمــا شجعوهم على الترجمــة والتصنيف وأسسوا المدارس الطبية والبيمارستانات من بينها بيمارستان لعلاج مكفوفى البصر ، ومصحة للمصابين بأمراض عقلية وكان بيت الحكمة مزودا بالكتب الطبية القيمة(١٤٨) .

كما جمعت المخطوطات الكثيرة التى خلفتها الحضــارات الهندية والفارســية والسريانية واليــونانية وحفظت فى مكتبة بيت الحكمــة كمؤسسة علمية وجامعــة اســـلامية(١٤٩) .

قام العرب أيضا بانشاء المستوصفات المتنقلة المحمولة بين القرى والى جانبهــا مستوصفات خاصة بالسجون ، وفى عام ٩٢٣ م أقام الوزير ابن الفرات فى بغــداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة وخصصها للموظفين العاملين تحت امرته ، ولم يكن تأسيس المستشفيات وقفا على الخلفاء والسلاطين أو الرجال الأغنياء ، وانما دأب

---

(١٤٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ٢٦٦ .

(١٤٧) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٢ .

(١٤٨) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩١ .

(١٤٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٧ .

ايضا على تأسيسها الأطباء امثال سنان بن ثابت وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وحفيده[150] .

ومما يذكر ان المستشفيات عند العرب كانت من نوعين أحدهما : خاص ببعض الأمراض المعدية وهو النوع المتنقل حسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها . وثانيهما : المستشفى العام لجميع الأمراض وكلا النوعين مقسم الى قسمين رئيسيين : واحد للرجال والآخر للنساء[151] .

لقد برع أطباء العرب المسلمين فى علم الطب حتى ظلت مؤلفاتهم تستعمل فى جامعات العالم قرونا عديدة ، وتقدموا على من سبقهم من الأمم فى كل علم من علم الجراحة وطب الأطفال وانشأوا المستشفيات وقننوا نظمها .

تقول زغريد هونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الفارسية أصغر مكتبة فى العالم فلا تحتوى الا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربى كبير (أبى بكر الرازى) وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة بدليل ان ملك المسيحية لويس الحادى عشر اضطر الى دفع اثنى عشر ماركا من الفضة ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة هذا الكنز الغالى رغبة منه فى أن ينسخ له أطباؤه نسخة منه يرجعون اليها اذا ما هدد مرض أو دواء صحته وصحة عائلته »[152] .

يقول ف. بارثولد : « كان للمسلمين طريق آخر غير بيزنطة لتلقى العلوم اليونانية ، وهو مدرسة الطب التى بجنديسابور والتى بقيت قرونا عدة بعد فتح المسلمين »[153] .

ويقول خودابخش : « رغم سقوط الدولة الفارسية ، فقد استمرت الأكاديمية فى نشاطها طوال ثلاثة قرون انقضت على نهاية الساسانيين[154] . ولم يكن

---

(١٥٠) هل ، يوسف : (**الحضارة العربية**) ترجمة د. ابراهيم أحمد العدوى (مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٦ م) ص ٩٨ .

(١٥١) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٨ .

(١٥٢) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٧ .

(١٥٣) ف. بارثولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٣ ترجمة حمزة طاهر .

(١٥٤) خودابخش : الحضارة الاسلامية ص ١٥٧ .

الخليفة الواثق أقل اهتماما من أسلافه بعلم الطب — بل كان يكرم أهل العلم عموما ، وكان يعقد مجالس مناظراته فى فروع العلم المختلفة ومن بينها الطب . ومن مناظراته لأطبائه يتضح لنا أن الأطباء فى بغداد كانوا يعتمدون على التجربة(١٥٥) .

كذلك حذق الأطباء فى بغداد فى طب الأسنان ، فقسموا الأسنان الى ٣٢ سنا منها فى اللحى الأعلى ستة عشر سنا وفى اللحى الأسفل كذلك . وتوجد قواطع أربع فى كل واحد من اللحيين عراض محددة الأطراف . وعن جنبى هذه الأربع فى كل واحد من اللحيين سنان رءوسها حادة وأصولها عريضة وهى الأنياب ، وبها كسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل . وعن جانبى النابين فى كل واحد من اللحيين خمس أسنان ، وهى الأضراس ، وتسمى الطواحين لأنها تطحن كل ما يؤكل . وكان فى بغداد أطباء للعيون(١٥٦) نذكر منهم : على بن عيسى ولد فى القرن الخامس الهجرى وهو أشهر أطباء العيون وله ٣٢ كتابا فى علم الرمد أفضلها تذكرة الكحالين وقد وصف فيها ١٣٠ مرضا من أمراض العيون ، ونقلت الى العبرية مرة والى اللاتينية مرتين(١٥٧) .

كذلك برع أهل بغداد فى علم الصيدلة ، ومن أبرز علماء الصيدلة كوهين العطار اليهودى الذى وضع كثيرا من المؤلفات منها كتاب الصيدلة ، شرح فيه العقاقير شرحا وافيا وأوضح طريقة عمل المشروبات والجرعات والمساحيق والحبوب وغيرها(١٥٨) .

ومن أعظم أطباء العرب محمد بن زكريا الرازى (٢٥١ هـ/٣١٠ هـ — ٨٦٥ م/ ٩٢٥ م) وينسب الى مسقط رأسه(١٥٩) فهو كطبيب معالج يتمتع بخصائص ممتازة أظهرها استقاؤه أعراض المرض ، فهو يغضب غضبا شديدا عندما يخطىء ويكون خطأه راجعا الى نقص فى سؤال المريض ، كما كانت له عناية خاصة بالتشخيص

---

(١٥٥) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٤ .

(١٥٦) المسعودى : مروج الذهب : جـ ٢ ص ٣٨٦ .

(١٥٧) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .

(١٥٨) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٥ .

(١٥٩) ولد فى الرى من أعمال فارس جنوبى طهران ، توفى ٣١٠ هـ/٩٢٥ م قدرى حافظ طوقان . تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٦ .

المقارن . ولـــه قول جيد فى أمراض الجهاز البولى . وهـــو أول من فرق بين الحصبة والجـــــدرى(١٦٠) .

وللطبيب الرازى العربى الرائد كلمات مأثورة فى العلاج أضاءت ولا تزال تضىء الطريق أمام الأطباء فى مشارق الأرض ومغاربها فحكمته الخالدة تقول : « مهما قدرت أن تعالج بالأغـــذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قـــدرت أن تعالج بدواء منفرد فلا تعالج بدواء مركب » وحكمة أخرى اطلقها ذلك العالم الجليل : « اذا كان الطبيب عالمـــا والمريض مطيعا فما أقـــل لبث العلة » . ومن مآثره أيضا : « ينبغى للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ويوحيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الأخـــلاق النفسى » . وقـــوله الخلاق : « ينبغى للطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته » وأخيرا : « وأن من العلل ما تجتمع فى الأيام وتبرأ(١٦١) .

وأختتم الكلام عن الرازى بالقول الشائع المعروف : « كان الطب معروفا فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقا فجمعه « الرازى » والرازى فى الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف اضافات مهمة دفعت بالبحوث الطبية والكيميائية خطوات الى الأمام ولـــه مؤلفات غير التى ذكرت فى الطب والكيمياء والصيدلة(١٦٢) .

ومن أطباء بغـــداد أيضا ابن جزله الذى اعتنق الاسلام سنة ١٠٧٤ م وتوفى ١١٠٠ م وله « تقـــويم الأبدان فى تدبير الانسان » رتبت فيه أسماء الأمراض بجداول . و « منهج البيان فيما يستعمله الانسان من العقاقير »(١٦٣) . ونقـــل الى اللاتينية فى ستراسبورغ سنة ١٩٣٢ م .

أما قسطا بن لوقا البعلبكى توفى حوالى سنة ٩١٢ م : اشتهر بصناعة الطب وبرع فى علوم أخرى ، كالفلسفة والهندسة والأعـــداد والموسيقى ، عـــدا اجادته اللغـــة اليونانية ، وقـــد ترجم منها كثيرا(١٦٤) .

---

(١٦٠) حسن أحمد ابراهيم : العرب واثراء الدراسات الطبية مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ١٧ ص ١٤٥ .

(١٦١) المرجـع نفقسـه ص ١٥٢ .

(١٦٢) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٢١ .

(١٦٣) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٧ .

(١٦٤) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٤١١ .

وابن التلميذ : عميد الأطباء فى بغــداد أهم كتبه كتاب « الأقرباذين الكبير » استعمل فى العالم العربى لعــدة قرون كــكتاب للتعليم . أما كتــابه « الاقرباذين الصغير » فقــد استخدم فى المستشفيات ، وله ١٨ مؤلفا آخر كما اهتم بالشـــعر والأدب[١٦٥] .

أما سنان بن ثابت فكان طبيبا للمقتدر وقــد بلغ من عــلو منزلته أن وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء واجازاتهم ولقــد أشار سنان بفتح البيمارستان المقتدرى ، وأنفق عليه من ماله ، كما فتح بيمارستان السيدة دربت المتطببين به ، ولقــد « نقــل الى العربى نواميس هرمس والصلوات التى يصلى بها الصابئين ومن تصانيفه[١٦٦] . رسالة فى تاريخ ملوك السريان ورسالة فى شرح مذهب الصابئين .

كما كان هلال بن ابراهيم طبيبا حاذقا تقــدم عند أجــلاء بغــداد وخالطهم بصناعته ، وكذلك ثابت بن ابراهيم فكان كذلك طبيبا حاذقا ببغــداد[١٦٧] . وهناك على بن العباس الذى نذكر من تآليفه الكتاب الملكى الذى وضعه لعضد الدولة[١٦٨] .

أما ابن بطلان هــو الحكيم : ابو الحسن الطبيب البغــدادى المعروف بابن بطلان طبيب منطقى نصرانى من اهــل بغــداد وفضل فى علم الأوائل يرتزق بصناعة الطب وخرج عن بغــداد الى الجزيرة والموصل ودخــل حلب وأقام بها لكنه ســئم الأسفار وانقطع للعبــادة ، الى أن توفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومن مؤلفــاته (دعــوة الأطبـــــاء)[١٦٩] .

---

(١٦٥) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

(١٦٦) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٣٣ .

(١٦٧) المصــدر نفســه ص ٧٨ .

(١٦٨) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .

(١٦٩) زغريد هــونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

سادسا ــ علم الفلك والتنجيم :

مما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدما كبيرا كبيرا فى العصر العباسى كغيره من فروع المعرفة ، وكانت بعض مسائله مما يطالب المسلم بمعرفتها ، كأوقات الصلاة التى تختلف بحسب المواقع من يوم الى يوم ، ولا يخفى أن حسابها يقتضى معرفة عرض الموقع الجغرافى وحركة الشمس فى البروج ، وأحوال الشفق الاساسية ، وفوق ذلك : فاتجاه المسلمين الى الكعبة فى صلواتهم يستلزم معرفتهم تجاه القبلة أى حل مسالة من مسائل علم الهيئة الكبرى ، مبنية على حساب المثلثات(١٧٠) .

وهناك صلاة الكسوف أو الخسوف التى تقتضى معرفتها ، معرفة حساب النيرين واستعمال الأزياج الدقيقة . وهناك أيضا هلال رمضان ، وأحكام الشريعة والصوم ، حملت الفلكيين على البحث عن المسائل العويصة المتصلة بشروط رؤية الهلال ، وأحوال الشفق ، فبرزوا فى ذلك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة ، لم يسبقهم اليها أحد من الهنود والفرس(١٧١) .

أضف الى هذا كله شغف الناس بالتنجيم ، كل هذه العوامل ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقا أدى الى الجمع بين مذاهب اليونان والكلدان والهنود والسريان والفرس والى اضافات لولاها لما أصبح علم الفلك على ما عليه الآن .

قد يستغرب القارىء اذا علم أن أول كتاب فى الفلك والنجوم ترجم عن اليونانية الى العربية لم يكن فى العهد العباسى ، بل فى زمن الأمويين قبل انقراض دولتهم فى دمشق بسبع سنين . ويرجح الباحثون أن الكتاب هو ترجمة « كتاب عرض مفتاح النجوم » الى « هرمس الحكيم » والكتاب المذكور : موضوع على تحليل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية(١٧٢) .

فعلم اللفك هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة أو المتحركة ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيرا ، ويتخذون له الآلات التى توضع

---

(١٧٠) نالينيو (كرلو) : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص ٢٣٠ .

(١٧١) المرجع نفسه ص ٢٣١ .

(١٧٢) المرجع نفسه ص ٢٤١ .

لبرصـــد بها حركة الكواكب المعينة ، بقصـــد معرفة عملها والبرهنة على مطابقـة حركتها بحركة الفلك[١٧٣] .

يقول الجاحظ : « اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم . والأسرار والتصـــاوير والصناعات الكثيرة العجيبة »[١٧٤] . ويقول الأصفهانى : « ان الهند لهم معرفة بالحساب والخط الهندى وأسرار الطب وعلاج فاحش الادواء والرقى وعلم الأوهام وخرط التماثيل ونحت الصـــور وطبع السيوف والشطرنج »[١٧٥] . فالمسعودى فى « مروج الذهب » والبيرونى فى « تحقيق ما للهند من مقولة » ونالينو فى كتابه « علم الفـــلك » يتحـــدثان عن مدى ثقـــافة الهند وحكمتهم وفلسفتهم واحاطتهم بعـــلوم الفلك والطب والتنجيم[١٧٦] .

وقـــد اتصل العرب بهـــذه الثقافات وأفادوا منذ أن كانت لهم صلة بالهند ، أيام السلم عن طريق التجارة أو أيام الحرب فى عهد الفتوحات[١٧٧] وقـــد فتح العرب السند وكابل وكشمير[١٧٨] .

أصبحت هـــذه البلاد خاضعة للدولة الاسلامية ، فأتاح ذلك للعرب أن يتصلوا بالهنود ، وللهنود أن يندمجـــوا فى الحياة الاسلامية . ويتنقلوا فى ربوعها من بلد الى آخر — وحينئذ تم اللقاح الثقافى بين العرب والهند . وقـــد كان بين الهنود الذين أسرو افى الحرب من برز فى العلم والأدب والشعر كابن الأعرابى وأبى معشر نجيح السندى وأبى عطاء السندى[١٧٩] ، وغيرهم .

اذن لقـــد كان للثقافة الهندية فى مختلف مناحيها دور هام فى ايضاح الفكر الاسلامى ويقرر ديبور أن كتاب « السند هند » الذى ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قـــد عرف قبل أن يعرف كتاب المـــاجستى لبطليموس[١٨٠] .

---

(١٧٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٤ .

(١٧٤) الجاحظ : رسـائل الجاحظ ص ٧٣ .

(١٧٥) الأصفهانى . حسين : محاضرات الأدباء ج ١ ص ٩٣ .

(١٧٦) أحمد أمين : ضحى الاسـلام ج ١ ص ٢٤٤ .

(١٧٧) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٢ .

(١٧٨) ابن خردانبة ، عبيد الله : (**المسلك والممالك**) . (طبعة ليدن — ١٨٨٩ م) ص ٦٢ .

(١٧٩) د. عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة ص ١٨٩ .

(١٨٠) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٤ .

يحكى نالينو : « أن وفدا من الهند وفد على ابى جعفر المنصور سنة ١٥٤ هـ وفيهم رجل ماهر فى معرفة حركات الكواكب وحسابها ، وسائر اعمال الفلك على مذهب علماء امته . وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه « براهمسبهطسد هانت » الفه سنة ٦٣٨ م أو ٧٠٦ م الفلكى الرياضى « برهمكبت » فكلف المنصور ذلك الهندى باملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته الى اللغة العربية ، وباستخراج كتاب منه تتخذه العرب أصلا فى حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الاعمال فتولى ذلك الفزارى وعمل منه زيجا اشتهر به بين علماء العرب ، حتى انهم لم يعملوا الا به الى أيام المأمون حيث ابتداء مذهب بطليموس فى الحساب والجداول الفلكية »[181] . هذا الكتاب الذى ألفه « برهمكبت » هو الذى اشتهر بين المسلمين بعد اختصاره باسم « السند هند » .

ثم يقول نالينو : « ... فاتضح مما بينته أن تأثير علماء الهند والفرس فى نشأة ميل العرب الى ذلك العلم الجليل سبق تأثير اليونان ولو بزمن قليل »[182] . يؤخذ من هذا كله ومن التقارير الكثيرة التى سجلها البيرونى فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » ان العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك كان له الفضل فى توجيه المسلمين الى هذه المجالات .

فعلم الفلك هو أول ما أعتنى العرب به فى بغداد ، حيث كانت بغداد مركزا مهما لمباحث علم الفلك ، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهذه المباحث ، فالمراصد كانت قائمة فى البلاد الممتدة من آسيا الوسطى الى سواحل المحيط الأطلسى ولا سيما فى دمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة[183] . وقد اشتهر عند العرب فى علم الفلك كتاب المجستى وهو تأليف العالم بطليموس الذى عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد ونقل العرب كتابه فى عصر الترجمة وقد أخذت أوروبا اللاتينية اسم الكتاب عن العربية مما يدل على ارتفاع شأن العرب فى الحضارة[184] . والفلك من أحب الدراسات الى العرب بعد الرياضيات ذلك لأن النجوم منذ الأيام القديمة كانت هى هادى العرب فى الصحراء ، وقد عرف العرب أن ضوء القمر مستمد من الشمس ولكن أخطأوا فى أن الأرض مركز الكون ،

---

(١٨١) نالينو : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(١٨٢) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

(١٨٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٨١ .

(١٨٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : (**الفلسفة الاسلامية**) . (دار القلم بمصر ـ القاهرة ١٩٦٥ م) ص ٤٤ ، ٤٥ .

وكان معلم أوروبا فى هـــذا الميدان اثنين من أقـــدم الفلكيين المسلمين وهما : الفرغانى والبتانى : اللذين تمتعا بشهرة ذائعة تحت اسمى الفراجانوس والبايتجنيوس(١٨٥) .

مما يدل على أن الغرب مدين لمـــا قام به المسلمون من دراسات فلكية فى العصور الوسطى تلك المصطلحات الفلكية العـــديدة ذات الأصـــل العربى مثل سمت الراس وسمت السماوات وسمت العـــدم وغير ذلك(١٨٦) . عنى العباسيون(١٨٧) فى بغـــداد برصـــد الكواكب ، والخليفة المنصور اول خليفة قرب المنجمين . وعمـــل بأحكام النجوم وبلغ من شغفه بالمشتغلين بالفلك درجـــة جعلته يصطحب معه دائما من منجميه نوبخت الذى أسلم على يديه . وابراهيم الفزارى صاحب القصـــيدة فى النجوم نقتطف منها الجزء المتعلق بحساب الوقت :

فـــان أردت ما مضى وما بقى   من النهار بالحساب الاوفـــــق

فأعمـــل هـــداك الله بالترفـــق

عـــودا وقـــدرة لحسن القـــدر   سقار وستار استعن بالصـــبر

وطـــوله قـــدرا كقـــدر الشبر

فانصـــبه نصـــبا فى مكان مستو   ثم أنظر الظـــل الى ما ينتهى

فقـــدره بالعـــود (هنا نقص فى الأصـــل)(١٨٨)

كما كان هناك من علماء الفلك على بن عيسى الأسطرلابى المنجم وبلغ من شغف المنصور بعلم الفلك أن عهد الى علماء الفلك بترجمة أعمال الاغريق والسريان والفرس والهنود ، فترجم له كتاب « السند هند الكبير » وظل هـــذا الكتاب فى بغـــداد اهم مرجـــع فى هـــذا العلم حتى عهد المـــأمون ، فاختصره الخوارزمى وأضاف اليه اضافات من مراجع فارسية ويونانية ، وضم اليه أبوابا مفيدة ، واعتمد العرب على زيجه(١٨٩) وأخـــذوا منه فى وضع أزياجهم ، والف فى الفلك(١٩٠) ، كما نقـــل يحيى بن البطريق فى عهد المنصور كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى أحكام النجوم(١٩١) .

---

(١٨٥) حسنى احمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها ص ٥٨ .

(١٨٦) هـل ، يوسـف : الحضارة العربية ص ١١٠ .

(١٨٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥٥٥ .

(١٨٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٧٠ ، ٧١ .

(١٨٩) زيج : جـدول فلـكى .

(١٩٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠ .

(١٩١) المصـدر نفسـه ص ٢٢٣ .

كان اهتمام المهـدى بالنجـوم لا يقـل عن اهتمام أبيه المنصور فكان تيوفـل ابن توما رئيس منجميه عالمـا بالنجوم ، وصنف فيها كتبا ، وترجم كتابا فى الفلك من اليونانية الى السريانية وفى عهـده تم تصـحيح بعض أخطـاء كتـاب المجستى لبطليمـوس(١٩٢) .

وفى عصر الخليفة هارون الرشيد وابنه المـأمون صاغ العرب كل أسـماء النجوم والكواكب لدى ترجمتهم لأعمال الفلكى الأكبر أبرخس HIPPARCH ودليله المنقح بقلم بطلميوس PTOLEMAIS مع عـدم اغفال أسمائها القـديمة التقليدية الأمر الذى جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة فيما بعـد ، أسماء ذات مصـدر عربى كالغـول ALGOL والكـور ALKOR والطـير ALLTALR والذنب DENALS وفم الحـوت FAMALHOUT وغيرها . ولم ينحصر الأمر بأسـماء النجـوم فحسب بل تعـداها الى الرموز الفلكيـة ASTRONC MISCHE وأشكالها التى يعرفها الكل ، كالسمت ZENITH وسموت الشمس AZIMUT والنظـير NADIR والمقنطرات ALMUQNTARAT والعضـاده ALHIDADE والبتودوليت THEODOLIT وبتشجيع من علم الفلك الهندى فى كتاب « سند هند » SIDHANTA لبراهما غويتا BRAHMAGOPLA وعلم الفلك فى كتاب المجستى ALMAGEST لبطليموس . وانصرف العرب الى الاهتمام بهـذا العلم وأصبحوا فى قصور خلفاء المنصور والرشيد والمـأمون خاصة يراقبون السماء وما دار فى فلكها من نجوم مراقبة دقيقة علمية منطلقين به من مفهومه البدوى المحـدود الى آفاق واسعة جعلت من ذلك العلم القائد فى العالم نقرون عـديدة(١٩٣) .

كما كان الفضل بن سـهل وزير المـأمون حجة فى علم الفلك ويقال أن النجوم دلته على أن الأمر سيصير للمـأمون لذلك تقرب اليه ، وأخلص له ، ولمـا ولى المـأمون الخلافة قـدر جهود الحسن بن سهل فى بلوغه الخلافة فاستوزره ، وكان الحسن بن سـهل أيضا على علم بالنجوم ، وقـد علم بمؤامرة لاغتيال أخيه الفضل فى خلال بالنجوم . ولا يمكن قبـول الروايات التى ترددت عن أن النجـوم أنبـأت المسلمين بهـا عن الحوادث المستقبلة ، ولكن الناس كانوا فى ذلك العصر شغوفين باستطلاع الأخبـار عن طريق النجـوم(١٩٤) .

---

(١٩٢) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(١٩٣) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١٩٤) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٥ .

مهما يكن من أمر فقد انتقلت علوم الاغريق فى النجوم الى العرب وخاصة ما كتبه بطليموس عن طريق الأرض والكواكب والشمس ، وقد نقلوا — كما قلنا كتاب المجستى[195] — وزادوا عليه ، ووافقوه فى بعض آرائه . وخالفوه فى بعضها ، قالوا : ان الأرض مركز للكون وأنها قائمة فى الفضاء ، وقالوا بدوران الشمس والقمر والنجوم حول الأرض ، وأن القمر أقرب الأجرام السماوية الى الأرض ويليه الكواكب الأخرى ، وأنها جميعا تدور حول الأرض دورة كاملة كل يوم . كما قاسوا أجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية بما يقرب من الحقيقة . وقاسوا أبعادها عن الأرض . وقد انشأ المأمون مرصدا فى الشماسية فى بغداد وكان أساس تقدم العرب فى النجوم يرجع الى المراصد التى أقاموها . والأجهزة التى ابتكروها . على أن معظم المعدات الفلكية التى استخدموها مثل الأسطرلاب كانت فى الغالب مبنية على النماذج اليونانية وأجريت حسابات دقيقة فى الفلك . وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الظواهر الفلكية[196] .

وجدير بالذكر أن المراصد تضمنت آلات الأسطرلاب الذى يقيس ارتفاعات الكواكب من الأفق ، وتعيين الزمن ، وحل كثير من المسائل الفلكية كما وضعوا الأزياج ، وهى جداول فلكية تتضمن قوانين رياضية فيما يختص بكل كوكب عن طريق حركته مثل زيج البلخى وزيج الخوارزمى[197] كذلك اهتم جابر بن حيان بدراسة علم الفلك ، وتوصل الى أن الكواكب السبعة تختلف فى مقدار الحرارة التى تستمدها من الشمس باختلاف قربها منها أو بعدها عنها فالشمس هى التى تمد الكواكب كلها بالحرارة والنور ، والشمس وسط بين الكواكب فتصل حرارتها الى الكواكب كلها . وعلى قدر القرب او البعد من الشمس تكون حرارة الكواكب ، ودرس كوكبا من حيث ظواهره الطبيعية وخصائصه كما درس خصائص البروج[198] .

---

(١٩٥) لا شك أن المجستى من أهم ما نقل من التراث اليونانى الى العربية ، ومن اكثر المؤلفات التى ساعدت على تقدم الفلك عند العرب ، وقد وصفه « بطليموس القلوذى » ويقول عنه القفطى : « امام فى الرياضة كامل فاضل من علماء اليونان . كان فى أيام آندرياسيوس وفى أيام نظميوس من ملوك الروم وبعد « ابرخس » بمائتين وثمانين سنة .. والى بطليموس هذا انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع متفرقا من هذه الصناعة بأيدى اليونانيين والروم وغيرهم من ساكنى الشق الغربى من الأرض وبه انتظم شتيها وتجلى غامضها : ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٧ ، ٦٩ .

(١٩٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .

(١٩٧) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٨٩ .

(١٩٨) المرجع نفسه ص ٢٨٨ .

من ابرز من تصــدى لعلم الفلك فى بغــداد جعفر بن محمد بن محمد بن عمر البلخى فكان امام وقته فى فنـــه وله التصانيف المفيدة فى علم الفــــلك . ولم يكن الخوارزمى عالمــا فى الرياضيات فقط بل كان من المهتمين بعلم الفلك وكان أحــد منجمى المــأمون ولعله اشترك فى حساب ميل الشمس فى عهـــــده ، وجرى على العكوف فى مكتبة المــأمون للاطلاع وكان من المنجمين الذين استدعاهم الواثق فى مرضـــه الأخير لينبئوه بما يكون من أمره ، وقــد انصرف الى دراسة الجغرافيــا والتاريخ بالاضـــافة الى الفــلك ، وألف كتاب التاريخ الذى اعتمد عليـــه المسعودى فى دراساته ، أما المصادر اليونانية فكانت تأتى فى المرتبة الثانية من مصادرة وقــد ألف كتابين فى الأسطرلاب ، وتناول فيـــه مسائل فى التنجيم من الناحية العلمية وأعــد مجموعة من صور السماوات والعالم نزولا على طلب المــأمون(١٩٩) . ومن هــذه الصـــور كتاب « صـــورة الأرض » .

ان الانسان ليصل عن طريق علم النجوم الى برهان وحـــدة الله ومعرفة عظمته الهائلة ، وحكمته السامية ، وقوته الكبرى ، وكمال خلقه(٢٠٠) . قال البتانى أيضا « وهـــو أحـــد كبار فلكيى العرب » فان : « علم النجوم هـــو علم يتوجب على كل امرىء أن يعلمه ، كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقـــوانينه لأن علم الفلك يوصل الى برهان وحـــدة الله ومعرفتـــه وعظمته وحكمته وكمال خلقه(٢٠١) ولــد البتانى(٢٠٢) فى بتان من نواحى حران ، وجاء فى دائرة المعارف لفريد وجـــدى أن البتانى ولد سنة ٢٤٠ هـ ويقول بول فى كتـــابه « مختصر تاريخ الرياضيات » أنه ولد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م .

بينما المصادر العربية كالفهرست وبعض المصادر الأفرنجية لا تذكر بهـــذا الشأن ، أما كتاب آثار باقية فيقول « ان تاريخ ولادة البتانى غير معروف الا ان هناك ما يجعلنا أنه ولد بعـــد عام ٢٣٥ هـ وكانت وفاته سنة ٣٢٧ هـ فى طريقه « بقصر الجص » عند رجـــوعه من بغـــداد حيث كان مـــع بنى الزيات من أهـــل الرقـــة

---

(١٩٩) HITTI : History of the Arabs, p. 379.

(٢٠٠) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١١ .

(٢٠١) المرجـع نفســه ص ١٣٠ .

(٢٠٢) تقول المصادر ان البتانى ابتدأ الرصــد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧م يفكون « بول » قـد خلط بين تاريخ الولادة وابتداء الرصــد : طـوقان : تراث العرب العلمى ص ٢٤٢ .

فى ظـــــلامات لهم[٢٠٣] . وقصر الجص هـــو قصر عظيم بنـــاه المعتصم قرب سـامراء »[٢٠٤] .

البتانى[٢٠٥] معروف عند الأفرنج باسم (البتانى ALBATEG) . وعند آخرين باسم (الباتانانيوس ALBATAGNIEIS) . وقـد اشتهر برصـد الكواكب ويقال انه ابتدأ الرصـد سنة ٢٦٤ هـ والى ٣٠٦ هـ . وأمضى ذلك العهد فى الرقـة على الفرات وفى انطاكية بسوريا . وكان البتانى أوحـد عصره فى فنـه وأعماله تدل على غزارة فضله وسـعة علمه[٢٠٦] .

رأى البتانى أن شروط التقـدم فى علم الفلك ، والتبحر فى نظرياته ونقـدها ، والمثابرة على الأرصاد والعمل على اتقانها ذلك : « لأن الحركات السماوية لا يحـاط بها معرفة مستقاة حقيقة الا بتمادى العصور أو التدقيق فى الرصد »[٢٠٧] جاء فى زيجـه : « وان الذى يكون فيها من تقصير الانسان فى طبيعته عن بلوغ حقـائق الأشياء كما يبلغها فى القـوة ، يكون يسيرا غير محسوس عند الاجتهاد والتحرز ، ولا سيما فى المـدد الطوال . وقـد يعين الطبع وتسعد الهمة وصـدق النظر واعمال الفكر والصبر على الأشياء ، وان عسر ادراكها وقـد يعـوق عن كثير من ذلك قلة الصبر ، ومحبـة الفخر والحظـوة ، عند ملـوك النـاس ، بادراك ما لا يمـكن ادراكـه على الحقيقـة فى سرعـة أو ادراك ما ليس فى طبيعتـه ان يدركه الناس[٢٠٨] . أما عالم الفلك موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة ، فكان فى قصر الخليفة المـأمون العظيم رجـل يدعى موسى بن شاكر صرف معظم سنى عمره فيه ، فأصاب مكانة عجز عن نيلها أحـد من علماء الفلك والرياضيات . ولا عجب فى ذلك . فقـد كان صـديق الخليفة الحميم وأقرب المقربين اليه وعلى الرغم من هـذا ، فقـد كان هـذا الرجل وهـو موثوق بقيود القصر الذهبية ورغم مكانتـه الخاصـة فى قلب أمير المؤمنين . وكانوا بنـو موسى بن شاكر ، من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمـة وهم ثلاثة اخـوة محمد وأحمد والحسن ، وعرف أبناؤهم فيمـا بعـد — ببنى موسى المنجم[٢٠٩] .

---

(٢٠٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٩٠ .

(٢٠٤) ياقـوت الحمـوى : معجم البلـدان جـ ٧ ص ١٠٠ .

(٢٠٥) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٩ .

(٢٠٦) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ٢ ص ٨٠ .

(٢٠٧) نالينو : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص ٢١٤ .

(٢٠٨) قدرى حافظ طوقان : تاريخ العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٤٢ .

(٢٠٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

كان أبوهم قد خدم المأمون ، وتوفى وهم صغار ، فأوصى المأمون بهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى ، أن يثبتهم مع يحيى بن أبى منصور المنجم ، فى بيت الحكمة ، فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولما علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى ، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى « المتوفى سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م » فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه ، وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها وكان ممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصاد(٢١٠) .

من هؤلاء الذين ألفوا فى الفلك وعملوا أرصادا وأزياجا جليلة أدت الى تقدم علم الفلك أمثال :

أحمد بن عبد الله حبش الحاسب المروزى ، ظهر فى عصر المأمون ولم تكتب عنه المصادر شيئا جديرا بالاعتبار ويقول ابن النديم :انه جاوز سنه المائة(٢١١) . قضى معظم أوقاته فى المطالعة والبحث فى كتب الأقدمين فى مختلف الفرون وهو من الذين كتبوا كثيرا فى الفلك وآلات الرصد(٢١٢) . ويقال : انه عمل أول جدول للظل ، ويوجد هذا الجدول فى احدى المخطوطات فى برلين(٢١٣) . ويظهر أن « حبشا الحاسب » استعمل القاطع أيضا . وله عدة تآليف منها : ثلاثة أزياج أولها : المؤلف على مذهب « السند هند » خالف فيه الفزارى والخوارزمى فى عامة الأعمال واستعماله الحركة واقبال البروج وادباره على رأى « ثادن الاسكندرى » واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول(٢١٤) . ثانيها : الزيج الممتحن وهو أشهر ما له ألفه بعد أن رجع الى معاناة الرصد ، وضمنه حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان فى زمانه(٢١٥) .

ومما يدل على منزلة هذا الزيج وفضل مؤلفه « كون أبو الريحان البيروتى »

---

(٢١٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٧ .

(٢١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢١٢) سميث : (**تاريخ الرياضيات**) مجلد ١ ص ١٧٤ .

(٢١٣) المرجع نفسه مجلد ٢ ص ٦٢ .

(٢١٤) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٥) المصدر نفسه ص ٨٦ .

دافع عن الزيج المتحن فى كتابين من كتبــه[٢١٦] . ولقـــد لقب « حبش الكاتب الحاسب » بالحكيم حبش وفى كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخاليـــة »[٢١٧] . وثالثها : الزيج الصغير المعروف بالشاه وله ايضا كتاب الأبعاد والأجرام « كتاب عمل الأسطرلاب ، كتاب الرخائم والمقاييس ، كتاب الدوائر الثلاث الماسة »[٢١٨] . وكيفية الأوصال بكتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمـــائلة والمنحرفة . وقـــد لاحظت أن حبش لـــه ايضا زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة ، الزيج الدمشقى ؛ والزيجالمـــأمونى وهـــذان الزيجان مذكوران فى تاريخ الحكماء والفهرست .

سند ابى على ابو الطيب « ظهر حوالى ٨٥٠ م » كان سند يهوديا وقـــد اسلم على يد المـــأمون وكان من جملة منجميه ، وعمل فى جملة المراصدين ، بل كان على الأرصاد كلها[٢١٩] . اشتهر بعمل آلات الرصـــد والأسطرلاب ، وقـــد ندبه المـــأمون الى اصلاح آلات الرصـــد « بالشماسية » فى بغـــداد ،وقـــد امتحن موضع الكواكب وله زيج مشهور عمل به المنجمون فى زمانه[٢٢٠] ، وفيما بعـــد ، له مؤلفات فى العلوم الرياضية منها كتاب المنفصلات والمتوسطات : كتاب القواطع ، كتاب الحساب الهندى ، كتاب الجمع والتفريق ، كتاب الجبر والمقابلة[٢٢١] ويقال انه كتب فى المثلثات .

أما العباس بن سعيد الجوهرى فقد ظهر حوالى ٨٣٠ م كان من أوائل الذين رصـــدوا فى الاسلام ، خبيرا بصناعة التيسير وحساب الفـــلك ومن الذين ندبهم المـــأمون للرصـــد « بالشماسية فى بغـــداد ، وكذلك أجرى بعض الأرصاد » فى دمشق . الف فى مواضـــع بعض الكواكب السيارة والنيرين زيجا مشهورا[٢٢٢] . كما كان هناك أيضا أبو حامد بن محمد الصاغانى[٢٢٣] . اشتهر « الصاغانى » فى صناعة الأسطرلاب والآلات الرصـــدية وابقانها كما اشتهر فى الهندسة وعلم الهيئة وهـــو من الذين عهد اليهم فى الرصـــد وتوفى فى بغـــداد حوالى سنة ٩٨٩ م .

---

(٢١٦) صالح زكى : (**آثار باقية**) . (اسطنبول ١٣٢٩ م مجلد ١) ص ١٥٧ .

(٢١٧) البيرونى : محمد بن أحمد الخوارزمى : (**الآثار الباقية عن القرون الخالية**) . (لايبزج ١٩٢٣ م) ص ١٩٨ .

(٢١٨) صاعد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٣ .

(٢٢٠) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٤٠ . ١٤١ .

(٢٢١) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٤ .

(٢٢٢) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٣ .

(٢٢٣) المرجـع نفسـه ص ٢٦١ .

وأبو اسحاق ابراهيم بن سنان ثابت بن قرة ولـد سنة ٩٠٨ م وتوفى ٩٤٦ م هـو حنيد ثابت بن قرة ، اشتهر بالذكاء والعلم واشتغل بالهندسة والفلك وأنواع الحكمة ، ولـه فى ذلك مؤلفات وقـد عمـل فى الهندسة ثلاثة عشر مقالا ، منها أحد عشر فى الدوائر المتماسة بين فيها على أى وجه تتماس الدوائر والخطوط التى تجوز على النقط(٢٢٤) وغير ذلك .

وقـد انتشرت المراصد فى البلاد العربية فبنى المـأمون مرصدا فى الشماسية فى بغـداد وآخر فى جبـل قاسيون فى دمشق . وبنى الحاكم بأمر الله الفاطمى على جبل المقطم بالقاهرة ، فكان هناك مرصـد للدينورى فى أصفهان ، ومرصـد الرقـة ومرصـد انطاكية اللذان عمل فيهما البتانى ومرصـد ابن الشاطر فى الشام ومرصد مراغـة الذى اشرف على بنـائه نصر الدين الطـوسى ومرصـد أولغ بك فى سمرقنـد(٢٢٥) .

وكان من أسـاطين علم الفـلك فى أيام المـأمون أبو العباس أحمد بن محمد ابن كثير الفرغانى ـ الذى ذاع صيته لتعـدد الدراسات الفلكية التى قام بها والمؤلفات التى وضعها فى هـذا الشأن والتى على رأسها كتاب المحركات السماوية ، وجوامع علم النجوم ، وهـو مخطوط قيم ترجم مرتين الى اللاتينيـة فى القرن الثانى عشر الميلادى . ثم طبعت هـذه الترجمات فى أوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر(٢٢٦) . ثم صـار أحـد المراجع الهامة التى اعتمدت عليها دراسات الفلك فى أوروبا فى ذلك الوقت وقام الفرغانى بحساب أبعاد الكواكب وأحجامها كما أن لـه مؤلفات أخرى فى علم الفلك مثل « ملخص الهيئة » وكتـاب عن المزاول ـ وفى أواخر حياته رحل الى مصر حيث أشرف على اقامة مقياس النيل عند الفسطاط .

أما العباس بن سعيد الجوهرى : فقد اشترك فى أرصاد بغـداد مع سند بن على ويحيى بن أبى منصـور وفى دمشق مـع سـند بن على ، وعلى بن عيسى الأسطرلابى المنجم وكان الخليفة المنصور قـد أمر بنقل كتاب النجوم مـع تعليـل معموله على كردجات (أى حساب جيوب القسى واثباتها فى الجـداول) محسوبة لنصف درجة مـع ضروب من أعمال الفلك من الكوفيين ومطالع البروج وغير ذلك .

---

(٢٢٤) المرجـع نفسـه ص ٢٥٣ .

(٢٢٥) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٢٦) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٩ ، ٣٠ .

وهــذا الكتاب عرضه عليه رجــل قــدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم فى حســاب السند هنتا . وقــد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزارى ترجمته وعمل كتابا فى العربية يتخــذه العرب أصــلا فى حركات الكواكب ، وقــد سماه المنجمون كتاب السند هند وبقى الى أيام المــأمون[٢٢٧] . وقــد اختصره « الخوارزمى » وصنع منه زيجــه الذى اشتهر فى كل البلاد الاسلامية[٢٢٨] وعــول فيه على أوسط السند هند وخالفه فى التعاديل والميل ، فجعل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل الشمس فيه على مذهب « بطليموس » واخترع فيه من أنواع التقريب ابوابا حسنة ، استحسنه أهــل ذلك الزمان وطاروا به فى الآفاق »[٢٢٩] .

وأبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى شــهرته مدوية فى الشرق والغرب على السواء سمع عنها كل من لــه صلة بالتنجيم . ولا يفــوتنا أن نذكر العــالم الجليل ابا عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى الذى يعتبر من أنبغ علماء العرب وهــو وان كان معروفا بكتاباته الرياضية الا أننا نضعه فى مصاف الفلكيين لاشتراكه معهم فى بعض أعمالهم من جهة وللعلاقة الوثيقة بين الرياضة والفلك من جهة اخرى[٢٣٠] .

وابن أعلم الشريف البغدادى قال عنه البيهقى : « هو بغدادى المنشأ والمولــد صنف الزيج المنسوب اليه ، وكان عالمــا بالهندسة وأجزائهــا عارفا بالقــانون الفيثاغــورى من الموســيقى »[٢٣١] .

وقال القفطى[٢٣٢] : « هــو على بن الحسن ابو القاسم العلوى صاحب الزيج ، رجــل شريف عالم بعلم الهيئة وصناعة التيسير ، مذكور مشهور فى وقته ، وكان قــد تقــدم عند عضــد الدولة يقف الملك عند اشاراته فى اختبارات ويرجع الى قــوله فى أنواع التيسيرات وعمل زيجه المشهور الذى عمل به أهــل زمانه فى وقته وبعــد زمانه الى أواننا وتوفى سنة ٣٧٥ هـ » .

---

(٢٢٧) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٧٧ .

(٢٢٨) رياض بانســا : (**علم الفــلك عند العرب**) مجلة المقتطف - بيروت - لبنان مجلــد ٣٩ (١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) ص ١٤٦ .

(٢٢٩) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٧٨ .

(٢٣٠) د. امام ابراهيم أحمد : **تاريخ الفلك عند العرب** ص ٣٢ .

(٢٣١) البيهقى : (**تاريخ حكماء الاســلام**) . (مطبعة الترقى - دمشق) ومطبوع تتمة صوان الحكمة تحقيق محمد شفيع لاهــور ١٣٥٠ هـ ص ٩٠ .

(٢٣٢) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٥٧ .

اما البديع الأسطرلابى : فهو ابو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف الأسطرلابى المعروف بالبديع الأسطرلابى ، انه من الحكماء الفضلاء والأدباء النبلاء طبيب عالم وفيلسوف متكلم غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام الرياضى . وكان متقنا لعلم النجوم والرصد ...(٢٣٣) . عرف العرب علم الفلك معرفة عملية لم تتجاوز سد الحاجة الى الاهتداء بالنجوم ليلا ، والعلم بعدد السنين والشهور ، فعرفوا عددا من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها ومغاربها ، ولكنهم ذهبوا فى جعلها اشكالا وصورا مذهبا يختلف عن غيرهم من الأمم الأخرى ، وعرفوا كذلك منازل القمر وانفردوا عن سائر الشعوب فى استعمال تلك المنازل وأخذوا أنواءها . ولم يتوصلوا الى تعيين السنين بحساب دقيق لجهلهم بعلم الهيئة واقتصارهم على المعرفة العلمية بالنجوم(٢٣٤) .

ويرجع العهد بمدرسة بغداد للفلك الى عصر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين الذى كان هو نفسه فلكيا ، وقد صدر عن هذه المدرسة فى عهد خلفائه هارون الرشيد والمأمون بعض المؤلفات الهامة فروجعت النظريات القديمة وصوب العديد من اخطاء بطليموس وصححت جداول اليونان . والى مدرسة بغداد يرجع الفضل فى اكتشاف حركة نقطة الأوج فى مدار الشمس وتقدير انحراف المدار البيضاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقدير مدة السنة(٢٣٥) . وقد لاحظ علماء بغداد عدم انتظام اقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمرى الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا الكلف « البقع » الشمسى ودرسوا الكسوف والخسوف ، وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا فى ثبات الأرض فكانوا السباقين الأوائل لكبرنيقوس وكبلر(٢٣٦) .

كما سجلت نتائج هذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغداد ، فى الجداول ومن أشهر علماء هذه المدرسة البتانى الذى يعتبره لالاند واحدا من أشهر عشرين فلكيا فى العالم وأبو الوفا الذى يرتبط اسمه بأحد أساسيات علم الفلك وهو التباين القمرى الثالث(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) خير الدين الزركلى : (**الأعلام**) . (ط ٤ بيروت – لبنان – دار العلم للملايين ١٩٧٩ م) ج ٩ ص ٥٨ .

(٢٣٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى – الكندى فيلسوف العرب ص ١٨٩ .

(٢٣٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٩٩ .

(٢٣٦) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

(٢٣٧) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

اما التنجيم : فهـو ضرب من التخمينات على غير أساس مقنع . فكان من ابرز رجاله ابو معشر جعفر بن محمد البلخى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ/٨٨٦ م اذ كان من اوفر المنجمين الأوائل حظا من الاحترام واقــواهم تأثيرا على معرفة واسعة بالتراث القــديم وقــد وضع نظرية تقول : « بأن الصور النجمية تتراءى فى السماء مــع حلول العشور اى عقــود الشهور الست والثلاثين التى يشكل كل منها ثلث برج فى الأبراج الاثنى عشر ... »[٢٣٨] . كان مولد البلخى فى بلخ واقام فى بغــداد واثبتته المراجع الأوروبية فى العصور الوسطى حجة وصور كقــديس او نبى ونقــل اربعة من كتبه الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى . وقــد اكتشف حقائق علميــة تتعلق بنظم المــد والجزر وعلاقتهما بطلوع القمر وغيابه[٢٣٩] .

قال صلى الله عليه وسلم : « تعلم السحر ولا تعمل به » وعلى هــذا فان دراسة علم التنجيم صارت حاجة ضرورية بعــد الاسلام لأن الله تعالى هــو الذى اوصى الأنام بتأمل السماء . فباسمه درست حركات النجوم والأفلاك وباسمه ايضا كانت فاتحة المخطوطات العلمية جميعا وهــذا لعمرى ما تمتع به العربى دون غيره .

قال تعالى فى سورة يس : « **والشمس تجرى لمستقر لهــا ، ذلك تقــدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القــديم ، لا الشمس ينبغى لهــا ان تدرك القمر ولا الليل ســابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون** »[٢٤٠] .

جاء فى سورة يونس : « **هــو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقــدره منازل لتعلموا عــدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحــق يفصل الآيات لقــوم يعلمون . ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقــوم يتقــون** »[٢٤١] .

وقــد كانت ثقافتهم العلمية الوافرة سببا من الأسباب التى حفظتهم من الوقوع فى مستنقع الشعوذات الباطلة لهــذا كله فانه لم يكن لعلم التنجيم ASTROLOGIIE عند العربى الواقعى النزعة اى معنى سحرى خطير ؛ كما أن هــذا العلم ما كان ليمنح العرب قــوى سحرية خارقة على حــد زعم الأوروبيين الذين كانوا ينسبون

(٢٣٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٥٤ ، ٥٥ .
(٢٣٩) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ .
(٢٤٠) ســورة يس ، الآيات ٣٦ ـ ٣٨ .
(٢٤١) ســورة يونس ، الآيتــان ٥ ، ٦ .

ـــ خطـــا ـــ الى مخطوطاتهم ما ليس فيها . وقـــد ركبهم الذعر . واعتصم الخوف فى قـــلوبهم .

والواقـــع أن علم التنجيم العربى هـــو فى حـــد ذاته ـــ وأكثر من أى ميدان آخر من ميادين الثقافة الاسلامية ـــ علم فارسى صرف ، أدخـــل الى العالم الاسلامى من اعطاء النجوم معانى ورموزا وتصويرا لظواهر الطبيعة الخارقة ، على لأنها قوى شر أو خير تسعى الى مكافأة الانسان والى انزال العقاب به(٢٤٢) .

كان أستاذ أبناء موسى « يحيى بن أبى منصور » وهـــو فارسى الأصـــل أيضا منجما بارعا فى هـــذا العلم ، كغيره من مواطنيه ، وقـــد كان أحرى بتلاميذه ـــ أبناء موسى الثلاثة ـــ ان يأخـــذوا عنه هـــذه الهواية وان يبرعوا فيها كأستاذهم بيـــد أنهم لم يعقلوا شيئا من هـــذا ، لأنهم كانوا رجال علم صحيح ورواة حقائق مندفعين فى ســـبيلها كل الاندفاع(٢٤٣) .

وفى عام ٧٦٠ م توجه المنجم الفارسى الشهير « نوبخت » NAUBAGHT المتوفى عام ٨٧٧ م تقريبا الى قصر الخليفة العربى المنصور يحمل معه تراث الأجيال المتعلقة بالتنجيم والتنبؤات ، وكان ميزان القوى قـــد مال لصالح العباسيين الذين قضوا على ســـلالة بنى أمية ونقلوا العاصمة من دمشق الى الشرق حيث الوفرة والغنى . وهناك على ضفاف دجلة نهضت عاصمة الامبراطورية وقلبها النابض لمدة من الزمن « بغـــداد » ولكن قبل أن يشرع الخليفة فى بنـــاء المدينة طلب اليه نوبخت أن يأذن له فى درس موضع النجوم ، حتى يحول دون التأثيرات الشريرة ، ويحسب الوقت ليعرف أنسب ساعة للشروع فى البناء ، وانصرف نوبخت للاشتراك مـــع يهودى فارسى كان قـــد دخل الاسلام وحمل اسم ما شاء الله(٢٤٤) . الى استنطاق النجوم أسرارها وسؤالها عن موعـــد الولادة المناسبة ، ومعرفة الوقت الصحيح للقيام بالقياسات ومسح الأراضى وتخطيطها . فكان أن أخرجت الى الوجود مدينة المدن ، آنذاك ، فسميت « بغـــداد » أى مدينة السلام . وقـــد أصـــبح نوبخت الفـــارسى المنجم للقصر وغـــدا ذا نفـــوذ قـــوى وتأثير كبير ، وترأس جماعة من زملائه عرفوا كيف يحافظون على أهميتهم ومراكزهم كمستشارين لا غنى للخلفاء عنهم . ونشط

---

(٢٤٢) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٦٧ .

(٢٤٣) المرجـع نفســه ص ١٦٧ .

(٢٤٤) المرجـع نفســه ص ١٦٨ .

الفرس فى جميع المصادر المختلفة المتعلقة بعلم التنجيم القـــديم : من هندية وبابلية او كلدانية ونقلوها الى العالم تيوكروس TEUKROS وبـــاثــــان BETHAN القصور العربية . الا أن ما شاء الله كان اكثر هؤلاء زعامة . وقـــد وجـــدت آراؤه فى بلاد الغرب فيما بعـــد آذانا صـــاغية كما كان لـــه أيضـــا تلامذة بررة ومريدون كثيرون(٢٤٥) .

لا جرم ــ أن علم التنجيم قـــد وصل ــ بفضل التفات العرب اليه الى عصره الذهبى فى وقت كان فيه علم الفلك يحبو كالطفل على الأرض أو يخطـــو خطـــواته الأولى . كما كانت الحال فى علم الفلك ، كذلك كانت الحال أيضا فى علم التنجيم . فالفرس واليهود انصرفوا كليـــا الى رعاية هـــذا العلم والدعـــوة لـــه فى أوروبا فنالوا ثناءها وتقديرها(٢٤٦) ومن هؤلاء العاملين : « أبو بكر بن الخصيب AL - CHASIB وعبـــد العزيز القـــابسى AL - KABIS) المعروفان فى أوروبا باســـم (AL - CABITIUS -- ABU BAHER) ومن هؤلاء أيضا سهل بن بشر اليهودى المعروف فى الغرب باسم (ZAHEL) وتلميذ العلامة « ما شاء الله » أبو هالة AL BOHALY) وغيره من السابقين ، ومن هؤلاء كذلك اليهودى الفارسى أبو معشر ABU MASCHER والذى عرفه الغربيون باسم (AL BUMASSER) كأعظم علماء العرب فى التنجيم لم يقم احـــد من هـــؤلاء باتباع اية طريقة منظمة فى البحث أو بصوغ أية معلومات بشكل ترتيبى نظـــامى (SYSTEMALISCH) الى أن جاء أبو معشر فقـــذف فى وعاء واحـــد بكل ما وصلت اليـــه يداه من معلومات وجعـــل منها كتـــلة من المزيج العجيب(٢٤٧) .

وكان سند بن على منجما للمـــأمون ودخل فى الاسلام وهـــو فى جملة الراصدين ثم أهلته كفاءته الى أن أصبح على الأرصـــاد كلها(٢٤٨) . وقـــد حفزهم الى ذلك اهتمام الناس عامة والخليفة خاصـــة بالتنجيم ، فضـــلا عن انتشار الدين الاسلامى فى مناطق مترامية الأطراف ، وحاجـــة الناس فى كل مكان الى تحـــديد اتجاه مكة ، وكذلك الحاجة الى حساب النتيجة القمرية لتحـــديد المواسم والأعيـــاد ، وتعيين مواقيت الصـــلاة ، ولعـــل القارىء يلمس مدى ذلك الاهتمام من قـــول أبى الدرداء : « ان شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله الى الله الذين يرعـــون الشمس والقمـــر

---

(٢٤٥) المرجع نفسه ص ١٦٩ .

(٢٤٦) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢٤٧) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢٤٨) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٥ .

والنجـوم والأظلة لذكر الله » . ويقصـد بذلك الذين يستخدمونها لتحـديد اوقات الصـلاة والعبـادة(٢٤٩) .

وكانت رغبـة العرب وتصميمهم على بدء دراسات علمية واسعة النطـاق ؛ فجاء وفـد الى بغـداد سنة ٧٦٧ م ومن بين أعضائه عالم فلكى يدعى (كازكاه) يحمل معه مرجعا هاما فى علم الفلك اسمه (الدهانت) حرفه العرب فيما بعـد (الى السند هند) الذى أصبح بعـد أن تمت ترجمته نبراسا على هـداية علماء الفـلك العرب مدى نصف قرن أو اكثر(٢٥٠) .

ومن أوائل من قام بترجمة السند هند الى العربية يعقوب بن طارق المتوفى سنة ٧٩٦ م وابراهيم الفزارى المتوفى سنة ٧٧٧ م ، ومن مؤلفات يعقوب بن طارق الأخرى جـداول وضعها على أساس السند هند وكتاب يبحث فى تعيين الوقت — وتمتـاز كتاباته عن كتابات زميله باحتوائها على مزيد من الآراء الهندية ممـا يشير الى تأليفها بعـد أن ازداد معرفة واطلاعا على مختلف المراجع الهندية فى علم الفلك(٢٥١) .

---

(٢٤٩) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٠ .
(٢٥٠) المرجـع نفسـه ص ٢١ .
(٢٥١) المرجـع نفسـه ص ٢٢ .

سابعا ــ علـــم الكيميـــاء :

ظهر جابر بن حيان (٨٣ هـ/١٤٨ هـ ــ ٧٠٢ م/٨٦٥ م) . واشتهر[٢٥٢] باشتغاله بالعلوم ولا سيما الكيمياء ، ولـــه مصنفات ذكرها ابن النديم بالفهرست[٢٥٣] . وقـــد اعتبر ابا الكيمياء[٢٥٤] الحـــديثة وقيل عنه أنه بلغ فى الكيمياء ما بلغه أرسطوطاليس فى علم المنطق . ومن خلال ادخال الأساطير والخرافات التى نشأت حول شخصيته وعلمه ، نستطيع ان نتبين عقـــلا علميا راى اهمية التجارب العلمية بصورة أوضح ممـــا رآها اى من قـــدماء الكيمويين . ودون آراء جـــد صـــائبة فى اساليب البحث الكيميوى وتأثير جابر واضح فى ذلك سباق فى تاريخ الكيمياء فى أوروبا[٢٥٥] .

فجابر بن حيان الكوفى كان متقـــدما فى العلوم الطبيعية بارعا فى صناعة الكيمياء ولـــه فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مـــع هـــذا مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ومتقلـــدا للعلم المعروف بعلم الباطن ، وهـــو مذهب المتصوفين من اهـــل الاسلام كالحارث بن أسد المحاسبى وســـهل بن عبد الله التسترى ونظرائهم ، وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط والأسطرلابى الأندلسى أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفـــا فى علم الأسطرلاب يتضمن الف مسألة لا تظير لـــه . ولجابر بن حيان تآليف عـــديدة منها « كتاب السبعين » ، « كتاب الخواص » ، « كتاب السموم » وكتب أخرى كثيرة[٢٥٦] .

وانى لنا ان نعلم الناس ونحن فى حاجة لمن يعلمنا « ان فاقد الشىء لا يعطيه » . ولعل من أهم عـــوامل انتصارات العرب هـــو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى أن الملك الفـــارسى كيروس بنفســـه قال : « ان هـــؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخـــربين »[٢٥٧] .

كان جابر تلميذا لجعفر الصـــادق أمام الشيعة على ما رواه بعض الثقات وقيل

---

(٢٥٢) قدرى حافظ طوقان : (العلوم عند العرب) . (سلسلة الألف كتاب ــ رقم ٤ ــ مكتبة مصر ــ شارع كامل صدقى بالفجالة ، سنة ١٩٥٦ م) ص ٩٨ .

(٢٥٣) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٥١٢ ، ٥١٧ .

(٢٥٤) د. التيجانى الماحى : (تاريخ الطب عند العرب) . (الخرطوم ١٩٦٠) ص ٣٠ .

(٢٥٥) نجلاء عز الدين : (العالم العربى) ترجمة محمد عوض ابراهيم (القاهرة ــ بدون) ص ١٢ .

(٢٥٦) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٩ .

(٢٥٧) المرجـــع نفســـه ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

انه كان تلميذا لخالد بن يزيد بن معاوية الذى عرف بانه اول من تكلم فى الكيمياء وشرح صنعة الأكسير . ونقل عنه جابر هـذه الصنعة التى اشتهر بها ، وألف فيها نحـو خمسمائة كتاب وكان بعض الناس فى زمانه يعـدون هـذه الصناعة أمرا مرهوبا ، اذ كيف يتسنى للعقل استخراج الذهب من طبخ مواد نباتية ومعـدنية ؛ وقـد جرب بعضهم ما ذكر جابر مدة طويلة ، فذهب تعبه سدى وكتب على مصنفاته :

هـذا الـذى بمقـاله غـر الأوائـل والأواخـر
ما أنـت الا سـاحر كذب الذى سـماك جابر[٢٥٨]

لكن جابر على الرغم من ذلك كشف باختباراته العلمية أمورا مهمة فى فن الكيمياء وترجمت كتبه الى اللغات الأوروبية ، واشتغل الأوروبيون وقتا طـويلا بكيمياء جابر وانتفعـوا بها . فيذكر حاجى خليفة جابرا مصحوبا بعبـارة « تلميـذ جعفر الصـادق »[٢٥٩] ويقول كاردى فـو وهـو يتحـدث عن جابر : « ومعلماه هما : خالد بن يزيد بن معاوية وجعفر الصـادق »[٢٦٠] .

أما اولهما : فهـو أول من تكلم فى علم الكيمياء ، ووضـع فيها الكتب ونظر فى كتب الفلاسفة من أهـل الاسلام[٢٦١] ، وقـد أخـذ جابر عن خالد بن يزيد بن معاوية العلم[٢٦٢] . وأما جعفر الصادق : الذى كثيرا ما يرى اسمه فى كتابات جابر مشارا اليه بقوله « سـيدى » فهنالك من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكى ، لكن الشيعة[٢٦٣] تقول : وهـو القـول الراجح الصـدق — أنه انمـا عنى به جعفر

---

(٢٥٨) حاجى خليفـة : كشف الظنـون ص ٣٤٣ .

(٢٥٩) المصـدر نفسـه ص ٣٤٣ .

(٢٦٠) د. زكى نجيب محمود : (**جابر بن حيـان**) . (أعـلام العرب عـ ٣ — وزارة الثقـافة — مكتبة مصر — القـاهرة ١٩٦١ م) ص ١٨ .

(٢٦١) حاجى خليفة : كشف الظنـون ص ٢٤٤ .

(٢٦٢) بمقارنة التواريخ التى ذكرناها نرى أن جابرا أخـذ العلم عن خالد فى كتبه لا باللقـاء المباشر لأن وفاة خالـد سبقت ولادة جابر .

(٢٦٣) كانت مسالة الخلافـة قـد قسمت المسلمين فرقتين : اهـل السنة والشيعة وكان لأهـل البيت فريق يعترف سرا بحقوقهم ،حتى فى عهـد الخلفاء الثلاثة الأولين ، ولكن هـذا الفريق لم يجاهر بالخصام ، وبعـد عصر الخلفاء صـار يعارض كل من حكم من غير أبنـاء على ، وكانت هـذه المعارضـة موجهة اول الأمر الى الأمويين ، ثم الى من بعـدهم ممن لم تتوافر فيهم الشروط التى يوجبها الشيعة فى الامام .

=

الصادق ونقول انه مرجح الصدق لان جابرا شيعي . فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لامام شيعي[٢٦٤] . وهـذا الى وفرة المصادر التى لا تتردد فى أن جعفرا أشـار اليه فى حياة جابر ونشأته وهـو جعفر الصـادق .

وبدون شـك فان أعظم كيمياوى[٢٦٥] عربى كان أبو يوسف جعفر الكوفى (جابر بن حيان) الذى عاش فى النصـف الثانى من القرن الثامن الميلادى وتعـد مؤلفاته دائرة معارف علمية وتعطينا ملخصا لعـلم الكيمياء فى عصره وقـد ترجم الكثير من مؤلفاته الى اللاتينية ، وأهمها هـو » مجموع الكمال « الذى ترجم الى الفرنسية سنة ١٦٧٢ م . كذلك نشط أهـل بغـداد فى دراسة علم الكيمياء وأخرجوا فيـه أبحاثا قيمة ومن أشهر علماء الكيمياء جابر بن حيـان الذى درس الكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق ، وأقام فى بغـداد واتصل بالبرامكة ، ونال حظوة عندهم وغادر بغداد بعد نكبة البرامكة ، ويعتبر جابر بحق واضـع علم الكيمياء اعتمد على التجربة فى وضع نظرياته وتحقيق ما كتب وألف كتبا فى الرياضة والفـلك والفلسفة بالاضافة الى ذلك[٢٦٦] .

=

والامام – عند الشيعة – هـو رئيس المسلمين ومعلمهم بفضل ما وهبـه الله من الصفات ، وبحكم وراثته للنبى عليه السلام ، وهـو يحكم ويعلم متلقيا ذلك عن الله ... ويزعم الشيعة أن وراثة الامامة تنقلت من آدم حتى انتهت الى عبد المطلب جـد النبى عليه السلام ، وجـد على رضى الله عنـه ، ومن عبد المطلب انقسم النور الى قسمين : أحـدهما انتقل الى عبد الله والـد النبى ، والآخر الى اخيه أبو طالب والـد على ، ثم سار النور عن على الى ذريته ، وهـذا النـور الذى فى روح الامام يجعله امام عصره ويجعل لـه قـوى روحانية تجاوز حـدود القـدرة الانسانية . (عن جـولد زيهر فى كتابه الذى ترجم الى الانكليزية بعنوان : « **محمـد والاسـلام** ») ص ٣٣٣ .

(٢٦٤) جعفر بن محمد ، ويلقب أيضـا بالصادق . سادس الأئمـة الاثنا عشرية ، ولـد عام ٨٠ هـ أو ٨٣ هـ/٦٩٩ م – ٧٠٠ م أو ٧٠٢ م – ٧٠٣ م ، وخلف فى الامامة أباه محمد الباقر ، ولم يكون لـه شـأن فى عالم السياسة . ولكنه عرف بدرايته الواسـعة بالحـديث ، ويقال أيضا أنه اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرهمـا من العـلوم الخفية ، اما المؤلفـات التى تحمل اسمه فقـد دست عليه فيما بعـد ، توفى بالمدينة عام ١٤٨ هـ/٧٦٥ م . والامامية متفقون على تسلسل الأئمـة حتى جعفر ولكنهم مختلفـون فى تعيين الامام الشرعى الذى خلفـه ، لأن جعفرا أعقب أبنـــاء عـدة ادعى الامامة منهم مالا يقـل عن أربعـة هم : محمـد وعبد الله وموسى واسماعيل ، على أن غالب الامامية يعترفـون بأن موسى الكاظم هـو الامام السابع (دائرة المعـارف الاسـلامية) .

(٢٦٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

(٢٦٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٦٢ .

لقــد توصل من خلال ابحــاثه الى تكوين الزئبق والكبريت ولــه أبحــاث فى التفاعلات الكيمياوية والمعادلات فمثلا حــدد العناصر التى تكون الذهب وكان جابر ينصح تلاميذه دائمــا بالتجربة وعــدم الاعتماد فى الأبحاث العلمية الا عليها مــع التدقيق فى الملاحظة والاحتياط والتأنى فى الاستنتاج ، لأن التجربة طريق المعرفة ولقــد عرف جابر الكثير من النظريات الكيمياوية كالتبخر والتقطير والترشيح والتبلور والتصعيد والاذابة . وحضر كثيرا من المواد الكيماوية . وعرف خواصها مثل نترات الفضة وحامض الأزوتيك وهــو اول من لاحظ أن محلول نترات الفضة يكون مــع محلول ملح الطعام راسبا أبيض وان النحاس يكسب اللهب لونا أخضر ولقــد ميز بين التقطير والترشيح(٢٦٧) ويقول هولميارد : انه بواسطة جابر نقلت كتب عــديدة من الاستانة الى بغــداد بقصــد الترجمة كما حــدث ذلك من قبل فى عهد خالد بن يزيد قبل ثلاثة أرباع القرن(٢٦٨) :. وهكذا استقبل جابر فى بلاط هارون الرشيد بحفاوة زائدة ، وكانت صلته مــع البرامكة قــوية أيضا وخاصة مــع يحيى بن خالد البرمكى الذى تجــد ذكره فى رســائله .

ومنذ حكم العباسيين(٢٦٩) بدأ تطــور شــامل فى نهضــة العرب العلمية .. وكانت قفزات سريعة حملتهم الى القمة فى سرعة مذهلة وظــل العرب متربعين على عرش العلوم حتى أواخر القرن الحادى عشر . قال الشــاعر :

يانفس خوضى بحار العلم أو غوصى فالناس من بين مغموم ومخصوص
لا شىء فى هــذه الدنيا يحاط به الا احاطة منقــوص بمنقوص(٢٧٠)

والحق أن جابرا كيميائى العرب الأول ــ فهو أول من بحث فى علم الكيمياء ولقد اصاب من ارتفاع المكانة وفخامة الثراء ، وبعــد الصيت ما جعله موضع التقدير . وقال عنه القفطى(٢٧١) : « كان متقــدما فى العلوم الطبيعية بارعا منها فى صــناعة الكيمياء ولــه فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ــ وكان لا يقبل تعليم أحــد الكيمياء الا اذا أطمأن اليه اطمئنانا كاملا على مقــدرته العلمية وحسن استعداده » .

(٢٦٧) HITTI : History of the Arabs, pp. 380-301.

(٢٦٨) هــولميارد : (**الكيمياء حتى عصر دالتــون**) . (طبعة باريس ١٩٢٨ م) ص ١٥ .

(٢٦٩) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ١٩ .

(٢٧٠) د. محمد يحيى الهاشمى : (**الكيمياء فى التفكير الاســلامى**) . (دار الفكر العربى ــ القــاهرة ١٩٥٨ م) ص ٣٠ .

(٢٧١) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ٢٢٠ .

كان ابن حيان يرى أن العالم فى استطاعته أن يجاوز الطبيعة الى ما وراءها بالبحث العلمى المجرد ، وهـذا ييسر لـه استخراج كوامن الطبيعة . ففى وسـع الباحث العلمى أن يلتمس طريقه الى تحقيق غايته فى الوصول الى الحقيقة العلمية(٢٧٢) .

والواقـع أن جابر بن حيـان ينفرد أو يسبق غيره فى المنهـج العلمى . فهـو حريص على أن يقصر نفسه على مشاهداته المستندة الى التجربة التى تثبت صحتها وكان لا يعتمد على أقـوال الغير ما لم تؤيدها التجربة التى يجريها هـو ، ولا يعتمد على ما توصـل اليـه غيره من نتـائج الا اذا كانوا ثقـات مشـهودا لهم بأمانتهم العلميـة(٢٧٣) .

أما مذهب ابن حيان العلمى فيسير فى ثلاث خطوات ، الأولى : ان يفترض العالم فرضا ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها . والثانية : أن يستنبط من هـذا الفرض نتائج تترتب عليه . والثالثة : أن يطابق هـذه النتائج على الواقـع فان صـدقت تحول الفرض الى قانون علمى(٢٧٤) . يرى ابن حيان أن العالم يجب أن يكون مثابرا فى جهوده العلمية التى تهـدف الى الكشف عن الحقيقة مهما كلفـه هـذا البحث من عنـاء وجهد . ويؤكد ابن حيـان أنه لا نجاح فى عمـل علمى الا اذا كان مسبوقا بعلم يتبعه التجربة ثم التطبيق(٢٧٥) .

يقول الرواة أن يحيى البرمكى كانت له جارية فاتنة ، وقـد أصابها مرض عضـال أعيا الأطباء شفاؤه فعرض يحيى أمرها على جابر . ويقال أنه فحص عن حالها فوصـف لهـا دواء لمـا تناولته كتب الله لهـا الشفاء . وحينما علم يحيى بذلك تعجب غاية العجب ، وبالغ فى اكرام جابر . وبذلك توافرت لـه الأسباب التى عاونته على التعمق فى دراسة الكيمياء والطب(٢٧٦) .

غير أنه لمـا وقعت الكارثة الكبرى التى ألمت بالبرامكة ونكبهم الرشـيد نكبة يختلف المؤرخـون فى تصويرها وشرح أسبابها ، فر جابر من بغـداد خـوفا على

---

(٢٧٢) د. زكى نجيب محمود : جابر بن حيان ص ٢٥ وما بعدها .

(٢٧٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٨ .

(٢٧٤) زكى نجيب محمود : جابر بن حيان : ص ٦٤ .

(٢٧٥) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٢٣ .

(٢٧٦) محمد عطية الأبراشى والتوانسى : (**أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكر الاسلامى**) . (مكتبة نهضة مصر ، القـاهرة – بدون) ص ٢٨ .

نفسه من أن يفتك به الرشيد لقــوة صلته بالبرامكة ثم أقام فى الكوفة وظــل بها زمنا حتى ادرك عصر المــأمون وفى هــذه الفترة من حياته سطع نجمه ، وملأت شهرته الخافقين ، فقــد كان عصر المــأمون عصرا مخصبا تم فيه نقــل جميــع الثقافات الأجنبية الى اللغــة العربية فأقبل جابر على كتب الكيمياء الاغريقية والهندية يستوعب ما فيها وسرعان ما انتقل من دور التحصيل والاستيعاب الى دور التأليف والاضافة والابتكارات ، حتى أطلق عليه بحق أبو الكيمياء وتوفى جابر على ما رواه خير الدين الزركلى فى الاعلام فى سنة ١٦١ هـ(٢٧٧) .

يقول د. فيليب حتى(٢٧٨) : « تتــلو مآثر العرب العلميــة فى الطب والفــلك والرياضيات مآثرهم فى الكيمياء ، ففى دراســة الكيمياء وسواها من العــلوم الطبيعية أدخــل العرب فكرة التجربة العلمية » غير أنه ينسب كل ما فى هــذا العلم من الابتكارات فى العصر العربى « لجابر بن حيان » حتى قال فيه : « لجابر بن حيان فى علم الكيمياء ما لأرسطوطاليس من قبله فى علم المنطق »(٢٧٩) .

يقول كرد على « كان جابر اشهر من الف فى العربية فى علم الكيمياء واســمه يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافــع بأسماء العظماء ورواد الحضــارة والعمــران(٢٨٠) .

كان لنقــل كتب جابر بن حيان والرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيمياوية الى نباتية وحيوانية ومعــدنية(٢٨١) .

وقــد أســدى العرب للحضارة خــدمة جليلة فى علم الكيمياء بالتوصل الى تركيب المواد المعروفة ، والمواد المفرقعة لم تغير مجرى الحرب فحسب بل استخدمت أيضا فى السلم ، فقــد عاونت على القيام بالكثير من الأعمــال والمشاريع العمرانية العظيمة كشق الطرق بين الجبال والفكرة القــديمة التى كانت سائدة هى أن اليونان

---

(٢٧٧) المرجــع نفســه ص ٢٩ .

(٢٧٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول جـ ٢ ص ٤٦٤ .

(٢٧٩) كرد على : (**الاسلام والحضــارة العربية**) . (مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة - ط ٢ ، ١٩٥٠ م) ٢١٦ .

(٢٨٠) المرجــع نفســه ص ٢١٦ .

(٢٨١) عباس العقاد : (**أثر العرب فى الحضارة الأوروبية**) . (دار المعارف بمصر - القــاهرة ١٩٦٣ م) ص ٤٣ ، ٤٤ .

والرومان هم الذين توصلوا الى اختراع هـذا المسحوق وهـذه فكرة خاطئـة اذ الواقـع أن سائر المواد الملتهبة التى استخدمت فى الحروب قـديما ومن بينها النـار الاغريقية لا علاقة لهـا البتة بالمواد المفرقعة وما هى الا مواد متصلة بالنفط .

يقول فى هـذا المستشرق الألمـانى جورج يعقوب : « أما سبب الاضطراب الذى وقع فيه الكثيرون من العلماء حول المواد المفرقعة ومخترعها فهـذه الوثيقـة التى تشتمل على مسحوق ملح البارود([282]) والكبريت والفحم ، والتى يقال ان صاحبها هـو « مرقس جوبكرس » الذى يظـن أنه عاش فى القرن التاسـع الميلادى ولكن ثبت العلماء أن مرقس هـذا كان من أبناء القرن الثالث عشر ، وأنه اهتدى الى هـذا المركب حـوالى ١٢٥٠ م وتحت التأثير العربى » .

ولعـل اكبر دليل على تحقيقات العرب العظيمة فى علم الكيمياء ما نراه اليـوم من كلمات عربية ما تزال على لسان كل عالم كيمياوى بل ولسان كل ربة بيت منها : بنزين ، عطار ، الأكسير ، قطرون ، الصودا الكاوية ، الحنظل ، الكحول ، انيسلين ، عرق . وغير ذلك . وكلها لم يتغير معناها فى القواميس الأجنبية . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من الكرنب مع السكر الذى فعـل دورا هاما فى تاريخ الطب([283]) .

كما نبغ الرازى فى علم الكيمياء والطب وأدخل حقل تجاربها الكثير من الادوات وقـد بلغ ما ألفـه فى الكيمياء تسعة عشر كتابا . وكان أهم ما وضـعه فى الكيمياء « كتاب الأسرار » الذى نقله الى اللاتينية جيرارد الكرمونى فأصبح مصـدرا رئيسيا للكيمياء الى أن خلفته تآليف جابر بن حيان([284]) .

حاول الرازى كشف الأكسير الذى يهب الحياة ويعيد الشباب([285]) كما كان أبو بكر الرازى فى كتابه « الحاوى » أول من وصـف تحضير حمض الكبريتيك والكحول الذى كان يحضر من تقطير النشويات والسكريات المخمرة([286]) .

لقـد سلك أبو بكر الرازى فى تجاربه كما يتجلى فى كتبه مسلكا عمليا خالصا ،

---

(٢٨٢) جـورج يعقوب : أثر الشرق فى الغرب ص ٣١ .
(٢٨٣) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .
(٢٨٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطـول ج ٢ ص ٤٤٧ .
(٢٨٥) كرد على : الاسـلام والحضارة العربية ص ٢١٦ .
(٢٨٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

وهـــذا ما جعـــل لبحوثه فى الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين الى القـــول : « ان الرازى مؤسس الكيمياء الحـــديثة فى الشرق والغرب معا » . كما مجـــد العقل ومدحه وقـــد اورد فصلا خاصا بذلك فى كتابه « الطب الروحى » فهو يعتبر العقـــل اعظم نعم الله وأنفـــع الأشياء وأجـــداها ، وبه ادراكنا ما حولنا ، واستطاع الانســـان بالعقل ان يسخر الطبيعة لمصلحته ومنافعـــه ، والعقل هـــو الذى ميز الانسان على الحيوان . وقـــد رفـــع الرازى شأن العقل وأدرك محله وخطره وجـــلاله فطالب : « بأن لا يجعله وهـــو الحاكم محكوما عليه ولا هـــو الزمام مزموما ولا هـــو المتبوع تابعـــا ، بل يرجـــع فى الأمور اليه ويعتبرها به ، ويعتمد فيها عليه فتمحصها على مضائه ، وتوقفها على ايقافه ولا يسلط عليه الهوى الذى هـــو آفته ومكدره ، والحائد به عن سننه ومحجته وقصـــده واستقامته . بل نرفضه ونذلله ، ونحمله ونجبره على الوقـــوف عند أمره ونهيه »(٢٨٧) .

ويتجلى فضل الرازى على الكيمياء بصورة واضحة فى تقسيمه المواد الكيمياوية المعروفة فى زمانه الى أربعـــة اقسام رئيسية وهى المواد المعـــدنية والمواد النباتية والمواد الحيوانية والمواد المشتقة ، ثم قسم المعدنيات لكثرتها واختلاف خواصها الى ست طـــوائف ولا يخفى ما فى هـــذا التقسيم من بحث وتجربة وهـــو ما يدل على المـــام تام بخواص هـــذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض(٢٨٨) .

والرازى يعظم صناعة الطب وما يتصل بها من دراسات ولعل هـــذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . ومن مؤلفات الرازى فى الكيمياء : كتاب الأسرار فى الكيمياء ترجمه كريمـــونا فى أواخر القرن الثانى عشر للميلاد وكان المعتمـــد فى مدارس أوروبا مدة طـــويلة ، وقـــد رجع اليه « باكون » واستشهد بمحتوياته(٢٨٩) . ولا تزال الطرق التى اتبعهـــــا فى ذلك مستعملة حتى الآن . والرازى أول من اتى على ذكر حامض الكبريتيك وقـــد سماه « زيت الزاج والزاج الأخضر » ونقله عن كتبه « ألبير الكبير » وسماه « كبريت الفلاســـفة » . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة ، وكان يستعمله فى الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاجات حينما كان يدرس ويطبب فى مدارس « بغـــداد » و « الرى »(٢٩٠) .

وهكذا كان جابر بن حيان وأبو بكر الرازى من أعظم العلماء العرب وأشهرهم فى المشرق والمغرب فى الكيمياء .

---

(٢٨٧) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٧ .

(٢٨٨) المرجـع نفسـه ص ٢١٨ .

(٢٨٩) المرجـع نفسـه ص ٢٢٠ .

(٢٩٠) المرجـع نفسـه ص ٢١٩ .

جـــدول المتخصصين فى العلوم الاســـلامية فى بيت الحكمة

علم الكلام	علم المنطق	علم الفلسفة	علم الكيمياء
ابو الهـذيل العـلاف	عبد الله بن المقفع	ابو يوسف يعقوب الكندى	جابر بن حيــان
أحمد بن يحيى بن اســحاق الراونــدى	ثمــامة بن الأشرس	أبو نصر الفــارابى	ابو بكر الرازى
أحمد بن أبى داوود	يحيى بن المبــارك	أبو حامد الغزالى	ابو يوسف يعقوب الكندى
ثمــامة بن الاشرس	أبو نصر الفــارابى	أبو بكر محمد بن زكريا الرازى	
	ابو على بن زرعــة	يحيى بن عـدى النصرانى	
	يحيى بن عـدى النصرانى	ابو على بن زرعـة النصرانى	
	ابو بشر متى بن يونس	ابو الحسن على بن هارون الزنجـــانى	
		ابو الخـير الحسن بن موار المعروف (ابن الخمــار)	
		أبو الفرج على بن الحسين بن هنــدو	

(تابع) جـدول المتخصصين فى العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة

علم الرياضيات	علم الطب	علم الفلك والتنجم
محمد بن موسى الخوارزمى	آل بختيشوع (جرجس ، جبرائيل)	أبو عبد الله محمد بن جابر البتانى
أبو يوسف يعقوب الكندى	يوحنا بن ماسويه	موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة
أولاد موسى بن شاكر (أحمد ، محمد والحسن)	حنين بن اسحاق	أبو سهل الفضل بن نوبخت
ثابت بن قرة	الطبيب الهندى (منكه)	محمد بن ابراهيم الفزارى
أبو بكر محمد بن حسن الكرخى	يعقوب الكندى	يحيى بن أبى منصور
محمد بن جابر بن سنان	قسطا بن لوقا البعلبكى	محمد بن موسى الخوارزمى
أبو عبد الله البتانى	أبو بكر الرازى	سند بن على
الحسن بن الهيثم	على بن العباس المجوسى	على بن عيسى الأسطرلابى
البوزجانى الحاسب « محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس أبو الوفا البوزجانى »	ابن بطلان الحكيم	ما شاء الله
أبو القاسم على بن أحمد	ابن جزلة البغدادى	أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى
المحتسبى الأنطاكى	على بن عيسى الكحال	العباس بن سعيد الجوهرى
أبو النصر الكلوازى	ابن التلميذ البغدادى	أحمد بن محمد النهاوندى
أبو الرشيد الرازى البرهانى	موفق الدين عبد اللطيف البغدادى	يحيى بن البطريق
أبو حنيفة بن داود الدينورى	أبو البركات بن على ملكا	أبو حامد بن محمد الصاغاتى
ابن زهدون (أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الحرانى)	ابن هبل البغدادى	سهل بن بشار
كمال الدين بن يونس	ثابت بن ابراهيم	عبد العزيز القابسى
قسطا بن لوقا البعلبكى		ابن أعلم الشريف البغدادى
نصر الدين الطوسى		أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن يوسف الأسطرلابى المعروف (بالبديع الأسطرلابى)
		أبو اسحاق ابراهيم بن سنان بن قرة
		محمد بن عيسى أبو عبد الله المهانى
		أبو الحسن على بن اسماعيل الجوهرى
		أبو جعفر بن أحمد الكوهنى
		على بن زياد التميمى

الفصل الثانى . الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة



١ ــ المترجمون الذين يعملون فى بيت الحكمة ، مثل : حنين بن اسحاق ، يوحنـا ابن ماسويه ، الفضـل بن نوبخت ، الكندى .

٢ ــ حركة النقـل والترجمة على أيدى الموالى ، مثل عـلان الشعوبى ، الفضل ابن سـهل ، سـهل بن هارون .

٣ ــ دور المترجمين فى تنشيط حركة التأليف والترجمة ، مثل : أولاد شاكر : أحمد ومحمد وحسن ، ثابت بن قرة .

٤ ــ ترجمـة التراث والفكر العـالمى الى اللغـة العربية على يد حنين بن اسـحاق ، وأولاد شـاكر ، والكنـدى .

أولا ــ المترجمــون الذين يعمــلون فى بيت الحكمة :

(أ) حنين بن اســحاق العبادى :

ولد سنة ١٩٤ هـ/ ٢٦٠ هـ ــ ٨١٣ م/٨٧٣ م وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة وكان يشتغل بالصيدلة ، فلمـــا نشأ حنين أحب العلم ودرس الطب فى مدرسة جنديسابور وحضر مجالس يوحنا بن ماسويه فى بغـــداد(٢٩١) .

كان حنين بن اســـحاق بحق شيخ المترجمين ، وكان من نساطرة العرب ، ويقال انه كان أعلم أهــل عصره فى الطب . اهتم بدراسة اللغة اليونانية وعمل مع جبريل ابن بختيشوع طبيب المــأمون ثم عهد اليه ببيت الحكمة ، وأمره المــأمون أن يترجم ما يمكنه من الكتب اليونانية ، وكان يعمل معـــه ابنه اســـحاق وابن أخته حبيش ابن الحسن . ومن الترجمات التى تنسب اليه شرح أرسطو وكتب لجالينوس وأبقراط وديقـــوريدس ومجموعها حوالى خمسين كتابا ، وكتاب السياسة لأفلاطون والمقولات والخلقيات والطبيعيات لأرسطو . ويقال ان المــأمون كان يعطى زنة ما يترجمـــه ذهبا ، وان بنى شاكر كانوا من المهتمين بالترجمة يدفعون له ولزملائه نحو خمسمائة دينار فى الشــهر ثمن ما يقـــومون بترجمته(٢٩٢) .

كان حنين مترجما موثوقا دقيق التمحيص ، يجول فى العـــديد من البلدان ليجمع كل ما يقـــع تحت يديه من مخطوطات النص الواحـــد حتى اذا نجحت المحاولة قـــام بترجمة النص الموثوق فى أمانة دون أن يوغل فى الحرفية ، موصيا طلابه ومساعديه باتباع هـــذا النهج ، وهكذا استطاع حنين ومساعدوه فى مدرســـة الترجمة خـــلال العقـــود الخمسة من حياته أن ينقلوا الى العربية جميع ما توفر من البحوث اليونانية الهامة فى العلوم الصحية من ذلك أشهر ما ضمته مجموعة أبقراط ، وكتابات أرســـطو وجالينوس ، وكذلك الشروح والتنقيحات التى تلت ذلك من بحوث أوريناتيوس الى كتابات بادلوس(٢٩٣) .

لكن حنين بن اســـحاق صمم على تعلم اللغـــة العربية لأنه رأى فيها خـــير مساعد لـــه على ارواء غلته من الثقافة الطبية ، وقـــد اندفع بقـــوة فى هـــذا الاتجاه

---

(٢٩١) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٤٢٣ .

(٢٩٢) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٩٣) جـون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ١٧٦ .

حتى أنه برىء من دين النصرانية أن رضى أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليونانى احكاما لا يكون فى دهره من يحكمه احكامه[294] . فسافر الى بلاد الروم[295] وهنـاك احكم اللغة اليونانية وتوصل فى تحصيل كتب الحكمة غاية امكانه[296] .

كما تعلم حنين اللغة اليونانية باحساس من الحاجة اليها ، وكذلك نجـد أنه وهو احـد ابناء الحيرة اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته . كانت الطبقات الدنيا فى الحيرة تتكلم السريانية[297] فقصـد البصرة وكانت فى ذلك العهد اكبر معهد لعلوم اللغـة العربية وملتقى أقطابها يقصـدها الطلاب من كل بلـد ليحـذقوا ويفهمـوا[298] . وهنا لزم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى وبذلك أصبح حنين يجيد لغات اربع : هى[299] : الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التى هى لغته الاصلية ، ولقـد أعانه ذلك على أن ينقل الكتب الى السريانى والى الاوروبى .

ولقـد بلغ من سرور جبريل بحنين واعجابه بروعته فى ترجماته ، أنه قـدمه لابناء موسى الثلاثة ، وقـد كانوا من رعاة انعلم الأثرياء ، يقول القفطى فيهم : « وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم ، محمد واحمد والحسن بنـو موسى بن شـاكر المنجم . وقـد بذلوا فى سبيل ذلك من الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقى والطب وغيرها »[300] . فاحتضنه هـؤلاء وكانوا أصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما كانوا يجزلون لـه العطاء وقـدموه[301] بدورهم الى الخليفة المـأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة[302] .

يذكر ابن أبى أصيبعة : « ان المـأمون احضره وكان فتى وأمره بنقـل ما يقـدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربى واصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره . وقام بمـا أسند اليه خير قيام وظـل يوالى النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل »[303] .

---

(٢٩٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٥ .

(٢٩٥) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١١٩ .

(٢٩٦) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .

(٢٩٧) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

(٢٩٨) حنين بن اسحاق : مقـدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٢٩٩) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤٠ .

(٣٠٠) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٤ .

(٣٠١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(٣٠٢) حنين بن اسحاق : مقـدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٣٠٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٩ .

ويقول ابن العبرى : « ولم يزل أمره (حنين) يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر فى النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم ، ومعدننا للفضائل واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر باحضاره »[٣٠٤] واختاره للترجمة وائتمنه عليها وجعل له كتابا تحارير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا[٣٠٥] .

كذلك ذكر انه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها الى العلماء النصارى وأطبائهم . بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها الى العلماء المسلمين[٣٠٦] . ويذكر سويتمان[٣٠٧] : « ان حنينا كان يترجم الى السريانية ، ثم ينقل ابنه اسحاق ما يترجمه الى اللغة العربية » . ويقرر أوليرى[٣٠٨] : « ان بعض ترجمات حنين قد نقحها فيما بعد كتاب متأخرون » .

والواقع أن هذا المسلك قد يثير الشك فى معرفة حنين باللغة العربية « يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى » : كان يغلب عليه أن يترجم من اليونانية الى السريانية ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية الى العربية ، وهذا أمر غريب حقا لأن حنين بن اسحاق كان يتقن العربية اتقانا مدهشا ، فماذا يدعوه اذن الى اتخاذ هذا الطريق الملتوى الغريب »[٣٠٩] . الموقف يتضح اذا ما عدنا الى قول أوليرى : « ان حنينا اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته »[٣١٠] . فكان أن قصد البصرة ولازم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى .

فلا غرابة اذن أن يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية الى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجماته بالتنقيح والتهذيب ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجته الى اتقان العربية هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد

(٣٠٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

(٣٠٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٨ .

(٣٠٦) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٣٧ .

(٣٠٧) SWEETMAN : Islam and Christion Theology V. L., p. 88.

(٣٠٨) أوليرى : (**علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب**) تحقيق د. وهيب كامل (مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٢ م) ص ٢٢٨ .

(٣٠٩) د. عبد الرحمن بدوى : (**فن الشعر لأرسطوطاليس**) . (مطبعة مصر ـ بدون التصدير ص ٥٣ .

(٣١٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

ترجمة الكتب التى كان قد ترجمها فى صدر حياته الى العربية عندما أحس تفوقه فيها[311] .

لم يشأ حنين أن يقف عند حد النقل والتعريب فقد احس قدرته على التأليف فى هذه الموضوعات التى طالما اشتغل بالترجمة فيها . فقد أورد القفطى قائمة[312] كاملة لمؤلفاته وقد كانت باللغتين السريانية والعربية وكانت كتبه الطبية صورة منعكسة لكتب اطباء اليونان التى استنفذ فى ترجمتها أهم قسط من نشاطه فى حياته العلمية . وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أهم كتبه[313] « تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس » وقد ترجم الى اللغة اللاتينية ، و « المسائل فى الطب » وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة واجوبة ، ثم كتاب العشر مقالات فى العين وكتاب المسائل فى العين . ثم نجد ابن أبى أصيبعة قد عقد فى كتابه عيون الأنباء بابا للنقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى الى اللسان العربى وعند تحليلنا لقائمة الأسماء التى أوردها فى هذا الباب ، وجدنا انه صنف المترجمين الى درجات ومستويات متباينة بحسب اتقانهم للترجمة فقد اعتبر حنينا بن اسحاق من المجودين فى النقل وقال عنه : « كان عالما باللغات الأربع عربيها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية ونقله فى غاية الجودة »[314] .

كما كان ابنه اسحاق أبن حنين عالما باللغات التى يعرفها أبوه ، وهو يلحق به فى النقل ومثلهما كان حبيش الأعسم ناقلا مجودا[315] كما كان هناك عيسى بن يحيى بن ابراهيم تلميذ حنين ابن اسحاق وقد أثنى عليه حنين ورضى نقله وقلده فيه وكان اصطفن بن بسيل يقارب حنينا فى النقل الا ان عبارة حنين أفصح واجلى[316] .

ومن بين المترجمين الآخرين من كان متوسط الحال فى الترجمة فمثلا كان ايوب المعروف بالأبرش قليل النقل متوسطه وما نقله فى آخر عمره يضاهى نقل حنين ؛

---

(311) د. الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(312) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(313) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٣ ، ٣٩ .

(314) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٧٩ .

(315) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

(316) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

ومثله كان ابن شـــهدى الكرخى الذى نقل من السريانى الى العربى(٣١٧) . والحجاج ابن يوسف بن مطر الذى نقــل للمــأمون كتاب اقليدس وكذلك سرجس الراس (من اهــل مدينة راس العين)(٣١٨) الذى كان متوسطا فى النقل .

والى جانب هــؤلاء المترجمين المذكورين كان هناك تراجمة آخرون لم يتقنــوا فى راى ابن ابى اصيبعة نذكر منهم على سبيل المثال : فثيون الترجمان الذى كان « كثير اللحن ولم يكن يعرف علم العربية أصلا »(٣١٩) وابو سارى بن أيوب الذى لم يكن يعتد بنقله وحيرون بن رابطة الذى ليس له شهرة بجودة النقل(٣٢٠) .

اذ نستنتج من قائمة ابن أبى أصيبعة أيضا أن بعض النقلة تتلمذوا على بعض التراجمة المشهورين ، فقــد تتلمــذ حبيش وعيسى بن يحيى على حنين بن اسحاق ، والى جانب ذلك نجــد أن بعض النقلة المشهورين اتخــذوا لهم أعــوانا ممن عرفوا بجــودة النقل لمساعدتهم فى الترجمة مثال ذلك أن حنين بن اســحاق استعان بقسطا الرهاوى ، عندما كثرت عليه الكتب وضاق عليه الوقت ثم يصلحها(٣٢١) .

بعــد ذلك الوقت بثلاثين سنة أسس حنين بن اســحاق الذى عرف لدى الغرب باسم (يوحنا نيوس) مدرسة للمترجمين فى العراق(٣٢٢) ، ظلت تواصل عملها على يد كل من ابنه اســحاق بن حنين وابن أخته حبيش بن الحسن ، وكان السريان والنساطرة هم الذين استخدموا الترجمات السريانية القــديمة لفلاسفة اليــونان ، بمثابة نصوص يونانية للمؤلفات الفلسفية التى كان عليهم أن ينقلوها الى اللغــة العــربية .

(ب) يوحنــا بن ماســويه(٣٢٣) :

توفى « ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م » وكان ممن قــدموا من جنديسابور من هــذا الوقت

---

(٣١٧) المصدر نفسه ص ٢٨٠ .

(٣١٨) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٣ ص ١٤ .

(٣١٩) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٨٠ .

(٣٢٠) المصدر نفسه ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣٢١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٣٢٢) سليم طه التكريتى : (**شيخ المترجمين حنين بن اسحاق**) مجــلة العربى ــ الكويت (١٩٦٨ م) عـ ١٠٧ ص ١٠٢ ، ١٠٨ .

(٣٢٣) راجع ترجمة ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

تقريبا بدأت مدرســـة الطب فيها تفقـد أهميتها لان كبــار الاطباء والاساتذة قـد ذهبــوا الى قصور الخلفاء ببغـداد(٣٢٤) . كان يوحنـا سريانيا نسطوريا . وقـد ولاه هارون الرشيد ترجمة الكتب الطبية القـديمة التى وجـدت بأنقره وعمـورية وسـائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا ما فيها . ووضعه امينا على الترجمة ورتب له كتابا حـذاقا يكتبون بين يديه(٣٢٥) . وقـد اقام يوحنا مستشفى فى بغداد . كذلك جعله الخليفة المـأمون فى سنة ٢١٥ هـ/ ٣٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة وقـد ألف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا(٣٢٦) منها كتاب البرهان . وكتاب دغـل العين . وعربية هــذا الكتاب ركيكة مـع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية(٣٢٧) وكان يوحنا يعقـد مجلسا للنظر ويجرى فيه من كل نوع من العـلوم القـديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقـد تتلمذ عليه حنين بن اســحاق فترة من الزمن(٣٢٨) .

على أن الترجمة لم تلبث أن أخـذت فى العصر العباسى وصــفا رسميا يدخل فى سياسة الدولة ، وتعتمد على رصيد سخى من الخزانة العامة ، وقـد استوعبت الحركة فى عصر الرشيد وولده ذخائر التراث الفكرى والعلمى فى الفلسفة والرياضيات والطبيعة لليونان والفرس والهند ومصر . ثم ما لبثت العقلية الاسلامية أن هضمت ذلك التراث وتمثلته فأعطته روحا جـديدة على نحـو ما فعلت مدرسة الاسكندرية بالفكر اليونانى حين هاجر(٣٢٩) اليها . وترجمتها الى اللغة العربية وشتان بين غزو من اجـل استعباد الشعوب وسلب الناس حرياتهم وحقوقهم الطبيعية فى الحيـاة واهـدار آدميتهم ، والحط من كرامتهم ، وفى عصر الرشيد اشتهر يوحنا بن ماسويه باعتباره شيخ المترجمين . وقـد كان للرشيد ثقـة كبيرة فيه ، فنقرا فى تاريخ عصر هارون الرشيد انه الف هيئة علمية باشراف « ابن ماسويه » مهمتها تقدير التعويضات التى تدفعها الدول المهزومة من ذخائر كتبها(٣٣٠) . وهـو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب ، تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيمـا بعـد وأصبحت

---

(٣٢٤) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٦ .

(٣٢٥) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٣٢٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ١٨٣ .

(٣٢٧) أوليرى : مسالك الثقـافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٣٢٨) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٣٢٩) د. عائشة عبد الرحمن : (**لغتنـا والحيـاة**) . (دار المعارف بمصر – القـاهرة ١٩٧١ م) ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣٣٠) المرجـع نفسـه ص ٧٤ .

تدعى « دار الحكمة » فى عصر المأمون . وقد تميز هذا العصر بأنه كان عصر تهذيب للترجمات السابقة ذلك التهذيب الذى ترتب عليه التحصيل الواعى والهضم الدقيق لجميع الثقافات الأجنبية ثم عصر الابتكار وبناء الثقافة العربية الاسلامية ووضع اصولها ومناهجها(٣٣١) .

(ج) ابوسهل الفضل بن نوبخت :

وهو من ائمة المتكلمين ومشاهير المترجمين ، كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وكان يشتغل فى بيت الحكمة فيترجم من الفارسية الى العربية ، ومعوله فى عمله على كتب الفرس ، وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، ولذا فان هارون الرشيد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة الفارسية الى العربية(٣٣٢) . يقول ابن النديم عنه(٣٣٣) : « أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد وله نقل من الفارسى الى العربى » .

ومن الممكن أن نقرر دون تردد أن هذا الصنف من العلماء الباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق اذ أضفى عليهم الخلفاء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة وأفضال لا تنقطع . فقد حكى عن المأمون أن منحه لحنين بن اسحاق كانت متصلة وهباته اليه لا تتوقف(٣٣٤) .

فكانت النهضة العلمية التى احتضنها المسلمون ورعوها تعتمد جل الاعتماد على الدراسات التى قام بها غير العرب من الشعوب الأخرى ، ومن اجل هذا كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم وبمساعدة هؤلاء المترجمين وعن طريقهم نقلت علوم اليونان والسريان والقبط والفرس والهنود الى اللغة العربية . ولكننا نتحدث قصيرا عن نماذج لطائفة واحدة من المترجمين تشمل هؤلاء الذين كانوا يقومون بعملهم فى بيت الحكمة(٣٣٥) .

ومنهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والبيزنطيون والبراهمة ، وترجموا من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والقبطية الى اللغة العربية ،

---

(٣٣١) أبو الفتوح التوانسى : من اعلام الطب العربى ص ٢٢ .

(٣٣٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

(٣٣٣) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .

(٣٣٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilzation, p. 277.

(٣٣٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ .

واقبـــل الناس على هـــذه الكتب والبحث فيها أيمـــا اقبال . وترتب على حركة الترجمة وذيوع الكتب المنقولة الى اللغـــة العربية أن أتيح للمسلمين تصحيح أغلاط القـــدماء فى كثير من المواضع ، كما أضافوا من عنـــدهم اضافات وابتكارات قيمـــة ولا سيما فى الطب والفلك والكيمياء والرياضيات(٣٣٦) .

(د) ابو يعقـــوب بن اســـحاق الكندى :

من قبيلة كندة ، عربى النسب ، عاش ما بين سنة ١٨٥ هـ/٢٥٢ هـ — ٨٠١ م/ ٨٦٧ م وولـــد فى الكوفة ودرس فى البصرة على أشهر علمائها حتى برز فى علم الفلسفة ولذلك لقب بفيلسوف العرب ، تمييزا لـــه عن أقرانه من المتوافرين على دراســـة الحكمة العقلية من غير العرب ، كمـــا كان أبوه أميرا على الـــكوفة فى القرن الثانى الهجرى . وحصل الكندى بعض علومه فى البصرة ثم فى بغـــداد وأولع بدراسة ثقافة الفرس وحكمة اليونان ، وكان يخـــدم فى قصور الخلافة ويشتغل بترجمة كتب اليونان وتهـــذيب ما يترجمه غيره منها كما كان واسع الاطلاع على جميع العلوم ، وقـــد تمثل منها كل ما كان فى عصره ولـــه آراء خاصة فى الجغرافيا وتاريخ التمـــدن والطـــب والفلسفة والكيمياء وآراؤه الكلامية فيها نزعـــة المعتزلة قاوم نظرية شـــائعة فى عصره قيل أنهـــا تنسب للبراهمة وهى أن العقل وحـــده مصـــدر المعارف ، وكان يدافـــع عن النبوة ، ولكنه كان يميل الى التوفيق بينها وبين العقل كما أخـــذ بمذهب أرســـــطو(٣٣٧) .

عاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة ، ونبغ فى خلافة المـــأمون صاحب بيت الحكمة ، وعاصر كبار النقلة المشهورين مثل حنين بن اســـحاق وابنه اســـحاق ، وخاض غمار هـــذه الحركة ، وشارك فيها حتى قال صاعـــد الأندلسى نقـــلا عن أبى معشر فى كتاب المذكرات « ان حـــذاق الترجمة فى الاسلام اربعـــة : حنين بن اســـحاق ويعقوب الكنـــدى وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخـــان الطـــبرى(٣٣٨) .

وكان الكندى فى الاغلب لا يترجم بنفسه ، بل يترجم لـــه ترجمة حرفية ناقل آخر ، ثم يتناول هـــو هـــذه الترجمة بالصقل والتهـــذيب ، ويضعها فى قالب عربى رشيق

(٣٣٦) د. محمد مصطفى زيادة وآخرون : (**تاريخ العالم العربى وحضارته**) . (مكتبة نهضة مصر بالفجـالة — القـاهرة — بدون) ص ٣٦١ .

(٣٣٧) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٩٦ .

(٣٣٨) د. أحمد فـؤاد الاهـوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٥٩ .

بمقـدار ما تسمح به الموضوعات الفلسفية العميقة . ومن المعروف أن الذى كان ينقـل لـه هـو « اسطاث » . وقـد روى هـذا الخبر صاحب الفهرست عند كلامه عن كتب أرسطو فقال عنه فى ترجمة كتاب الميتافيزيقيا : « انه يسمى كتـاب الحروف ويعرف بالالهيات ، نقلها اسـحاق ، ونقل حرف الميم أبو زكريا يحيى بن عـدى ، وهـذه الحروف نقلها اسطاث للكندى[٣٣٩] وكان اسطاث من النقـلة المتوسطين كما ذكر ابن ابى أصيبعة صـفوة القول : لم يكن الكندى يعرف فى الاغلب اليـونانية[٣٤٠] .

نستطيع أن نجزم أنه كان ينقلها ولكنه ايضا لم يكن يترجم عنها بنفسه ، بل كان يعالج ترجمة النقلة ويصلحها . ولا يتسنى هـذا الاصلاح بغير رجـوع الى الأصـل مـع معرفة وثيقة للسان الذى ينقل عنه[٣٤١] .

كما كان يمـارس نشاطه العلمى فى عهـد الخليفـة المـأمون فيمـا بين سنتى (١٩٨ هـ/٢١٨ هـ — ٨١٣ م/٨٣٣ م) واهتم الخليفة بالكندى ومؤلفاته وشجعه فى انتاجه العلمى وخاصة فى الفلسفة ويقول العالم الأوروبى « بيكون » : « ان الكندى والحكم ابن الهيثم هما فى الصف الأول مع بطليموس » . وأضاف البروفيسير برنارد لويس فى كتابه تاريخ العرب : « ان المسلمين فى عهـد المـأمون اهتموا بالترجمة ، فترجم الكندى فلسفة أرسـطو طاليس » .

كما أن الخليفة المـأمون انتخبه « الكندى » ليكون احـد الذين يعهد اليـه فى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان[٣٤٢] . وجـدير بالذكر أن الكندى هـو المؤسس الأول للمدرسة التى تخصصت فى تعليم الفلسفة وخاصة فلسفة أرسـطو وشارك الكندى فى شرح المجستى والتعليق عليه باللغة العربية . كما كان واسـع الأفـق فى علم المنطق وعلم الفلسفة .

يقول جيرارد ترمونه : « ان الكندى خصب القريحـة وأنه كان واحـد عصره فى الالمـام بالعلوم بأسرها ، وان احاطته بكل أنواع المعارف تدل على سـعة مداركه

---

(٣٣٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٥٧ ، ٣٦٥ .

(٣٤٠) يقرر الدكتور ماكس مايرهوف : ان الكندى كان يعرف اللغـة اليونانية وينقل عنها . أنظر التراث اليوناني والحضارة الاسلامية ص ٥٩ ترجمة عبد الرحمن بدوى .

(٣٤١) د. أحمد فـؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٣ .

(٣٤٢) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

وقـــوة عقله وعظم جهوده » . كما نال اعجاب ابن نباته الذى قال عنه : « وانتقـــل الكندى الى بغـــداد فاشتغل بعلم الأدب ، ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها ، وحـــل مشكلات كتب الأوائل وصنف الكتب الجـــديدة . وكانت دولة المعتصم تتجمل بالكندى ومصنفاته وهى كثيرة جـــدا وافتخر العرب فى المـــاضى والحاضر بالكندى وانتاجـــه الفكـــــرى(٣٤٣) .

ويصف هـ. ج. ويلز هـــذه الحركة العلمية بقوله : « كان مثلها كمثل نور فى مصباح يحجب النور دون العالم كافة ، وقـــد يكون شعلة وهاجـــة تخطف الأبصار . ولكنها مـــع ذلك مستورة لا تراها الأنظار »(٣٤٤) ومدح ابو العلاء المعرى بغـــداد بكثرة ما فيها من علم اذ يقول فى احـــدى رسائله : « وجـــدت العلم ببغـــداد اكثر من الحصى عند جمرة العقبة »(٣٤٥) .

(٣٤٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى ص ١٠١ .

(٣٤٤) هـ. ج. ويلز : (**موجز تاريخ العالم**) ترجمة عبد العزيز جاويد (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٧ م) ص ١١٩ .

(٣٤٥) د. شوقى ضيف : (**الفن ومذاهبه فى النثر العربى**) . (دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م) ص ٢٦٦ .

ثانيا ــ حركة النقــل والترجمة على أيدى الموالى :

شكل أهــل الذمة فى بغــداد فى العصر العباسى الأول عنصرا هاما من عناصر المجتمع ، والواقع كانت معاملة الخلفاء ورجال الدولة لهم تنم عن عــدل وتسامح وكرم ، وأطلق الخلفاء لرؤسائهم الروحيين مباشرة أمور وشئون أبناء ملتهم ، وكان رئيس النصارى فى بغــداد يسمى « الجاثليق » ويعينه الخليفة بعــد استشارة كبار الأساقفة ويتم تعيينه بعــد اصــدار منشور يتضمن الحقوق والامتيازات التى تمنحها الدولة له ــ أى الجاثليق ــ وتمنحه الحــق فى مراجعة حكومة بغــداد فى الأمور التى تتعلق بالمسيحيين الرعايا(٣٤٦) .

كان الجاثليق الجــديد اذا تم تعيينه ، يسير بحفاوة الى قصر الخلافة ، وهناك يمنحه الخليفة عهد توليته ، ويتضمن حقوقه فى مباشرة سلطانه ثم تلقى عليه الخلع الثمينة ــ وبعــد ذلك يتوجه الى المدائن وتصحبه فرقة من الجنود وجمــاعة من المطارنة والأساقفة وكبار رجال الدولة حيث يزور ضريح مارى فى ديره وفقا للتقاليــد المتبعة فى ذلك ثم يعود الى بغداد ويقيم فى كنيسة دار الروم ــ مقره الرسمى ــ(٣٤٧) .

يقول د. حتى : « ساهم أهــل الذمة فى بغــداد فى ازدهار الحركة العلميــة فى العصر العباسى الأول ونشر المعرفة فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لأبنــاء كبار رجال بغــداد ، وترجموا الكتب من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، ذلك ان الخلفاء العباسيين الأول عنوا بترجمة الكتب العلمية واستعانوا بأهــل الذمة فى حركة الترجمة هــذه ، وقــدر الخلفاء جهودهم ومنحوهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلماء الموثوق بهم من أهــل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتياع طرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ويعهــدون الى التراجمة من أهــل الذمة بنقل هــذه الكتب الى العربية »(٣٤٨) .

أما مراحل الترجمة فيقول د. أحمد فريد رفاعى(٣٤٩) : اتفقت كلمة الباحثين على

---

(٣٤٦) آدم متز : الحضارة الاسـلامية ج ١ ص ٤٧ .

(٣٤٧) رفائيل بأبو اسحاق : (تاريخ نصارى العراق) . (مطبعة المنصور ـ بغـداد ـ العراق ١٩٤٨ م) ص ٦٧ .

(٣٤٨) HITTI : History of the Arabs, p. 327.

(٣٤٩) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون : ج ١ ص ٣٧٩ ، ٣٨١ .

أن الترجمة فى هـذا العصر مرت بثلاث مراحل متميزة . تختلف كل منها عن الأخرى فى لغتها ومدى الاهتمام بها والاقبال عليها .

المرحلة الأولى — وتبدأ من عصر المنصور سنة ١٣٦ هـ الى نهاية حـكم الرشـيد سـنة ١٩٣ هـ :

والترجمة فى هـذه الفترة كادت تكون حرفية لا تتجاوز العبارة الاعجمية وان بدت فى ثوب عربى . ولهـذا أعيد ترجمة بعضها فيما بعـد بلغـة انصح وتعبير احكم واوضح .. وأشهر النقلة فى هـذه المرحة يوحنـا بن البطريق الذى ترجم للمنصور كتاب المجستى لبطليموس . ومحمد الفزارى الذى ترجم عن الهندية كتاب « السند هند » فى الفـلك والتنجيم ، وعبد الله بن المقفـع الذى ترجم عن الفهلوية — كليلة ودمنة — كما ذكر ابن حيان عن صاعـد الأندلسى فى كتابه طبقات الأمم — أنه ترجم كتب ارسـطوطاليس المنطقية الثلاثة وهى : كتاب قاصاغوريوس ومعنـاه المقولات ويبحث فى الأجناس العالية ، وكتاب أنالوطيقيا ومعناه تحليل القياس ويبحث فى أشكال القيـاس المنطقى[٣٥٠] . وكتاب بارى أرميناس وهـو كتاب العبـارة الذى يبحث فى القضـايا التصـديقية[٣٥١] ، كما ترجم كتاب المدخـل المعروف بايساغوجى لفرفوريوس الصورى الذى ألفـه ليكون مدخلا لكتب أرسـطو فى المنطق . ومن أشهرهم أيضا جورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماسـويه الطبيبان النصرانيان وصالح بن بهلة صاحب الرشيد ، ومنكه طبيبه الهندى وابن دهنه مدير بيمارستان البرامكة ، وسلامة الأبرش وباسيل المطران . كما كان البرامكة — فضـلا عن الخلفـاء — يشجعون هـذه الحركة ويبذلون فى سبيلها المـال الوفير وكانوا كلما وقعت فى أيديهم مدينة رومية يأمرون بترجمة ما يعثرون عليه فيها من الكتب[٣٥٢] .

المرحلة الثانية — وتبدأ من عهـد المـأمون سنة ١٩٨ هـ الى نهاية القرن الثالث الهجـرى :

وفيها بلغت الترجمة أسمى درجات النمو والازدهار وأنها لمدينة من غير شك

---

(٣٥٠) د. محمد نبيه حجاب : (**مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى**) (نهضـة مصر بالفجالة - القاهرة ط ١ . ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م) ص ٥١٧ .

(٣٥١) د. محمد البهى : (**الجانب الالهى من التفكير الاسلامى**) (بيروت لبنان ط ٥ ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٧٢ م) جـ ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٢) د. محمد نبيه حجاب : **مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى**) ص ٥١٨ .

للمـــأمون الذى نفخ فيها من روحـــه ووجه اليها عناية ليست بعـــدها عناية حتى أصبح عصره بحـــق العصر الذهبى(٣٥٣) .

المرحلة الثالثة ـــ وهى التى كانت بعـــد القرن الثالث الهجرى :

وأشهر المترجمين فيها أبو بشر متى بن يونس ، وسنان بن ثابت ، ويحيى بن عـــدى وأبو زرعـــة وهلال الحمصى وعيسى بن صهرنجت . وكانت عنايته متجهة الى الكتب المنطقية الطبيعية لأرسطو ، وكذلك التفاسير التى نشأت حولها(٣٥٤) .

هـــذه هى المرحل الثلاث التى مرت بها الترجمة فى العصر العباسى والتى كان من نتائجها هـــذا التراث الضخم المنقول عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها . واستمرت حركة الترجمة فى العصر العباسى حيث ازدهرت ازدهارا كبيرا ، ولا سيما فى عهـــد المـــأمون واستمرت فى تقـــدم واطراد حتى أواسط القرن الثالث الهجرى ، وكان من مظاهر العناية بالترجمة تشجيع المترجمين واجزال العطاء لهم ، والبحث عن المخطوطات القـــديمة وبذل الكثير من المـــال فى سبيل الحصول عليها ، وارســـال الوفـــود والسفارات لجلبها من البـــلاد التى يعتقد وجـــودها فيها مثل بيزنطة ، بل كان أحيانا ما يشترط الولادة فى معاهـــداتهم مع بلاد اجنبية أن يقـــدموا لهم كتبـــا معينة من المخطوطات(٣٥٥) . المحفوظة لديهم .

هكذا أخـــذ العالم الاســـلامى يترجم الى العربية كتبا فارســـية وسريانية وعبرية ويونانية ، وكانت السيادة للثقـــافة اليونانية فى مجال الترجمة فى الفلسفة والطب والرياضيات فى حين كان للثقافة الاسلامية والشرقية بعامة دور واضـــح فى مجال الآداب(٣٥٦) . ومن أشهر من ساهم فى حركة النقـــل والترجمة بنصيب موفـــور من المـــوالى هم :

(أ) عـــلان الشـــعوبى :

هـــو علان أو غيلان ـــ بن الحسن الوراق(٣٥٧) المعروف بالشعوبى لعصبيته الشديدة على العرب وبغضه لهم كل البغض ـــ وتفضيل قـــومه الفرس عليهم .

---

(٣٥٣) د. محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ج ١ ص ٢٧٦ .
(٣٥٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٢٠ .
(٣٥٥) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٧ .
(٣٥٦) المرجـع نفسـه ص ٨٨ .
(٣٥٧) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦٦ .

اتصل بالبرامكة(٣٥٨) أيام هارون الرشيد وهم أصحاب النفــوذ فى البــلاط اذ ذاك ، فأفسحوا لــه المجال والحقوه « ببيت الحكمة » ومن ذلك الحين اخــذ ينسخ للرشــيد ثم للمــأمون(٣٥٩) .

ذكر ياقوت : انه كان علامة بالانساب والمثالب(٣٦٠) والمنافرات « المفاخرات » . ولا شــك انه كان لحرفة الوراقة التى كان يزاولها منذ حــداثته أثر كبير فى نضــج عقله وتفتق ذهنــه ، وسعة معرفته وانطلاق لسانه ، ويبــدو من اقــوال الرواة أنه كان معتزا بعلمه تياها بصناعته كما يبــدو أيضا انه كان شرس الأخــلاق نابى الالفــاظ ممــا جعله فاجرا فى خصومته للعرب . مجاهــرا بعــداوته لهم حتى قرن اسمه بالشعوبية كما أسلفنا ، يتجلى ذلك فى موقفه من احمد(٣٦١) بن أبى خالــد وزير المــأمون الذى سمع بعلمه وفصاحته فاستقدمه ليكتب لــه . وذات يوم دخل عليه الوزير فقام اليه جميع الحاضرين ســواه فقال : ما أســوا أدب هــذا الوراق ، وسمعه علان فقال : كيف أنسب أنا الى سوء الأدب ، ومتى تتعلم الآداب وأنا معدنها ؟ ولمــاذا أردت منى القيــام لك ولم آتك مستسمحا لك ولا راغبا ولا طائبا منك ، وانما رغبت الى أن آتيك فأكتب عندك فجئتك لحاجتى الى ما آخــذه من الأجر ، وقــد كنت بغير هــذا منك أولى(٣٦٢) .

يقول الألوسى : « ثم نشأ غيلان الشعوبى وكان زنديقــا ثنويا فعمل لطــاهر ابن الحسين كتابا خارجا عن الاسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشــم وذكر مناكحهم وأمهاتهم . ثم بطــون قريش ثم ســائر العرب ونسب اليهم كل زور ووضــع عليهم كل افــك وبهتان »(٣٦٣) هكذا كان الموالى فى هــذا العصر ، عصر التأليف والتدوين يضعون على العرب ما يشاءون من القصص والسير والأخبــار ، وينسبون اليهم

---

(٣٥٨) د. بديع شريف (محمــد) : (**الصراع بين العــرب والموالى**) (طبعــة القــاهرة ١٩٥٤ م) ص ٤٤ .

(٣٥٩) ابن النــديم : الفهرســت ص ١٠٥ .

(٣٦٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ١٩١ .

(٣٦١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣٦٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

(٣٦٣) الألوسى . محمود شكرى البغــدادى : (**بلوغ الأرب فى معرفة أحــوال العرب**) . شرح وتصحيح محمد بهجت الأثرى . (المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م) جـ ١ ص ١٦١ .

ما ينسبون من المثالب والمعايب وقد ساعدهم على ذلك أن الدولة دولتهم وانهم أصحاب النفوذ فيها بيدهم مقاليد الأمور ، وبيدهم زمام العلم والأدب(٣٦٤) .

ونعود فنقول : أين ذهبت هذه الكتب ، كتب المثالب والمعايب التى أفردتها الشعوبية للنيل من العرب ؟ لقد اندثرت وبادت ولم يبق منها سوى أسمائها فى كتب الطبقات كمعجم الأدباء والفهرست ووفيات الأعيان . كما لم يبق منها الانتف قليلة مفرقة فى كتب الأدب كالبيان والتبيين ، والبخلاء ، والعقد الفريد ، وكتاب العرب لابن قتيبة .

(ب) الفضل بن سهل :

فيما يروى الجهشيارى عن الفضل بن سهل ما يدل على أنهم — الى حد ما — كانوا اكاسرة فى قلب الدولة العباسية استمع اليه يقول : « كان الفضل بن سهل ابن زاد انفروح — ذو الرياستين — يجلس على كرسى مجنح ، ويحمل فيه اذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه . فاذا وقعت وضع الكرسى ونزل عنه فمشى وحمل الكرسى حتى يوضع بين يدى المأمون . ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه . وانما ذهب ذو الرياستين فى ذلك مذهب الأكاسرة »(٣٦٥) . وما سمى الفضل بن سهل بذى الرياستين الا لجمعه بين رئاستى السيف والقلم(٣٦٦) . هكذا نال الفضل بن سهل منزلة عالية لدى المأمون وكان من المقربين لدى الخلفاء .

وكان من الذين قاموا بالترجمة من الفارسية الى العربية الفضل بن سهل صبغة البرامكة . وقد ترجم ليحيى كتابا من الفارسية لم يعرف عنه شىء غير أن يحيى أعجب بترجمته وجودة عبارته ، وأهل هذا الكتاب الفضل أن يكون من رجالهم المقربين ، وظل ملازما للفضل بن جعفر حتى نكبتهم ، ثم لزم المأمون فكان البرامكة يعلقون عليه آمالا كبيرة(٣٦٧) .

---

(٣٦٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٦٩ .

(٣٦٥) الجهشيارى : **الوزراء والكتاب** ص ٣١٦ .

(٣٦٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٣٦٨ .

(٣٦٧) د. محمد محمود الدش : (**أبو العتاهية**) . (دار المعارف بمصر — القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م)ص ٧١ .

ومن هـؤلاء التراجمة — صنائع البرامكة ابان بن عبد الحميد اللاحقى وقد وثق به البرامكة الى درجـة أنهم وكلوا اليه امتحان الشعراء وقصائدهم التى كانوا يقصـدون عنايتهم بهـا وقـد ترجم ابان جملة ممتازة من كتب الفرس مثل تاريخ مزدك أردشير وكتابا عن بوذا وغير ذلك ؛ كما ترجم كتاب كليلة ودمنة ونظمه شـعرا ليسهل حفظه عى جعفر بن يحيى البرمكى . وعرف ابان بأنه كان ماجنـا زنديقـا مانويا[368] . ويروى أنه أشير عليه بأن يؤلف كتابا فى العبادات . وقـد فعل ووضعه نظمـا .

ويرتبط أول آثار الترجمة لعبد الله بن المقفـع ، أحـد الموالى الفرس وكان زرادشتيا فى الأصـل غير أنه أعلن اسلامه أمام أحـد أخـوة محمد بن على والـد السفاح ، وأصبح كاتبا لـه ، ولقـد تجرأ عبد الله ، أثناء حماية مولاه لـه — على التفـود بملاحظات هازئة وقحـة على الموظفين العرب الكبار خصوصا على سـفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة والى البصرة .

ويبـدو أن الرجال ذوى الأصول العربية كانوا يحتلون مراكز سياسية فى أوائل حكم العباسيين كما كانوا يتقبلون الاهانات التى تصـدر من الموظفين السابقين[369] .

وفى خلافة المنصور وبنـاء على أوامره ، ترجمت كثير من الكتب اليـونانية والسريانية والفارسية الى العربية ، وكانت الكتب السريانية والفارسية مترجمـة بدورها عن اليونانية والسنسكريتية . وأشهر أثر لابن المقفع هـو ترجمة كليلة ودمنة أو خرافات بيـدبا من الفارسية القـديمة التى كانت مترجمة بدورها من السنسكريتية وترجمة ابن المقفع الى العربية تعتبر بشكل عام مثالا يحتذى فى النثر العربى . أما الأصـل الفارسى فمفقود . غير أن ترجمة سريانية عنها للمبشر النسطورى بودح يعـود تاريخها حـوالى سـنة ٥٧٠ م ، لا تزال موجـودة وقـد نشرها BICKELAND BENFEY سنة ١٨٧٦ م . ثم عاش ابن المقفع فى عهـد المنصـور ، ويذكر أنه فى تلك الفترة[370] تمت كثير من الترجمات العـديدة من كتب أرسـطو

---

(٣٦٨) د. بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣٦٩) أوليرى : (**الفكر العربى ومكانه فى التاريخ**) ترجمة د. تمـام حسان (دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦١ م) ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣٧٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

ولكتاب المجستى لبطليموس وكتاب أقليدس ومؤلفات أخرى عن اليونانية لجورجيس .

فقد ارسل ليرافق جعفر البرمكى سنة ١٧٥ م وكان أثيرا لدى هارون الرشيد وقد كتب مقدمة فى المنطق ورسالة للمأمون فى الأغذية والأشربة وكتابا فى الطب استند فيه على ديقورس وجالينوس وبولس الأجنبى ثم خلاصات طبية أخرى . ورسالة فى العطور وكتب أخرى[٣٧١] .

(د) سهل بن هارون :

أبو عمرو سهل بن هارون بن رهبون فارسى الأصل[٣٧٢] شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب . فهو الدستميسانى[٣٧٣] مولدا ، انتقل الى البصرة فى منتصف القرن الثانى للهجرة وهى اذ ذاك كعبة العلم والعلماء ، ومنتدى الأدب والأدباء تزخر بالثقافة كما تزخر بثقافة الفرس والهند والروم ... استقر به المقام أخيرا فى بغداد بعد أن طوف فى أفاق العراق والشام فى رحلاته العديدة التى عاد منها كامل العقل تام النضج واذ قد نشأ فى أزهى عصور الدولة وأخصب بقاع الأدب والثقافة ، فقد كان ثمرة ناضجة من ثمار هذه البيئة العلمية التى أحاطت به .. فضلا عما ورثه عن آبائه الفرس من حكمة وسياسة .

كان البرامكة يعتمدون على الفرس فى سياستهم أمور الدولة ، وقد جرهم ذلك الى احتضان الكتاب اللامعين منهم ، وكان من أبرزهم « أبو عمر سهل بن هارون » ومن هنا كان وثيق الصلة بهم شديد الميل اليهم فلما حلت بهم المأساة خشى على نفسه أن تضمه القائمة — كما يقول الأستاذ كرد على —[٣٧٤] . الا أن الرشيد لحاجته اليه قد آمنه على نفسه وجعله على دواوين الخلافة بدل يحيى[٣٧٥] .

---

(٣٧١) أوليرى : الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص ٩٧ .

(٣٧٢) ابن نباته : سرح العيون ص ١٦٥ .

(٣٧٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٤) محمد كرد على : (**أمراء البيان**) . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥٠ م) جـ ١ ص ١٦٩ .

(٣٧٥) ابن عبد ربه : (**العقد الفريد**) تحقيق أحمد أمين وآخرون ، (لجنة التأليف والترجة والنشر ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٧٠ .

واذا كان من صنائع البرامكة فطبيعي ألا ترى له ذكرا في أيام الأمين وطبيعي أيضا أن نراه نابه الذكر ساطع النجم في عهد المأمون فكان من المختصين بخدمته فجعله أمينا على كتب الحكمة[٣٧٦] .

ولما كان مثل هذا العمل في حاجة الى جهابذة العلماء والأدباء والمترجمين فقد حشد له القوى وجعل عليه سهل بن هارون[٣٧٧] ومن ثم فقد عاش هذا الكاتب في هذا الجو العلمي الخالص الذى جعل منه عالما ضليعا وكاتبا بليغا . ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ واشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الادبية . جمع سهل بين الخطابة والكتابة والشعر الا ان بلاغة العلم عنده كانت أسمى من بلاغة اللسان وان أفصح كل منهما عن حصافة عقله ، وسداد رأيه وسلامة منطقه[٣٧٨] .

يقول الجاحظ[٣٧٩] : « ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة ، سهل بن هارون بن رهبون الكاتب صاحب كتاب « ثعلة وعفراء » في معارضة كليلة ودمنة وكتاب الأخوان وكتاب الرسائل وغير ذلك من الكتب » . كما كان سهل بن هارون علوى المذهب ميالا الى الاعتزال كغيره من شيعة العراق في عصره ، وكان أيضا فارسى النزعة متعصبا[٣٨٠] على العرب ، على الرغم من محاولة الأستاذ كرد علي على تبرئته من هذه النزعة الشعوبية .

فابن النديم يقول عنه : « كان حكيما فارسى الأصل شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب »[٣٨١] .

ويقول ياقوت الحموى في معجمه عنه : « كان حكيما شعوبيا يتعصب للعجم على العرب شديدا في ذلك »[٣٨٢] .

---

(٣٧٦) ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧ .

(٣٧٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٨) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية في الأدب العربى ص ٤١٧ .

(٣٧٩) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٥٢ .

(٣٨٠) محمد فريد وجدى : (**دائرة معارف القرن العشرين**) (بغداد مكتبة دار البيان ط ١٠٤ ، ١٩٦٧ م) جـ ١ ص ٥٠٥ .

(٣٨١) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٠ .

(٣٨٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٦٦ .

أما صاحب فوات الوفيات فيقول : « سهل بن هارون فارسى الأصل شعوبى المذهب شديد التعصب على العرب »(٣٨٣) .

على أن هذه العصبية قد تجلت فى أدبه شعرا ونثرا . فمن شعره فى الفخر بقومه والتطاول بهم على العرب :

يا أهل « ميسان » السلام عليكم طيبون الفرع والجذم
أما الوجوه ففضة مزجت ذهبا أيد سحه هضم
أتريد (كلب) أن اناسبها قد قل من كليب العلم
أجهلت بيتا فوق رابية فرع النجوم كأنه نجم
كم بيت شعر وسط مجهلة بفنائه الجعلان والبهم(٣٨٤)

لكن دلائل كثيرة تدل على أنه كان مثقفا ثقافة ممتازة يجمع معارف عصره وأنه كان أحد النقلة من لسانه الفارسى الى العربية(٣٨٥) . فأهميته لا ترجع الى ما ترجم بل ترجع الى ما صنف وألف . ومن أجل ذلك كان يختلف عن ابن المقفع ، فابن المقفع أهميته الأولى فى تاريخ الفكر العربى ، انما ترجع الى أنه كان مترجما وأنه مرن أساليب اللغة العربية على حمل الثقافات الأجنبية ، أما سهل فكان أديبا تبدو شخصيته فيما يؤلف ويدبج ويحبر ، ومن بديع تشبيهه قوله : « القلم لسان الضمير اذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره » وقوله : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم »(٣٨٦) .

وهكذا فان من أسباب تقدم الحياة الثقافية فى بغداد جعل حركة النقل والترجمة على أيدى الموالى الذين حظوا برعاية الخلفاء العباسيين وقدروا ذوى المواهب منهم ، وبذلك أتيحت لهم الفرص لابراز مقدرتهم العلمية ، وكان لمعرفتهم باللغات الأجنبية خصوصا اليونانية والسريانية سببا فى اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم فى حركة الترجمة الى اللغة العربية(٣٨٧) .

---

(٣٨٣) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج ١ ص ٣٦٨ .
(٣٨٤) الحصرى : (**زهر الآداب وثمر الألباب**) تحقيق د. زكى مبارك (المكتبة التجارية – القاهرة ١٩٢٥ م) ج ٢ ص ٢٨٢ .
(٣٨٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٩ .
(٣٨٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨ .
(٣٨٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٤٠ .

ثالثا ــ دور المترجمين فى تنشيط حركة التأليف والترجمة :

لم يكن الخلفاء وحــدهم يباشرون حركة الترجمة والتأليف ، وينفقون عليهـا بل جاراهم فى ذلك كبار رجال الدولة مثل البرامكة وبنـو سـهل ومن ابرز من عنى بالترجمــة فى بغـــداد :

(أ) أولاد شــاكر « أحمــد ومحمــد والحسن » :

كانت لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القــديمة وكتب الأوائل ، وأفنوا أنفسهم فى شأنها وأنفــذوا الى بلاد الروم من اشتراها لهم واحضروا النقلة من الأصــقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب الحكمة وأهم العلوم التى عنــوا بترجمتها الهندسة والموسيقى والنجوم والفلسفة[388] .

وكان فرع الطب أهم العلوم التى عنى المترجمون بترجمته ، وأكثر ما عنوا به بعــد الطب الحكمة ، اى القصص الجميلة ذات المغزى الخلقى والنوادر أو الأقــوال الحكيمة ، وكان يترجم هــؤلاء العلماء ما يعجبنا نحن ، اذ كانوا يعجبون بهـــذه الأقــوال ويجمعونها لمــا تحـــويه من حكمة أو لجمال أسلوبها وحسن غرضها[389] .

كما كان بنــو موسى بن شاكر من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولمــا علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مــع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيــل والموسيقى ، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها ، وممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم ، وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصاد[390] وجدير بالذكر أن أبناء موسى

---

(٣٨٨) ابن خلكان : وفيــات الاعيــان ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٣٨٩) نيبــور : تاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ٣١ .

(٣٩٠) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٨٣ .

ابن شاكر الثلاثة كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة خمسمائة دينار للنقل والملازمة(٣٩١) .

ذكر ياقوت الحموى فى معجمه : « انه كان لحنين بن اســـحاق الطبيب المسيحى نساخ ذكر منهم محمد بن الحسن بن دينار قائلا أنه كان وراقا يورق لحنين المتطبب فى منقولاته لعلوم الأوائل »(٣٩٢) ويذكر ابن أبى أصيبعة(٣٩٣) : أنه كان لحنين كاتب يعرف بالأزرق ، وأضاف ابن أبى أصيبعة قـــوله : وقـــد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينـــوس وغيره بخطـــه .

واشتهرت بعض المكتبات الخاصة بالحرص على النقـــل والترجمة ، ومن هـــذه مكتبة بنى شـــاكر وأولاده كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمـــل فى مكتبتهم ومنهم حبيش بن الحسن وثابت بن قرة(٣٩٤) .

وقـــد أولع أهـــل ذلك العصر بمـــا أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على تنشيط حركة النقـــل والترجمة والتأليف ، وممن عنى باخراج الكتب محمد وأحمد والحسن بنـــو موسى بن شـــاكر ، وهؤلاء القوم ممن تناهى فى طلب العلوم القـــديمة ، وبذل فيها الرغائب وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفـــذوا الى بلاد الروم من أخرجها اليهم ، فأحضروا المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القـــديمة . ولم يتوانوا عن دفـــع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها الى بيوتهم قرب باب التاج . وفى الدار التى قـــدمها لهم المتوكل على مقربة من قصره فى سامراء كان يعمل دون وســـطاء فريق كبير من المترجمين من أنحاء البلاد تماما . كما كان يفعل المـــأمون بالذات الذى كان يوفـــد الرســـل أيضا بحثا عن المخطوطات القـــديمة للمترجمين والنقلة من كبار العلماء الذين ساهموا عند بنى موسى فى دفـــع عجلة الحكمة الى الأمـــــام(٣٩٥) .

كذلك انقطع محمد بن موسى الخوارزمى الى خزانة الحكمة للمـــأمون وهـــو

---

(٣٩١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ١٨٧ .
(٣٩٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٧ ص ٤٨٢ .
(٣٩٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ١٨٧ .
(٣٩٤) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٣٠ ، ٣١ .
(٣٩٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٤ .

من أصحاب علوم الهيئة(٣٩٦) . ووجـــه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقــلوا الذخائر الأجنبية للسان العربي وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك . فاغـــدق عليه الواثق نعما متوالية وخيرا وفيرا ، وفى احـــدى المرات أعطـــــاه دراهم تساوى(٣٩٧) ٣٠٠,٠٠٠ روبية . وكان عطاء محمد بن عبد الملك الزيات للنقلة(٣٩٨) والنسـاخ فى كل شـــهر ٢٠٠٠ دينـــار .

توقف نشاط الترجمة بعـــد الواثق ولم يعـــد من السهل أن يجـــد الباحث ذكرا للمترجمين فى المكتبات العامة أو الخاصة . ولعل السبب فى ذلك أن النشاط الكبير الذى حظيت به الترجمة من قبل قـــد نقـــل الى اللغـــة العربية أمهات الكتب فى الفنون الجميلة أو أن المسلمين بعـــد أن اطلعوا على ما ترجم فى بيت الحكمة وما عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجـــوا بلغتهم ثقافة وعلما وفلسفة كانت مجالا لنشاطهم العلمى فى العهود التالية(٣٩٩) .

ويبـــدو أن البعثة التى كانت تتكون من طـــوائف ثلاث بعثت الكتب الفلسفية يرأسها يوحنا بن البطريق ، وكان فيلسوفا أكثر منه طبيبا(٤٠٠) وقـــد تولى ترجمة كتب ارسطو خاصة . فأخرج ترجمة قصـــة طيماوس لأفلاطـــون وأنه ترجم أيضـــا كتاب الحيوان وأجزاء مأخـــوذة من كتاب النفس وترجم كتابه فى العالم(٤٠١) .

وهناك طائفة الكتب الفلكية والرياضية ويرأسها الحجاج بن مطر وكان مختصا فى هـــذا الفرع وهـــو الذى نقل المجستى وأقليدس ، وطائفة من الكتب الطبية برئاسة يوحنا بن ماسويه(٤٠٢) وبهـــذا عادت هـــذه البعثة محملة بكتب تشمل علوما مختلفة .

أما قسطا بن لوقا البعلبكى توفى حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢ م ، مسيحى النحلة ، من أصـــل يونانى . ولذا يعـــد(٤٠٣) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان لـــه ولـــع

---

(٣٩٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٩٧ .

(٣٩٧) Khuda Bukhsh : Islamic Civilization, p. 269.

(٣٩٨) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٣٩٩) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٦٣ .

(٤٠٠) ابن القفطى : اخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٧٩ .

(٤٠١) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٧٦ .

(٤٠٢) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٤٠٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٣٠ .

بالعــدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهرا فى الطب . وقــد ذكر ابن العبرى انه « دخــل الى بلاد الروم ، وحصل من تصـــانيفهم الكثير وعاد الى الشــام »(٤٠٤) .

كما ذكر ابن القفطى انه : « استدعى الى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونانى الى لسان العرب »(٤٠٥) . كما أسند اليه الاشراف على ترجمة المراجــع الاغريقية فى بغــداد(٤٠٦) كان قسطا جيد النقل لأنه كان فصيحا باللغـــة اليونانية جيد العبارة العربية(٤٠٧) ويشير ماكس مايرهوف الى ما نقله فيقول : « انه ترجم كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم الى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة أو منحــولة »(٤٠٨) .

وقــد أصلح قسطا نقولا كثيرة(٤٠٩) كما الف « رسالة قصــيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اليونانية ، وبقيت الى أيامنا وقــد ذكرها الباحثـــون وانتفعوا بها »(٤١٠) ولم تؤثر الثقافة اليــونانية فى العرب الا عن طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وقــد عرفوا شيئا عن أطــوار الفلسفة اليونانية ، ولـــكن هــذه المعرفة كانت مشوبة بأساطير كثيرة .

وكان لاقــدام المــأمون كخليفة على ترجمة كتب الفلسفة أثر فى نفوس الأثرياء من رعيته ، فاحتذى بعضهم حــذوه فى طلب كتبها والاغــداق على مترجميها ، ومن هــذا البعض بنــو موسى بن شـــاكر فى القرن الثالث الهجرى ويروى : « أن عيسى ابن يحيى قــد ترجم لأحمد بن شاكر كتاب الأخلاق لأبو قراط »(٤١١) .

وهناك أيضا عمر بن الفرخان الطبرى(٤١٢) أحــد رؤساء الترجمة والمحققين

---

(٤٠٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٩ .

(٤٠٥) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٧٣ .

(٤٠٦) د. ابراهيم العــدوى : (**الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم**) (القــاهرة ١٩٥٨ م) ص ١٧٠ .

(٤٠٧) ابن النــديم : الفهرســت ص ٤٢٤ .

(٤٠٨) ماكس مايرهــوف : من الاسكندرية الى بغــداد ص ٥٩ .

(٤٠٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقــات الأطباء ج ١ ص ٢٤٤ .

(٤١٠) ديبــور : تاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ٢٤ ، ٣١ .

(٤١١) قــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٩٧ .

بعلم حركات النجوم واحكامها استدعاه الفضل بن سهل — وزير المأمون — ووصله بالخليفة المأمون . فترجم له كتبا كثيرة والف كتبا كثيرة فى النجوم وغيرها من فنون الفلسفة . ومن ذلك انه فسر كتب الأربعة لبطليموس ونقلها له البطريق أبو يحيى ابن البطريق وله من الكتب : كتاب المحاسن وكتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم خطوط الكواكب . فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب ، يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة .

كان حنين بن اسحاق العبادى من الذين خدموا فى بيت الحكمة فقد كان يعمل بين يديه عدة تراجمة ، تولاه فى زمن المتوكل فسعى فى توسيعه وترجم هو ومن يشتغل بين يديه كتبا عديدة فى الطب والفلسفة والمنطق . وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة بنى موسى بن شاكر السالف ذكرهم[٤١٣] والى جانب هؤلاء المترجمين تفتحت فى بيت بنى موسى عبقرية خلاقة احتلت فيما بعد مركزا مرموقا بين العلماء العرب ونعنى به الفتى ثابت بن قرة احد اتباع الصابئة وهو ممن اكتشفهم محمد وكان ذلك فى سفرة قام بها الى بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، بحثا عن المخطوطات القديمة وفى ايامه مر « بحران » والتقى صدفة « كفرتوما » صبيا بارعا ذكيا ، وكان هذا الصبى بارعا فى علم الحساب متضلعا فى الترجمة ، فاصطحبه محمد معه الى بغداد وأدخله داره ليطلب العلم ، ثم تعرف الخليفة المعتضد على النابغة الصابئى فقربه منه وفضله على غيره من العلماء[٤١٤] .

وترجم ثابت بن قرة لبنى موسى عددا كبيرا من الأعمال الفلكية والرياضية لأبو لونيوس (APOLLONIUS) وأرخميدس (ARCHIMEDES) واقليدس EUKLICS وتيود وسيوس (HTEODOSIUS) وأرسطوطاليس (ARISTOTELAS) وافلاطون (PLATON) وجالينوس (GALENO) وأبو قراط (HIPOKRATES) وبطليموس POTALEMOUS) : كما انه صحح ترجمات حنين بن اسحاق وولده ثم شرع فى وضع مؤلفات ضخمة فوضع مائة وخمسين مؤلفا عربيا وعشرة مؤلفات باللغة السنسكريتية فى الفلك والرياضيات والطب فتبوأ المحل الأول بين العلماء المسلمين ليس فى زمانه بل فى مختلف الأزمان[٤١٥] .

---

(٤١٢) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٧٨ .

(٤١٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ ، ١٠٢ ، ١١٧ .

(٤١٤) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٢٥ .

(٤١٥) المرجع نفسه ص ١٢٦ .

وقام ثابت بن قرة بترجمة المجستى لبطليموس الذى طــور الجبر وكان أول من أدرك انطباقه على الهندسة وكان حساب المثلثات هــو فرع من الرياضيات التى اهتم بها العرب أشـــد الاهتمام(٤١٦) .

ومن هؤلاء ثابت بن قرة ولـــد سنة ٢٢١ هـ بحران(٤١٧) وتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، كان من الصابئين(٤١٨) من أهـــل حران ، وقـــد تناهت اليه زعامتهم ويقول كوير يونج أنه كان « زعيم طائفة عبدة النجـــوم التى ازدهرت فى حران »(٤١٩) . وقـــد عمل فى مبدأ أمره صرافا بسوق حران ثم انتقل الى بغـــداد للخلاف بينه وبين أبنـــــاء دينـــه(٤٢٠) . ثم اشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع(٤٢١) ، وفى كفرتوما التقى بمحمد ابن موسى الخوارزمى لدى رجـــوعه من بلاد الروم فأعجب هـــذا بفصاحته وذكائه ، فاصطحبه معه الى بغداد ووصله بالخليفة المعتضد فأدخله فى جملة المنجمين(٤٢٢) .

وقـــد اشتغل ثابت بن قرة بعلوم الأوائل فمهر فيها ، وأعانته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هى الاغريقية والسريانية والعربية ، وغلب عليه الاتجـــــاه الفلسفى والرياضى ، ولعل ذلك يرجع الى ما اشتهر به الصابئة عامة فى هذه العلوم .

يقول صاعد الأندلسى(٤٢٣) عنه : « أنه فيلسوف متوسع فى العـــلم متفنن فى ضروب الحكم ، متقلـــد لجوامع الفلسفة لـــه تآليف حسنة فى المنطق والعـــــدد والهندسة والنجـــوم وغير ذلك » .

---

(٤١٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤١٧) حران : بلـده بالجزيرة بين دجـلة والفرات .

(٤١٨) البيهقى : **تاريخ حكماء الاسلام** ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ص ١٩ رقم ٣٦٦ تاريخ . ومطبوع بعنوان تتمة صوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيع ، طبعة لاهـور ١٣٥٠ هـ .

(٤١٩) د. محمد خلف الله : (**أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية**) ، القاهرة من كتاب « الثقـافة الاسلامية والحياة المعاصرة » ص ٢٥٢ .

(٤٢٠) ماكس مايرهـوف : من الاســــكندرية الى بغـداد ص ٧٢ اقرأ ذلك يقـــول القفطى : اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لمـــــا انصرف من بلاد الروم لانه رآه فصـيحا . بأخبـــار العلمـــاء بأخبـار الحكمـاء ص ٨١ .

(٤٢١) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ١٠٠ .

(٤٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٥ .

(٤٢٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤١ .

وقــد بلغت تآليفـــه مقـــدار عشرين(٤٢٤) تأليفا ومن الكتب التى الفها بالسريانية كتابه فى السكون بين حركتى الشريان(٤٢٥) . وقــد نقله الى العربية عيسى بن أسيد وأصـــلح ثابت العربى .

كان المعتضد يقول : أنه كان يحترم العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويجلهم ويغــدق عليهم العطايا . فقــد روى أنه لمــا تقلــد الخلافة أقطع ثابتا وغـــيره الضياع الجليلة . وممــا يدل على تقــديره مواهب ثابت وفضله أنه كان يجلس بحضرته فى كل وقــت ويحـــادثه ويضاحكه(٤٢٦) ، وكان الغالب عليه الرياضـــيات والفلسفة وهـــو الذى أدخــل رياسة الصابئة فى العراق .

كان ثابت من ألمع علماء عصره ، ومن الذين تركوا مآثر ترجمة فى بعض العـــلوم وكان يحسن السريانية واليونانية والعربية ، جيد النقل للعربية(٤٢٧) ، كما كان من أعظم المترجمين وأعظم من عرف فى مدرسة حران فى العالم العربى ، وقــد ترجم كتبا كثيرة من علوم الاقــدمين فى الرياضيات والمنطق والطب(٤٢٨) .

ويعــد البيهقى من تصانيفه كتاب الذخيرة(٤٢٩) وهـــو كتاب نادر فى الطب وهو عربى جيد . ويستدل ممـــا أورده القفطى(٤٣٠) من كتب ثابت انه كان على قـــدر كبير من النشاط اذ انه لم يترك ناحية من نواحى معارف عصره الا وألف فيها كتبا أو أصلح فيها ترجمة أو نقــل فيها شيئا رآه جـــديرا بالنقل .

لقـــد ذكر ماكس مايرهوف(٤٣١) أن ثابت بن قرة قـــد اصلح عـــددا كبيرا من ترجمات اسحاق بن حنين الفلسفية والرياضـــية ويوجـــــد حتى اليوم عـــدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحا لهـــا . ومن الترجمات التى أصلحها النسخة التى نقلها اسحاق بن حنين من المجستى بطليموس الى العربى

---

(٤٢٤) ابن خلكان : وفيـات الأعيـــان جـ ١ ص ١٢٥ .

(٤٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢١٨ .

(٤٢٦) د. أحمد فؤاد الأهوانى : فيلسوف العرب الكندى ص ٦١ .

(٤٢٧) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

(٤٢٨) المرجـع نفســه ص ١٩٧ .

(٤٢٩) البيهقى : تاريخ حكماء الاسـلام ص ٢١ .

(٤٣٠) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٨١ ، ٨٤ .

(٤٣١) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٩ .

ثم انه نقــل هــذا الكتاب نقــلا جيدا . واصلحه واوضحه . كما أنه اختصر جزءا كبيرا منـــه .

وثمـــة ثلاثة كتب علمية لأبو لوقوس (APPOLONIUS) أنقــذها ثابت بن قرة الطبيب وعالم الرياضيات الكبير الذى عمل مـــع ولــد حنين بن اسحاق وابنـــه وابنة أخيه المبرز النبيــه فى مدارسة الأستاذين تلاميذه ولم يمت حنين الا وقــد أتم ترجمة أغلب أعمال الكلاسيكيين(٤٣٢) وبهــذا حمل المترجمون العرب آثار القــدماء من الضياع والزوال ، فكثير من المخطوطات لولا العرب ما عرفنا اليوم عنها شيئا ككتاب جالينوس فى التشريحومخطوطات HERON وفيــلون PHILO وميثلاس فى الميكانيكا والرياضيات وبطليموس (POTALEMOUS) فى البصريات ومخطوطة لأقليـــدس فى علم التوازن ، ومخطوطة فى « ساعة المـــاء » وقانون العوم لأرخميدس(٤٣٣) .

ودفعت ثمنا للكتب ــ كل عام ــ ملايين وملايين فلقــد خصصت مكتبـــة النظامية وهى المدرسة العليا الشهيرة ببغداد سنويا ما يعادل مليونا ونصف مليون من الفرنكات لشراء الكتب والمخطوطات . وفتحت اللهفـــة على اقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف من البشر لكسب عيشهم ، فأصبح النساخ والخطاطــون فنانين مهرة فى فنهم . ووظفت كل مكتبة أو متجر للكتب عـــددا من هـــؤلاء فكان أغلبهم من الطلبة ، وانصاف المتعلمين أرادوا عن هــــذا الطريق كسب رزقهم . فالعلوم والآداب كانت هـــواياتهم ، كما يعشق الناس اليوم لعب الكرة ، وكان ينظر لمن يساهم فى تلك النهضة نظرة فيها الكثير من الازدراء(٤٣٤) .

ان انتشار المعارف العلمية على نطاق واسع قــد أدى الى وضع تعليقـــات، ومؤلفات مهمة لكبار العلماء والنقلة فأصلح ثابت عـــددا كبيرا من ترجمات حنين بن اسحاق فى الفلسفة والرياضيات كما يوجـــد عـــدد من المخطوطات العربية عليهـــا تعليقـــاته وتصحيحـــاته(٤٣٥) .

ومع هــــذا فان معظم من ذكرنا أسماءهم نقـــلة ، كما كان لهم فى الوقت نفســـه

---

(٤٣٢) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٤ .

(٤٣٣) المرجـع نفسـه ص ٣٨٤ .

(٤٣٤) زيغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٩ ، ٣٩٢ .

(٤٣٥) د. عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

تفكيرهم المستقل ورأيهم الخاص ؛ فلم يكن حنين أو ابنه اسحاق أو ثابت بن قرة[٤٣٦] أو قسطا بن لوقا مجرد مترجمين ، بل كانوا يلخصون أو يضيفون من عندهم تفسيرا جديدا . أو يخطون خطوة جديدة تضاف الى العلم . وكذلك كان الكندى فهو ان عد فى جملة المترجمين ، فقد كان يصقل الترجمات ويلخصها ويبرزها فى ثوب جديد . فيصبح لها بعد أن يتمثلها طابع كندى متميز[٤٣٧] .

نستطيع أن نقول ان عصر الترجمة هو تنشيط لحركة التأليف بل هو عصر انتاج وابتكار اثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم وتراث اليونان المدرسى وهضمه ؛ بل حولوا التراثين لحاجتهم الخاصة وطرق تفكيرهم . واضافوا اليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه . وقد ظهرت مآثرهم فى الطب والفلسفة لكنها تجلت بنوع خاص فى الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا . بل لقد تفردوا عربا ومسلمين بمذهب فى البحث والابتكار فى ميادين الشريعة وعلوم الدين وفقه اللغة وعلومها . فان حركة النقل فى تاريخ الثقافة لا تقل أهمية عن حركة الابتكار نفسها . فلو أن ابحاث أرسطو وجالينوس وبطليموس فقدت لكان العالم فى افتقاره اليها بالوضع نفسه كما لو كانت غير موجودة[٤٣٨] .

---

(٤٣٦) انه ألف بالعربية حوالى ١٥٠ بحثا فى المنطق والرياضيات والفلك والطب . وكتب بالسريانية ١٥ بحثا آخر : أوليرى ، مسالك الثقافة الاغريقية ص ٢٦٠ .

(٤٣٧) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٢ .

(٤٣٨) حسنى أحمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها وآثارها ص ٤٦ .

رابعا ـ ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية :

فى وسعنا بعـد هـذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر على حركة الترجمة أن نتبين أن النقـل كان يحـدث أما من السريانية الى العربية مباشرة ، وأما من اليونانية الى السريانية ومنها الى العربية(٤٣٩) .

ومما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحـدث كانت تعـد فى الوقت الذى كانت تبـدأ فيه الترجمات العربية . وقـد دامت الترجمة الى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور(٤٤٠) . أى أن عمـل الترجمة كان من شقين ، فقـد كانت توضـع الترجمات فى العربية وفى السريانية على السواء ، وهـذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس . ويذهب ماكس مايرهوف الى أن« الترجمة فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كانت غالبا الى السريانية وفى النصـف الثانى ازدادت حركة الترجمة الى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا باصـلاح التراجم القـديمة(٤٤١) .

وقـد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا ، يقـول ديبـور(٤٤٢) : « والذين اشتغلوا بنقـل كتب اليونان الى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون يكونون جميعا من السريان » .

يقول ماكس مايرهوف(٤٤٣) : « وكان هـؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية » . ويقول فيليب حتى(٤٤٤) « كان معظم المترجمين ممن يتكلمـون الآراميـة » .

هكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الاغريقية والعلوم الاغريقية والاسلام ، وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم ، وتمر بأقلامهم قبـل

---

(٤٣٩) د. أحمد عيسى : (**التهذيب فى أصـول التعريب**) . (مطبعة مصر ـ القاهرة ١٩٢٣ م) ص ٧٢ .

(٤٤٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤١ .

(٤٤١) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٨ .

(٤٤٢) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ٢٨ .

(٤٤٣) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٧ .

(٤٤٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطـول ج ٢ ص ٨٦ .

ان تصــــل الى العقل العربى ، وقـــد نقلت الكتب الطبية اولا عن طريق الترجمـــات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقــل ، ولكن الرجـــوع الى الأصول اليونانية راسا كان اسبق فى هـــذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهـــو ان الدقـــة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غـــاية من الأهميـــة(٤٤٥) .

وكان للتراجمة فى النقل طريقان أحـــدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهـــو أن ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقـــل الى الأخرى كذلك حتى يأتى على ما يريد تعريبـــه . وهـــذه الطريقة رديئة لوجهين أحـــدهما انه لا يوجـــد فى الكلمات العربية كلمات تقـــابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهـــذا وقـــع فى خلال هـــذا التعريب كثير من الألفـــاظ اليونانية على حالها . والثانى أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغـــة أخرى دائما . وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات . الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اســـحاق والجوهرى(٤٤٦) وغيرهما وهـــو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنـــه ، ويعبر عنها من اللغـــة الأخرى بجملة تطـــابقها ، ســـواء ســـاوت الألفـــاظ أم خالفتها وهـــذه الطريق أجـــــود(٤٤٧) .

يقول فيليب حتى « لمـــا كانت تعترض المترجمين قطع صعبة فى الأصـــل فانهم كانوا يعمـــدون الى الترجمة الحرفية ، فاذا لم يجـــدوا مرادفا عربيا كانوا يعمـــدون الى نقـــل اللفظ اليونانى بحروفه مـــع ادخال شىء من التحوير »(٤٤٨) . ومن ثم نجـــد كلمات مثل قاطيغورياس أى المقولات ، بارى أرمانياس أى العبارة . انالوطيقا أى تحليل القياس ، ريطـــوريقا أى الخطابة ، بوطيقا اى الشـــــعر ، ارثماطيقى أى الحســـــاب(٤٤٩) .

وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغـــة العربية كانت

---

(٤٤٥) أوليرى : علوم اليونان وسبل نقلها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٤٦) توفى حوالى سنة ٨٣٣ م — أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٢٨ .

(٤٤٧) د. أحمد عيسى : التهـذيب فى أصول التعريب ص ١١٣ .

(٤٤٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطـول ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٤٤٩) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٦١ . ٣٨٠ .

تفتقر الى المصطلحات الفنية التى يصطنعها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هى بحروف عربية ، ولكن هـــذه المصطلحات تدل فى أحيان كثيرة على انها مرت فى وسط آرامى « سريانى » فى طريقها الى العرب ، وهـــذه الظاهرة اكثر وضوحا فى الكتب الطبية منها فى الكتب الرياضية الفلكية(٤٥٠) .

يقول براجستراسر « ان حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه تجشما عناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقـــدر ما يستطاع من الوضـــوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها . لكن تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم ، ومع ذلك فان الانسان يخيل اليه أنها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغـــة ــ وحسن تصرف فى مذاهبها ــ ويتجلى هـــذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقـــة المتناهية فى التعبير مـــع الايجاز ، تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها »(٤٥١) .

لقـــد بذل السريان أقصى جهدهم فى الاحاطة بالتراث اليونانى ، فكانوا يجوبون الأقطار سعيا وراء استعمال الكتب التى وقعت تحت أيديهم . يقول حنين بن اسحاق عن كتاب « فى البرهان لجالينـــــوس » الذى كان نادر الوجـــود فى القرن الثالث الهجرى . « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت فى طلبه أرجاء العراق وســـوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أحظ الا بمـــا يقرب من نصفه فى دمشـــق »(٤٥٢) .

ولكن على الرغم من ذلك فلم يكن عمل السريان للثقافة اليونانية صحيحا كله ، كذلك لم يحل اتقان النقلة اليونانية والسريانية والعربية دون ظهور بعض المـــآخذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينا أنه الى جانب أولئك المترجمين الذين أشرنا اليهم . كان هناك فئات أخرى ممن ليست لديهم درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمـــة الصحيحة المؤدية لحقائق الأصـــل ومراميه .

يقول القفطى(٤٥٣) وهـــو يتحـــدث عن كتاب « الكون والفساد » لأرســـطو :

---

(٤٥٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥١) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين « المقـدمة » ص ٣٠ ترجمة ماكس مايرهوف .

(٤٥٢) المصـدر نفسـه ص ٢٩ .

(٤٥٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، وليحيى النحوى فى الكون والفساد شرح تام والعربى دون السريانى فى الجـودة ، الفهرسـت ص ٣٦٥ .

وقال أهـــل العلم بالسريانى أنه فوق العربى فى الجـــوده . ولا شك فى أن ناقله الى العربى قصر فى الترجمـــة .

وعندما تقـــدمت حركة الترجمة أحس المترجمون بمـــا كانوا قـــد وقعوا فيـــه من أخطاء . فأخـــذوا يعيدون النظر فيما نقـــل . ويتناولونه بالترجمة من جـــديد أو يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

يقول أوليرى : « وقـــد ادى الحرص على معلومات علمية دقيقة الى وضـــع ترجمات أكثر دقـــة أوالى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا »(٤٥٤) لعل ذلك يتضح فى قـــول حنين بن اسحاق فى رسالة لـــه الى على بن يحيى عن كتاب فى الفرق لجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لـــما بلغت الاربعين من عمرى طلب الى تلميذى حبيش أن أصلحها بعـــد اذ كنت قـــد جمعت قـــدرا من المخطوطات اليونانية ، عند ذلك رتبت هـــذه بحيث نسقت منها نسخة صـــحيحة قارنتهـــا بالنص السريانى ثم صـــــححتها ، وتلك عادتى التى اتبعتهـــا فى كل ما ترجمتـــــه(٤٥٥) .

كذلك يقول اسحاق « نقلت هـــذا الكتاب » كتاب النفس لأرســـطو « الى العربى من نسخة رديئـــة ، فلما كان بعـــد ثلاثين سنة وجـــدت نسخة فى نهـــاية الجـــودة فقابلت بها النقل الأول وهـــو شرح ثامسطيوس »(٤٥٦) .

وبديهى أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده الى تفاوتهم فى المعرفة باللغات المترجم منها واليها ، والى تمكنهم من المـــادة العلمية التى تعالجها من موضـــوعات الكتب التى يترجمـــونها .

يقـــول ابن أبى أصيبعة : « وجـــدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقـــد نقلها من الرومية الى السريانية سرجس المتطبب ،ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد الترجمـــان ، فلمـــا طابقتها وتأملت ألفاظها ، تبين لى بين نقلها وبين الستة عشرة التى هى نقـــل حنين تباين كثير . وتفاوت بين ، وأين الألكن من البليغ والثرى من الثريا ؟ !(٤٥٧) .

(٤٥٤) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين . المقدمة ص ٢٩ .

(٤٥٦) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٢٦٦ .

(٤٥٧) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١ ص ١٨٩ .

لقـد ترتب على تبـادل الكتاب الواحـد فى أيدى أكثر من مترجم أن ثارت الريبة حـول الكتب المنقولة ، ولم يعـد الناس يرتاحـون لهـا ويطمئنون اليها ، يقول الجاحظ : « ولا يزال الكتاب تداوله الأيدى الجانية والأغراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرفا ، وكذبا مصمتا فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالافساد وتتعاوره الخطاب بشر من ذلك أو بمثله »(٤٥٨) .

يقول براجستراسير : « ان لغـة كتاب العشر مقالات فى العين تشيع فيها بعض خـواص امتاز بها أسلوب حنين وحبيش ولكنه مكتوب بأسلوب عربى — وبربرى احيانا — ردىء بحيث لا يرجـع انحطاطه وسوقيته الى عبث الناسخين فحسب ، كذلك يظن أن الكتاب فى صورته التى هـو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجح أن حبيشا وسواه من تلاميذ حنين غيروه فأخرجوه عن أصله »(٤٥٩) .

ولا غرابة فى أن يشك الجاحظ فى ما تضمنته الكتب المترجمة ، ويثور القلق فى نفسه فلا يدعـه يصـدق ما يقوم المترجمون بنقله ، أو دافعه الى ذلك أن « الترجمان لا يؤدى ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده ، ولا يقـدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم »(٤٦٠) . هكذا اوجـد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره فى المترجمين ، فهم فى رأيه عاجزون عن التعبير عن المعانى الأصلية ، ولهـذا فهو يسلكهم فيمن لا يسلم بقولهم ، ولا يأخـذ بكلامهم « فكيف أسكن بعـد هـذا الى أخبار البحريين ، وأحاديث السماكين ، والى ما فى كتاب رجـل لعله أن لو وجـد هـذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ، ومن افساد معانيه لسوء ترجمته »(٤٦١) .

ولم يكن هناك بعـد وقـد عاب الجاحظ على التراجمة عجزهم عن نقـل المعـانى بدقـة فى ترجماتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على الكتب بأخـذ نفسه بهـذا العمـل .

وقـد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة(٤٦٢) « تتلخص فى معرفة دقيقة أصيلة

---

(٤٥٨) الجاحظ : الحيـوان ج ١ ص ٧٩ .

(٤٥٩) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين ، المقدمة ص ٦٣ .

(٤٦٠) الجاحظ : الحيـوان ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٤٦١) المصدر نفسه ج ٦ ص ١٩ .

(٤٦٢) د. طـه الحاجرى : (**تخريج نصوص أرسطوطالية فى كتاب الحيوان**) بحث فى مجلة كلية الآداب — جامعة الاسكندرية ، مجلد ٦ (١٩٥٢ م) .

محيطة بالموضوع . وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول اليها وهـو يقول ان من الواجب على من يعمل بالترجمة ان يكون فى العلم بمعانيها واستعمال تصاريف الفاظها ، وتأويلات مخارجها . مثل مؤلف الكتاب وواضعه » .

لقد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين . وأصبحت طيعة فى ايديهم . فكانت الفاظها الكثيرة من الوسائل التى اعانت على أداء المعانى وابرازها بكل دقة . يقول ابن سنان الخفاجى : « كانت اللغة العربية مع السعة والكثرة أخصر اللغات فى ايصال المعانى وفى النقل اليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل الى لغة العرب الا ويجيىء الثانى اقصر من الأول ، مع سلامة المعانى ، وبقائها على حالها . وهذه بلا شك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة . لأن الغرض فى الكلام ووضع اللغات بيان المعارف وكشفها .. وقد أخبرنى ابو داوود المطران — وهو عارف باللغتين العربية والسريانية — أنه اذا نقل الألفاظ الحسنة الى السريانى قبحت وخست واذا نقل الكلام المختار من السريانى الى العربى ازداد طلاوة وحسنا ، وهذا الذى ذكره صحيح »(٤٦٣) .

يرى ديبور انه : « ينبغى الا نعد هؤلاء النقلة من حملة الفلاسفة ذوى الشأن اذ كان يندر أن يتبل احدهم على الترجمة من تلقاء نفسه بل كان فى كل الأحوال تقريبا يعمل طاعة لخليفة او وزير أو رجل عظيم »(٤٦٤) . سهل العباسيون على الناس ان يقفوا على الكتب العلمية البارزة التى ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة فذلل الخلفاء للناس سبيل المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى انشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الأمم الأخرى والتى رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية(٤٦٥) .

ان المسلمين فى عصرهم الذهبى نقلوا الى لسانهم معظم ما كان شائعا من العلم فى الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب ، واتخذوا من كل امة أحسن ما لديها ، ولكنهم اختاروا من اليونان فلسفتهم وتركوا آدابهم ، ولقد كانت تلك المؤلفات

---

(٤٦٣) ابن سنان الخفاجى : (**سر الفصاحة**) . (مطبعة محمد على صبيح — القاهرة ١٩٥٣ م) ص ٤٨ .

(٤٦٤) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣١ .

(٤٦٥) د. رمزيه الأطرقجى : (**أهم المترجمين فى بيت الحكمة**) . مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

التى نقلت الى اللغة العربية هى النواة التى نبتت ونمت ثم ازدهرت وأثمرت وآتت أطيب الفوائد للمسلمين وغيرهم ممن اندمجـوا فى مدنيتهم(٤٦٦) .

بدأ العرب يمارسون الترجمة الضخمة للكتب اليونانية ، وحتى ذلك الوقت كانت الترجمات تتم بجهود فردية كيفما تيسر . وجمع المـأمون المخطوطات للترجمة ، وشكل مجموعة من المترجمين فى (بيت الحكمة) ووضعها تحت قيادة حنين بن اسحاق وهـو طبيب مسيحى وعالم متبحر فى العلوم . وقد ترجم حنين هنا مائة كتاب تقريبا لجالينوس ولمدرسته الى اللغـة السريانية وتسعة وثلاثين مخطوطا آخر الى اللغـة العربية ؛ منها مؤلفات لأبو قراط وأفلاطـون ، كذلك المقولات ، والطبيعة ، وكتاب الأخـلاق لارسطو ، وكانت هـذه المخطوطات نقطة الانطلاق لكشوف فكرية . ولمـا كان « المترجمون » علماء مجربين ومزودين بوثائق غاية فى القـوة فقـد أسهموا فى اضافة معرفتهم الخاصة وعلمهم الشامل الى مؤلفاتهم . وقـد بلغـوا من نجاحهم ما جعلهم يدفعون ثمن المؤلفات الجـديدة لهؤلاء العلماء ما يساوى وزنها ذهبا(٤٦٧) .

أما اسـحاق بن حنين فقـد كان يسير على نهج أبيه فى صحة النقـل من اليونانية والسريانية الى العربية ، وقـد خلفه(٤٦٨) على الترجمة بارعا ومقـدما فى العلوم الرياضية ، كما تميز فى صناعة الطب(٤٦٩) وقـد نقـل اسـحاق من الكتب اليونانية الى اللغـة العربية كتبا كثيرة الا أن جـل عنايته(٤٧٠) كانت مصروفة الى نقـل الكتب الحكمية . ويشير ابن خلكان الى ذلك بقوله : « ان الذى يوجـد من تعريبه فى كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر ممـا يوجـد من تعريبه لكتب الطب(٤٧١) . ويعلل ابن العبرى(٤٧٢) ذلك بقوله ان نفس اسحاق كانت الى الفلسـفة أميـل .

ومن المؤلفات التى نقلها الى العربية أصول الهندسة لبطليموس وأصلحه فيما بعـد ثابت بن قرة ، وكتاب المعطيات لأقليدس أيضا ثم كتاب المجستى لبطليموس .

---

(٤٦٦) محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسـفة الاسلام ، المقـدمة .

(٤٦٧) جاك س. ريسلر : الحضارة العربية ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٤٦٨) صاعـد الاندلسى : طبقـات الأمم ص ٤١ .

(٤٦٩) ابن خلكان : وفيات الأعيـان ج ١ ص ٨٢ .

(٤٧٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ١٨٨ .

(٤٧١) ابن خلكان : وفيات الأعيـان ج ١ ص ٨٢ .

(٤٧٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢ .

يقول البيهقى(٤٧٣) : « ان اسحاق بن حنين قــد أسلم وكان من جلة المسلمين . وقــد حسن اسلامه وأشركه المكتفى فى بيعة ابنه مــع وزيره العباس » .

وهناك حبيش بن الحسن الدمشقى وهــو ابن اخت حنين بن اسحاق . وأحــد تلاميذه ومنه تعلم صناعة الطب ــ يقول البيهقى(٤٧٤) « وحبيش كان من الأطبــاء المتقــدمين والمهندســين ولــه تصانيف كثيرة فى الطب وكان مصيبا فى المعالجات » . وقــد استطاع حبيش بفضــل حــدب حنين عليــه أن يصــبح أحــد مشاهير المترجمين(٤٧٥) : فاشتغل بالنقل من اليونانى الى العربى . وكان يسلك مسلك حنين فى نقله الا أنه كان يقصر عنه(٤٧٦) .

وبالرغم من ذلك فقــد كان حنين يقــدمه(٤٧٧) ويعظمه ويرضى نقله وقــد نسب أكثر ممــا نقله حبيش الى حنين . يقول القفطى : « كثيرا ما يرى جهاله شيئا من الكتب القــديمة مترجما بنقــل حبيش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطــأ فى الاسم ويغلب على ظنــه أنه حنين وقــد صحف فيكشطه ويجعله لحنين(٤٧٨) .

ويرى مايرهــوف أن هــذا الخلط مرده الى « تشابه اسم حنين وحبيش فى الكتابة أيام أن كانت الحروف لا تنقط . فكانا يرسمان هكذا « حسن . وحبيش »(٤٧٩) . يقــول ديبــور : « نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا ، فان كتبا كثيرة تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى . ولابد أن كثيرا من الكتب كان يترجمــــه تلاميذهم ومساعدوهم بارشاد(٤٨٠) منهم » .

أما سعيد بن أبى يعقوب بن عثمان الدمشقى فانه كان من النقلة المجيدين . نقل الى العربية بعض أقسام من كتاب الأصول لأقليدس كان منقطعا الى (على بن عيسى) وجاء فى كتاب طبقات الأطباء : « .. ونقــل كتبا كثيرة الى العربية من كتب الطب »

---

(٤٧٣) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ١٩ .

(٤٧٤) المصدر نفسه .

(٤٧٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين . المقدمة ص ١٧ .

(٤٧٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٤٧٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٨ .

(٤٧٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٢ .

(٤٧٩) حنين بن اسحاق : كتاب العشر مقالات فى العين ص ٣٢ .

(٤٨٠) ديبــور : تاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ٣٠ .

ومن كلامه : الصبر قــوة من قــوى العقل ، وبحسب قــوة الصبر تكون قــوه العقـــــل »(٤٨١) .

ومن الذين نشأوا فى خــلافة الراضى فى بغــداد متى بن يونس الذى كان حكيما نصرانيا(٤٨٢) . قام يشرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ولعــل من أهم الكتب التى ترجمها كتاب ســوفسطيقا لأرســطو(٤٨٣) ومعناه الحكمة الموهة ، وقــد نقله الى السريانى كما ترجم أيضا كتاب الشعر لأرسطو ، ويذكر ابن النــديم فى حــديثه عن كتب أرسطو فيقول : « الكلام على أبو طيقيا معناه الشعر نقله أبو بشر ابن متى بن يونس من السريانى الى العربى »(٤٨٤) . وقــد نشر د. عبد الرحمن بدوى هــذه الترجمة كاملة فى كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهــو يرى أنها ترجمــة رديئـــــة(٤٨٥) .

كما كان سنان بن ثابت « ت ٣٣١ هـ » طبيبا مقــدما كأبيه ، وقــد وكل اليــه المقتدر امتحان الأطباء فى بغــداد سنة ٣١٩ هـ ، عالمــا بالعــدد والهندسة(٤٨٦) ، وقــد نقل الى العربى نواميس هرمس والورد والصـــلوات التى يصلى بهـــا الصابئون(٤٨٧) ، وأصلح سنان كثيرا من الترجمات التى كانت تترجم من السريان الى العربى(٤٨٨) . ومن ذلك اصلاحه كتاب أفلاطــون فى الأصــول الهندسية وقــد زاد فى هــذا الكتاب(٤٨٩) شيئا كثيرا . وقــد توفى سنان بن ثابت مسلما ببغــداد(٤٩٠) .

ونرى أبا على عيسى بن زرعة(٤٩١) : ولد فى سنة ٣٣١ هـ وتوفى ٣٩٨ هـ كان

---

(٤٨١) ابن جلجل : طبقــات الأطبــاء ص ٦٩ .

(٤٨٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ٢٨ .

(٤٨٣) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨ .

(٤٨٤) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦٣ .

(٤٨٥) يقـول د. عبد الرحمن بدوى : يغلب على ظننا فى تلخيصه وعرضــه لكتاب الشعر انمــا استعان بترجمة يحيى بن عــدى على افتراض انها كانت أصلح لأنه لم يكن فى وســعه الاعتماد على ترجمة أبى بشر فى تصوراتها التى وصلت الينا — فن الشعر لأرسطوطاليس : التصــدير ص ٥٠ .

(٤٨٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦٤ .

(٤٨٧) صاعـد الأندلسى : طبقــات الأمم ص ٤١ .

(٤٨٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٣ .

(٤٨٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقــات الأطباء ص جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٤٩٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣٣ .

(٤٩١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣١٥ .

نصرانيا يعقوبيا اشتغل بالمنطـــق فى بغـداد . وكان متقـدما فيه . كما برع فى الفلسفة . ذكره ابن النـديم فقال : « كان ينقــل من السريانى الى العربى واكثر ما نقله يدخــل فى دائرة الفلسفيات(٤٩٢) . وكان جيد النقل وممـــا نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس » . والقفطى يشير الى ذلك بقوله : « ونقـــله كتاب الحيوان — أبو على بن زرعة الى العربى وصححه ، وملكت منه نسخة »(٤٩٣) .

لم يكن الخلفاء وحـدهم هم الذين عنـوا بتزويد اللغة العربية بهـذا الزاد العقلى الرفيع . بل ان من افراد الشعب من أولى الترجمة عناية كبيرة . وبذل من اجلها مالا كثيرا ومن هـؤلاء بنـو شاكر محمد واحمد والحسن . وقـد كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل فى مكتبتهم ومن هـؤلاء المترجمين حبيش ابن الحسن وثابت بن قرة(٤٩٤) . وكان ابناء موسى بن شاكر يعهدون لأهـل المعرفة باللغات ان يترجموا لهم ما يطلبون من كتب الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وغيرها . وهم الذين قاسوا محيط الأرض قياسا دقيقا لا يختلف عن قياس المعاصرين الا قليلا مـع دقة الآلات فى هـذا العصر(٤٩٥) .

كما برع ايضا يعقوب بن اسحاق الكندى فى مختلف العلوم كالطب والفلســفة والرياضيات والمنطق ولــه تآليف كثيرة فى هــذه العلوم تربو على الثلاثمائة وترجم كثيرا من كتب الاقـدمين ولا سيما كتب الفلسفة واوضح فيها المشـــكل ولخص المستصعب وبسط العـويص(٤٩٦) .

واشتغل بترجمة الكتب اليونانية الى العربية وتهـذيب ما ترجمــه غيره وكان لــه تلاميذ يترجمون تحت اشرافه واشتغل فى قصر الخلافـــة منجما(٤٩٧) . كما عاش الكندى فى صميم عصر الترجمة فى الاسلام فشهد الكتب تنقــل برمتها عن اليونانية او السريانية نقــلا اول ، ونقــلا ثانيا ، واطلع على الترجمة الحرفية والترجمـــة

---

(٤٩٢) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٣ .

(٤٩٣) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣١ .

(٤٩٤) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٩٥) عبـد الله بن العبـاس الجراري : تقـدم العرب فى العـلوم والصـناعات وأسـتاذيتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٤٩٦) المرجـع نفســه ص ١٨ .

(٤٩٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

بالمعنى . وشـــارك الى حـــد ما فى هـــذه الحركة أما باصطناع المترجمين بالاجر أو بتصحيح الترجمات وتهـــذيبها .

وكان من نتائج الترجمة المهمة نشوء الوراقـــة والوراقين ببغـــداد وانتـــاج الكتب المترجمة المزايا التى اتصفت بها الترجمة العباسية . ويقـــول ابن خلكان : « لولا ذلك التعريب لمـــا انتفع أحـــد بتلك الكتب لعـــدم المعرفة بلسان اليونان ... لا جرم كل كتاب لم يعربوه ، باق على حـــــاله ولا ينتفـــع به الا من عرف تلك(٤٩٩) اللغـــــــة » .

يقـــول جوستاف لوبون(٥٠٠) : « وقـــد وجـــد العرب فى بلاد فارس وســـوريا حينما استولوا عليها ، خزائن من العلوم اليونانية ، فأمروا بنقـــل ما فى اللغة السريانية منها الى اللغة العربية ثم أمروا بأن ينقـــل اليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قـــد نقـــل الى اللغة السريانية فأخـــذت لذلك دراسات العلوم والآداب تسير قـــدما نحـــو الرقى . ولم يكتف العرب بما نقل الى لغتهم فقـــد تعلم عـــدد غير قليل منهم اللغـــة اليونانية ليستقوا منها علوم اليونان ، وقـــد كانت معارف اليونان واللاتين القـــديمة أساسا لثقافة متعلمى العرب . ولكن العرب المفطورين على قـــوة الابداع لم يكتفوا بحال الطلب ، ولم يلبثوا أن تحرروا ، بمـــا عرف عنهم من النشاط ، حتى عاد الاغريق وهم ليسوا أساتذة العرب » .

يقـــــول PHILIP HITTI : « أن العهـــد العباسى الأول ليزهـــو باليقظة الفكرية التى تمت فيه . وقـــد كانت هـــذه اليقظة ذات أثر بعيد فى الحركات الفكرية والثقافية فى العالم ، وكانت تعتمد الى حـــد بعيد على الثقافة الأجنبية ، وبخاصـــة الفارسية والهندية واليونانية . وكان المسلم العربى حاذقا ذكيا مشغوفا بالاطلاع ، راغبا فى الاستفادة والتزود من هـــذا الزاد الفكرى الرفيع ، ومن أجـــل هـــذا كانت الاستفادة شاملة ، وانتفاعـــه واضـــحا ، وسرعان ما سيطر على ثقـــافة هـــؤلاء الاقـــوام ، وأصبح يضع يده على أهم المؤلفات الفلسفية لأرسطو ، وأحسن شروح الأفلاطونية الحـــديثة . وأكثر ما كتب جالينوس فى الطب بالاضافة الى النتاج الهندى . وينبغى ألا نبالغ فى فضل اليونان على المسلمين ، اذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبل عناصرها ومقـــوماتها من معارف مصر القـــديمة ، وبابل وفينيقيا ، ثم عادت هـــذه

---

(٤٩٨) د. أحمد فـؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٧ .

(٤٩٩) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٢١٧ .

(٥٠٠) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٤٦٠ .

المعارف الى العالم الاسلامى وهى فى ثوب يونانى وعن طريق اسبانيا وصقلية وعبرت هـذه العـلوم الى أوروبا مرة أخرى من الشرق الاسـلامى فى ابان العصـور الوسـطى »(٥٠١) فكان من أهم نتائج الترجمة أيضا اشتغال كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت الى العربية ، اذ لم يكتف العرب بحال الطلب الذى اكتفت به أوروبا فى القرون الوسطى(٥٠٢) ، بل عملوا على تفسير تلك الكتب المترجمة والتعليق عليها واصلاح أخطائها كما فعل الكندى وغيره .

ومن أهم الدوافـع التى ساعدت على ازدهار حركة الترجمة نمو العـلاقات الدولية فى العصر العباسى الأول والجهـود التى بذلها العباسيون فى فرض السلام . والمبادلات التى وصلت الذروة فى عهدهم والتى حملت التجار الى كل سـوق . ودفعت السفن العربية الى كل بحر . وقـد كانت الدولة العباسية تعقـد صفقات لشراء الكتب وتدفـع فى سبيلها أغلى الأثمان(٥٠٣) .

ثم تتابعت جهود الخلفاء فى طريق هـذا التبادل الثقـافى . ويشير أبو الفرج الأصبهانى الى قـدوم امبراطور الدولة البيزنطية الى بلاط الرشيد فسألوا عن الشاعر أبى العتاهية وانشدوا أشعارا لـه ، وكان الرسول يحسن العربية فلمـا نقـل الرسول الى الامبراطور خبر ما رأى وما سمع كتب الى الرشيد يسأله أن يوفـد اليه أبا العتاهية وأن يأخـذ فيه من الرهائن من يريد واعتذر أبو العتاهية(٥٠٤) .

وثمـة عامل آخر كان من أهم حوافز حركة الترجمة وهـو انه مع مطلع العصر العباسى لم تعـد الترجمة حركة فردية ، وانمـا أصبحت حركة تظفر بعناية الدولة وتشجيعها تساعدها وتنفق عليها الأموال الطائلة ، فاستجاب كثيرون لذلك ودفعهم التشجيع الأدبى والمـادى للاجادة(٥٠٥) .

وثمـة أمور أخرى كان لهـا أثرها فى الاقبال على المعرفة القـديمة وورود مواردها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة العربية ، فنشأت العقليـات

---

(٥٠١) Philip Hitti, History of the Arabs, PP. 306-307.

(٥٠٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٣٤ .

(٥٠٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١ .

(٥٠٤) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى ج ١٣ ص ١٧٩ .

(٥٠٥) د. حسن محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧١ .

التى لا تقنع بالثقافة التقليدية الموروثة انمـــا ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة ، فكان المورد الاغريقى الذى عبوا منه عبا(٥٠٦) .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك كله حقيقة أخرى هامة ، وهى أن أهـــل الذمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها واخلصوا لها كل الاخلاص ولم يكن من المعقول أن يأتى ذلك عفـــوا انما يأتى بعـــد أن الف أهـــل الذمة الحياة العربية ،وشـــاركوا فى الحياة السياسية ، ولم يفقـــدوا حرياتهم الدينية ونعمـــوا بحسن المعاملة وطيب المعاشرة ووجـــدوا ان الدين لم يحـــل بينهم وبين تطلعاتهم المتنوعة . كما أنه لابد أن يمضى وقت طـــويل ليستعرب أهـــل الذمة على نطـــــاق واســـع الا فى العصر العبـــــاسى(٥٠٧) .

ويتحـــدث ابن النـــديم(٥٠٨) عن أهـــل الذمة الذين اسهموا فى حركة الترجمة ونقـــل التراث والفكر العالمى الى اللغـــة العربية وهم يوحنا بن ماسويه ، وحنين ابن اسحاق ، وابنه اسحاق وقسط ابن لوقا وابن البطريق وابن ناعمة وغيرهم كثير . تلك اهم الدوافـــع التى شدت من أزر حركة الترجمة وأتاحت للعرب هـــذه المناهل الغزيرة من العلم والمعرفة واننا لنقف مطأطئى الرءوس أمام أولئـــك الخلفاء العباسيين الذين رعـــوا أولئـــك المترجمين .

---

(٥٠٦) المرجـع نفسـه ص ٢٧٢ .

٥٠٧) المرجـع نفسـه ص ٢٧٣ .

(٥٠٨) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

أهم المترجمين فى بيت الحكمة

١ ــ يوحنا بن ماسويه .

٢ ــ حنين بن اسحاق العبادى .

٣ ــ يعقوب بن اسحاق الكندى .

٤ ــ اسحاق بن حنين .

٥ ــ الفضل بن سهل .

٦ ــ سهل بن هارون .

٧ ــ حبيش بن الأعسم .

٨ ــ قسطا بن لوقا .

٩ ــ يوحنا بن البطريق .

١٠ ــ الحجاج بن يوسف بن مطر .

١١ ــ عيسى بن اسحاق بن زرعة .

١٢ ــ ابن ناعمة الحمصى .

١٣ ــ سعيد بن يعقوب الدمشقى .

١٤ ــ ثابت بن قرة الحرانى .

١٥ ــ ابو بشر متى بن يونس .

١٦ ــ موسى بن خالد الترجمان .

١٧ ــ عمر بن الفرخان الطبرى .

١٨ ــ يحيى بن عدى .

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها



١ ـ تشجيع الخلفاء والوزراء للذين عملوا فى بيت الحكمة ·

٢ ـ دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة ·

٣ ـ حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخـل بيت الحكمة ·

اولا ــ تشجيع الخلفاء والوزراء الذين عملوا فى بيت الحكمة :

ففى بغــداد عاصمة الخلفاء وتحت رعايتهم قامت حركة علمية مباركة للترجمة والتاليف والتوزيع لا نظير لهـا فى تاريخ العصور الوسطى قاطبة ، فقــد أضــاءت هــذه الشعلة ليس فى أنحاء العراق وبلدان شرقى الخلافة فحسب بل فى طــول وعرض الامبراطورية العربية من بغــداد ومرو وبخارى والرى وغزنه الى دمشــق والقاهرة والقيروان وفارس وقرطبة ، وفى دار السلام قامت حركة الترجمــة حيث تقاطر العلماء والأدباء والحكماء عليها وعلى رأسهم الفيلسوف العربى يعقــوب بن اســحاق الكندى العالم الكبير فى شتى الفنون وكان من أساطين هــذه النهضــة خاصة فى الترجمة وعلوم الطب(٥٠٩) وان استتباب الأمر للدولة العباسية وبلوغها من الاستقرار مبلغا عظيما وتعريبها للادارة وســائر مصالح الدولة ، واحراز الفتــح اللغــوى فى النصر على سائر اللغات السائدة يومئذ أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصرهم أن الثقافة من أهم العوامل التى ترتكز عليها النهضة الصحيحة فبالغ خلفاؤهم فى تكريم هؤلاء المترجمين الذين عملوا فى بيت الحكمة فقربوهم وآكلوهم وشــاربوهم وجالسوهم واعتمدوا فى المشاكل على آرائهم ، واغــدقوا عليهم أموالا طائلة ، وقــد أثبت المؤرخون أنهم كانوا يعطون لهم وزن ما يترجمون ذهبا ، ولذلك كان حنين بن اسحاق يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جــدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير(٥١٠) وزنه .

ان القرن الثالث الهجرى قــد شهد رعاة حركة الترجمة(٥١١) هــذه على مختلف المستويات ســواء كان ذلك من الخلفاء كالمــأمون والمتوكل أو من بعض الشخصيات البارزة فى الدولة ممن عضــدوا هــذه الحركة وآزروها بكل السبل ومن أشهرهم بنــو موسى بن شــاكر .

ومن جهة ثانية فان القرن الثالث الهجرى قــد شهد نشاطا غير محــدود فى حركة الترجمة التى أسفرت عن قيام حركة ثقافية فى التدوين والتأليف ، كانت أقــل اتساعا من حركة الترجمة ذاتها ، فى حين نرى أن العكس من ذلك ، هــو الذى حدث

---

(٥٠٩) د. صالح الحمارنة : (**مراسلات البيرونى وابن سينا**) مجلة المؤرخ العربى ـ بغــداد العراق عـ ٤ (١٩٧٧ م) ص ٤٤ .

(٥١٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٣ .

(٥١١) رشيد حميد حسن الجميلى : حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجــرة ص ١١٣ .

فى القرن الرابع الهجرى حيث انبثقت حركة واسعة فى التدوين والتأليف على حساب حركة الترجمة المباشرة لهـا ـ وفى هـذا المضمار يقول د. محمد جمال الدين سرور : شغل علماء بغـداد وغيرها من الحواضر الاسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقل وترجمـة العلوم الأجنبية الى العربية . ولكنهم فى القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصى ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغـوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية . ويرجـع السبب فى ذلك الى ما كان للعـامل الدينى من أثر فى حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينية وحرصهم على دراسـة العلوم اللغوية لأنهـا خير أداة لفهم الدين(٥١٢) .

وفى هـذا المجال أيضا يذكر الأستاذ كمال اليازجى : فما استهل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى أخـذت الحركة العلمية فى النضج . وغدت الترجمات مرادفة بالتعليقات والشروح . وبدأت المؤلفات فى هـذه المواضيع تظهر أولا بصورة دراسات قصيرة فى موضوعات محـدودة ، ثم بشكل مؤلفات جامعة . فيها اقتبـاس واجتهاد وتحليل وتنظيم وتبويب واستنباط ووضع(٥١٣) .

فالتاريخ يحـدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف ألوانه فأمروا بنقـل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعـلوم الاسلامية . وقـد اقتفى أثرهم وسار على منوالهم أمراء الدويلات الناشئة فى العصر الثانى ، وجعلوا من العلم ميدانا للمناقشة وجمعوا العلماء حـولهم وقربوهم اليهم . حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية والفلسفية كلها قـد سارت جنبا الى جنب فى طريق التقـدم والنضـوج(٥١٤) .

وبالاضافة الى ما ألمحنا اليه رغبة بعض الخلفـاء الذاتية فى العلوم . وميلهم الى الاشتغال بالأعمال الفكرية كالمنصور والرشيد والمـأمون ، ولعـل الجـو الحضارى الذى تهيأ للعرب بقيام الدولة العباسية مستندة الى أكتاف الفرس ذوى الثقافات القـديمة كان لـه أثره فى دفعهم الى هـذا الاتجاه ممـا جعلهم يقـربون

---

(٥١٢) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق ص ٢٠٢ .

(٥١٣) د. كمال اليازجى : (**معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط**) . (دار العلم للمـلايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦٦ م) ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥١٤) د. فوقية حسين محمود : (**الجـوينى امام الحرمين**) . (الهيئة المصرية العـامة ـ القـاهرة ١٩٧٠ م) أعلام العرب . ص ٤٨ .

العلماء ويتصلون بأصحاب الثقافة بعامة ، يرسلون البعثات لجمع الكتب ويصرفون المترجمين لنقلها ويحيطونهم بعوامل التشجيع كإعلاء المكانة واغـداق العطاء(٥١٥) .

ويعـد ابن النـديم(٥١٦) : عبد الله بن المقفع من أعـلام المترجمين من اللغـة الفهلوية الى اللغـة العربية ، ويضـعه فى الصـدارة بالنسبة لمترجمى العصر العبـاسى .

وكانت حركة النقـل والترجمة والنسخ هى القناة الكبرى التى جرت جميع العلوم القـديمة الى الدولة العباسية ، كما كانت المطبعة الحية هى التى نشرت تلك العلوم فى جميع البلاد وجعلتها فى متناول الجميع . وقـد ساعد الخلفـاء أولى الأمر تلك الحركة المباركة فأتت بأطيب الثمار ، واذا بأرسـطو وأفلاطـون وجالينـوس وغيرهم ينطقـون بلغـة العرب . واذا كتاباتهم فى أيدى الكثير توقـد فى العقـول نار نهضة مثمرة . وقـد اشتهر من النقـلة آل بختيشوع وآل حنين وآل ماسرجويه ، وآل نوبخت وغيرهم ممن كان لهم فضـل كبير على العلم وأهله(٥١٧) .

ولم يقتصر الخلفاء على اجراء الحكم العادل البسيط بل أصبح كثير منهم نصيرا للعلوم والمعارف ، فاستدعوا العلماء البارزين الى قصورهم وعضدوهم فى أبحاثهم .. فترجمت الى اللغة العربية طائفة من أعمال الهنود والاغريق فى العلوم ، وهى الأعمال التى أعاد الأوروبيون ترجمتها من مصادرها العربية الى اللاتينية فكانت بيت الحكمة فى بغـداد مركزا للعلوم والمعارف فى ظـل الخلافة الإسلامية(٥١٨) .

فكان هارون الرشيد يشجع على ازدهار العلوم والمعارف .. مما ساعد على تقـوية النهضة العلمية بكل ما فى قـواه من جهـد وعزيمة فقرب اليه العلماء ، وكان يصطحب معـه كلما سافر مائة عالم — واتخـذ الأطباء تراجمة لـه من السريانيين — كآل بختيشوع وآل ماسـويه ، وبما جعل هارون الرشيد ينشىء فى بغـداد بيت الحكمة التى كانت تحـوى نفائس الكتب من شتى اللغات والعـلوم ، كما حظيت بتشجيع الخلفاء والوزراء ، وذوى البيوتات العلمية(٥١٩) ... فترجمت كتب الطب

---

(٥١٥) د. الشحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ٢٣٦ .

(٥١٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٤٤ .

(٥١٧) حنـا فاخـورى : الجاحظ — نوابغ الفكر العربى ص ١٤ .

(٥١٨) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى ص ١٦ .

(٥١٩) د. محمد عبد المنعم خفاجى : (**عصور من الفكر العربى**) (مكتبة النجاح — القـاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م) ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق على أيدى علماء من العرب والفرس والسريان والهنود[520] ومن الأسباب التى ساعدت على الترجمة ودعت العرب الى نقل علوم وآداب الأمم الأخرى :

١ — رغبة بعض الخلفاء العباسيين فى العلوم كالمنصور والرشيد والمأمون . فقد أظهر الأول عناية بالترجمة فنقلت له بعض كتب جالينوس وأبو قراط فى الطب . وممن نقل له جورجيس الذى يعتبر أول من ابتدأ فى نقل الكتب الطبية[521] . ولقد زادت ترجمة الكتب فى عهد الرشيد بعد أن وقع فى حوزته بعض المدن الرومية حيث أمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان[522] . كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية . والخلفاء عادة أقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس اسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به[523] .ولقد لعبت الترجمة دورا كبيرا فى هذه النهضة العلمية العارمة فى تلك العصور الاسلامية الزاهرة ، وقد كانت النهضة أول الأمر مقصورة على الدراسات الدينية واللغوية ثم كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم . فهم نقلة علوم اليونان والسريان والأقباط والفرس والهنود فى اللغة العربية . وقد بلغ عهد الترجمة أوجه فى بيت الحكمة ، ومن مشاهر المترجمين فى عهد الرشيد أبو سهل الفضل بن نوبخت[524] رئيس مكتبة هارون الرشيد ، ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق وثابت بن قرة وابن البطريق وعمر بن الفرخان وكثير من أسرة بختيشوع[525] .

وللبرامكة فضل عظيم فى اذكاء الترجمة حينئذ فقد شجعوا بكل ما استطاعوا على نقل الذخائر النفيسة الى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية . وكان مما عنوا به ترجمة بعض الكتب الى اليونانية بحيث تكون اكثر دقة واتقانا على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجستى لبطليموس ، فقد ندب له أبا حسان وسلما صاحب بيت الحكمة فأتقناه ، واجتهد فى تصحيحه بعد أن أحضر

---

(٥٢٠) د. نافع توفيق العبود : (**من تاريخ الترجمة عند العرب**) مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ١٠ (١٩٧٩ م) ص ١٤٨ .

(٥٢١) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٦٠ ، ٢٧٩ .

(٥٢٢) د. نافع توفيق عبود : من تاريخ الترجمة عند العرب ص ١٤٩ .

(٥٢٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٥٢٤) أبو الريحان البيرونى : استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى منها ص ١٠ .

(٥٢٥) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء فى تقدمه ص ٥٨ .

النقلة المجـــودين فاختبر نقلهم وأخـــذ بأفصحه وأوضحه([٥٢٦]) . وكان رئيس وزراء يحيى بن خالـــد البرمكى قـــد انتدب السفراء الى الهند لدعوته الأساتذة المرموقين ومشاهير الأطباء والفلاسفة واستقدمهم للعمل فى بلاط هارون الرشيد . وبذلك أصبحت مدينة بغـــداد منارا للعلم والمعرفة ، ومن الجـــدير بالذكر أن الخليفة لم يكن ليميز فى تعيين المترجمين من مختلف أصحاب العقائد وصنوف اللون والجنس والدين وكمثال على ذلك فان السلطة الحاكمة عينت « عـــلان الشعوبى » موظفا فى مكتبته رغـــم معاداته للعرب والعروبة([٥٢٧]) .

ونرى جيلا كبيرا ينهض فى عصرهم والعصر الذى تلاهم بهـــذه الترجمة نذكر من بينهم آل نوبخت وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذى أكثر من ترجمة كتب الفلك([٥٢٨]) . وآل سهل وعلى رأسهم الفضل وكان يترجم للمـــأمون فى حـــداثته بعض الكتب الفارسية ويعجب بترجمته([٥٢٩]) وجـــدير بالذكر أن حياة الرشيد والمـــأمون تمثـــل العهـــد الذهبى للنقـــل من سائر اللغات الى اللغة العربية ، ذلك أن النقل أصبح فى زمانهما عملا رسميا تتولاه الدولة وتنفق عليه من موازنتها وتحشد لـــه أعظم النقلة والعلماء والمفكرين . وهذا ما دعا هارون الرشيد الى تأسيس مؤسسة كبرى للقيام بهـــذا العمل الجليل وهى مؤسسة كان عملها أول الأمر مركزا للنقل والملازمة كما يقول صاحب الفهرست ثم تطورت زمن المـــأمون وأصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والتجرد للدراسات العليا([٥٣٠]) .

ويمكننا أن نقـــول أن هـــذه المؤسسة العلمية المسماة بيت الحكمة قـــد أصبحت أكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فى زمن المـــأمون تحـــوى أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقـــل ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصـــد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسته . فكان تشجيع المـــأمون للفنون والعلوم والآداب والفلســـفة اكثر تنوعا منها فى عهد الرشيد . وكان لهـــذا التشجيع من الأثر أعظم مما كان فى عهد أبيه نظرا لأنه يجرى الأرزاق على طائفة كبيرة من المترجمين لنقـــل العلوم والمعارف باللغـــة العربية فى بيت الحكمة([٥٣١]) . وقـــد شجع المـــأمون علماء بيت الحكمة فى

---

(٥٢٦) ابن النـــديم : الفهرست ص ٢٧٤ .

(٥٢٧) ألفرد هسل : (**تاريخ المكتبات**) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفـــة (دار الثقـــافة القـــاهرة ١٩٧٣ م) ص ٣٠ .

(٥٢٨) ابن النـــديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٥٢٩) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٢١١ .

(٥٣٠) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ص ٥٣ .

(٥٣١) ول ديورانت : قصـــة الحضارة المجلد الرابع ص ٩٦ .

بغــداد على البحث ؛ ومن أهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين فى عهـد المـأمون قياس محيط الكرة(٥٣٢) الأرضية . فاضطلع علماء العرب والمسلمين بجهود جبارة فى ميادين العلم وترجموا علوم اليونان الواسـعة . وعلوم الهند وغيرهم الى اللغـة العربية فحافظوا بذلك على التراث الانسانى ممـا أغنى الفكر الاسـلامى وحفزه على العناية بالبحث والتعمق . وقـد يكون لاهتمام الخليفة نفسه وعنايتـه أهمية فى توجيه الحياة الفكرية هـذه الوجهة . وهى وجهة خـدمت سياسة الخلافة كما هـو معلوم(٥٣٣) وظهر محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المـأمون ، وكان ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية . وولاه منصب بيت الحكمة كما جعله على رأس بعثة علمية (الى الأفغان) بقصـد البحث والتنقيب . فكانت اقامته فى بغـداد قـد منحته شهرة بين الناس فبرز فى الرياضيات والفلك وكان لـه أكبر الأثر فى تقـدمهما وارتقائهما(٥٣٤) .

فلم تضـعف همـة المترجمين بوفاة المـأمون اذ سلك بعض الخلفاء الذين أتوا بعـده مسلكه فى تشجيع النهضة العلمية فى بيت الحكمة واستمر ذلك الى منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا . ففى عصر المعتصم فترت حركة الترجمة اذ لم يكن للخليفة تحصيل فى العلم أو رغبة فى المشاركة فيه(٥٣٥) . وعلينا أن نتريث حتى عهد الواثق بالله الذى كان ذكيا واسع الاطلاع كبير الثقافة يشجع العلم والعلماء فنشطت حركة الترجمة فى عهده(٥٣٦) .

واستعادت بعض ما لهـا من نشاط وان كان اكثر ما يترجم فى عصره هـو الأسحار والخرافات . لكن عهـد الواثق شهد استئناف النشاط الأدبى مرة أخرى فاهتم بترجمة الكتب الأجنبية وأصبح يوحنا بن ماسويه الذى سبق لنـا الحـديث عنه يد الواثق اليمنى وأغـدق عليه الواثق صلاته أغـداقا لا حـد له(٥٣٧) .

---

(٥٣٢) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى ص ٧٦ .

(٥٣٣) د. وديعة طه نجم : (**الشعر فى الحاضرة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة**) . (شركة كاظمـة للنشر والتوزيع – الكويت ١٩٧٧ م) ص ٢٦ .

(٥٣٤) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .

(٥٣٥) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى ص ١٠٩ .

(٥٣٦) خـودابخش : حضـارة الاسلام ص ١٣٣ .

(٥٣٧) خـودابخش : حضـارة الاسـلام ص ١٣٣ .

اما المتوكل فكان آخر الخلفاء الذين آزروا حركة الترجمة وأعانوا على نقل علوم الأمم العربية الى لغة القرآن الكريم(٥٣٨) . وظهر أثر هذا الاختلاط الشديد فى العقول والأفكار فاتسعت الثقافة ونضج التفكير . فكان الذى أذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال التى اغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين . ويكفى أن نذكر ما أهداه المتوكل الى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ فانه أهداه ثلاث دور من دوره وحمل اليها كل ما يحتاج اليه من الأثاث والفرش والآلات والكتب وانواع الستائر الأنيقة وأقطعه بعض الاقطاعات وحصل له راتبا شهريا خمسة عشر الف درهم غير ثلاثة خدم من الروم وغير ما أسبغه على أهله من الأموال والخلع والاقطاعات(٥٣٩) .

وهكذا كان الخلفاء العباسيون يغدقون رواتب شهرية على جماعة من المترجمين بينهم حنين بن اسحاق وحبيش ابن أخته وثابت بن قرة ، ويقال انهاكانت تبلغ فى الشهر خمسمائة دينار(٥٤٠) ، وكل هذا الاهتمام والتشجيع للترجمة والانفاق عليها والتنافس فيها أحدث ازدهارا عظيما لها فى العصر العباسى الثانى فقد اكب المترجمون على المأثورات الاغريقية فى كل فروع العلم والفلسفة بترجمتها ، ويخيل الى الانسان أنهم لم يتركوا حينئذ كتابا يونانيا فى أصله اليونانى أو فى ترجمته السريانية الا ترجموه الى العربية(٥٤١) . ومن يرجع الى ابن أبى أصيبعة والقفطى تهوله الكثرة الغامرة مما ترجموه ، اذ يبلغ أحيانا عند المترجم الواحد مئات الكتب والرسائل سوى ما ألفوه وصنفوه .

يقول الدوميلى : « ان النص العربى يصلح النص الاغريقى فى مواضع مختلفة ، وترجم كتاب أرسطو فى النبات تفسير نيوقولاس ، وله كتاب قرسطون فى نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية وكان له اثر كبير فى لاتينية العصور الوسطى . ومن مصنفات ثابت بن قرة كتاب الذخيرة فى الطب ألفه لابنه سنان »(٥٤٢) .

ومن أنبه المترجمين حينئذ قسطا بن لوقا(٥٤٣) البعلبكى ومن ترجماته شرح

---

(٥٣٨) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى ص ١١٩ .

(٥٣٩) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ٢٣١ .

(٥٤٠) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٤١٤ .

(٥٤١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٧٠ .

(٥٤٢) الدوميلى : (**العلوم عند العرب ومكانتها فى التطور العلمى العالمى**) (ليدن ، هولنده ١٩٦٦ م) ص ١٤٢ ، ١٥٥ .

(٥٤٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٣١٧ .

الاسكندر الأفروديسى وشرح جـون فيلوبون على السماع الطبيعى وكتاب آراء الفلاسفة المنسوب الى فلوطـوخس وكتاب الحيل لهيرون المنشور فى ليبزج سـنة ١٩٠٠ م وكان قـد ترجمه للخليفة المستعين . وله رسالة صغيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اللاتينية . كما كان من هـؤلاء المترجمين النابهين أبو بشر متى ابن يونس(٥٤٤) من أصـل يونانى وقـد عنى بترجمة جميع آثار أرسـطو فى المنطق وغيره ؛ وترجم لـه كتاب الشعر ترجمة مضطربة لأنه يدور كما هـو معروف . حول المأساة اليونانية . وبمتى بن يونس ينتهى عصر الترجمة العظيم .

وكان الوزراء بدورهم يغـدقون على المترجمين أموالا كثيرة سواء أهـدوا اليهم بعض ترجماتهم أو بعض ما ألفـوه على هـدى ما قرءوه فى اللغتين اليونانية والسريانية . وفى أخبار قسطا بن لوقا أنه اهـدى ابراهيم بن المـدبر كما اهـدى الحسن بن مخلـد وزير المعتمد كتابا . وفى اخبار اسحاق بن حنين انه كان منقطعـا الى القاسم بن عبد الله وزير المعتضد(٥٤٥) .

وجـدير بالذكر أن ثابت بن قرة كان لا ينقطع عن اسماعيل بن بلبـل وزير المعتمد ولـه الف مقالة فى الهندسة(٥٤٦) . وكان كثير من الأطباء يكلفـون المترجمين نقـل كتب طبية أو كتب تتصل بالطب . يقول ابن أبى اصيبعة : « كان ممـا نقلت اليه الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسـويه وجبريل بن بختيشوع وابنه بختيشوع وداوود بن سرابيون وسـلمون بن بنان(٥٤٧) واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفورى وحبيش بن الحسن »(٥٤٨) . كما أن هناك أسرا وأفراد كثيرين يعـدون انفسهم حماة للترجمة والمترجمين ، وكانوا يتنافسون فى هـذه الحماية مع انفسهم ومع الخلفاء ، ذكر منهم ابن أبى أصيبعة(٥٤٩) طائفـة منهم على بن المنجم (٥٥٠) صاحب خزانة الحكمة التى سبق أن تحـدثنا عنها وأحمد بن المدبر ومن نوه بهم القـدماء طـويلا فى هـذا الجانب بنـو موسى بن شاكر محمد وأحمد

---

(٥٤٤) المصدر نفسـه ص ٣٣٠ .

(٥٤٥) المصـدر نفسـه ص ٢٧٤ .

(٥٤٦) المصـدر نفسـه ص ٣٠٠ .

(٥٤٧) هـو سلمون بن بنان كان فاضـلا متقـدما ، خـدم المعتصم وخص به حتى أن المعتصم قال لما مات سامويه : سالحق به لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى . الفهرست ص ١٤٢ .

(٥٤٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥٤٩) المصـدر نفسـه ص ٢٨٣ .

(٥٥٠) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٣٢ .

والحسن وكان الأول والثانى يشغفان بالهندسة فى حين شغف الثالث بالحيل (الميكانيكا) وكان لهم مرصدا أسسوه على دجلة .

ان هذه القصور هى امتداد لشجرة كبيرة هى شجرة الحضارة الاسلامية وكل ما حدث فيها من تغييرات أو نكسات لم تجرف جدول هذه الحضارة عن السير المرسوم لها ، وانما لونتها وأعطتها مظهرا مغايرا بعض المغايرة لها فى عصور سابقة ولاحقة ، هذا مع العلم أن التغييرات السياسية كانت واضحة كل الوضوح واثرت تأثيرا قويا فى حياة الشعب وفى قوة الدولة وعظمتها أو ضعفها وانحطاطها وتجزئتها(٥٥١) .

فرغبة الخلفاء والوزراء فى نقل المعرفة من العامة الى الخاصة وارساء قواعد راسخة للتمدن الاسلامى توفر لدينا عددا من العوامل دفع فى مجموعه الى الافادة من التراث الانسانى بعامة والتراث الفارسى بخاصة(٥٥٢) ، وغيره أيضا . والواقع أن المسلمين اكبوا على تراث الأمم المختلفة ، فأخذوا منه كل ما تطلبته حياتهم المتطورة يدفعهم فى ذلك حب العلم والمعرفة وكذلك تشجيع الخلفاء والوزراء لهم .

---

(٥٥١) د. محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ص ٨ .

(٥٥٢) د. الشحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ١٢٥ .

ثانيا ـ دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة :

ان تشييد العباسيين لبيت الحكمة فى بغـداد وتعيينهم له جلة العلماء للترجمة والنسخ والاشراف واعطاءهم المرتبات والأجـور السخية كل ذلك جعل للخلفاء كامل الحـق فى السيطرة على بيت الحكمة وتوجيه مسارها على وفق ما يريدون(٥٥٣) . ويؤكد خودابخش(٥٥٤) ما كان من عناية الخلفاءبالعلماء فيقول : « ان هـذا الصنف من العلماء والباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق . اذ اضفى عليهم الخلفاء والأمراء والعظماء كثيرا من عنايتهم وامدوهم بهبات متجددة . وافضال لا تنقطع ؛ فقـد حكى عن المـأمون أن منحه لحنين كانت متصلة وهباته اليه لا تتـوقف » .

وارتفعت ثقافة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت اسماؤهم مـع الفقهاء ومع العلماء ومع النـدماء ، وكان البعض يأخـذ رزقا فى هـذه الطوائف كلها كالزجاج فقـد كان لـه رزق فى النـدماء وفى الفقهاء وفى العلمـاء ومبلغ ذلك ٣٠٠ دينار فى الشـهر(٥٥٥) .

كما أجرى الخليفة المقتـدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قـدم بغـداد فقيرا(٥٥٦) . وقـد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ويجمعونهم من الاقطار ويغـدقون عليهم العطايا والهبات . ممـا كان لـه الأثر المحمود فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار . وكان حنين بن اسحاق النسطورى فى بغـداد ممن جعل فى داره مكتبة عامة يفـد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية ، وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون مذاكرته(٥٥٧) . فكان هارون الرشيد يدعـو الى بلاطـه المتعلمين ومقتنى اللغـات ويعهد اليهم تحت اشراف يوحنا بن ماسويه بترجمة كثير من الكتب العلمية المفيدة . وقد تبعه فى ذلك ابنه المـأمون وغيره من الخلفاء فى العصر العباسى(٥٥٨) .

---

(٥٥٣) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٢١٤ .

(٥٥٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 277.

(٥٥٥) ابن النـديم : الفهرست ص ٩٠ .

(٥٥٦) آدم متز : الحضـارة الاسلامية جـ ١ ص ٣٠٦ .

(٥٥٧) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٢ .

(٥٥٨) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٧٩ .

وخير من اشتهر من رجال بيت الحكمة علمان هما : حنين بن اسحاق وأصله من العباد من نساطرة العرب ، أحب العلم فى صباه فدخل بغداد ، وحضر مجالس يوحنا بن ماسويه ودخل فى خدمة جبريل بن بختيشوع ، وما زال قدمه يرسخ فى العلم حتى تلده المأمون رياسة بيت الحكمة وكذلك ثابت بن قرة(٥٥٩) .

فهذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمأمون بما منحه من عناية وما اضفى عليه من قوة وما أنفق من مال ، وعن طريق هذه المؤسسة كسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد بما أجرى فيها من ترجمة اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثيرا من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هذا التراث(٥٦٠) .

فلم يكن نشاط مؤسسة بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والامراء بل أراد المأمون أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء أكان الخليفة كريما أم شحيحا ، فهيأ للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية(٥٦١) . أما من الناحية العقلية فهو (المأمون) فيلسوف الخلفاء وراعى بيت الحكمة وصاحب حركة الترجمة لنقل الرياضيات والفلسفة عن اليونان(٥٦٢) .

ففضل المأمون على النهضة الفكرية وأثره فى شد أزرها ، ورفع قواعدها ، ففى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة وأقبل الناس على المعرفة يتمسونها فى آثار السريان واليونان وسواهم من الأوائل . ويبدو أن من أسباب ذلك الانتعاش الذى أصاب الحياة الفكرية أن المأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل وفى أخبار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ أو ما يسمع وغير قانع بما يحصل عليه من تلك الطرق(٥٦٣) .

واقتدى بالخلفاء غيرهم من الأمراء والوزراء وأهل اليسار من العقلاء

---

(٥٥٩) د. حسن أحمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥٦٠) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 276.

(٥٦١) SAYED AMEER ALI : A Short Hist. of the Saracens, P. 274.

(٥٦٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٦٨ .

(٥٦٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

فاغدقوا على المترجمين العطاء لنقل ما يرغبون فيه من كتب الاوائل العربية فنفقت اسواق هذه العلوم وزخرت بها بغداد . ولكثرة ما كان يلقاه الحكماء فى بغداد من الاكرام والاحترام فى قصور الخلفاء والامراء والوزراء والقادة وأهل اليسار أقبلوا ينسلون اليها من كل حدب وينخذونها دار اقامة لهم فقصدوها من الشام وفارس والهند . وفيهم النساطرة والهنود والفرس . فتضافرت الهمم على ترجمة كتب الأقدمين والتأليف فى مختلف علوم الكون على اختلاف فروعها فأصبحت بغداد بذلك ينبوعا فياضا لهذه العلوم . يغترف منه الناس فى سائر الحواضر الاسلامية ومن اشهر الأسر التى جعلت بغداد موطنها آل بختيشوع ، وجرجيس ابن جبريل وجبرائيل بن بختيشوع وآل اسحاق(٥٦٣) .

وطبيعى أن هذا النشاط والازدهار العظيم المترجمين وجماع العلوم كانت تساعده وتشد من ازره حماية الخلفاء الرسمية ولكن كل اسرة كبيرة من اسر حماة الآداب والعلوم كانت تتنافس ايضا فى هذا المضمار مع امير المؤمنين ، وخير من مثل هذا النشاط بنو موسى بن شاكر الذين كانوا حماة للعلوم والمترجمين الذين جعلوهم فى خدمتهم وقد اشتهر من هؤلاء المترجمين اثنان هما أيضا من العلماء حنين بن اسحاق وثابت بن قرة(٥٦٤) .

واذا كان خلفاء بنى العباس فى عصورهم المختلفة كانوا يختارون وزراءهم من بين الكتاب والأدباء ويأبون اسناد منصب الوزارة الى العلماء واصحاب الطيالس . وقد اشير مرة على الخليفة المقتدر بتعيين محمد بن يوسف القاضى فقال : « لعمرى انه عالم ثقة الا اننى لو فعلت ذلك لافتضحت عند ملوك الاسلام والكفر ، لأننى أكون بين أمرين اما أن تتصور مملكتى بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر فى نفوسهم أو انى عدلت عن الوزارة الى اصحاب الطيالس فأنسب الى سوء الاختيار »(٥٦٥) .

وكان وزراء العصر العباسى الأول من ذوى الكفاية فى الكتابة والادارة وتميزوا بثقافة واسعة(٥٦٦) . وقد اسهم الوزراء والأمراء ورجالات الخلافة الاسلامية

---

(٥٦٣) عبد الله بن العباس الجرارى : تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٥٦٤) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٥٦٥) جاك س. ريسلر : الحضارة العربية ص ٧٣ .

(٥٦٦) د. توفيق سلطان اليزبكى : (**الوزارة نشأتها وتطورها فى الدول العباسية**) (مطبعة الارشاد – بغداد – العراق . ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م) ص ٥٠ .

فى هـذا القرن تشجيع حركة ترجمة الثقافة الاغريقية الى العربية - وممن ابلى فى ذلك بلاء حسنا أمراء البيت العباسى وأسرة البرامكة ووزراء الخلافة وموسى بن شاكر وأبناؤه الثلاثة الذين احتضنوا حنين بن اسحاق شيخ المترجمين وابنه اسحاق وأوفـد حنينا على نفقتهم الى آسيا الصغرى ليجيد اللغة اليونانية وليحصل على نفـائس من المخطوطات القـديمة ، وكانوا يجزلون العطاء لحنين وربمـا بلغ مرتبه خمسـة آلاف دينـار فى الشهر(٥٦٧) .

وكان البرامكة يشجعون الترجمة تشجيعا كبيرا ويسخون سخاء نادرا على كل مجهود يتصـل بالعلم والثقافة فكان لتشجيعهم أبلغ الآثار فى ازدهار العلوم وتقـدم المعارف ونمـو حركة الترجمة وتطورها . وفى هـذا الدور الخطير ترجمت كتب كثيرة ومن أهمها كتاب كليلة ودمنة من الفارسية ، وكتاب السند هند من الهندية ، وترجمت بعض كتب أرسطوطاليس فى المنطق وغيره ، وترجم كتاب المجستى فى الفلك وأخـذ المعتزلة هـذه الترجمات ، واتخـذوا منها مادة للجـدل والمناظرة(٥٦٨) .

كما نشطت الترجمة بفضل تشجيع البرامكة الذين اهتموا بعلوم الاغريق اهتماما كبيرا ، وبذلوا مساعى كبيرة لان يدخلوا الى العرب المعـارف المستقاة من المصـادر الاغريقية التى كانوا على صلة وثيقة بها مذ كانوا سابقا فى مرو ونيسابور(٥٦٩) .

فكان أبو سلمة الخلال فصيحا عالمـا بالأخبار والأشعار والسير والجـدل ، كما اهتم البرامكة بالعلوم والآداب وقال الموريانى : « ليس من شىء الا وقـد نظرت فيه الا الفضة وقد نظرت فى الكيمياء والطب والنجوم والحساب وحتى السحر »(٥٧٠) .

يقول الدكتور بديع شريف(٥٧١) : شغل البرامكة مراتب الدولة بالرؤسـاء من ولدهم وصنائعهم واختاروهم عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة » . يقال : أنه كان بدار الرشيد من ولـد يحيى خمسة وعشرون رئيسا بين صاحب قلم وصاحب سـيف وكبـح العرب عن التطـاول للولايات فصارت الوزارة للعجم والصـنائع من البرامكة : بنـو سهل ، بنـو نوبخت ، وبنـو طاهر .

---

(٥٦٧) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام ص ٧٧ .

(٥٦٨) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

(٥٦٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء ص ج ١ ص ٢٨١ .

(٥٧٠) توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة نشأتها وتطورها ص ٢٨٠ .

(٥٧١) د. محمد بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٠ .

ومن الممكن ان نقر بادىء ذى بدء أن دولة المأمون منحة قدمها له الفضل ابن سهل وأنه لولا الفضل لما كانت دولة المأمون . ولغلب هذا على أمره وقد كان الفضل بن سهل منذ عهد الرشيد يكتب للمأمون ويتولى أمره كله . ومنذ ذلك الحين أخذ الفضل يرى ويدبر ليضمن للمأمون حقه وليحميه من أن يطغى عليه سلطان أو يستبد به مستبد . وأول لبنة وضعها الفضل ليشيد عليها دولة المأمون كانت فى حياة الرشيد(٥٧٢) .

وكان الفضل بن جعفر مشهورا عند الخاصة والعامة . بالفضل والعلم والكتابة . وفى عهده شغب الجند الديلم عليه . وهاجموا داره ورموها بالسهام . وتوسط احمد بن خاقان . بين الوزير وبينهم فهدأت الامور(٥٧٣) . ويقول عنه ياقوت أيضا : « كان خبيرا بالعلوم الانهية العقلية كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق(٥٧٤) . وعباد أبوه كان وزيرا لركن الدولة . وكان من أهل العلم يكرم العلماء ويحسن اليهم . فكان يبعث فى كل سنة الى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم »(٥٧٥) .

ويقول ابن الاثير عنه « كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة ورسائله مشهورة مدونة . جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج فى نقلها الى أربعمائة بعير(٥٧٦) واستوزر المأمون من بعده القاضى يحيى بن اكثم . وكان من جملة العلماء والفقهاء . فكان اليه تدبير المملكة والقضاء(٥٧٧) . ويرى براون : « ان حكم البرامكة أدى الى ازدهار حضارة بنى العباس وأن سبب نكبتهم المال وحسد الحاشية »(٥٧٨) .

ويمتدح نيكلسون البرامكة لكرمهم واهتمامهم بالأدب والشعر بينما يذم الرشيد بتعديه عليهم(٥٧٩) . وقد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء . ويجمعونهم

---

(٥٧٢) د. أحمد شلبى : التاريخ والحضارة الاسلامية جـ ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥٧٣) غريب بن سعد : (**صلة تاريخ الطبرى**) . (ليدن ١٨٩٧ م) جـ ١٢ ص ٨٩ .

(٥٧٤) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٢٧٦ ، ٣١٥ .

(٥٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣١٤ .

(٥٧٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٣٨ .

(٥٧٧) د. توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ص ٦٦ .

(٥٧٨) BROWN : History of Persia Litrature, p. 257.

(٥٧٩) NICHOLSON : A Literary Hist. of the Arabs, p. 261.

من الأقطار ويغـدقون عليهم العطايا والهبات ، ممـا كان له الأثر المحمود فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار(٥٨٠) ، وبذلوا المـال فى سخاء اذ كانت دولتهم قـد بلغت درجة عظيمة من الثراء والتقـدم .

وكذلك اشتهر أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب الذى كان يصـل الى النقلة من ماله وأفضاله شيء كثير جـدا(٥٨١) . وكان هنـاك أيضا ابراهيم بن محمد ابن موسى الكاتب حريصا على نقـل كتب اليونانيين مشتملا على أهـل العـلم والفضل وعلى النقلة خاصة(٥٨٢) . وكان الأمير عضد الدولة يخرج بنفسه لاستقبال الصاحب بن عباد اذا أقـدم كما فعل سنة ٣٧٠ هـ/٩٨٠ م حينما خرج على رأس كبار رجال دولته الى خارج مدينة بغـداد لتلقى الصاحب بن عباد واكرامه(٥٨٣) . كذلك كان هـذا الوزير على جانب عظيم من العـلم والأدب والفضـيلة ومكارم الأخـلاق(٥٨٤) . ويصـفه الفـارقى بقوله : كان الصـابى(٥٨٥) وابن عبـاد قلائد الدهر وفرائد العصر ، وكان الله سبحانه أدبهما وخصهما بالفضـل والأدب والشعر والرسائل . استفاد الصاحب بن عباد كثيرا من مخالطته العلماء ورجال الأدب وكان كثير الاحسان اليهم(٥٨٦) . حتى أنه كان يصرف فى كل عام ما يزيد على مائة الف دينار فى أعمال الخير والصدقات(٥٨٧) . وكان يبعث فى كل سنة الى بغـداد خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والأدباء(٥٨٨) ودأب هـذا الوزير على عقـد مجالس لأهـل العلم والأدب ، وكان يحسن معاملة جلسائه ويتبسط معهم ، ويقول لهم : « نحن بالنهار سلطان وبالليل اخـوان » فكان ذلك ممـا حببه الى قلوب النـاس ، وبلغ من حـب الصاحب لرجال العلم انه أنفق عليهم كل أمواله(٥٨٩) . توفى الصاحب بن عبـاد سنة

---

(٥٨٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٣٦٧ .
(٥٨١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢٨٤ .
(٥٨٢) المصدر نفسـه ص ٢٨٤ .

(٥٨٣) أبو شجاع ، محمد الروذراوى : (**ذيل تجارب الأمم**) . تحقيق أمدوروز (شركة التمدن الصـناعية - القـاهرة ١٩١٦ م) ص ١٠ .
(٥٨٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ١٠٠ .
(٥٨٥) أبو اسحاق ابراهيم بن هلال ، شاعر بليغ عالم بالهندسة : الفهرست ص ١٩٣ .
(٥٨٦) ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٠ .
(٥٨٧) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
(٥٨٨) ابن الجـوزى :المنتظم جـ ٧ ص ١٨٠ .
(٥٨٩) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٦ ص ١٨٦ .

٣٨٥ هـ/٩٩٥ م بعد ان تولى الوزارة لمدة عشرين عاما تقريبا فاغلقت مدينة الرى لموته[٥٩٠] .

وهكذا فقد رعى الصاحب النهضة العلمية والأدبية رعاية فائقة فكان يرسل الأموال جمة الى الكثير من المحتاجين من الفقهاء والزهاد والكتاب ببغداد والحرمين كل سنة مع ركب الحج على مغاورهم ومنازلهم[٥٩١] .

أما الشخصية الأخرى فى عصر المقتدر فهو على بن عيسى بن الجراح ويصفه الصابى بقوله : « فكان رجلا عالما متدينا . عارفا بالأعمال حافظا للأموال كثير الوقار والجد بعيدا عن التبذل والهزل ، شحيح غالب فى طباعه . وتجهم ظاهر فى اخلاقه . وما كان يخل بصلاة الجماعة فى كل يوم جمعة . ولا يدع المنادمة فى تلك بين المساجد الجامعة[٥٩٢] .

وكان الوزير بن الجراح عالما بالسياسة وسير الخلفاء الى جانب تدينه واجادته بعض العلوم[٥٩٣] . ويقول فيه الصابى : « ورتب على بن عيسى الأمور والدواوين على ما راى الصلاح والسداد متعففا عارفا بالأعمال ... »[٥٩٤] . ويقول ابن كثير عنه ايضا : « وكان من خيار الوزراء ، واقصدهم للعدل والاحسان واتباع الحق »[٥٩٥] . ويصفه الخطيب البغدادى انه : « كان صدوقا عفيفا محمودا فى وزارته كثير البر ، صحب أهل العلم ورجالهم »[٥٩٦] .

وهناك الفتح بن خاقان الذى انفق أموالا كبيرة على الترجمة والتأليف واقتناء الكتب ، كما كان محمد بن عبد الملك الزيات لا يقل عنه فى هذا فانه كان يصرف على التراجمة والكتبة ما يقارب الفى دينار فى الشهر . وترجمت له عدة كتب باسمه

---

(٥٩٠) د. محمد مسفر الزهرانى : **(نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى)** (مطبعة الرسالة – بيروت – ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) ص ١١٠ .

(٥٩١) الثعالبى : يتيمة الدهر : ج ٦ ص ٣٠٠ .

(٥٩٢) هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٢٨٢ .

(٥٩٣) اسماعيل باشا البغدادى : (**هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**) . (طبع فى أسطنبول ١٩٥١ م) ج ١ ص ٦٧٨ .

(٥٩٤) هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٣٠٦ .

(٥٩٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٠ .

(٥٩٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٤ .

منها : كتاب الصوت الذى نقله حنين ، واحمد بن المدبر كان ينفق على النقلة والنساخين والمؤلفين من ماله الشيء الكثير ، فكان غيرهم ينقلون لـــه الكتب وينفــق عليهم من ماله . وبيـــع شرح الاسكندر الأفردوسى للسماع الطبيعى ولكتاب البرهان بثــلاثة آلاف دينـــار[٥٩٧] .

وان مؤلفات : ابن النـــديم وابن القفطى وابن جلجل وصاعـــد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة وحاجى خليفة ، تطلع المرء على الجهود الكثيرة التى بذلهـــا الخلفـــاء والوزراء فى ترجمة الكتب المختلفة واقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها ، والتأليف بهـــــا .

كان هـــذا بزمن لم تبلغه أمة غيرها فى عـــدة قرون . فاجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقـــل من قرنين ، فكانت بغـــداد مركز العلم والأدب والفن وكانت تزينها جامعة بيت الحكمة الاسلامية العظيمة .

---

(٥٩٧) عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢٠٦ .

ثالثا — حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة :

وصار فى بيت الحكمة دوائر علمية منوعة ، لكل منها علماؤها وتراجمتها . ومشرفون يتولون أمورها المختلفة . وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتى يندر وجودها عند غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة فى الطب والفلسفة والفلك ونقلوها الى بغداد حينما احتل الرشيد مدينتى عمورية وانقرة بغزوه لهما . وولى هارون الرشيد أمر هذه الكتب يوحنا بن ماسويه أكبر أطباء عصره وجعل له من يساعده بترجمتها(٥٩٨) ، كما جعله امينا على الترجمة .

وممن كان يشتغل فى بيت الحكمة للرشيد ، فيترجم من الفارسية الى العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسى الذى كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية(٥٩٩) .

وبلغ ولوع الرشيد بأهل العلم انه كان يصطحبهم معه أيان يذهب وقد توفى على بن حمزة الكسائى النحوى الكوفى وامام القراء المشهور ومحمد بن الحسن الشيبانى القاضى صاحب أبى حنيفة وهما فى معية الرشيد بالرى سنة تسع وثمانمائة(٦٠٠) . ومر الرشيد مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ، ونادى محمد ، فذهب هذا لمقابلة الرشيد فلما عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألنى الرشيد : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى طبقة العامة : فسر باجابتى(٦٠١) .

ويحكى بالمر(٦٠٢) : « ان أبا معاوية العالم الأعمى كان يتغذى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغذاء ، وأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن

---

(٥٩٨) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٦٨١ .

(٥٩٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ .

(٦٠٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٦٣ .

(٦٠١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٠٢) PALMER : Harun Rashid, p. 33.

الذى فعل ذلك هو الرشيد على كثرة خدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين انى اعتقد أنك فعلت هذا تكريما للعلم فأجاب الرشيد هو كذلك » .

وكان المأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجه همه الى توسيع دوائرها المختلفة فارسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار واجتمع لديه عدد كبير منها واختار لها المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية والسريانية والفارسية والعربية والقبطية والهندية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عدد كتبه بما يضاف اليه من الكتب المختلفة . وتنافس أولو النباهة فى العلوم لما يرون من احتضانه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها ، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم فينالون عنده المنزلة الرفيعة ، والمراتب السنية ، كذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار حتى كانت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها ، وزمان اجتماع شملها(٦٠٣) .

فاجتمع فى بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم على عهد المأمون ، وكان فى بيت الحكمة(٦٠٤) ما الفه العلماء والأدباء فى اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام والملل والنحل ، وبعض هذه الكتب ألفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضع فى بيت الحكمة . فقد أمر المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ، فأمر بأن تفرد له حجرة من حجر الدار . ووكل به جوارى وخدم للقيام بما يحتاج اليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوف نفسه الى شىء ... وصير له الوراقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقون يكتبون ، حتى صنف الحدود ، وأمر المأمون بكتبه فى الخزانة ، فبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس(٦٠٥) .

ومما يجدر ذكره أن المأمون كان يحرص على الاحتفاظ بكل أثر نفيس يعثر عليه ، فيستدعى العلماء لفحصه وترجمته ودراسته . ومن ذلك : كان المأمون فى مصر ، وعثر فى مدينة أخميم على رسالة السر فى الكيمياء لهرمس « كانت تحت لوح مرمر فى قيد قبة » فى قبة فيها « امرأة ميتة تامة الخلق ، ضفائرها ممدودة الى

---

(٦٠٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٦٠٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٤١ .

(٦٠٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٥ .

رجليها . وعليها سبع حلل مذهبة ولهـا كلها زر واحـد ــ أى قميص من ذهب ــ وحولها أسرة صغار ، عليها أموات فى هيئة الصبيان . وهـذه الرسالة تحت رأسها . فى لوح من ذهب شبيهة بالكتف العظيمة بسواد بخط غريب . ولمـا علم بها الخليفة المـأمون ، استدعى العلماء لقراءتها وترجمتها فقراها رجـل من حمير ، كان عالمـا بالمسانيد . وفسرت له مع المزامير التى فسرت(٦٠٦) .

ان العرب ترجموا الى لغتهم أكثر كتب العلوم التى سعوا بالحصول عليها من : طب وفلسفة ونجوم ورياضيات ومنطق وفلك(٦٠٧) وغيرها . فاخـذوا من كل أمة أحسن ما عندها من علوم وفنون . فكان التراجمة من ملل ونحل مختلفة فى بيت الحكمة تجمع بينهم أواصر المحبة والتعاون . ففيهم المسلمون وفيهم النصـارى من السريان واليعاقبة ، وفيهم الصـابئة عبدة الكواكب ، وفيهم الأنبـاط والبراهمة والمجـوس واليهود(٦٠٨) وغيرهم . فمجلس الخليفة المـأمون كان يتكون من ممثلين لجميع الطوائف التى تدين بملكه .

فقـد كانت حرية الفكر فى ذلك العصر اى عصر ازدهار الحضارة الاسـلامية التى يروى فيها كيف أنه كان يحضر فى بغـداد دروسا كثيرة فى الفلسفة ويشترك فيها يهـود وزنادقـة ومجـوس ومسلمون ونصارى ، وكيف أن الحضور كانوا يستمعون الى كـل منهم باحترام عظيم ، وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الدولة الصادرة عن العقل لا الى الدولة المستقاة من أى كتاب مقـدس(٦٠٩) .

هـذا التسامح الاسلامى كان ولا شك ذا أثر فعال هائل فى حركة الاحيـاء والبناء الحضارى التى تولاها العرب بعـد الفتح . ذلك أن علمـاء النساطرة كانوا قـد لجـأوا الى فارس التى حمتهم من اضـطهاد الروم ، وسرعان ما ازدهرت تعاليمهم فى المدرسة الفارسية فى جنديسابور ، وكانوا يستعينون بشىء من الفلسـفة اليونانية بسبب تعاليمهم . وعندما وقعت جنديسابور فى قبضة العرب فى القرن الرابع

(٦٠٦) حاجى خليفة : كشف الظنـون : جـ ١ ص ٨٧١ ، ٨٧٢ .

(٦٠٧) المصدر نفسـه جـ ٢ ص ٦٧٦ ، ٦٨٢ .

(٦٠٨) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمـة ص ٢٦ .

(٦٠٩) جـلال مظهر : (**علوم المسلمين أساس التقـدم العلمى الحـديث**) (الهيئة المصرية العامة ــ القـاهرة ١٩٧٠ م) ص ١١ .

الهجرى . لقى هؤلاء العلماء المسيحيون تسامحا كبيرا وتشجيعا عظيما من الحكام المسلمين الذين استعانوا بهم فى تشييد صرح الدولة العلمى والثقافى فظهر منهم كثير من الأطباء والعلماء والتراجمة[610] .

وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ويجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمونها ، ووضع الاصطلاحات لها . فكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بها من العلوم والآداب والمعارف وخاصة الخليفة المأمون عالم بنى العباس وحكيمها ، فانه كان يشارك فى علوم كثيرة ، وله مجالس يعقدها فى قصره ويشارك فيها اجل العلماء ، ويحضرها الخليفة ويشارك فيما يدور بها من مباحث مختلفة ، يجلس مع الجالسين كأحدهم بغير تمييز أو عناية ، فيتكلم العلماء بكل حرية وصراحة فيما يبدو لهم . روى طرفور عن يحيى بن أكثم قال : « لما دخل المأمون بغداد وقر بها قراره . أمر بأن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته ، وكان يقعد فى صدر نهاره على لبود فى الشتاء وعلى حصير فى الصيف ، وليس معهما شىء من سائر الفرش ، فكان يجلس مجلس الفقهاء الذين اختارهم يحيى بن أكثم للمناظرة فى حضرة المأمون يقعد كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع »[611] .

هذا هو بيت الحكمة المؤسسة العظيمة التى سهل الخلفاء فيها سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك ، فقد كان يتعذر على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة ، والتى ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية وصرف فى سبيل الحصول عليها ، وعلى ترجمتها وتنقيحها المبالغ الكبيرة ، ففتحوا أبواب الدار لكل قاصد وشوقوا الناس الى التعلم والاقبال عليه ليقفوا على حقائق الأمور وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية . كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار ، فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء[612] وغير ذلك .

---

(٦١٠) المرجع نفسه ص ١٢ ، ١٣ .

(٦١١) طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : (**تاريخ بغداد**) (طبعة كلر ، لايبسك ١٩٠٨ م) ج ٦ ص ٣٦ .

(٦١٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٧ ، ٣٨ .

كانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة فلا تجـد فيه اثرا للتعصب الذميم . بل تجـد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة . ويتكلم أهـل الملل والنحل بمـا يبدو لهم وبمـا يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق .

وممـا يؤيد هـذا : أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة وأشرفوا على حركة الترجمة فيه ، هم من السريان واليهود والمجـوس وغيرهم ، ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء ، يعمل برأيهم ، ويأخـذ عنهم علماء المسلمين ، ويرجعون الى أقـوالهم وآرائهـم .

كما كانوا يؤدون شـعائرهم الدينية بمنتهى الحرية ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة ، ويناظرون المسلمين فى الأمور الدينية . ولربمـا كان هـذا أمام الخليفة نفسه . كان ثيودورس أبو قرة المتوفى سنة ٨٢٠ م تلميذ يوحنا الدمشقى وأسـقف حران ، يجادل علماء الدين المسلمين فى الأمور الدينية بحضور الخليفة المـأمون(٦١٣) . هـذا التسامح كان يسود بيت الحكمة فى عهد الخلفاء والوزراء أنفسهم ، حبا بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافـة الطبقات كما صارت الكتب التى تبحث فى شتى النواحى الفكرية متيسرة فى دكاكين الوراقين ، بعاصمة الرشيد والمـأمون فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى دياجير الظلام .

ولعل ذلك راجـع الى أن الخلفـاء العباسيين لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضـوا مذهبهم على الناس بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون فى المناظرات العلمية والدينية ويبذون آراءهم ، كأحد الحاضرين ، وتكون عرضة للنقد والرد عليها .

أما الفاطميون فانهم كانوا بالضـد من هـذا فالحريةالفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب فقه دار الحكمة فى مصر ممـا يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافتهم ، والدار نفسها مركز دعـوة واسـعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا نجـد فى الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعـوتهم . وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد فكان ينظمها فقهاء الدولة مـع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هـذا تحت اشراف الداعى . ثم الخليفة نفسه . ثم بعـد هذا التحفظ كانت تذاع على السامعين . فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة . فهى دار دعـوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هـذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبع بذلك سياسة

---

(٦١٣) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ج ١ ص ٥٤ .

الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . وكذلك اشتد عسف الخليفة الحاكم بامر الله(٦١٤) على أهـــل السنة وأهـــل الذمة . من أمثال ابن باديس وأبو بكر الانطاكى .

وهكذا نجـــد أن الصبغة السياسية فى دار الحكمة (فى القاهرة) فـــوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى تدعـــو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى — المستعلية منهم — ولكنها تسير تحت ستار من العلم والحكمة(٦١٥) .

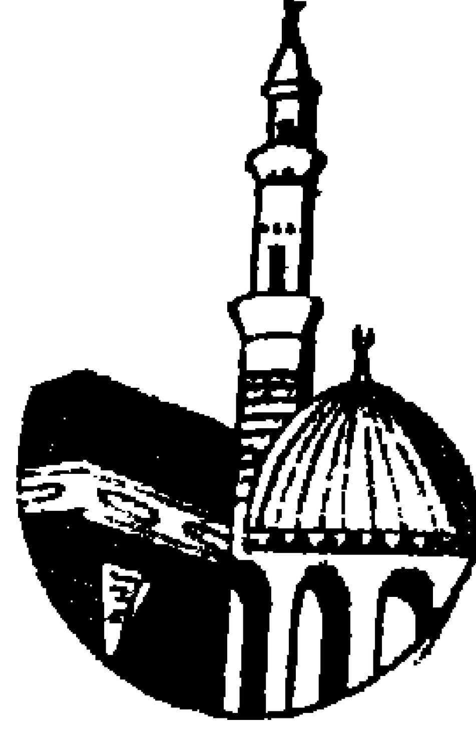
هـــذه الصبغة السياسية لا نجـــدها فى بيت الحكمة ببغـــداد ، فهى مؤسسة ثقافية عالية تهـــدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، نجـــد فيها الشعوبى يجادل العربى ، ويؤلف الكتب فى ثلب العرب وتفضيل العجم عليهم ، والعرب هم الذين منهم الخليفة مؤسس الدار وحامى العلم والدين . ونجـــد فيـــه النصـــارى بجانب المسلمين يتولون أمور الدار ، ويقومون بالاشراف على الترجمة والتأليف فيه ، يشاركهم بهـــذا الصابئة والمجـــوس واليهود وغيرهم ، ومنزلتهم العلمية الخالصة — الخالية من كل تعصب دينى أو مذهبى أو عنصرى — فالروح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار(٦١٦) .

وهكذا كان حرص الخلفاء والوزراء شـــديدا قـــويا على جعل أواصر المحبـــة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة دون تمييز بين أحـــد منهم جميعا دون النظر الى اللون أو الجنس أو العقيدة .

---

(٦١٤) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٠ ، ٥١ .
(٦١٥) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٢ .
(٦١٦) المرجـع نفسـه ص ٥٣ .

الباب الخامس



الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم ٠

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ٠

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة ٠

الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم



١ ــ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم .

٢ ــ بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى .

٣ ــ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم .

أولا ــ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم :

كان الجاحظ زعيما للبيان العربى ، وهــو كذلك أحــد زعماء المكتبة العربية ، التى كانت الصــدر المقــدم من مكتبات الدنيا فيما أســدت للانسانية والفكر العربى واللسان العربى من خير وما بسطته على ظلام المدنيات المتهافتة من نور . كان الجاحظ فى العصر الذهبى للأمة العربية ، عصر هارون الرشيد ، والعلوم والآداب والفنــون يومئذ تزخر بها معاهــد البصرة والكوفة وبغــداد وسائر عواصم الاسلام(١) .

وكان المعين فياضا مترعا ، والعقول فى نشاط وثورة ، والتأليف والترجمــة نهما دوى النحل فى كل صقع ، والدين الاسلامى يدعــو الى العلم والنور ، والمــال تلمع وجــوهه فى عيون أهــل الفضل ، فيذكى العزائم ، ويبرم العقــد ، والعلم ولود ، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به فى سبيل الظمــأ ، وحيثما شبع منه رجــع به فى ســبيل الجــوع(٢) .

كما شهد به العلامة جوستاف لوبون : « ولذلك نال العرب درجــة رفيعة من الثقافة بعــد أن أتمــوا فتوحهم بزمن قصير ، وكانت لهم مبتكرات فيما ورثوه من علوم الأولين . والواقــع أن حب العرب للعلم كان عظيما . وأن الخلفاء لم يتركوا طريقــا لاجتذاب العلمــاء ورجال الفن الا سلكوها ، وان أحــد خلفــاء بنى العباس شــهر الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحــد الرياضيين المشهورين للتدريس فى بغــداد ، وان كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل أخــذوا يتقاطرون الى بغــداد التى كانت مركز الثقافة العالمية كما أخــذوا يتقاطرون الى عاصمة الأندلس قرطبة التى كانت مركزا للعلوم والفنون والصناعة »(٣) .

وكانت بغــداد أثنــاء هــذه النهضة كعبــة العلم ، ومقصد العلمــاء ، ولمــا اضطربت أحــوال الخلافة بعــد زمن المــأمون ، ونشأت الدولة الجــديدة فى مصر والأندلس ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز جــديدة ، وهكذا أثمرت بذور العلم التى ألقاها خلفاء النهضة العباسية فى جميع العالم الاسلامى . خراســان والرى وأصبهان وأذربيجان وما وراء النهر ومصر والشام والأندلس وغيرها(٤) . واقتــدى

---

(١) الجاحظ : الحيــوان جـ ١ ص ٣٠ .

(٢) المصــدر نفسه ص ٤ .

(٣) جوستاف لوبون : حضــارة العرب ص ١٧ .

(٤) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٧ .

حشام هــذه البلاد بخلفاء النهضه العباسيه فى ترغيب اهــل العلم واستقدامهم الى عواصمهم كالقاهرة وغيرها(٥) . فكانت بغــداد يومئذ اجمل مدن الأرض وفيها كل شيء جــديد سواء كان ذلك فى خططها ومرافقها أم فى عقول أبنائها ونبوغ علمائهــا يحمل اليها من الآفاق بدائع ما صنع البشر وانتجت عقولم وناهيك بعاصمة مملــكة بنى العباس . فكانت سيدة المــالك . ودرة البلدان ، وبها عرش أعظم خلفــاء العباسيين هارون الرشيد وعبد الله المــامون . وكانت اعظم مدينة اسلامية حافلة بالعلماء والأدباء والمؤرخين واللغــويين . وازدهرت فيها المعارف والعلوم والآداب . وانبعثت ثمراتها فى عهده . وها هى ذى بقايا آثارهم العلمية والادبية تحــدثنا بمــا بلغوه من المكانة العليا فى تحصيل المعارف والاجادة فى كل انواع العلوم والآداب(٦) .

ولا يزال اهــل البحث والتنقير عن المخطوطات فى مكتبات العالم يكشفون لنــا فى كل يوم بمــا ينقلونه بالتصوير الشمسى من خفــايا مؤلفاتهم ما يقضى منه العجب العجــاب ، ويشهد بالأسبقية والرجحان . ولا غرو فقــد كانت بغــداد هى مهــد الحضارة الاسلامية ، تلك الحضارة التى لا يزال أهــل كل الأمم الراقيــة يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام(٧) . ومنها انتشرت المعارف والعلوم والآداب التى كان لهــا الأثر فى ترقية المدارك وانارة البصائر وتشهد بمــا كان لعلمائها من مجــد عظيم ومقام كريم . وكانت بغــداد منبع العلوم ومنتدى الادب فى ذلك العصر الذهبى الذى كان زاهيا بالعلوم والفنون ، زاهرا بالأدب والمعارف(٨) .

كما نافس أمويو الأندلس العباسيين فى بغــداد والفاطميين فى المغرب . ومصر نافست قرطبة وبغــداد والقاهرة وبخارى وغزنه واصبهان وغيرها من امهات المدن الاسلامية . وقــد أصبحت قرطبة مركزا هاما للثقافة الأوروبية . حتى أن الطلبــة كانوا يفــدون اليها من جميع أنحاء أوروبا ليتلقوا العلم على أساتذتها الاعلام ولم يكن تشجيع العلم والعلماء مقصورا على الخلفاء والأمراء وذوى اليسار . بل كان للوزراء أثر كبير فى ذلك . فقــد كان ابن أبى عامر الذى تولى الحجابة فى عهد هشام المؤيد بن الحكم المستنصر محبا للعلوم والآداب ، مكرما للمشتغلين بهــا . وكان يعقد

---

(٥) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٣ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٦) خطاب عطية على : (**التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول**) . (القــاهرة ١٩٤٧ م) ص ١٠٥ .

(٧) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصفهانى ص ١٠٦ .

(٨) المرجــع نفســه .

فى كل أسبوع مجلسا بقرطبة يجتمع فيه العلمـــــاء والأدباء للمناظرة بحضرته[9] . فأصبحت حاضرة الأندلس ســـوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الادب حتى جـــذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفـــدوا اليها لارتشاف العلم من مناهـــــله والتزود من الثقافة الاسلامية ، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم ـــ كانت قرطبة ـــ كما يقول المقرى ـــ الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة (مستقر أو مركز) أولى الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى . وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبـــة الاسلام وحضرة الامام ودار صـــوب العقـــول[10] .

فالاندلس وبغـــداد مركزان مهمان من مراكز الحضارة الانسانية امتازا بالتطور والازدهار فى جميع ميادين العلم والمعرفة والفن والعمران كما امتازا بالمعاصرة ـــ وتبادلا معظم وسائل الثقافة فتلاحمت الأفكار والخبرات والمعارف ، كان حصيلة ذلك كله التراث العظيم لبغـــداد والأندلس الذى يتغنى به القريب والبعيد ، وينهل من معدنيه السامية كل طلاب العلم والمعرفة[11] .

وقـــد سادت بين الأندلس وبغـــداد علاقات نابعة من أصالة الروابط الاجتماعية والدينية والسياسية ، وكانت لتلك العلاقات نتائج ذات أثر واضح فى تطور مختلف مظاهر الحياة الاسلامية بوجـــه خاص والتقـــدم الانسانى بوجـــه عام . ولعل أبرز تلك الصلات هى العلاقات الثقافية ، وفى عهد ازدهار بغـــداد والأندلس والتطـــور الكبير الذى رافق مسيرة كل منهما انتقلت الكثير من عـــــوامل الحضارة فى ميادينها المختلفة ، وقام العـــديد من الرواد العلماء والأدباء والفنانين بزيارة المشرق والمغرب والأندلس وتمت عملية الامتزاج وانتقال التأثيرات الحضارية والتى كان لهـــا دورها الايجابى فى ربط وتعميق العلاقات بين الاخـــوة فى المشرق والمغرب والأندلس ، وكان لذلك فعله الواضح فى تعريف التراث بشكله الشامل لجميع العرب والمسلمين والعمل على حفظه من الضياع . وانتقلت كتب بغـــداد الى الأندلس فى شتى مواضيع العلم والمعرفة واقبل على تناولها روادها وانكبوا عليها درسا ونقـــدا وتعليقا وانتقلت تلك

---

(٩) المراكشى ، محى الدين : (**المعجب فى تلخيص أخبار المغرب**) . (مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ١٩ ، ٢٤ .

(١٠) المقرى ، محمد بن محمد المقرى التلمسانى : (**نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب**) حققه د. احسان عباس (دار صادر ـ بيروت ، لبنان ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م) ج ١ ص ٢١٨ .

(١١) د. حسين أمين (**العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغـداد فى العصر العباسى**) مجلة المؤرخ العربى ـ بغـداد العراق عـ ٢٤ (١٩٨٤ م) ص ١١ .

التاليف من الأندلس العربية الاسلامية الى الامارات المسيحية فى الشمال ومنهـــا الى أروبا[12] .

وهكذا أصبحت الاندلس معبر الحضارة الانسانية والطريق الصالح لنقل تراث العرب والمسلمين الى أوروبا . وتعرفت أوروبا عن طريق العــــلاقات الثقافية بين الاندلس وبغـــداد على الكثير من المعارف والتجارب والمكتشفات العلمية ممــا سهل على الاوروبيين الكثير من الجهــد والوقت وصارت آراء جابر بن حيان والرازى فى جلب معارف واعمال رجال العلم فى أوروبا كما أصبحت كتب العرب والمسلمين هى الاولى للتدريس فى جامعاتها .

كما وصـــل علماء رواد من المشرق الى المغرب والاندلس فكان هناك نخبة من العلماء الاجلاء ، قاموا بزيارة بغـــداد فكانت وقتذاك . كعبة القصاد ومنارة العلم ومتعـــة الدنيا ، تستقطب الناس على مختلف الوانهم وأحـــوالهم لمـــا وصلت اليه من التقـــدم والازدهار فى كافـــة ميادين الثقافة والحضارة . ومن أبرز من زار حاضرة العباسيين الأديب الحافظ محمـــد بن الوليد بن محمد الأندلسى المعروف بأبى بكر الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م ، دخـــل بغـــداد والبصرة وتفقه على أبى بكر محمد بن أحمد الشاشى مدرس المدرسة النظامية . والمدرسة النظامية هى أم المدارس العراقية شيدها نظام الملك لتدريس فقه الشافعى والتى تعتبر من أشهر المدارس الاسلامية فى العصر العباسى . وممن زار بغـــداد من الأندلسيين سليمان بن خلف التجيبى الأندلسى البادى وهـــو من شرق الأندلس ورحـــل الى بغـــداد واقام بهـــا ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحـــديث ، ولقى بها سادة العلماء كأبى الطيب الطبرى الفقيه الشافعى والشيخ أبى اسحاق الشيرازى صاحب المهـــذب ، وأول مدرسى المدرسة النظامية . ومن الذين دخلوا بغـــداد من أهل الأندلس أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد القيسى الأندلسى من أهـــل العلم باللغة العربية فاتصل بعلماء بغـــداد[13] فاستفاد وافاد ، وتوفى هـــذا العالم سنة ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م .

كما زار بغـــداد رجل لـــه شهرته الواسعة وهـــو معروف عند جميع المثقفين العرب والمسلمين صاحب الرحلة المشهور محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى فأخـــذ بطريقة التدريس المسبقة فى المدرسة النظامية ووقف على حسن النظـــام

---

(١٢) المرجع نفسه ص ١١ ، ١٣ .

(١٣) المرجع نفسه ص ١٤ .

والتقـدم التدريسى فى تلك المدرسة العظيمة التى أدت دورها الكبير فى خـدمة التراث والحضـارة الانسـانية[١٤] .

كما أنشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية (أكاديمية) على مثال (الأكاديميات) الموجودة ببغـداد وغيرها من البلاد وأطلق عليها دار الحكمة . فالتحـق بها عـدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء ، وألحـق بدار الحكمـة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حـوت ما لم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . وأجرى هـذا الخليفـة ومن جاء بعـده من الخلفاء على خـدامها ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والأقـلام والمحـابر والـورق[١٥] .

ذلك لأن دار الحكمة كانت جامعة حقة تضم عـدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وأفردت للجامعة الجـديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الصغير بجوار باب التباين تعرف بدار مختار الصقلبى ، وقسمت الى عـدة أقسام ومجالس للقـرآن والعلوم الدينية والفلك والطب والنحو وعلم اللغـة ، وعين لهـا أقطاب الأسـاتذة فى كل علم وفن ، فكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، فهرع اليها الطلاب من كل صـوب ، ويصف المسبحى وهـو معاصر وشاهد عيان ، ما اتخـذ لانشاء دار الحكمة من عظيم الأهبة والعناية ، ما اجتمع فى مكتباتها العظيمة من نفائس المراجـع والكتب « ممـا لم يجتمع مثله لأحـد قط من الملوك »[١٦] .

كانت دار الحكمة فى ظاهرها جامعة حرة علنية يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون ، ولكن هـذا المظهر العلمى لم يكن فى الواقع الا ستارا للغـاية الأصلية التى أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهى بث الدعـوة الفاطميـة السرية بطريقة علمية منظمة[١٧] .

هـذه الصبغة السياسية والمذهبية لا نجـدها فى بيت الحكمة ببغـداد فهى

---

(١٤) المرجع نفسه ص ١٤ .

(١٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٥٨ ، جـ ٢ ص ٣٤٢ .

(١٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، **المخطوط لوحة** ٥٩ ب ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .. مكتبة سراى أحمد باشا ، اسطنبول تحت رقم ٣٠١٣ .

(١٧) محمد عبد الله عنان : (**الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية**) (مؤسسة الخانجى ـ القاهرة ١٢٧٩ هـ/١٩٥٩ م) ص ٢٦٤ .

مؤسسة ثقافية عالية بل اكاديمية من أعظم الأكاديميات فى عصرها ، تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، كما أن الروح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار . بل انها أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ، ولجأ اليها طلاب العلم والمعرفة ليحققوا أكبر زاد علمى حتى يخرجوا بثقافة مختلفة الاتجاه تشكل علوم الطب والفلسفة والحكمة[18] ، وغيرها .

فكانت بيت الحكمة حجر الأساس لمدرسة بغداد التى ظل تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر . ويرجع الفضل الى هذه المدرسة الزاهرة فى الحفاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمها بقسوة فى القرن السادس ، واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرت حضارة الاسلام على مجرد انقاذ الحضارة القديمة والحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هذه خدمة تجل عن الوصف ، ولكن لم يكن الأمر كذلك فان علماء وفلاسفة مدرسة بغداد أضافوا واثروا الحضارة القديمة باضافات مبتكرة فى كل فروع العلم ، باكتشافات بلا عدد فى الفنون التطبيقية وفوق كل ذلك باكتشاف طرق جديدة للبحث والاستكشاف[19] .

ويشهد التاريخ لأمتنا بأنها حرصت منذ قامت دولتها الاسلامية الكبرى ، على أن تكون المكتبات العامة حارسة للمخطوطات ، ومدارس مفتوحة الأبواب لطلاب العلم ، ورصد لها من الجهود والأموال ما جعلها مقصد العلماء والطلاب فى زمن لم يكن يعرف سوى الكتاب وسيلة لنشر المعرفة . وكان انشاء دور الكتب العامة من أقوى الشواهد على تقدير الدولة للتراث العلمى والأدبى ، ووعيها بقيمة الكتاب وخطر رسالته[20] .

وبدأت الدولة الاسلامية تأخذ دورها القيادى للبشرية فى الحضارة المادية والمعنوية فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هذه الحضارة . فكانت عنايتها باحياء تراثها وتشييد دور الكتب تساير هذه النهضة مؤثرة فيها ومتأثرة بها[21] .

---

(١٨) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

(١٩) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٨٠ .

(٢٠) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ١٧ .

(٢١) المرجع نفسه ص ١٨ .

وظل بيت الحكمة ببغـداد ، وكان يدعى أيضا دار العلم مزارا للعلماء من انحاء الدولة الاسلامية الكبرى ومقصـدا لطلاب العلم والمعرفة ، لمـدى قرون خمسـة تقريبا ، وكان علماء العربية والاسلام خارج العراق ، يجعلون رحلتهم الى بغـداد واجبا علميا فيحجون الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيـه من نفائس المخطوطات والافادة منها حتى لقيت مصيرها الفاجع مـع سقوط بغـداد(٢٢) على يد التتـار سـنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

وقـد نهضت بغـداد بهـذا العبء على خير وجـه فلم تترك لقرطبة مجـالا فيه ؛ فكان الاتجاه لنشر الثقافة العربية التى بلغت عز نضجها وأوج نهضتها(٢٣) .

فكانت النهضة العلمية تساير عصور القـوة للدول الثلاث ، فكانت بيت الحكمة فى بغـداد ومكتبة العزيز فى القاهرة ، ومكتبة الزهراء فى قرطبة عنوان هـذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها . كما كانت دور الكتب العامرة فى المشرق ، ومن اشهرها مكتبة المدرسة النظامية وخزائن كتب النجف الأشرف وخزانة سيف الدولة فى حلب والمدرسة النورية ومكتبة أبى الفـدا فى حماة والظاهرية فى دمشق وبنى عمار فى طرابلس(٢٤) .

وفى المغرب الجامع الأعظم فى القيروان ، وجامع الزيتونة فى تونس ، وجامع القرويين فى فاس ، والحكمة فى مراكش ، والجامع الأعظم فى مكناس . وكانت هـذه الدور الثقافية وأمثالها مما لا يتسع المجال لاستيعابه ، تعطى تفسيرا تاريخيا لهـذه النهضـة التى حملت أمتنا لواءها فى العصر الوسيط(٢٥) فقـد أنتجت الضرورة أو الحاجـة للاختصاص ، ومن ثم وجـدنا جامعات تمتاز دون غيرها بدراسات تجيدها وتختص بهـا فيقصـدها الطلاب للاستفادة منها كمسجد الكوفة والبصرة ، حيث ازدهرت العلوم اللغوية ونما النحو العربى وتكونت المدرستان المشهورتان فى النحو : نحاة الكوفة ، وكان يغلب عليهم القياس ، ونحاة البصرة ويغلب عليهم السماع . وأثمر الاختلاف والتنافس بين المدرستين أطيب الثمرات فى رقى النحو وتقـدمه وتحـديد أهـدافه ومقاصـده(٢٦) .

---

(٢٢) المرجـع نفسـه ص ٢١ .

(٢٣) المرجـع نفسـه ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٤) المرجـع نفسـه ص ٢٨ .

(٢٥) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين جـ ١ ص ١٥ .

(٢٦) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٤٩ .

ان العالم لم يشهد قبل المسلمين امة مثلهم ، اخلصت فى طلب العلم وجـدت فيه وبذلت الجهـد والوقت والمـال — وبلغت فيه الغايات التى بلغوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها(٢٧) . وكان نتيجة المنهج الواسع والعلوم الكثيرة التى كان يمكن لطالب العلم فى الوطن الاسلامى أن يدرسها ويجـد من يوجهه فيها من العلمـاء والمتخصصين فازدهرت الحركة العلمية . واتسعت العلوم وكثر العلماء المبرزون فى كل فرع من فروع المعرفة وفى جميع العلوم والفنون بل فى جميع العلوم الاخرى بمـا فى ذلك العلوم الرياضية والطبيعية(٢٨) .

وفى القرن الثالث الهجرى اشتهرت مدينة بغـداد بالدراسات الفلسفية نتيجة لتشجيع الخلفاء لهـذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمـأمون . بينما اشتهرت جامعة الفسطاط فى ذلك العهد بالدراسات الفقهية الشافعية لاقامة الامام الشافعى بها ووجود تلاميذ فيها حتى أصبحت مقصـدا للطلاب الراغبين فى الفقه الشافعى(٢٩) . كما اشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحـديث والفقـه وتقصيرها فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها(٣٠) .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القـديمة لوجـدنا أن درجة تركيزها فى مختلف العلوم تختلف من قطر الى قطر ، وأحيانا من جامعة الى أخرى حتى فى القطر الواحـد . ولكن الذى لا مرية فيه أن جميع العلوم النافعة كان لهـا وجـود فى الجامعات الاسلامية اذا أخـذت كـكل(٣١) .

وممـا كان يساعد على الرحلات والأسفار العلمية وحـدة الوطن الاسلامى . وانفتاح أجزائها بعضها على بعض وعـدم وجـود الحـدود المصطنعة بين أجزائه والرعاية الكريمة التى كان يلقاها طلاب العلم وسهولة الالتحاق بالجامعات الاسلامية وبساطة الطريقة التى يتلقى العلم بها ، فحسب الطالب فى العصور الوسطى أن توجد لديه الرغبة الحافزة والأستاذ المطلوب فيقصـد مجلسه ، وسرعان ما يصبح ضمن طلابه وأصحابهثم يظـل هكذا معه حتى اذا قضى وطره رحل عنه الى غيره ، سواء كان الأستاذ الجـديد فى بلده أم فى البـلاد الأخرى(٣٢) .

---

(٢٧) د. عبد الوهاب عزام : الاسلام والعلم فى الاسلام ، اليوم وغدا ص ١٢٩ ، ١٥٩ .

(٢٨) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٦ .

(٢٩) د. عمر التونى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .

(٣٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ١٧٥ .

(٣١) المرجع نفسه ص ١٧٥ .

(٣٢) المرجع نفسه ص ٢٠٨ .

لقــد تركت الرحلة فى العالم الإسلامى آثارا طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيــا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبلدانه[٣٣] وقــد بين العلامة ابن خلــدون مزاياها وفضــلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلم ولقــاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم . والسبب فى ذلك أن البشر يأخــذون معارفهم وأخــلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علما وتعليما والقــاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ؛ الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشــد استحكاما وأقوى رســوخا . فعلى قــدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ــ . (الى أن قال) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهــدى من يشاء الى صراط مستقيم »[٣٤] .

فالاغالبة يرجع اليهم الفضل فى نمو مدرسة القيروان وازدهارها . والمؤرخــون يذكرون كيف أنشأوا بمساجد القيروان حلقات التدريس كما أنشأوا مدارس جامعــة أطلقوا عليها اسم « دور الحكمة » وجلبوا لهــا الأساتذة من الشرق ، فكانت هــذه المدارس وما اقترن به انشــاؤها من انصراف القــائمين عليهــا للدرس والبحــث عاملا هاما فى رفع شأن لغــة العرب وثقافتهم[٣٥] .

وتاريخ المساجد الجامعة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ التفكير الاسلامى ، ولا يمكن لمؤرخ الفكر أن ينسى ذلك الدور العظيم الذى أدته المساجد الجامعة فى نشر العــلوم والثقافة وفى المساهمة فى تكوين الحضارة الاسلامية[٣٦] .

ذلك أن المسجد الجامع كان فى نفس الوقت هــو الجامعة الاسلامية . وقــد بدأت المساجد الجامعة فى مختلف حواضر العــالم الاسلامى فى تأدية هــذه المهمــة العلمية الجليلة فى عصر مبكر ، وكان اضطلاعها بها فى البداية من الأمور الطبيعية التى تتفق مــع روح الثقافة الاسلامية الأولى ، وهى ثقافة كان يغلب عليها الطابع الدينى الاســــلامى[٣٧] .

---

(٣٣) المرجــع نفســه ص ٢١٧ .

(٣٤) ابن خلــدون : المقــدمة جـ ٤ ص ١٣٦٥ .

(٣٥) د. حسن أحمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣٦) د. عز الدين فراج : (فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) (دار الفكر العربى ـ القــاهرة) ص ١٢٢ .

(٣٧) المرجــع نفســه .

واستحالت المساجد الجامعة فى انحاء العواصم الاسلامية الكبرى الى نوع من الجامعات الدينية والمدنية معا . تدرس فيها الى جانب علوم القرآن والسنة . علوم اللغة والأدب وما اليها . وهكذا رسخت صفة المساجد الجامعية بمضى الزمن . ولم يكن مكانا للصلاة فقط ولكنه غدا فى نفس الوقت مدرسة أو جامعة يجتمع فيها مختلف العلماء أو يقصدها الطلاب فى غير أوقات الصلاة للدرس والقراءة على أيدى اولئك الأساتذة وقد كانوا على الاغلب أقطاب عصرهم فى العلم والدين(٣٨) .

وقد قام الجامع الأزهر بمهمته الجامعية منذ أواخر القرن الرابع الهجرى . وما زال الى يومنا ، بعد الف عام ، قائما بها ، ينشر من العلوم الاسلامية ما هو كثير وعظيم . والجامع الأزهر لبث مدى قرون طويلة كأعظم الجامعات الاسلامية . فقد تخرجت فيه اجيال متعاقبة من أقطاب العلماء من سائر أنحاء العالم الاسلامى . وقد ترك فى تاريخ الآداب العربية والعلوم الاسلامية أعظم الآثار فضلا عن أنه مسجد من أعظم المساجد الاسلامية(٣٩) .

اما فى الأندلس فقد كانت المساجد الجامعة ، منذ قيامها ، على ما كانت عليه فى المشرق ، مراكز لدراسة العلوم الدينية واللغوية ، بيد أنها ما لبثت أن استحالت بسرعة الى جامعات علمية حقة ، يغلب عليها الطابع المدنى المتحرر ، ومنذ أوائل القرن الرابع الهجرى نرى جوامع الأندلس تبدو فى صفتها الجامعية الواضحة وتجذب اليها الطلاب ، ليس فقط فى سائر انحاء شبه الجزيرة الأسبانية والمغرب ، بل ومن سائر أنحاء الأمم الأوروبية ، ومنهم كثير من الطلاب المسيحيين الذين كانوا يرون مثلهم الأعلى فى الدراسات الأندلسية(٤٠) ، والتى كانت يومئذ تتفوق فى مناهجها **ومواردها** على دراسات الأديرة ، وهى يومئذ مركز العلوم والدراسات الأدبية . **وقد** كان من هؤلاء الطلاب أعلام مثل الراهب « جوبير » الذى درس فى معاهد قرطبة واشبيلية ايام المنصور بن أبى عامر وتولى البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثانى(٤١) .

وكان جامع قرطبة حاضرة الأندلس يومئذ تدرس فيه سائر العلوم الدينية والمدنية ، التى كانت معروفة وقتئذ ، ومنها طائفة من العلوم المحضة ، كالطب والرياضة

---

(٣٨) المرجع نفسه ص ١٢٣ .

(٣٩) المرجع نفسه ص ١٢٣ .

(٤٠) المرجع نفسه ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤١) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

والطبيعة والفلك ، وهى علوم بلغت يومئذ بالأندلس ذروة التقـــدم . وكانت تجـــذب أنظـــار الهيئات العلمية الأوروبية بازدهارها وتفوقها[٤٢] .

وبجانب جامع قرطبة طائفة أخرى من المساجد الجامعة فى اشبيلية وطليطلة وبلنسية وسرقسطة وغيرها من قواعـــد الأندلس ، تؤدى نفس المهمة الجامعيـــة والثقافية الجليلة ، وكلها تزدحم بالطلاب من سائر أنحـــاء شبه الجزيرة وأنحـــاء البلـــدان الأوروبية المختلفة[٤٣] ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الأمم على العـــلم والتعليم ، والتمحيص والتحقيق كما تعاونت الأمم التى جمعتها أخـــوة الاســـلام ، وألفت بينها عقائده وشرائعه وعـــدالته ومرحمته ودعـــوته الى العلم والعمل .

وهكذا ظلت بيت الحكمة قائمـــة تشيع الحكمة والمعرفة مشرقا يتلألأ ومعلمـــا من معالم الحضارة الباقية تؤثر وتتأثر فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العـــالم[٤٤] .

فالتاريخ هـــو رقيب الحياة يسجل الأحـــداث ، ويحفظها لمن يطلع عليهـــا ، ليقرأ فى ضوئها المـــاضى ، ويستمد منها العظة للحاضر ويخطط فى هديها المستقبل .

---

(٤٢) المرجـع نفسـه ص ١٢٤ .

(٤٣) المرجـع نفسـه ص ١٢٤ .

(٤٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٤ .

ثانيا — بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى :

ازدانت بغداد ببيت الحكمة التى اكسبتها مجدا وعزا . وجذبت اليها العلماء والطلاب من مختلف اقطار العالم الاسلامى الكبير . وقد كان الأمراء والخلفاء يشجعون العلم والعلماء . ويجمعونهم من الأقطار ويغدقون عليهم العطايا والهبات بما كان له الاثر فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار(٤٥) .

ويتحدث المؤرخون فى اعجاب واكبار عن الخليفة المأمون الذى جمع حوله جمهرة كبيرة من العلماء ارتفع بهم بلاطه وزين ملكه ، والذى بلغ بيت الحكمة فى عهده الذروة . كما يتحدثون عن الحاكم بأمر الله الذى كان يحضر مجالس العلم والذى أنشأ دار الحكمة بالقاهرة ونقل اليها من قصره من الكتب ما لم ير مجتمع قط لأحد من الملوك والأمراء والذى أوقف أوقافا سخية على الأزهر ودار الحكمة ودور العلم(٤٦) . وهكذا حرص الفاطميون على ان تزدان القاهرة بمكتبة تضارع بيت الحكمة عظمة وشهرة .

وظل المأمون ينهض بأمته ويعمل على رفعة شأنها . وينشر العلم فى انحائها . حتى وصل بها الى أسمى الغايات وأحلها أعلى مكان(٤٧) كما كان مثالا فى سائر اسباب النهضة العلمية ، فاقتدى به بنو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة (٣٥٠ هـ وتوفى ٣٣٦ هـ) اذ كان معجبا بالعلوم مكرما لاهلهما جماعا للكتب بأنواعها ، فانشأ فى قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من انحاء العالم فكان يبعث فى شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتعريبها(٤٨) .

فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل فى الاسلام فجعلوها فى قاعات خاصة من قصر قرطبة . وأقاموا عليها مديرا ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة واقتدى بالحكم بن الناصر رجال دولته وعظماء مملكته وأنشأ المكاتب فى سائر بلاد الأندلس حتى قالوا ان غرناطة وحدها كان فيها سبعون

---

(٤٥) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٧ .

(٤٦) المرجع نفسه ص ٢٧٣ .

(٤٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ص ٤٧ .

(٤٨) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٦ .

مكتبة من المكتبات العامة وأصبح صاحب الكتب فى الأندلس صفة فى أهلها ، واصبح اقتناؤها من شارات الوجاهة والرقى عندهم(٤٩) .

وفى عهد الحكم الثالث وهو ابن عبد الرحمن الثالث الذى كان مثل أبيه عظيم الشغف بجمع العلوم ونشرها ، وصل عدد الكتب الموجودة فى مكتبة قرطبة نحو نصف مليون كتاب ووضع لها فهرسا مكونا من أربعة واربعين كتابا بكل منها خمسون صفحة وأرسل مثل أبيه فى طلب العلماء والكتب من جميع مراكز العلوم فى اليونان وبيزنطة ومراكز الحضارات الثقافية فى البلاد العربية بشراء أحدث المؤلفات(٥٠) . وكان لا يبخل فى دفع ثمنها مهما كان باهظا حتى قيل ان النسخ الأصلية من المؤلفات كانت تظهر فى مكتبة قرطبة قبل ان تظهر النسخ الأخرى منها فى بلاد الشرق العربى . وكانت هذه المكتبة تفوق فى عظمتها مكتبات القاهرة وبغداد والاسكندرية لما كانت تحويه من الكتب النادرة وبلغ من حرص الحكم فى اقتنائه للكتاب انه كان يعمل جهده فى أن يظهر الكتاب الحديث فى مكتبة قرطبة قبل أن يظهر فى موطن مؤلفه ، لقد ترامى الى مسامعه أن أبا الفرج الأصفهانى — عالم العراق — الف كتابا يسمى الأغانى فبعث لهذا الكتاب ، فيبهر المؤلف ، ويؤخذ لكرم الخليفة القرطبى وسخائه فى عطيته ، ثم يسرع فيرسل اليه الكتاب مصحوبا بقصيدة يطرى فيها الخليفة الأموى والبيت الأموى(٥١) وهكذا نافست قرطبة فى عظمتها القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق وأصبحت قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء حتى أن قرطبة لم تكن فى عهد من عهودها أغنى وأكثر ازدهارا فى اى وقت كانت عليه فى عهد الناصر(٥٢) .

واللافت للنظر حقا أن تأسيس مكتبة الزهراء بقرطبة ، يكاد يعاصر مكتبة العزيز بالله فى القاهرة فقد ولى المنتصر بالله الخلافة الأموية بالأندلس من سنة ٣٥٠ هـ/٣٦٦ هـ وهو العام التالى لخلافة العزيز الفاطمى بمصر . وكما عد المؤرخون عهد الرشيد وابنه المأمون عصر القوة فى الدولة العباسية ، عدوا كذلك عهد المعز لدين الله وابنه العزيز بالله عصر الازدهار للدولة الفاطمية ، وعهد الناصر وولده المنتصر ، العصر الذهبى لدولة العرب والاسلام بالأندلس . وهنا وهناك كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث : الدولة العباسية

---

(٤٩) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

(٥٠) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٣١٨ .

(٥١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٠ .

(٥٢) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ٣٦٤ .

والفاطمية والأموية . فكان بيت الحكمة فى بغـداد ومكتبة العزيز فى القاهرة ومكتبة الزهراء فى قرطبة عنوان هـذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها(٥٣) .

وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مراكز للعلوم والترجمة من اليونانية والهندية وغيرهما من الكتب القـديمة الى اللغـة العربية ، ومن تلك الذخائر الثمينة مؤلفات ديسقوريدس التى كان قـد ترجمها من قبل حنين بن اسحاق فى عصر بنى العباس فى بغـداد وترجمها « نيلولا » اليونانى من اليونانية الى اللاتينية . فكانت هـذه الترجمة تقارن بترجمة حنين بن اسحاق وان جاءت شروح نيلولا اضبط لانواع النبات ووصفها ، والبلاد التى تزرع فيها وفـوائدها الطبية(٥٤) .

ونشطت حركة الترجمة فى عهد المنتصر بالله كما نشطت فى عصر الرشـيد والمـأمون بالمشرق ، مـع فرق واضح قضت به طبيعة الظروف وتفاوت الأوضاع : ففى بغـداد اتجهت الترجمة الى النقـل عن اللغـات القـديمة غير العربية . أما فى قرطبة فكان النقـل عن اللغـة العربية الى اللغـات الأجنبية وبخاصة اللغتين الأسبانية واللاتينية . وكما كان المتعربون فى المشرق يجيدون لغاتهم الأولى وكثرتهـا شرقية ؛ كان كثير من اهـل الأندلس يتقنون الأسبانية واللاتينية . ونضيف الى هـذا الفارق بين البيئتين ، أن المكتبة العربية الأولى فى بغـداد ، اهتمت بالانتفاع بتراث الفكر القـديم ، لتغـذى الفكر الاسلامى ، بروافـد سـخية من ماضى المعرفة ، أما فى الأندلس ، وقـد نهضت بغـداد بهـذا العبء على خير وجه فلم تترك لقرطبة مجالا فيه ، فكان الاتجاه الى نشر الثقافة العربية التى بلغت عـز نضجها وأوج نهضتها(٥٥) .

والذى يعرف التاريخ يجـد فيه فضل المـأمون على النهضة الفكرية فى شـد أزرها ورفع قواعـدها ، ففى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة ، وأقبـل الناس على المعرفة يلتمسونها فى آثار السريان واليونان وسـواهم من الأوائل . ويبدو من أسباب ذلك الانتعاش الذى أصاب الحياة الفكرية أن المـأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل فيمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ وما يسمع وغير قانع بمـا يحصل عليه من تلك الطرق(٥٦) .

---

(٥٣) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(٥٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٨ .

(٥٥) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٥٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جديدة وآراء مبتكرة وأبحاثا قيمة ، وأفكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ففتحوا لهم الأبواب وأغدقوا عليهم العطاء وذللوا لهم الصعاب ، وكانوا يجلسون اليهم دائما ، وضرب المأمون العباسى مثلا أعلى فى ذلك فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم ويعتبرهم صفوة الله فى أرضه ونخبة عباده مما جعل للعلماء مركزهم ومنزلتهم الرفيعة فى الدولة الاسلامية فى أوج مجدها وعظمتها ، وبالتالى مما شجعهم على العمل والدرس والكتابة فتعدد انتاجهم وازدهرت الحضارة بفضلهم(٥٧) .

فالمأمون كما يصفه HUGHES (٥٨) أزهر فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال دولته من الصفوة الأفذاذ فى الشرق والغرب ، هذا الى جانب الاساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطه وزين ملكه . ومن هنا تعددت مراكز البحث فى العواصم العربية حتى أصبحت بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة وقرطبة بمثابة مشاعل متوهجة ترسل أنوارها للعالم كله ومقصدا للعلماء والباحثين يجتذبهم نورها من كل صوب .

ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى قد بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى باتباعها هذه الأنظمة ، وفتح أبوابها لكل قارىء ، وتسخير كل هذه الامكانيات لخدمته ، دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ، ومدعاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور(٥٩) .

---

(٥٧) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٨ .

(٥٨) HUGHES : Dictionary of Islam, p. 295, 196, London, 1885.

(٥٩) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٨١ .

ثالثا ــ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من انحاء العالم :

أما فى العصر العباسى فاصبحت الدبلوماسية وسيلة لتبادل العلاقات الودية بين الدول وغيرها ، وتقدم فن الدبلوماسية ، فاصبح التمثيل السياسى بين الخلفاء واباطرة الروم ذا طابع يجعل نطاق العلاقات الدولية متعددة الاغراض بين السفارات حتى تعددت السفارات بين الدول الاسلامية والقسطنطينية ودولة الفرنجة والهند والصين(٦٠) .

كان السفراء العرب يختارون على اسس غاية فى الدقة لا تختلف كثيرا عن النظم التى تتبع الآن . كان الخلفاء يقومون بانفسهم باختيار المرشحين للسفارة بعد أن ينتهى رجال الدولة من بحوثهم ودراساتهم عن أولئك المرشحين . وكان رئيس ديوان الرسائل يتولى التمهيد لاختيارهم واعداد الكتب التى يحملونها . واهتمت مصر ولا سيما فى العهد الفاطمى بهذا الذى عرف باسم « ديوان الانشاء »(٦١) وصار يقوم بالمهام التى تقوم بها وزارة الخارجية فى العصر الحديث . وحرص الخلفاء بالرغم من هذه الادارات الدقيقة على أن يتولوا هم انفسهم اختيار السفراء ، فكان يتصف من يقع عليه الاختيار بالذكاء ونفاذ الرأى وحصافة العقل وسعة الثقافة ، تجعله يستنبط غوامض الأمور ، ويستشف سرائر القلوب . ويجب أن يكون فصيحا ليعجب السامع بحديثه ويسحره بحلاوة لسانه ، ثم ليكون كلامه ممتعا أنيقا يوصل الى الهدف المطلوب(٦٢) .

وقد اختير كثير من القضاة والفقهاء والمتصوفين لأعمال السفارات كما انتخب من موظفى الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء من يصلح لمهام الوفادة(٦٣) . وقد امتد نشاط السفراء العرب الى غربى أوروبا حين ولى شارلمان شئون دولة الفرنجة وبعث بسفارة الى الخليفة هارون الرشيد لعقد تحالف معه(٦٤) .

واستدعى هارون الرشيد أحد خاصته وعهد اليه . وقال له : اتانا من ملك

---

(٦٠) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٢ .

(٦١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٦٢) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٤٩ .

(٦٣) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(٦٤) د. ابراهيم العدوى : (**السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى**) . (دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٥٧ م) ص ٧٥ .

الفرنجـــة رسول يقرئنا منه السلام ، ويلتمس جميع رعايتنا بمن يحج الى بيت المقـــدس ، فرأينا أن نوجهك بهـــدايا تطلب اليه أن يتقبلها فى سبيل المودة . وكان الخلفاء واباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام فى الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقى العلم فى الجامعات الكبرى فى عواصم دول العرب والروم ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيد الناحية الحربية(٦٥) ولم تقصـــد السفارات الثقافية الى طلب الكتب النـــادرة وغيرها فحسب وانما امتدت الى دراسة الأماكن التاريخية التى تتعلق بأحـــداث العرب أو بمـــا ورد ذكره فى القرآن الكريم — ومن أشباه هـــذه الاتصالات العلمية — تلك السفارة التى أرسلها الخليفة الواثق الى افسوس بآسيا الصغرى . وكانت تابعـــة لدولة الروم لتزور الكهف الذى آوى اليه من فروا بدينهم فى عهد الامبراطور دقلديانوس ، ومنح امبراطور الروم ميخائيل الثالث تلك السفارة العربية اذنا بهـــذه الزيارة(٦٦) .

وكان عندما يتم تجهيز بعثة السفير وتتهيأ لمغادرة البلاد الاسلامية يزود السفير وهـــو رئيس البعثة بخطاب اعتماد يحرره ديوان الرسائل باسم الدولة الاسلامية مخاطبا رئيس الدولة الموفـــد اليها السفير مبينا اسم السفير وأعضاء البعثة مـــع بيـــان ألقـــابهم(٦٧) .

وقـــد أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصيرتهم أن الثقافة من أهم العـــوامل التى ترتكز عليها النهضة الصحيحة ، ومن أمتن الأسس التى تشيد عليها صروح المجد والسؤدد ، ومن أقـــوى مقومات الشخصية الدولية أن الاسلام قـــد جعل العـــلم فريضة على كل مسلم وأوصاهم بطلبه من المهـــد الى اللَحـــد وحثهم على السـعى وراءه أينما كان ومن أى وعاء خرج(٦٨) . لذلك فقـــد خرج الخلفاء من الاطار الدينى المحـــدود ، وراحـــوا يولون العلوم الدخيلة كل عنايتهم ، مستمدين اياها من أربعة مصادر رئيسية : الهندية ، الفارسية ، اليونانية ، السريانية ، وذلك عن طريق نقل ثقافات هـــذه الأقـــوام الى لسانهم(٦٩) .

(٦٥) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٥٠ .
(٦٦) المرجـع نفسـه ص ١٥٠ .
(٦٧) المرجـع نفسـه ص ١٥٠ .
(٦٨) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٩٩ .
(٦٩) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٠ .

لكن تنظيم هـــذه الصفات الثقافية تم على اكمل وجـــه فى عهد المـــأمون حكيم بنى العباس الذى ســـخر كل الامكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكريه الحبيسة فى مكتبات القسطنطينية أو قبرص . ولـــا احتل هارون الرشيد مدينتى عمورية وانقرة امر بالمحافظة على مكاتبها وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتى ينـــدر وجودها عنـــد غيرهم من الأمم . فاختاروا الكتب النفيسة النادرة فى الطب والفلسفة والفلك . ونقـــلوها الى بغـــداد . وولى هارون الرشيد امر هـــذه الكتب الى يوحنا بن ماسويه اكبر أطباء عصره وجعل لـــه من يساعده بترجمتها(٧٠) .

كما كان المـــأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجـــه همـــه الى توسيع دوائرها المختلفة ، فارسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار ، واجتمع لديه عـــدد كبير منها . واختار لهـــا المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية ، السريانية ، الفارسية والهندية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عـــدد كتبه بمـــا يضاف اليه من الكتب المختلفة التى يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، وما كان يجمعه السريان من كنائســهم وأديرتهم فى الشام وبلاد الجزيرة فعهد بأمر هـــذه الكتب الى اجـــل العلماء وأفصحهم(٧١) .

روى ابن النـــديم ان المـــأمون كان على اتصال بالامبراطور ليو الارمنى وقـــد استظهر عليه المـــأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القـــديمة المخزونة المدخرة ببلـــد الروم فأجاب الى ذلك ، فأخرج المـــأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة ، فاخـــذوا ممـــا وجـــدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه اوصاهم بنقله فنقل . وقـــد قيـــل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفـــذ الى بلـــد الروم . قال محمد بن اسحاق : ممن عنى باخراج الكتب من بلـــد الروم أبناء موسى بن شاكر المنجم الذين ارسلوا فى طلب المخطوطات وأجزلوا العطاء لمن يقوم بترجمتها من أمثال حنين بن اسحاق وثابت بن قرة فجاءوا بطرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والطب ، وكان قسطا بن لوقا قـــد حمل معه شيئا فنقله(٧٢) .

---

(٧٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٧١) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٤٨ .

(٧٢) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ويبدو ان بعثات الكشف عن كنوز الكتب لم تترك مكانا أينعت فيه الثقافة الهيلينية الا وذهبت اليه . وكانت هذه الصفقات يذكيها شغف المأمون الغريب بالفكر الاغريقى هذا الشغف الذى كان يشغله حتى فى نومه فأخذ يسعى بشتى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة ، فكان يرسل العلماء وأهل الرأى الى بلاد الروم وغيرها لكى يفتشوا عن الكتب النادرة ، ويرغبوا أصحابها ببيعها ، فجمعوا منها كل نفيس ونادر(٧٣) . وممن دخل بلاد الروم لتحصيل الكتب فى الفلك والنجوم للخليفة المأمون هو يحيى بن أبى منصور المنجم المأمونى ، وهذا أحد علماء بيت الحكمة ، فتوغل فى بلاد الروم ، وجمع نفائس الكتب التى تبحث فى ذلك(٧٤) .

وسافر قسطنا بن لوقا البعلبكى الى بلاد الروم ، وحصل الكثير من تصانيفهم ، وعاد الى الشام ثم استدعى الى بغداد ، ليترجم الكتب من اليونانية الى العربية ، ويذكر ابن النديم : أنه كان يقدم على حنين لفضله ونبله ، وتقدمه فى صناعة الطب ، وكان بارعا فى علوم كثيرة منها : الطب والفلسفة والاعداد والموسيقى فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة بالعربية ، لذا عهد اليه بترجمة كتب عديدة ، فكان من التراجمة المعدودين الذين يعول عليهم(٧٥) .

ودخل بلاد الروم حنين بن اسحاق العبادى وجد فى تحصيل كتب الحكمة ، وبذل غاية امكانه فى ذلك ، كما أنه اغتنم فرصة وجوده فى بلادهم فتعلم اليونانية وأحكمها ، وعاد الى بغداد ومعه تحف نادرة من كتب الحكمة ولازم بنى موسى بن شاكر ورغبوه فى نقل الكتب الى العربية ، وكان حنين أحد أعاظم العلماء الذين خدموا بيت الحكمة بما نقله اليها وألفه فيها(٧٦) .

وصارت بغداد قبلة العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف اجتمع فيها علماء أعلام خدموا التراث الانسانى أجل خدمة بما ترجموه من الكتب النفيسة ، وما ألفوه من العلوم المختلفة ، وما أبدوه من آراء ونظريات .

ان حركة الترجمة التى قام بها العرب ، بعد اتصالهم بغيرهم من الأمم

---

(٧٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٦٧ .

(٧٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٠ ، ٣٨٤ .

(٧٥) المصدر نفسه ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٧٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٣ ، ٢٤٠ .

اطلعتهم على علوم ومعارف لم تكن معـلومة عندهم ، ومما وجـدوه من المؤسسات الثقافية فى البلاد التى فتحوها أو التى اتصلوا بها هى : دور الحكمة » او « دور العلم » وجـدوا فى الاسكندرية « دار علم »(٧٧) . استعان العرب بعلمائها فى ترجمة وشرح كتب الحكمة . وكان فى أخمين(٧٨) من بلاد مصر — دار حكمة — لا تقـل أهمية عن علم الاسكندرية ، وفى الأندلس « بيت الحكمة » حـوت نفـائس الكتب والمسورات ، وكان فى بلاد الروم وقبرص دور حكمة(٧٩) .

فاجتمع فى بيت الحكمة ببغـداد نخبة ممتازة من العلماء والاطبـاء والفلكيين واصحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العـلوم والفنون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم فى عهد المـأمون(٨٠) .

وهكذا كانت أهم وجوه النشـاط العلمى فى العالم تجرى فى بيت الحكمة فى بغداد من اجـل انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم(٨١) . ومـمـا ساعد على ذلك ان انتقل الى لغـة العرب تراث الأمم القـديمة المتحضرة من مصرية ويونانية وهندية وفارسية ، وانصبت هـذه الروافـد كلها فى التراث العربى وتفاعلت معـه فى ضـوء خبرات العرب الحسية ، وتأملاتهم العقلية . وكان منهـا ذلك التراث العلمى الذى يحفل بمظاهر الأصـالة والابتكار . وكان يقوم بالترجمة فى العادة مجموعة من المترجمين يشرف على كل منها رئيس يراجـع أعمالهم ويصـحح أخطاءهم ويقف وراء حركتهم الخلفاء والأمراء من محبى العلم يمـدونهم بالمـال ، ويتعهدون أهلهـا بالتشجيع(٨٢) .

ويرجع هـذا الى حرص الخلفاء والأمراء على اجتذاب العلماء من كل الملـل الى بلاطهم وأجزلوا لهم العطاء وتولوهم بالرعاية والتقـدير وتكريما للعلم وأهله احتـل المسلمون وغير المسلمين منهم مكانا مرموقا فى الدولة العربية الاسلامية(٨٣) .

---

(٧٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٥٢ .

(٧٨) المصدر نفسـه ص ١٢٧ .

(٧٩) ابن خلكان : وفيات الأعيـان ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

(٨٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٧ .

(٨١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٨٢) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢١٢ .

(٨٣) المرجـع نفسـه ص ٢١٤ .

وليس هـذا غريبا على خلفاء الدولة العباسية حتى أن هـدد احـد خلفاء بنى العباس بالحرب قيصر الروم اذا لم يأذن لعـالم رياضى معروف بالتدريس فى جامعـة بيت الحكمة ببغـداد .

ولم تفتر هـذه الحركة انمـا بقيت على شـدتها زمن المعتصم والواثق واغلب الظن أن صفقات مماثلة عقـدت مع الهنود والزرادشت وأباطرة الصين . ويقـول سيديو : « ان العباسيين شغفوا بالعلوم الأدبية ، فأحضروا من القسطنطينية الكتب اليونانية وترجموها الى العربية ، وفتحوا ببغـداد مدرسة ألسن لتربية المترجمين ، ورتبـوا خمسة عشر الف دينار لمدرسـة يتعلم بها مجانا ستة آلاف تليمذ من الفقراء والأغنياء وانشأوا كتبخانات رخصوا الدخول فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية(٨٤) فى سائر جهات آسيا حتى تكلموا بها بدلا من لغتهم » .

والحق أن الذى سهل على بعض العقليات العربية المبتكرة عملية الاضـافة والابتكار والخلق هـو فضيلة الصبر والدأب التى هى عـون على البحث والوصول الى النتائج ذات الجـدوى(٨٥) .

وليس هـذا غريبا أيضا على أمة العرب والمسلمين الذين حملوا هـذه الحضارة وعمـلوا على اشاعتها لأن دينهم يدعـو الى الحضارة والتقـدم . ويدعـو الى طلب العلم من المهـد الى اللحـد ، والتماسه من اى مكان مهما بعـد ـ وقـد أقبلوا على الثقافات المختلفة يغترفون منها ويحيلونها الى ثقافة حية نامية تخـدم الحياة ، وترفع مستوى المجتمع ، فهم لم يكتفوا بالنقـل بل اتحفوا عناصر المدنية التى اقتبسوها من جيرانهم من الشعوب التى استولوا عليها بالشىء الكثير من ابداعهم وتشيد بفضلهم وتنـوه بجهـودهم(٨٦) .

يقول ديبـور : « اما أن تكون رقعة الأرض فى عهدهم حينئذ ـ كانت أقـل من مساحتها الحالية أو أن الأرض كانت تطـوى من تحت أرجلهم » . وهـو على يقين من أن شيئا من ذلك لم يكن ولكنهم بعلمهم وبصـدق صلتهم بربهم ونصرتهم لدينهم وعقيدتهم ووحـدة صفوفهم حققوا ما يشبه المعجزات(٨٧) .

---

(٨٤) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٨٥) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٦٩ .

(٨٦) المرجع نفسه ص ٣٧٥ .

(٨٧) د. عبد الحليم محمود : (**أسس الاسلام فى بناء المجتمع**) محاضرات الموسم الثقافى ـ ابو ظبى (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م) ص ١٠ .

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة



١ ــ تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاسلامية .

٢ ــ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة .

٣ ــ ادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامى .

اولا — تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاسـلامية :

عـلم الـكلام :

ان الثقافة بلغت أوجها وانتهت الى غايتها ، وان مجالس الخلفاء أنفسهم كانت مدارس علم — ومواطن معرفة وملتقى أفكار — ومنارات اشعاع حيث تحتك العقول وتتصارع الآراء ، بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة(٨٨) .

لقـد نصبت المعتزلة نفسها للدفاع عن الاسلام ومجادلة أعـدائه من اليهود والنصارى والمجوس هؤلاءالذين تسلحوا — فى أساليبهم — بالمنطق اليونانى ، وما كان يتسنى لهم أن يثبتوا أمام خصومهم الا اذا تسلحوا بسلاحهم واطلعوا على آرائهم وما قام عليها من حجج وبراهين وكان من اثر ذلك أن صبغت مسائل الدين بصبغة علمية فلسفية كما تسرب اليها الكثير من هـذه الآراء الأجنبية(٨٩) .

فكان المـأمون يرى رأى المعتزلة ولكنه لم يفرض مذهبه على الناس بل انه عزز مذهب المعتزلة — أهـل الرأى — بترجمـة كتب الفلسفة والمنطق وهى التى تؤيد مذهبهم ، وكان من هـذه الحركة « علم الكلام » الذى مهـد المعتزلة قواعده ، وبرعـوا فيه وصار خير مساعد لهم على نشر مذهبهم(٩٠) .

وذلك لأنه كان على رأس الحكومة العباسية فى ذلك الوقت ، عبد الله بن المأمون ابن الرشيد ، وقـد كان يعـد نفسه من المعتزلة وعالمـا من علمائهم ، وكان يعقـد المناظرات لتأييد مذهب الاعتزال ويثير المناقشات حـول كون القرآن مخلوقا أم غير مخلوق ، وفى آخر حياته وجـدت فكرة اكراه العلماء من فقهاء ومحـدثين على ذلك القـول ، ومن هنا نزلت المحنة بالامام أحمد بن حنبل فى دار السلام(٩١) . وحمـلوا الناس بالقـوة على اعتناقه وأطلقوا لهم العنان فأصبحوا دولة داخـل الدولة لهم الاشراف التام على تنفيذ تعاليم الدين طبقا لمبدئهم القـويم الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(٨٨) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٨٩) محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٩٠) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥١ .

(٩١) الشيخ محمد أبو زهرة : (**محاضرات فى المذاهب الفقهية**) (مطبعة مخيمر - القـاهرة ١٩٦٢ م) ص ٢٩٦ .

المنكر[92] . وفى هـذه الفترة تزايد عـددهم حتى بلغ الثلاثين الفا ، وانتشر دعاتهم فى اقاصى البلاد حتى بلغوا الصين مشرقا وبلاد الغرب غربا . اشار الى ذلك شاعرهم صفوان الأنصارى[93] فى احدى قصائده عن مؤسسها واصل بن عطاء فيها يقول :

لـه خلف شعب الصين فى كل ثغرة ... الى سوسها الأقصى وخلف البرابر

رجال دعـاة لا يفـل عزيمهم ... تهكم جبـار ولا كيـد ماكر

ومن هنا كانت مقـدرتهم الكلامية (المعتزلة) حيث تصـدوا للدفاع عن الاسلام ومحاربة اهـل الديانات الأخرى ، وقـد دفعهم ذلك الى الاطلاع على هـذه الديانات المختلفة . والالمـام بدقائقها والاحاطة بكتبها الدينية ، وشروحها المختلفة ليدافعوا عن علم ويجادلوا عن بينة . كما دفعهم ايضا الى الاتصال بالثقافة اليونانية ، والتمرس بأساليبها المنطقية التى تعين أرباب الكلام على البحث والمناظرة[94] .

وبهـذا تسلح المعتزلة — وخاضوا المعارك العلمية التى دلت على قـدرتهم الخطابية ، ومقـدرتهم الكلامية ، ولم يقف بهم الأمر عند حـد الممارسة لهـذه وتلك بل وضعوا للخطابة اصـولا وللبلاغة قواعـد وللكلام شروطا — حتى قيل أنهم هم الذين خلقوا « علم الكلام »[95] ، وأن الكلام لهم دون سـواهم لأنهم واضعو اسسه الأولى التى بنى عليها المتكلمون فيما بعـد .

فالقول بحرية المرء فى خلق أفعاله من تلقاء نفسه ، وقـدرته التامة على ذلك ، مأخـوذ عن الكنيسة اليونانية ، كما يقول « فـون كريمر » : فقـد ذكر أن يوحنـا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قره كانا من كتاب هـذه الكنيسة ، وكانا يعيشان قبل الفتح الاسلامى ، فلما فتحت الشام شاعت عنهما هـذه الآراء بين المسلمين[96] .

ومـا يدل على أن هـذا القـول منقـول عن المسيحية ، ما ذكر عن اعشى

---

(92) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٣٥ .

(93) الجاحظ : البيان التبيين جـ ١ ص ٣٧ .

(94) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٣٦ .

(95) ابن الخياط : (**الانتصار**) . (دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م) ص ٧٢ .

(96) فـون كريمر : الحضارة الاسلامية ص ٧٠ .

قيس[٩٧] الشاعر المخضرم ، فقد قيل عنه : أنه كان قدريا قبل ان توجد القدرية كفرقة ، وأنه أخذ هذه النظرية عن العباد أو مسيحيى الحيرة .

وقد تطور مذهب المعتزلة فى العصر العباسى الثانى فاتخذ شكلا جديدا وانتشر تحت تأثير فلسفة أرسطو كما انقسم الى أقسام تتفق جميعا فى نقط معينة . فقد أجمع المعتزلة على اختلاف فرقهم على نفس الصفات الالهية ، وعارضوا كل فكرة تتنافى مع وحدة الله وقرروا أن ادراك وسائل الخلاص وطرق النجاة ، انما يرجع الى سلطان العقل[٩٨] .

وقد تأثر المعتزلة تأثرا شديدا بالفلسفة الاغريقية ، فاقتبسوا منها واجهدوا أنفسهم فى أن يضيفوا الى المعانى الاسلامية التى جاء بها القرآن الكريم ، جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار علمية وفلسفية وأن يلائموا بينها . ويخرجوا منها مزيجا جديدا يتفق مع تعاليم الاسلام وأصوله[٩٩] .

وقد نشأ الخلاف بين الاعتزال والفلسفة من ناحية ، وبين الدين من ناحية أخرى ، وأفنى المعتزلة قواهم فى المناقشات المستمرة التى أثارتها مدرستا البصرة وبغداد وظل المعتزلة أقوياء حتى ثار عليهم أبو الحسن الأشعرى وصرعهم الغزالى[١٠٠] الذى قال : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى الا أن يكون لله » .

وللمعتزلة احساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره فى حياة الناس لأنهم قد بنوا كيانهم على أساس من العلم ، ودافعوا عن دينهم ومبادئهم بسلاحهم ، ولم يتح لهم فى كفاحهم ما أتيح من نصر وتفوق الا لأنهم كانوا علماء يؤيدون قضاياهم الدينية ومذاهبهم الكلامية بالدليل والمنطق .

فلعل الحرية التامة التى كانت تسود بيت الحكمة فنجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم

---

(٩٧) المصدر نفسه ص ٧٢ .

(٩٨) د. عبد النعيم محمد حسنين : (**سلاجقة ايران والعراق**) (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١٧٠ .

(٩٩) BROWN : A Literary Hist. of Persia, Vol. 1, P. 288.

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٢ .

وبمـــا يعتقدونه ويرونه اقرب الى العقل والمنطق فلا نجـد اثرا للتعصب الذميم فيه . ومـمـــا يؤيد ذلك انه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ، فكانوا يجادلون علماء المسلمين فى الأمور الدينية بحضور الخليفة نفسه (المـأمون)(١٠١) .

هــذا التسامح الذى كان يسود بيت الحكمة فى ظــل رعاية الخلفاء أنفسهم أدى الى ازدهار العلوم الاسلامية فيها ، وكذلك نشر الروح العلمية الخاصـــة بين كافـــة الطبقات ، كما صارت الكتب التى تبحث فى شتى النواحى الفكرية متيسرة فى دكاكين الوراقين بعاصمة الرشيد والمـأمون فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى دياجير الظلام(١٠٢) . وهكذا فان اعلام الاعتزال الذين اثروا الحركة العلمية فى هــذا العصر كبشر بن المعتمر ، وثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبى دؤاد وغيرهم .

عــلم الفلســفة :

ان العرب ابتداء من القرن الثالث الهجرى ، بعــد تقــدمهم فى الحضارة ، وتنوع الوانها ، شرعوا يسمون كل فرد بالصناعة التى اشتهر بها ، ومهر فيها : والفن الذى يجيده ، ويعرف به ، كالفقيه أو المفسر أو المحــدث أو الحاسب أو المهندس أو المنجم أو الطبيب أو الفيلسوف ، وهــذا يدل على أن الفلسفة ، أصبحت لونا متميزا اذا اشتغل به صاحب فكر سموه فيلسوفا ، والفلسفة صناعة نظر ، وثمرة تأمل وفكر ، وليس كل ناظر فيلسوفا ولا كل مفكر مؤثرا بالحكمة ، بل ذلك الذى يؤثر الحــق ويسعى الى طلبه ، ويجــد فى ادراكه ، ويتخــذ له سيرة خاصة تليق به وتطبعـــه بطابعـــه(١٠٣) .

وقــد وضع الكندى فى رسالة « الحــدود والرسوم » للفلسفة تعريفات ستة بحسب اعتبارات مختلفة من النظر وهى :

١ ــ من جهة الاشتقاق ، اسمها : حب الحكمة .

٢ ــ من جهة فعلها : التشبه بأفعال الله تعالى بقــدر طاقة الانسان ، ارادوا أن يكون الانسان كامل الفضيلة .

---

(١٠١) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية جـ ١ ص ٥٤ .

(١٠٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٩ .

٣ — من جهة فعلها أيضا : العناية بالموت ... يريدون اماتة الشهوات ، لأن اماتة الشهوات هى السبيل الى الفضيلة .

٤ — من جهة العلة : صناعة الصناعات وحكمة الحكمة .

٥ — من جهة النفس : الفلسفة معرفة الانسان نفسه .

٦ — من جهة حقيقتها فى ذاتها : الفلسفة علم الأشياء الأبدية الكلية ، انياتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الانسان .

وهذه كلها تعريفات مشهورة مأثورة عن الفلاسفة اليونانيين عن فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو(١٠٤) .

وفى القرن الثالث الهجرى تأسست المدرسة الفلسفية الاسلامية بزعامة « الكندى » وهى شديدة الارتباط بالفلسفة الهيلينية ، كما تظهر فيها الاتجاهات الأفلاطونية الحديثة ، وشرع عدد من كتاب هذه المدرسة فى محاولة التوفيق بين افلاطون وأرسطو ، وبين الديانة الموحى بها ، وأشهر هؤلاء الفلاسفة الفارابى وابن سينا(١٠٥) . فلم يكن العرب بمعزل عن الثقافات الأجنبية فى هذا العصر ، وبين ظهرانيهم المدارس السريانية التى كانت تقوم بذور الوسيط بين الشرق والغرب وعنها عرف العرب منطق أرسطو ، واستعانوا به فى مجادلة اليهود والنصارى ، كما اصطنعه « المتكلمون » فى محاوراتهم المذهبية ليظهروا على خصومهم بلغة العقل ، ويفندوا آراءهم بالحجة والدليل ، ولكن ذلك كان فى ابسط صوره وأقل مراتبه من حيث انه كان فى أولى مراحله . وثمة فرع آخر من فروع الفلسفة قد مست الحاجة اليه ، ونعنى به « علم الطب » وما يتبعه من كيمياء وصيدلة(١٠٦) .

وقد تأخر نضج الفلسفة عند المسلمين بالقياس الى العلوم الأخرى لأن الفلسفة اليونانية التى استندوا اليها فى فلسفتهم لم تنقل كتبها الى اللغة العربية الا فى عصر المأمون على وجه العموم ، وحرص فلاسفة المسلمين على التوفيق عموما بين

---

(١٠٣) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٢٧٣ .

(١٠٤) المرجع نفسه ص ٢٧٤ .

(١٠٥) حيدر بامات : اسهام المسلمون فى الحضارة الاسلامية ص ١١٦ .

(١٠٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٨١ .

الفلسفه والدين دون الانتصار لأحـدهما على الآخر . وأشهر فلاسفة الاسلام فى المشرق الكندى والفارابى وابن سينا[١٠٧] .

ان ميل افراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية وخاصـة المـأمون الذى شجع الفلسفة وامر بارسال من يطلب كتب الحكمة من بلاد الروم كما شجع على الترجمة فى الحكمة الى اللسان العربى . والخلفاء عادة اقـدر على الترغيب واقناع الناس فيما أحبوا ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق اغراضهم والولوع بما اولعوا به ، واكثر الخلفاء العباسيين ميلا الى ذلك المنصور والرشيد والمـأمون[١٠٨] .

فازدهرت بيت الحكمة فى عهد الخليفة المـأمون لميله الى الفلسفة والعـلوم العقلية ، وانفق أموالا طائلة فى نقـل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطيـة وغيرها ، وكان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم مثل سهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة للمـأمون[١٠٩] . وازداد عـدد الكتب فى عهـد الخليفة المـأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص المـأمون على نقلها الى بيت الحكمة ، بل نجـد المـأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغـداد فقـد كان يحيى يعرف اللغـة اللاتينية ، وضمت هـذه الكتب الى بيت الحكمة وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم[١١٠] .

وقـد عرف المـأمون منذ حـداثته بالجـد والحرص على طلب العلم والتفقه فيه حتى أصبح حجة فى المسائل العلمية والفلسفية[١١١] . وعاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة فنبغ فى خلافة المـأمون صاحب بيت الحكمة وعاصر كبار النقـلة المشهورين مثل : حنين بن اسحاق ، وخاض غمار هـذه الحركة وشـارك فيها[١١٢] . على أن الكندى وان كان قـد تعلم الكلام وحصل علوم الفلسفة فانمـا كان يسلك فى سبيل الملوك أنفسهم حتى يرتفع لمجالستهم ويسمو الى مقـامهم .

---

(١٠٧) د. ابراهيم أحمد العدوى : (**تاريخ العالم العربى وحضـارته فى العصر الاسلامى**) (القاهرة ١٩٧٥ م) ص ٣٤٧ .

(١٠٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٦٦ .

(١٠٩) ابن النـديم : الفهرست ص ١٧٤ .

(١١٠) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(١١١) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٠٥ .

(١١٢) د. احمد فـؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٥٩ .

ويساير تيار العصر الذى كان يعيش فيه وكثير من الأمراء كانوا يفعلـــون ذلك . ويحـــذون حـــذو الخلفاء باقتناء الكتب وتشجيع العلماء ، وقـــد مالت نفس الكنـــدى عن علم الكلام وآثر أن يتجه الى الفلسفة وعلومها فأحاط بجميع فروعها[113] علاى أن الكندى قـــد نبغ فى المرتبة الأولى فى الرياضـــيات والفلسفة الطبيعية ، ويرى أن الانسان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبة ، وللكندى نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعلم ، فيرى أن كل ما يقـــع يرتبط بعضـــه ببعض ، ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شىء والمـــادة تتخـــذ الصورة التى يشـــاء العقـــل افاضتها[114] عليهـــا .

واشتغل الكندى بالفلسفة ، ولـــه فيها تصانيف ومؤلفات جليلة جعلتـــه من المقـــدمين ، ويعتبرها المؤرخون نقطـــة تحول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى اذ كان فى عهده وقفـــا على غير المسلمين العرب . فهـــو « الكندى » واسع الاطـــلاع اشتهر بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ،وهـــو لم يقف عنـــد الاطلاع والتبحر بل انتج وكان منتجا الى أبعـــد الحـــدود ، تدلنـــا على ذلك مصنفاته التى وردت فى الفهرست وقـــد جعلهـــا ابن النـــديم على ســـبعة عشر نوعا فى مختلف العـــلوم[115] .

فالكندى امام أول مذهب فلسفى اسلامى فى بغـــداد كما يقول « ماســـينون » وقـــد أثرت الفلسفة فى اتجاهات تفكيره فكان ينهج نهجا فلسفيا يقوم على العنـــاية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية واستقامته فى نظر العقل. ومن هنا يتجلى خصب قريحته ، وعلى أنه واحـــد عصره فى معرفة العلوم بأسرها ، وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظم جهوده[116] .

أما الفارابى[117] فهـــو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابى من فاراب ،

---

(١١٣) المرجـــع نفســـه ص ٣٢ .

(١١٤) ديبـــور : تاريخ الفلسفة فى الاســـلام ص ١٤٣ .

(١١٥) قـــدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١١٦) المرجـــع نفســـه ص ١١٨ .

(١١٧) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٨٢ .

احـدى مدن الترك فى ما وراء النهر ، وهـو فيلسوف المسلمين غير مدافع . دخـل العراق واستوطن بغـداد ، وقرأ بها علوم الحكمة على يوحنا بن جيلان[118] .

وقـد أفاد كل الافادة ، ففلق أقرانه وأربى عليهم فى التحقيق وشرح الكتب المنطقية . وتوضيح غامضها وكشف سرها . وفى دائرة المعارف البريطانية : ان أبا نصر أعظم فلاسفة الاسلام ، قبل ابن سينا . وهـو تركى النسب ولـد فى (ديبـج) وهى محلة صغيرة فى اقليم فاراب فيما وراء النهر ؛ وتتفق دائرة المعارف الاسلامية مـع القفطى فى أن الفارابى أخـذ علوم الحكمة عن الطبيب النصرانى « يوحنا بن جيلان » . وتقول بعض المراجع أنه كان يختلف الى بغـداد حيث أخـذ المنطق عن بشر متى بن يونس الحكيم المشهور .. ثم عاد الى بغـداد وقرأ بها علوم الفلسفة واكثر المراجع العربية تعـد الفارابى أكبر العلماء والفلاسفة بعـد أرسطو[119] .

ويقـول (ديتريص) فى مقـدمته لرسائل الفارابى (ط ليـدن ١٨٩ ج ٣) : ان الفارابى قـدس الفلسفة العربية والذى يقرأ الفارابى يجـد فى تفكيره طرافـة ونضوجا وفهما عميقا يدل على طـول تأمل فى الفلسفة . وقـد اعتبر الفارابى من جملة الأطباء ، ويظهر انه لم يباشر مهنة التطبيب بالفعل[120] . عرف الفارابى منذ أول اتصاله بالحياة الفكرية بأنه كان ميالا الى التأمل والنظر وأنه كان يؤثر العزلة والبعـد عن الناس ، فكان فى شبابه متأثرا بعلوم المنطق والفلسفة ، فهـو فى كهولته كان يميل الى الفن ، ثم ختم حياته بالتعلق بالتصوف . وقـد الف كتبا كثيرة ضاع أكثرها واشتهر بين العرب بشروحه الدقيقة لفلسفة أرسطو ، ولكنه لم يقف عند الشرح ؛ فقـد الف طائفة من الرسائل والمقالات والكتب التى تشرح فلسفته الخاصة وهى التى كان يحاول فيها الجمع بين آراء الحكيمين : أفلاطـون وأرسـطو وقـد بلغت مؤلفاته ٢٨ كتابا[121] .

ويرى الفارابى أن العقل يستطيع أن يحكم على الشىء بأنه خير أو شر وهـو بذلك يجارى المعتزلة فيما قرروه من قاعـدة التحسين والتقبيح العقليين اذ يقولون : ان الانسان يجب عليه أن يفعل الخير ويعرفه بعقله ، قبل أن يجىء الوحى به ؛ ولا شك أنه يخالف أهـل السنة الذين يقولون : ان الخير ما أمر الله به والشر هـو

---

(١١٨) يوحنا بن جيلان : كان حكيما نصرانيا وأستاذا للفارابى .

(١١٩) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٥٣ .

(١٢٠) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٥٠ ، ١٥٣ .

(١٢١) محمد عطية الأبراشى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٦٧ .

ما نهى عنه[١٢٢] . وهكذا فان الحركة الفكرية فى بغـداد فى العصر العباسى الأول يمكن أن نعتبرها بحـق خلاصة الثقافة العالمية فى ذلك العصر ، فأضافت الى أصالتها العربية ثقافات مختلفة المعارف والثقافات الأخرى[١٢٣] .

عـلم المنطـق :

حين جاء العصر العباسى كانت دعائم الاسلام قـد ثبتت واصبحت عقـائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم فتغيرت المكانة التى كان يصنع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها . لقـد وجـدوا انهم فى حاجـة الى البحث فيها ودراستها ، والتزود بمـا تتجه من وسائل فى الجـدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم والدفاع عن الاسلام[١٢٤] .

يقول حمودة غرابة : « حين وجـــد المعتزلة النساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الاغريقية التى عرفـوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية عنـوا هم أيضا فى أن يتسلحوا بها فاستعانوا بالمنصور فى ترجمة المنطق الأرسطى . وهكذا كان المنطق أول علم من علوم الفلسفة بمعناه الضيق ، حصل به اشتباك بعلم الـكلام الاسـلامى »[١٢٥] .

وقـد تنبه القـدماء الى هـذا الاتجاه فيقول المقريزى : « احتلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم كتب الفلاسفة وأكثروا من النظر فيهـا والتصـــفح لهـا[١٢٦] . ويقول صاعـد الأندلسى : « ان أول علم اعتنى به من علـوم الفلسفة علم المنطـق والنجـوم »[١٢٧] . ويذكر (هنيرش بيكر) : « ان الاسلام تعرض فى هـذا العهد الى هجمات الغنوص ، وفى هـذا النضال استعان الاسلام اليونانية ، وعنى بايجاد علم من العلوم الدينية والعقلية يشبه عالم العصر المدرسى فى أوروبا فى العصور الوسطى ، فكان الاسلام الرسمى قـد تحالف اذن مـع التفكير اليونانى

---

(١٢٢) المرجـع نفسـه ص ٧٥ .

(١٢٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٠٣ .

(١٢٤) د. الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٧٢ .

(١٢٥) حموده غرابة : (**ابن سـينا بين الدين والفلسفة**) . (من مطبـوعات مجمـع البحـوث الاسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م) ص ٢٦ .

(١٢٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٥٧ .

(١٢٧) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥٦ .

والفلسفة اليونانية ضد الغنوص الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص »(١٢٨) .

ومن هذا يتبين أن الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعان بها المسلمون بعامة والمعتزلة بخاصة فى نصرة الاسلام ، ويزيد ذلك تأكيدا ما يذكره الخياط فى قوله : « ولقد أخبرنى عدد من أصحابنا أن أبراهيم النظام رحمه الله ، قال وهو يجود بنفسه : اللهم ان كنت تعلم أنى لا أقصر فى نصرة توحيدك . ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لأشد به التوحيد . فما كان منها مخالفا فأنا منه برىء : اللهم ان كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت »(١٢٩) . وان محاولة تطبيق المبادىء الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر العباسى .

ولقد نجم عن اعتناق الأمم الأجنبية للاسلام وانضوائها تحت لوائه أن صارت تلك الأمم تدون علومها وآدابها باللغة العربية التى تعلمتها بسبب الدين أو تقربا من العرب للفاتحين للاستفادة من الوظائف والمناصب(١٣٠) .

أما الثقافة اليونانية فكان لها اثر كبير فى المسلمين ، ومما زاد فى اثرها أن اتصال المسلمين بها صاحب عمر تدوين العلوم العربية فتسربت الثقافة اليونانية اليها ، وصبغتها صبغة خاصة ، كان لها تأثير كبير فى الشكل وفى الموضوع . أما الشكل فيرجع الى تأثير المنطق اليونانى ، وقد صبغ العلوم العربية صبغة جديدة صبت فى قالبه ، ووضعت على منهاجه ، اذ كان المنطق كما قال ابن سينا « خادم العلوم » عنى به المسلمون من أول عهدهم بالفلسفة(١٣١) .

وقد راينا أن ابن المقفع ترجم كتب المنطق لأرسطو ، وتتابع المترجمون بعده يترجمون الكتب المنطقية وكان المنطق الذى وصل الى العرب هو منطق أرسطو معدلا ومضافا اليه ومشروحا بمنطق الرواقيين والاسكندريين ولم يزد العرب عليه شيئا يذكر(١٣٢) . وظل المنطق الذى بين ايدينا هو منطق اليونان ، لم يزد عليه

---

(١٢٨) هنيرش بيكر : (**تراث الأوائل فى الشرق والغرب**) ترجمة د. عبد الرحمن بدوى (بدون) ص ١١ .

(١٢٩) ابن الخياط : الانتصار ص ٤١ .

(١٣٠) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٣١ .

(١٣١) أحمد امين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٣٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٧٥ .

الا بعض الشروح ، وقــد نقل نقلا صحيحا ولم يدخله نقص أو تهويش كالذى كان فى الالهيات اليونانية .

على كل حال ، كان للمنطق سلطان كبير على العقول فى العصر العباسى ، وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجــدل والبحث والتعبير والتبديل صبغة غير التى كانت تعرف من قبــل ، فاهتم الفارابى بالمنطق اهتماما عظيما ، وكان لذلك الاهتمام أثر فى تفكير العرب ، فقــد عــدوه آلــة الفلسفة ، والأداة التى يمكن الوصول بهــا الى التفكير الصحيح ، وقــد تأثرت الثقافة العربية فى كل لــون من ألوانهــا بالتفكير المنطقى ، وقــد ظهر ذلك بوضوح فى علم الكلام ، وفى الفقه الاسلامى ، وفى النحــو العربى(١٣٣) .

ثم يعرف الفارابى المنطق بأنه العلم الذى نعلم به الطرق التى توصلنا الى تصور الأشياء والى تصــديق تصورها على حقيقتها وهــو لا ينسى أن يوضح لنــا صــلة المنطق بالعقل الانسانى فيقول : « ان المنطق قانون للتعبير بلغــة العقل وصــناعة المنطق بالنسبة للعقل وجميع المعقولات كصناعة النحو بالنسبة للسان والألفاظ » ويفهم من قوله : أن المنطق ضرورى للتفكير الصحيح ضرورة علم النحــــو للتعبير الصحيح الخالى من الخطــأ(١٣٤) .

وكان الخليفة المــأمون يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مــع العقل والمنطق ويرتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغــداد الحاجة الى المحافظة على المصنفات والكتب المؤلفة فى مختلف العلوم الفلسفية والعقلية التى انفقت فى ســــبيلها أموالا طائلة(١٣٥) . ومن هنا أقيم بيت الحكمة الذى يحتوى على كثير من المصنفات فى مختلف مجالات الفكر والثقافة وبلغات مختلفة أيضا .

عــلم الرياضــيات :

كانت الرياضيات مثلها مثل الفلك من أحب العلوم عند العرب فكثير من القواعد الأساسية للحساب والهندسة والجبر قــد اكتشفها العلماء المسلمون . ففى الحساب لأننا نستخدم الاعــداد وطريقة الحساب التى اخترعها العرب ، كما أن اختراع الجبر ، ينسب الفضل فيه الى العرب وهــو حق على الأرجح .

---

(١٣٣) محمد عطية الأبراشى والتوانسى : نوابغ الفكر العربى ص ٧٣ .

(١٣٤) المرجــع نفســه ص ٧٣ .

(١٣٥) عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

فلما نهض العباسيون نهضتهم العلمية اقتبسوا من الهنود الارقام الهندية . وقــد قــدروا النظام الترقيمى عند الهنود ، ففضلوه على حساب الجمل الذى كانوا يستعملونه من قبل . ومن الغريب أن فى بلاد الهند أشكالا متنوعة ومختلفة الارقام . ولكن العرب بعــد أن اطلعوا على أكثر هــذه الأشكال كونوا منها سلسلتين عرفت احــداهما باسم الأرقام الهندية وعرفت الثانية : باسم « الأرقام الغبارية » ففى بغــداد الجانب الشرقى من العالم الاسلامى عم استعمال الأرقام الهندية وهى لا تزال شــائعة ومستعملة فى بلادنا(١٣٦) .

وأول من وضع من المسلمين كتابا فى الحساب محمد بن موسى الخوارزمى كذلك كان أول من ألف فى الجبر وفتح أبواب عصر جــديد فى الرياضيات على مصراعيه ، كتب فى الجبر والمقابلة تحقيقا لرغبة الخليفة المــأمون ، وكان الخوارزمى أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وبصورة منطقية ، وأول من استعمل كلمة جبر التى دخلت اللغات الأوروبية ينطقها الغربى AL GEBRA . ولقــد عرف العرب حــل المعادلات من الدرجة الثانية وهى نفس الطريقة المستعملة الآن فى كتب الجبر فى المدارس الثانوية(١٣٧) كما يقول الأستاذ قــدرى طوقان فى كتابه العــلوم عنــد العرب .

ولم يجهلوا أن لهــذه المعادلات جــذرين واستخرجوهما اذا كانا موجبين وهــذا من الأعمال التى توصل اليها المسلمون ، وفاقــوا بها غيرهم من الأمم التى سبقتهم ، وكذلك ابتكروا طرقا هندسية لحــل بعض المعادلات . وفى باب المساحة فى كتاب الجبر والمقابلة للخــوارزمى عمليات هندسية حلها بطرق جبرية ويقول د. على مصطفى مشرفه : أنه يجب الا يعزب عن بالنــــا أنه رغم البحوث المستفيضة فى الرياضيات عند الاغريق والهنود ، فاننا لا نعثر على كتاب واحــد عندهم يشبه كتاب الخوارزمى ، ولذلك عمل الدكتور مشرفة الى القول بأنه لم يكن قبل الخوارزمى علم يسمى بعلم الجبر(١٣٨) . كانت النتيجة المباشرة اذن توفيق علماء المسلمين بين حساب الهنود وهندسة الاغريق ، أن نشأ علم الجبر الذى لولا الأرقام الهندية واستعمالها لمــا نمــا هــذا النمو العظيم فى أيدى المسلمين . ذلك انه عندما انتقلت الأرقام الهندية الى المسلمين وامتزج الحساب الجــديد عندهم بالهندسة الاغريقية أصــبح

---

(١٣٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ .

(١٣٧) قــدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٩ .

(١٣٨) جلال مظهر : علوم المسلمين أساس التقــدم العلمى الحــديث ص ٤٥ .

من الممكن لعبقري من نوع الخوارزمي أن يضع علم الجبر الذي بناه على الجمع بين الفكرة الهندسية والفكرة الفردية لكميات(١٣٩) .

وكان ظهور الخوارزمي في عصر المأمون الذي عينه رئيسا لبيت الحكمة ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية وأقام في بغداد حيث اشتهر وذاع صيته وانتشر اسمه بين الناس(١٤٠) .

برز في الرياضيات والفلك ، وكان له أكبر الأثر في تقدمهما وارتقائهما فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفي قالب منطقي علمي ، وكفاه فخرا أنه أول من الف كتابا في الجبر في علم يعد من أعظم أوضاع العقل البشري لما يتطلبه من دقة واحكام في القياس . ولهذا الكتاب قيمة تاريخية فعليه اعتمد علماء العرب في دراساتهم عن الجبر ، ومنه عرف الغربيون هذا العلم(١٤١) . قال عنه فيليب حتى : « كان الخوارزمي من أفضل العقول العلمية من المسلمين وهو بلا شك الرجل الذي أثر أبلغ التأثير في الفكر الرياضي طيلة العصور الوسطى »(١٤٢) .

ويعتبر الخوارزمي احد العلماء الرياضيين الذين خدموا بيت الحكمة بما الفوه من الكتب في الرياضيات والهيئة . فمن أشهر هذه الكتب : الجبر والمقابلة ، وكتاب العمل الأسطرلابي(١٤٣) . وتعتبر كتب الخوارزمي هي من خيرة ما أنتجه الفكر وهو الذي مهد للجبر والحساب في كثير من المسائل التي لا تزال تدرس في هذه الأيام ، وكان قد جمع هذا بكتاب الفه للخليفة المأمون بناء على طلبه(١٤٤) .

وهو ككل علماء الرياضة عالم فلكي قبل كل شيء . وقد الف في الحساب . وكان المظنون أن كتابه فيه قد فقد ، ولكن في سنة ١٨٥٧ م ظهرت له ترجمة لاتينية من عمل (Atheord of Bath) وقد وجدت هذه الترجمة في مكتبة جامعة كمبردج . ويبدأ كتابه هذا في الحساب بهذه العبارة : « يقول

(١٣٩) المرجع نفسه ص ٤٦ .

(١٤٠) قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .

(١٤١) المرجع نفسه ص ١٠٤ .

(١٤٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٦٣ .

(١٤٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(١٤٤) قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٨٠ .

الخوارزمى بعــد حمد لله هادينا وحامينا » وقــد قال احــد الكتاب المســلمين ان حساب الخوارزمى يفــوق كل كتاب اليسار الى اليمين . ولكن من المدهش أنه فى الطرح اخطــأ فى تفسير الحالة التى يكون فيها الرقم المطروح أكبر من الرقم المطروح منه اما فى الضرب فقــد اخــذ عنه الهنود طريقتهم بعــد تعــديلها لكى تكون ملائمة لاتباعها كتابه ، حيث كان يضع كل حاصل ضرب جزئى فوق الرقم المقابل فى المضروب ولم يكن يطمس الأرقام كما يعمل الهنــــود بل كان يكتفى بشطبها . اما فى القسمة فالعملية هى هى . فالمقسوم عليه يوضع تحت المقسوم . ويكتب الخارج فــوقه . أما التغييرات الحادثة فى المقسوم من طرح الحواصل الجزئية فتكتب(١٤٥) فوق الخارج .

وقــد شرح الخوارزمى طريقته هــذه شرحا مستفيضا فى كتــابه ، واتبعهــا الأوروبيون الأوائل . الذين اقتفــــوا اثر العرب واخــذوا عنهم نماذج طرائقهم على أن العرب الذين جاءوا بعــده ادخلوا تعــديلا على طريقة الخوارزمى هــذه فاقتربوا كثيرا من طرائق اليــوم الشائعة(١٤٦) .

وجاء بعــد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بداه الخوارزمى وترجم الى العربية اهم الكتب الرياضية التى وضعها اقليدس وأرشميدس وبطليموس ، ووضع عــداذلك كتبا مبتكرة ، ولم يعثر الباحثون الا على قسم من كتاب فى الجبر ، يشتمل على فصل واحــد من المعادلات التكعيبية ومعادلات الدرجة الثالثة . وقــد استخدم فى حلهــا علم الهندسة كما فعل الخوارزمى(١٤٧) .

وقــد اخــذ العالم الرياضى الايطالى (GIROLAMA CARDAN) الذى عــاش فى القرن السادس عشر عن ثابت بن قرة طريقته الهندسية فى حل معادلات الدرجــة الثالثــة وصــار علم الجبر يتقــدم بسرعة بعــد زمن ثابت بن قرة . أما الأجــزاء التى اختص بها العرب فهى حل المعادلات والمسائل التى تئــول فى حلها الى معادلات وخــواص الاعــداد(١٤٨) .

ويمتاز ثابت بناحيتين ، الأولى : نقله كثيرا من التآليف الى العربية فقــد نقل من علوم الأقــدمين مؤلفات عــديدة فى الطب والمنطق والرياضيات والفلك . وأصلح

---

(١٤٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٧٣ .

(١٤٦) المرجع نفسه ص ٧٣ .

(١٤٧) المرجع نفسه ص ٧٥ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٧٥ .

الترجمة العربية للمجستى وجعـل متنه سهل التناول ، واختصره اختصارا لم يوفق الى غيره ، وقـد قصـد من هـذا المختصر تعميم المجستى وتسهيل قراءته ، ولا يخفى ما أحـدث تعميمه من أثر فى نشر المعرفة ، وترغيب العلماء فى الرياضـيات والفلك(١٤٩) . أما الناحية الثانية : فهى اضافاته الى الرياضيات واشتغل فى الهندسة التحليلية وأجاد فيها اجادة عظيمة . وله ابتكارات سبق فيها ديكارت وقـد وضـع كتابين فيه : علاقة الجبر بالهندسة ، والهندسة بالجبر ، وكيفية الجمع بينهما وطرق هندسية استعان بها بعض علماء الغرب فى بحوثهم الرياضية(١٥٠) .

ولثابت مقالة فى الاعـداد المتحابة ، وهـو استنباط عربى يدل على قـوة الابتكار التى امتاز بها ثابت ، ونفهم من هـذه المقالة أن ثابتا كان مطلعا على نظرية فيثاغورس فى الاعـداد وأنه استطاع أن يجـد قاعـدة عامة لايجاد الاعـداد المتحابة . وثابت أول شرقى بعـد الصيرفيين بحث فى المربعات(١٥١) السـحرية وخصائصـها .

ومن المؤسف حقـا ألا يصادف الباحث الا القليل من كتبه ورسائله وأن يكون القسم الأعظم قـد ضاع أثناء الحروب والانقلابات . ومن هـذه ما هـو فى غاية الخطورة من الوجهتين الرياضية والطبية . ولـو عثرنا على بعض منها ، لانجلت بعض النقـاط الغامضة فى تاريخ الرياضيات فلقد كان من رسالته فى النسبة المؤلفـة أن استعمل « الجيب » والخاصة الموجودة فى المثلثات والمسماة بدعـوى الجيوب ، وكذلك لولا بعض القطع التى وصلت الينا من كتاب لـه فى الجبر ، لمـا عرفنا أنه بحث فى المعادلات التكعيبية(١٥٢) .

هـذا هـو مجمل من مآثر ثابت بن قرة فى الرياضيات تبين منه الأثر الكبير الذى خلفه فى ميدان العلم ، كما تتجلى فيه العبقرية المنتجة التى تقـدمت بالعـلوم خطوات واسعة ، مهـدت لايجاد فروع هامة من الرياضيات لولاها لمـا تقـدم الاختراع والاكتشاف تقـدمهما المشهور(١٥٣) .

---

(١٤٩) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .
(١٥٠) المرجـع نفسـه ص ١٢٨ .
(١٥١) المرجـع نفسـه ص ١٢٩ .
(١٥٢) المرجـع نفسـه ص ١٢٨ .
(١٥٣) المرجـع نفسـه ص ١٢٩ .

ثانيا ـ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة :

ان مجالس الخلفاء العباسيين أنفسهم كانت مدارس علم ، ومواطن معرفة وملتقى أفكار ، ومنارات اشعاع ، حيث تحتك العقول ، وتتصارع الآراء بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة(١٥٤) . فكان بيت الحكمة الذى وضع أساسه الرشيد وعمل المأمون من بعده على امداده بمختلف الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب من أكبر خزائن الكتب فى العصر العباسى ، فكانت تحوى كل الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب ، كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من اصحاب الديانات الأخرى . ولم يقتصر تشجيع العلم على الخلفاء بل تعداهم الى الوزراء وسائر كبار رجال الدولة(١٥٥) .

فقد ذكر المسعودى : « أن يحيى بن خالد البرمكى كان يميل الى البحث والمناظرة ، وكان له مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، أما أصحاب كتاب « التوحيد الأدبى » فانهم يقولون : اتسعت رقعة المملكة الاسلامية ودخل كثير من الأمم المختلفة فى الاسلام وعظمت الحضارة فى الدولة العباسية ، واحتاجت هذه الحضارة العظيمة الى علم واسع عميق ترتكز عليه ، وتنتفع به فأخذت الدولة تشجع كل ذى ثقافة أن يعنوا بثقافتهم يهضمونها ويترجمونها ويؤلفون فيها باللغة العربية ، وظهرت فى الدولة العباسية خلاصة ثقافات الأمم ، وتمازجت وائتلفت ، وعرضت على أنظار الناس يأخذون ما يشتهون ويستمدون منها ما يفقهون : كل على حسب ميله واستعداده وذوقه ووجهته ، وهذا يعنى بالفلسفة وفروعها ورابع بالتاريخ وسياسة الأمم(١٥٦) وهكذا .

يقول الأستاذ نيكلسون(١٥٧) : « وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها ، أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد بدا ان الناس جميعا من الخليفة الى أقل أفراد العامة شأنا غدوا فجأة طلابا للعلم ، أو على الأقل أنصارا للأدب . وفى عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا الى موارد العلم والعرفان ليعودوا الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون بفضل

(١٥٤) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٣٢٢ .

(١٥٥) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٤١ .

(١٥٦) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٤٨ .

(١٥٧) NICHOLSON : Literary History of the Arabs, p. 281.

ما بذلوه من جهد متصل هـــذه المصنفات التى هى أشبه بدوائر معارف ، والتى كان لهـــا أكبر الفضل فى ايصال العلوم الحـــديثة الينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل » .

هـــذا فى الشرق الاسلامى فى العصر العباسى الأول ، أما فى الغرب فقـــد نافست قرطبة بغـــداد والبصرة والكـــوفة ودمشق والفسطاط فأصبحت حاضرة الأندلس سوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الأدب ، حتى جـــذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفـــدوا اليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الاسلامية ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهـــاء وغـــــيرهم(١٥٨) .

وفى هـــذا العصر (العصر العباسى الأول) ظهر نوعان من العلماء : الأول : هم الذين يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون أهـــل العلم . والثانى : هم الذين يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون أهـــل عقل . وقـــد ذكر ابن خلكان(١٥٩) . : « ان الخليل بن أحمد اجتمع بابن المقفع وتحـــدثا فى شتى المسائل فلمـــا افترق قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمـــه أكثر من عقـــله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجـــلا عقـــله أكثر من علمـــــه » .

كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها (بيت الحكمة) أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى(١٦٠) والواقع أن هـــدف بيت الحكمة لم يقتصر على جمـــع الكتب وحفظها وانشاء قسم للترجمة فيها ، فقـــد أخـــذ المـــأمون يحث الناس على مطالعة الأسفار والاهتمام بصناعتى النساخة والتقميش(١٦١) . فهـــذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للخليفة المـــأمون بما منحه لـــه من عنـــاية وكما أضفى عليه من قـــوة ، وما أنفـــق من مال ، فكسبت اللغـــة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما أجرى فى بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ولم يجـــد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هـــذا التراث(١٦٢) .

---

(١٥٨) د. حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى جـ ٢ ص ٣٢٢ .

(١١٩) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان جـ ١ ص ١٧٣ .

(١٦٠) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(١٦١) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٢٤٨ .

(١٦٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

ان بيت الحكمة الذى اسسه العباسيون يسر للناس سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب ، كما شـوق الخلفاء الناس الى التعليم والاقبال عليه فيحضرون معهم المناظرات العلمية التى تجرى بين العلمـاء فى هـذه الدار فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك(١٦٣) .

فقـد ساهمت مؤسسة بيت الحكمة فى نشر التعليم والمعرفة بين المسـلمين وغيرهم وحثهم على طلب العلم والمعرفة باعتبارها مؤسسة ثقافية عالية تهـدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب بين المسلمين وغيرهم ، وهم جميعا يتولون امور الـدار ويشرفون عليـه ، ولذا نجـد الروح العلمية هى السائدة فى الدار وحرية الـكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فـوق كل اعتبار(١٦٤) .

---

(١٦٣) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٨ .

(١٦٤) المرجـع نفسـه ص ٥٣ .

ثالثا ـ ادخال نظام جـديد للمكتبات على العالم الاسلامى :

ان المكتبات كانت طريقة القـدماء فى نشر العلم ، ولمـا كان يتعـذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنهـا كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجـأ من أحب التعليم الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح ابوابها للناس كما فعل العباسيون فى بيت الحكمة(١٦٥) .

ثم كانت المكتبات نواة الجامعات الاسلامية الكبرى ، كبيت الحكمة فى بغـداد ودار الحكمة فى القاهرة ، ثم أصبحت هـذه نماذج لهـذا النوع من المنشآت سواء شيدتها الدولة أو اسسها الأفراد ، وعلى هـذا أصبحت المكتبات فى العالم الاسلامى فى تلك العصور تقـوم مقام مهمة المعاهـد العلمية فى العصر الحـديث بالاضافة الى ما تؤديه دور الكتب فى الوقت الحاضر(١٦٦) .

ونعرض بعض نماذج قليلة لمكتبات أنشأها الأفراد وكانت بدور العلم الحـديثة أشبه . حـدث ياقـوت(١٦٧) قال : كان بكركر من نواحى القفص (قرية قريبة من بغـداد) ضيعة نفيسة لعلى بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصـدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ، ويتعلمون فيها صنوف العلم ، والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى فهـذه مكتبة فيها مساكن لطلاب العلم وفيها طعام لهم ونفقة ، أليسـت اذن بالمدرسة أشبه ؟ انها لا ينقصها الا المعلم لتكون مدرسة بها مكتبة ، بل ان المعلم أيضا ، وجد فى بعض المكتبات ، ولكنها ظلت تعـد مكتبة لسبب من الأسباب كأن يكون المعلم لا ينتظم جلوسه للطلاب لأنه لا يتخـذ التدريس وظيفته الأولى أو تكون المؤسسة غنية بالكتب فى موضوعات متعـددة فتستهوى الكتب الناس أكثر ممـا يستهويهم الاستماع للدرس وهكذا .

فالمكتبات كانت مدارس للتعليم ومؤسسات ينفق عليها الأمراء والأثرياء والعلماء لنشر العلم بينهم وخصوصا فى ذلك الزمن الذى لم تكن فيه الطبـاعة موجودة فكانت الكتب تنسخ على أيدى النساخ المتخصصين لهـذا العمل فكان يبلغ بذلك ثمن الكتاب حـدا قـد يتعـذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه ، فكيف اذا أراد ان تكون

---

(١٦٥) جرجى زيدان :التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١٠ .

(١٦٦) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٣٩ .

(١٦٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٦٧ .

لـــه مجموعة من الكتب فى الفن أو العلم الذى يتخصص فيه ؟ ومن هنا كان قيـــام المكتبات فى مجتمعنا المـــاضى منبعثا من عاطفة انسانية وعن نزعـــة علمية فى وقت واحـــــد(١٦٨) .

بهـــذه الروح العلمية شغف علماؤنا واغنياؤنا وامراؤنا بالكتب وجمعها حتى كانـــوا يرون نكبتهم فى اموالهم وبيـــــوتهم ايسر عليهم من نكبتهم فى كتبهم(١٦٩) . وبهـــذه الروح العلمية كانوا يتنافسون فى شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها بعـــد الانتهاء من تأليفها ، وقـــد نشأ عن هـــذه الروح العلميـــة انتشار المكتبات فى شتى انحـــاء العالم الاسلامى ، فقلما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة ، وقـــل ان تجـــد قرية صـــغيرة ليس فيها مكتبة أما العواصم والمـــدن فقـــد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل لـــه فى تاريخ العصور الوسطى(١٧٠) .

وساعدت صناعة الورق على اذكاء حماس العرب حين تضخم انتاجهم العلمى بل لقـــد ساعدت هـــذه الصناعة على حـــدوث انقلاب فكرى هائل اذ ســـهل تداول الكتب العـــديدة المترجمة اوالمؤلفة على السواء ، وكان من الطبيعى أن تظهر نواة مكتبات عربية .. ما لبثت أن نمت لتصبح بمرور الوقت مكتبات كبيرة .. ثم بدات تتعـــدد وتنتشر فى أرجاء العالم الاسلامى(١٧١) .

أما فى قصور الخلفاء والأمراء فكانت كمكتبات عامة تفتح أبوابها لكل راغب فى القراءة والاطلاع ولم يضن الخلفاء عليها بمـــال أو جهـــد بل زودوها بمختلف المؤلفات الثمينة ، ويسروا أسباب الراحـــة لروادها(١٧٢) .

وقـــد كرس الخليفة المـــأمون شطرا كبيرا من وقته وماله لدعم المكتبات وظهر ذلك واضحا فى اهتمامه بالدار التى بدأ الرشيد بانشائها فى بغـــداد والتى تبنـــاها المـــأمون فى حماس واخلاص منقطع النظير . ونعنى بها « بيت الحكمة » أو دار العلم فقـــد أمر المـــأمون بتزويدها بكل ما وصـــل اليه من مخطوطات اجنبية مترجمة ،

---

(١٦٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٣ .

(١٦٩) المرجـع نفسـه ص ١٥٤ .

(١٧٠) المرجـع نفسـه ص ١٥٥ .

(١٧١) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٧٦ .

(١٧٢) المرجـع نفسـه ص ٧٧ .

وشـــجع المـــأمون طلاب العلم على التردد عليها للقراءة ودبر لهم سبل الاقـــامة وأسباب الراحـــة ، فذهب الى حـــد اقامة جنـــاح ملحق بالدار يضم عـــــددا من الحجرات الصغيرة ، خصصت لينال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة ؛ كما يقـــدم لهم الطعام والشراب دون مقابل(١٧٣) .

ولم تأل الدولة العباسية جهـــدا فى تزويد قاعات المكتبات والخزائن والمقاعد ؛ كما وفرت للقراء : المحابر والأقـــلام والأوراق . ولا شـــك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى واتباعها هـــذه الأنظمة وفتح أبوابها لكل قارىء وتسخير كل هـــذه الامكانيات لخـــدمته دليل ناطـــق على تقـــدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر ويسجل لهم ولتاريخهم بمـــداد من نور(١٧٤) .

كانت المكتبات نوعين رئيسيين : عامة وخاصة . أما العامة فقـــد ينشـــئها الخلفاء والأمراء والأغنياء ، كانت تشيد لهـــا أبنية خاصة فهناك دار الحكمة التى انشأها الفاطميون فى مصر ودار الحكمة فى قرطبة . كما عرف نظام المكتبات الملحقـــة بالجامعات أو المدارس على غرار ما هـــو حادث اليوم .

وقـــد تبارى الأثرياء فى اقامة المكتبات فى قصورهم فكانوا يرون فى ذلك مدعاة للفخر دليلا على اعتزازهم بالعلم والثقافة وكانوا يفتحون أبوابها للعلماء والدراسين وقـــد قـــدر عـــدد المكتبات العامة فى أسبانيا وحـــدها بنحو سبعين مكتبة عامة ادت واجبها على الوجـــه الأكمل بفضل النظام الدقيق الذى وضع لهـــا(١٧٥) .

وان المتتبع للوائح هـــذه المكتبات ونظام الاستعارة الداخلى والخارجى الذى عرفه وطبقه العرب فى مكتباتهم ، ليدهش حقـــا لمدى الدقـــة التى اتسمت بهـــا أعمالهم . فكانت الاستعارة الداخلية سهلة ميسورة ، اذ وضعت الكتب فى متناول القارىء على الأرفف دون أن يحجزها عن القراءة حاجز ، كما هـــو متبع الآن فى أحـــدث المكتبات العامة . أما نظام الاستعارة الخارجية فقـــد عرفه العرب أيضا ، ولكنه كان قاصرا على طلاب العلم الموثوق بهم . وكان يطلب عادة بعـــد تقـــديم ضمان مالى كاف كما كان نظام الاستعارة الخارجى يقضى بالتجـــديد فترة لا تتجـــاوز

---

(١٧٣) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٧٧ .

(١٧٤) المرجع نفسه ص ٨١ .

(١٧٥) المرجع نفسه ص ٧٩ .

شهرين لمستعير الكتاب خلالها . ومن الطريف انه وجد فى مكتبة قرطبة نسخة خطيه من كتاب : « العبر والمبتدأ والخبر »(١٧٦) . وقد كتب مؤلفه ابن خلدون على غلافه بخط يده هذه العبارة « لا يجوز اعارة هذا الكتاب اعارة خارجية الا اذا كان المستعير شخصا موثوقا به وأمينا على أن يدفع ضمانا ماليا » . وكان يشرف على هذه المكتبة ويقوم على ادارتها وخدمة الرواد والقراء جهاز فنى وادارى مهمته تقديم كل عون ممكن للقارىء . ويقوم على رأس هذا الجهاز أمين المكتبة ويسمى « الخازن » ويعاونه عدد من النساخ وبعض المناولين . فكان أمين المكتبة يقوم بعمل فنى خالص بسبب ما فى المكتبة من كتب وأسماء مؤلفيها ومحتويات كل منها . أما مهمة المناولين فى ارشاد القارىء الى موضع الكتاب الذى يريده أو احضاره اليه حينما يجلس ، فكانت بعض المكتبات تستعين بعدد من الجوارى لنقل الكتب النادرة الى طلاب القراءة ويروى أن احدى مكتبات قرطبة كانت تستعين بمائة وسبعين جارية لهذا الغرض(١٧٧) .

وقد عرف العرب نظام تصنيف الكتب فقسموها الى أقسام حسب العلوم والفنون وسجلوا على غلاف كل كتاب اسمه واسم مؤلفه ليسهل على القارىء التقاط الكتاب الذى يريده دون عناء ، وهو نفس النظام المتبع فى أرقى مكتباتنا الآن .

وبعد ، فلئن كانت النشوة تملأ نفوسنا حين نتحدث عن انتشار المكتبات فى العالم الاسلامى فى عصور حضارتها الزاهرة ، فان الأسى ليملأ قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات ، وما تعرضت له من بوادر وحرائق لا يمكن أن تقدر خسارة العلم فيها أبدا . لقد أصيبت مكتباتنا بما قضى على ملايين الكتب منها بحيث فقدها العالم الى الابد وهى من اثمن ما خلفه الفكر الانسانى فى التاريخ(١٧٨) .

---

(١٧٦) المرجع نفسه ص ٧٩ ، ٨٠ .

(١٧٧) المرجع السابق نفسه ص ٨٠ .

(١٧٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة



١ ـ مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحـديثة وأثرها فيها .

٢ ـ بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحـديثة .

٣ ـ تأثير جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحـديثة فى شتى فروع العـلم والمعـــرفة .

أولا — مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحـــديثة وآثرها فيها :

ومن القرن الثانى الهجرى بدأت الحضارة الاسلامية تأخـــذ دورها القيادى لتضىء للبشرية ظلمات عصورها الوسطى ، وتحـــدد مسراها الى فجر النهضة ، وعلم العصر الحـــديث . حضارة عربية اللسان والقلم اسلامية الجـــوهر والروح والفكر والمنهج . شاركت فيه شعوب الأمة من أقصى الشرق الآسيوى الى أقصى المغرب الأفريقى . وتألق ضياء مناراتها من نيسابور والرها وأصيهان وخوارزم وبخـــارى وسمرقند وبغـــداد والبصرة والكوفة والاستانة وبيروت ودمشق وحلب والقـــدس ومكة والمدينة الى القـــاهرة والاسكندرية ودميـــاط وطرابلس والقيروان وتلمسان وقسطنطينية ووهران وفاس ومراكش وطنجة وسبتة وطليطلة وقرطبـــة وأشـــبيلية ومرســـــيه(١٧٩) .

وكانت فترة نهـــوض الحضارة الاسلامية العظيمة من أهم فترات التاريخ فكانت أوروبا خلالها سادرة فى عصورها المظلمة ، فمنذ القرن الأول حتى القرن السادس الهجرى الموافق للقرن السابع وحتى القرن الثانى عشر الميلادى سيطرت الحضارة الاسلامية على المعارف الشرقية والغربية ، وبلغت هـــذه السيطرة أقصاها فى القرن الرابع الهجرى الموافق للحادى عشر الميلادى .

وهكذا فان العرب بدافع من مبادىء الاسلام السامية تحولوا الى أمة فتحت العالم فى أقصر مدة فكانت بغـــداد وقرطبة مركز الخلافة والبحث العلمى — ويمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافقين للتاسع والعاشر الميلاديين القرنين الذهبيين لعلماء العرب والمسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير لحفظهم القـــديم وتنمية لمـــا ابتدعـــوه من فتوحات علمية جـــديدة(١٨٠) .

فقـــد صحح المسلمون علوم الأقـــدمين بالقـــدر الذى سمح به علم عصرهم وأضافوا علوما جـــديدة مثل الكيمياء والجبر فى صورته الجـــديدة — وعلم البصريات الهام — وحساب المثلثات المسطح ، والحساب الجـــديد الذى نقلوه عن الهنـــود وطـــوروه وجعلوه علما ، هـــذا فضلا عن كثير من الاضافات الأخرى . لذلك كون المسلمون تراثا علميا جـــديدا مميز الطابع نستطيع بحق أن نصفه بالتراث العلمى

---

(١٧٩) د. عائشة عبد الرحمن : (**القرآن وقضايا الانسان**) (دار العلم للملايين — بيروت — لبنان ط ٢ ١٩٧٥ م) ص ٣٦٥ .

(١٨٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى الاسلامى ص ١٧ ، ١٨ .

الاسلامى الذى أصبح فيما بعد الاساس الذى ارتكزت عليه الحضارة الحديثة(١٨١) .
يقول حيدر بامات : « لم تسهم مدرسة بغداد اسهاما قويا فى ايقاظ أوروبا فحسب . كما كتب دى سيموندى بل أشرقت بالضياء على كل آسيا »(١٨٢) .

ويقول جلال مظهر : لقد اسس هارون الرشيد بيت الحكمة ومدرسة الترجمة التى أخذت فى عصر الخليفة المأمون صورة أكاديمية فقامت المدرسة بأكبر مجهود فى ترجمة العلوم والفلسفة والمعارف القديمة حتى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم(١٨٣) .

لقد كان تأسيس بيت الحكمة فى بغداد حدثا هاما من احداث العصور الوسطى وليس من المغالاة فى شىء أن نقول أن هذه المؤسسة قد لعبت دورا هاما وكانت تجمع بين الأكاديمية والمكتبة ومركز الترجمة فى نقل تراث الحضارات القديمة الى العالم الغربى ، فقد قامت هذه المؤسسة الرائعة التى ضمت أسماء من المسيحيين واليهود والعرب على الاهتمام بالمعارف الأجنبية ، من علوم وفلسفة اليونان ومؤلفات جالينوس وأفلاطون وأرسطو والشارحين من أمثال الاسكندر ... الخ(١٨٤) .

ويرجع الفضل لمدرسة بغداد الذى كان بيت الحكمة حجر الأساس لها حيث كان تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، فى الحفاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمت بقسوة فى القرن السادس واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرت حضارة الاسلام على مجرد انقاذ الحضارة القديمة بالحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هذه خدمة تجل عن الوصف(١٨٥) .

يقول سيديو : « وهو حجة فى هذا الموضوع » : ان ما تمتاز به مدرسة بغداد هو الروح العلمية الصادقة التى وجهت كل أعمالها فكانت تتقدم من المعلوم الى المجهول ؛ تراقب الظواهر بكل دقة لتستنتج الأسباب من النتائج ،

---

(١٨١) جلال مظهر : علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ص ١٧ .
(١٨٢) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٨١ .
(١٨٣) جلال مظهر : علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ص ١٥ ، ١٦ .
(١٨٤) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٧٨ ، ٧٩ .
(١٨٥) المرجع نفسه ص ٨٠ .

ولا تقبل حقيقة الا متى اثبتتها التجربة . كانت هـذه هى توجيهات أساتذتها . لقد امتلك العرب فى القرن التاسع الوسائل العلمية الفنية ، التى استطاع العلماء فى العصر الحديث أن يستخدموها فى اكتشافاتهم العظمى »(١٨٦) .

سارت الحياة الثقافية والعلمية فى القرون الوسطى فى رعاية الاسلام وكيف شجع الخلفاء العلماء فى ظل الحرية للفكر والعقيدة . فى ظل التشجيع الأدبى والمادى ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ازدهارا كبيرا ، بينما كانت أوروبا فى القرون الوسطى فى ظلام دامس وصراع مستمر . فكان الجهل سائدا وكان العقل والفكر فى نوم عميق(١٨٧) .

كان خلفاء المسلمين يشجعون العلم ويخدمون العلماء ويجزلون لهم العطاء لهذا انتعشت فروع العلم والمعرفة فى الأرجاء الاسلامية وقامت حضارة كانت موضع تقدير جيرانها(١٨٨) . ولهذا عندما صحت أوروبا من نومها لم تجد غير علماء الحضارة الاسلامية فأسرعت نحوها تنهل من علمها وثقافتها وفنها . وكان الخلفاء وأباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام فى الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقى العلم فى الجامعات الكبرى فى عواصم العرب والروم ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيد الناحية الحربية(١٨٩) .

قال سيديو : ان علماء المسلمين هم فى الواقع أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة ، وقد أيده رينان الفيلسوف الفرنسى عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون » وفى معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم »(١٩٠) .

وكما عد المؤرخون عهد هارون الرشيد وابنه المأمون عصر القوة فى الدولة العباسية عدوا كذلك عهد المعز وابنه العزيز عصر الازدهار للدولة الفاطمية ،

---

(١٨٦) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .
(١٨٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٣١ .
(١٨٨) المرجع نفسه ص ١٥٣ .
(١٨٩) المرجع نفسه ص ١٥٠ .
(١٩٠) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٥٠ .

وعهد الناصر وولده المستنصر العصر الذهبى لدولة العرب والاسلام بالأندلس . وهنا وهناك كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث فكانت جامعة بيت الحكمة فى بغداد وجامعة دار الحكمة فى القاهرة وجامعة قرطبة فى الاندلس عنوان هذه النهضة رمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها(١٩١) .

انتقل تراثنا مع ثمار حضارتنا عبر الدردنيل والبحر الأسود وقزوين وصقلية وأسبانيا ، فأخذوا هناك فى حركة الاحياء (الرينسانس) التى بدأ بها تاريخ النهضة الحديثة فى أوروبا . ويمكن تقدير مدى اثر جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحديثة اذا عرفنا أن جامعة بولونيا بايطاليا أسست ١١١٩ م وأن جامعة اكسفورد اسست ١٢٢٩ م وجامعة السوربون بعد ذلك ، فهى بذلك اقدم جامعة فى العالم كله(١٩٢) .

ولعل ظهور جامعات اسلامية دينية عريقة فى الشرق الاسلامى من أهمها الأزهر الذى قام فى اول الأمر على أنه جامع لنشر الدعوة الفاطمية ولكن سرعان ما تحول الى جامعة علمية تعليمية والى جانب الأزهر قامت جامعة بيت الحكمة فى بغداد وجامعة القرويين فى المغرب وجامعة قرطبة فى الأندلس(١٩٣) .

وكانت كلها تقوم على أساس المزج بين الدين والفكر الانسانى . واذا كانت الجامعات الاسلامية قد بدأت بالمسجد الجامع ، واستمرت عصورا مستقرة فيه فانها مع ذلك لم تقف عند المنهج الدينى الذى بدأت به ، بل تطورت مع العصور حتى اضحت تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية . ونستطيع أن نقول ان الجامعات الأوروبية بدأت تسير على نفس النمط الذى كانت تسير عليه الجامعات الاسلامية . فقد بدأت يغلب عليها الطابع الدينى وان كانت تحررت منه بعد ذلك(١٩٤) .

وللعرب فى الأندلس علاقة بتأسيس جامعة مونبلييه التاريخية فقد ألقى البروفسور دالماس عميد كلية الطب محاضرة فى قاعة البلدية عن انشاء جامعة مونبلييه عامة وكلية الطب خاصة قال فيها : « عندما أراد اهل مونبلييه فى أوائل القرن الثانى عشر ، انشاء جامعتهم ، وجدوا أنه ليس فى مدينتهم الأساتذة والعلماء والكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العلمية العالية ففكروا بالاستعانة

---

(١٩١) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(١٩٢) أنور الجندى : (**الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا**) . (الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م) ص ١٣٨ .

(١٩٣) د. سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١٩٤) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٢٢ .

بجامعات اخرى لهـذه الغاية فنظروا أولا الى باريس فرأوا أنها ليست أحسن حالا منهم ثم فكروا فى روما فوجـدوا أنهم أحسن حالا منهم ، أما انكلترا وألمـانيا فكانتا لا تزالان فى الأشواط الأولى من التعلم والثقافة . وبعـد بحث قرروا أن لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذى يستطيع أن يمدهم بالأساتذة والخبراء الأكفاء . هـو الدولة العربية الاسلامية فى الأندلس ، فاتصلوا بها وعرضوا عليها وضعهم فلبت الحكومة العربية طلبهم وأرسلت الى مونبلييه ثلاثة من كبـار الأساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . وعكف هؤلاء على مهمتهم ، وأخذوا ينظمون الجامعة لا سيما كلية الطب مع الأساتذة الفرنسيين ، كما ألقوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات ، وبعـد مدة كافية وجـدوا أن فى امكان الأساتذة الفرنسيين الاستمرار فى عملهم دون الحاجة اليهم ، فاستأذنوا فى العودة الى أعمالهم فى جامعاتهم فى أسبانيا العربية »(١٩٥) .

ويشهد مؤرخـو الحضـارة الغربية من أمثال ديبـور وأوليرى وتوينبى وكراتشكوفسكى .. بأن الفكر الاسلامى هـو الذى قـدم الى الغرب شعاع النور الذى أضاء مسراه الى عصر النهضة الحـديثة(١٩٦) . فقـد قـام الأمير فردريك بتأسيس جامعة نابولى عام ١٢٢٤ م وجعلها مدرسة لنقل العلم العربى الى العالم الغربى ، وأن جامعة بولونيا وبادوفا قامتا على الثقافة العربية ، وبخاصة فلسفة ابن رشـد وطب ابن سينا . وفى صقلية اعتمدت جامعة باليرمو أقـدم جامعة غربية على الثقافة العربية التى حرص الأمير « ريجـار » و « روجيرو » على استعارتهـا منا ، واستقدم لهـا الاعلام من علماء العرب وكان منهم « الادريسى » الذى ألف لأمير صقلية كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » وصنع كرة أرضية من الفضة كتبت عليها بالذهب أسماء الأقاليم والمدن الكبرى(١٩٧) .

ليست أوروبا أرض حضارة ، ولا أرقى تقـدما ولا أعلى ذوقا ، ولا أجمل مظهرا عمـا كانت عليه الحضارة الاسلامية فى بغـداد والأندلس يوم أن كانت أوروبا غارقة فى جهلها وظلامها كانت شوارع المسلمين فى أيام حضـارتهم الزاهية مضاءة مبلطـة بالأحجار ، كانت لهم جوامع كثيرة ومكتبات مرتبة ومستشفيات منظمة .. غير ما كانوا عليه من حرية وحب وأخاء وتراحم(١٩٨) . وهكذا ، ظلت جامعة بيت الحكمـة منارة للجامعات الأوروبية الحـديثة وذات تأثير قوى فى جميع فروع العلم والمعرفة فيها .

---

(١٩٥) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٩٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٤٣ .

(١٩٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(١٩٨) المرجع نفسه ص ٤ .

ثانيا ـ بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحـديثة :

كانت أهم وجـوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى بيت الحكمة الذى رعـاه المـأمون فى بغـداد .. وفى بيت الحكمة هـذا كان تأثير الخوارزمى على الفكر الرياضى أكبر من تأثير أى رياضى آخر فى العصور الوسطى(١٩٩) .

قامت مدرستا بغـداد ودمشق الفلكيتان فى عهـد هارون الرشيد والمـأمون بأعمـال جليلة فى علوم الهيئة والتنجيم (علم النجـوم) وقـد وضع حينذاك أفـق الاستواء بثلاث وعشرين درجـة وثلاثة وثلاثين دقيقة وخمسين ثانية وهـو نفس ما اهتدى اليه علمـاء الفلك على عهدنا بآلاتهم الكثيرة وأدواتهم الحـديثة . فكانوا يعرفون جيدا مدار السنة برصـد الاعتدالين وجعلوا عـدتهم فى ذلك قياس قوس خط الزوال وهـو ما لم يقم بمثله غيرهم الا بعـد مضى ألف سنة من استنباطهم اياه وعملهم به . فضلا عن الكثير من المزاول والساعات الرملية والمـائية التى اخترعوها لتحـديد ضبط الوقت(٢٠٠) .

وقـد صـدر عن مدرسة بغـداد فى عهد هارون الرشيد والمـأمون بعض المؤلفات الهامة . فروجعت النظريات القـديمة ، وصوب العـديد من أخطـاء بطليموس وصححت جـداول اليونان ؛ والى مدرسة بغـداد يرجع الفضـل فى اكتشاف حركة نقطـة الأوج فى مدار الشمس وتقـدير انحراف المدار البيضـاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقـدير مدة السنة ، وقـد لاحظ علمـاء بغـداد عـدم انتظام أقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمرى الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبـوا الكلف (البقـع) الشمسية ودرسوا الكسوف والخسوف وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا فى ثبـات الأرض . فكانوا السابقين الأوائل لكوبر نيكوس وليكر(٢٠١) .

وقـد سجلت نتائج هـذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغـداد فى الجداول المتحققة ويعتبر يحيى بن أبى منصور المؤلف الرئيسى لهـذه الجـداول . ومن أشهر

---

(١٩٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٢٠٠) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : (**أصالة العلم وانحراف العلماء**) (دار نهضة مصر ـ القـاهرة ـ بدون) ص ٦ .

(٢٠١) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٩٩ .

علماء هـــذه المدرسة نذكر البتانى الذى يعتبره « لالاند » أشـــهر عشرين فلكيا فى العالم ، وأبو الوفا الذى يرتبط اسمه بأحـــد أساسيات علم الفلك ، وهـــو التباين القمرى الثالث ، وقـــد سبق هـــذا الفلكى المسلم الدنماركى نيكوبراهى الذى ينسب اليه خطأ هـــذا الاكتشاف سبقه بعشرة قرون(٢٠٢) .

ولعل اهتمام المـــأمون فى بغـــداد بالأكاديمية العلمية ألا وهى بيت الحكمـــة حيث ألحق بها مكتبة ضخمة ومرصـــدا تم بناؤه تحت اشراف سند بن على رئيس الفلكيين فى ذلك الوقت . وبالاضافة الى ذلك أقيم مرصـــد آخر فى سهل تدمر وقـــد عززت هـــذه المراصـــد بأجهزة فلكية تشبه الآلات الأجنبية ولكنها تفوقها فى الدقة ، وهـــذه الأجهزة من صنع نخبة من العلماء على رأسهم على بن عيسى الأسطرلابى الذى اشتهر بذلك الاسم ، لبراعته فى صناعة هـــذا الجهاز الفلكى وشرح تفصيله وطرق استعماله فى كتاب يعتبر الأول من نوعه ، وأبو على يحيى بن أبى منصور الذى زاد فى دقـــة أجهزة الأرصاد بتقسيم درجاتها الى ستة أجزاء ، حتى تعطى القيمة المطلوبة أقرب ما يمكن الى الحقيقة ، وعلى أساس ارصاده وارصاد زملائه ، ثم عمـــل الحسابات اللازمة لنشر الزيج المـــأمونى وبعض الكتب الأخرى فى علوم الفـــلك(٢٠٣) .

كما شـــجع المـــأمون علماء جامعة بيت الحكمة على البحث فى هـــذا المضمار ومن أهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين فى عهده قياس محيط الكرة الارضية ، فقـــدروه بـــ ١٢٤٨ كم ، وهـــو قريب من النتائج التى توصلنا اليها فى هـــذا العصر بالحسابات الالكترونية كما قلبوا الشمس والقمر والنجـــوم بطرق هندسية دقيقـــة قريبة من الصـــواب(٢٠٤) .

وباقامة مرصـــد بغـــداد ، بدأ سير العرب فى الطريق الايجابى نحـــو نهضة علم الفلك ، فاجتمع فى ذلك المرصـــد حشد من كبار العلماء دأبوا على تسجيل ارصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة ، وذلك لأول مرة فى تاريخ علم الفلك ، فكانت تلك الأرصاد تؤخـــذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور المقارنة بين هـــذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذى كان يتولاه(٢٠٥) .

---

(٢٠٢) المرجـع نفسـه ص ١٠٠ .

(٢٠٣) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٠٤) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٥) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

ولا يفوتنا أن نشير الى انتقال عـــدوى حب العلم ورعايته من الخليفة المـــأمون الى الكثيرين من رعاياه ومن بينهم الثلاثى الشهير (بنو موسى وهم أحمـــد ومحمـــد والحسن) أبناء موسى بن شاكر الذين سبقت الاشارة اليهم فقـــد تفردوا فى وقتهم بالوقوف على دقائق علم الفلك والاستكشافات الفلكية المهمة كتحـــديد حركة المبادرة السنوية أى تقهقر نقطتى الاعتدالين ورسم مواقع النجوم على مدار السنة وقيـــاس عرض مدينة بغـــداد بأنه ٢٣ درجـــة و ٢٠ دقيقة وهـــو العرض الصحيح الـــذى استخرجه العلمـــاء فى عصرنا(٢٠٦) .

ونهض المسلمون بعلم الفلك ، وعرفوا الكواكب والمجموعات النجمية ، ولا تزال فى اللغات الأجنبية الفاظ عربية لبعض النجوم مثل : السماك والرامح والواقع والطائرة والمرأة والسلسلة ذات الكرسى والذئب وفم الحـــوت .. ومن آلات الرصـــد التى استعملها علماء المسلمين آلات ذوات أوتار تسمى ذوات الشعبتين ، ذات الجيب وذات السمت والارتفاع والأسطرلاب واللبنة ذات الحلقة والحلقة الاعتزالية .. كما اهتم علمـــاء المسلمين بعلم الازياج ، وهى جـــداول فلكية تستند الى قوانين رياضية .. ومن اشهر الازياج التى اولاها المسلمون عنايتهم التامة ، زيج البتانى ، وزيج البلخى وزيج الفزارى وزيج العلائى ، وزيج الخوارزمى(٢٠٧) .

وجماع القول أن للعرب افضـالا كبيرة على الفلك منها أولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ؛ وهـــذا عمـــل جليل جـــدا ، اذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منهـــا غير ترجماتها فى العربية ، وهـــذا طبعا ما جعـــل الأوروبيين يأخـــذون هـــذا العلم عن العرب فكانوا ــ أى العرب ــ أساتذة العالم فيه . ثانيا : فى اضافاتهم الهـــامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقـــدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : فى جعلهم علم الفلك استقرائيا وفى عـــدم وقوفهم فيه عند حـــد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : فى تطهير علم الفلك من ادران التنجيم(٢٠٨) .

لا شـــك أن العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، وقـــد كانت هـــذه نادرة جـــدا قبل النهضة العلمية العباسية ونذكر من علماء العرب

---

(٢٠٦) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٧) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى العلمى الاسلامى ص ٧٦ .

(٢٠٨) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٣٨ .

المبرزين فى علم الهيئة أبو عبد الله بن محمد بن جابر بن سنان الحرانى المعروف بالبتانى فقـد كانت منزلته فى قومه كمنزلة بطليموس فى اليونان فكانت مصنفاته حاوية شتات الحقائق الفلكية التى لم يحصلها العقل البشرى الى عهده ، ومن آثاره القيمة الزيج المنسوب اليـه وقـد ضمنه مواقـع الكواكب سنة ٢٩٩ هـ وفى مكتبـة الفاتيـكان نسخة خطية من هـذا الزيج النفيس ، وقـد طبعه منذ عهد غير بعيد العـلامة (نالنيـو) عن نسخة خطية أخرى موجودة فى مكتبة (الأسكوريال) وترجمـه الى اللاتينيـة(٢٠٩) .

ولكن مهما كانت الظروف والأحـوال فقـد كانت بيت الحكمة جامعة واسعة تثرى الفكر العربى والاسلامى والانسانى بعلومها المختلفة ، فيدرس فيها أشـهر العلمـاء والحكماء والفلاسفة والمنجمين والفلكيين وبقيت ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعـات الحـديثة .

---

(٢٠٩) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٦ .

ثالثا ـ تأثير جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحديثة فى شتى فروع العلوم والمعرفة :

كانت بغـداد مركزا للعلوم والمعارف فى ظـل الخلافة الاسلامية فكانت جامعة بيت الحكمة تضم مكتبة ومجمعا علميا ادبيا ودارا للترجمة ، وقـد امر الخليفـة المـأمون بترجمة جميع مؤلفات الاغريق الى العربية ، كما ان مؤلفات بطليمـوس واقليدس وارسطو وغيرهم انتقلت آخر الأمر من بغـداد الى الجامعات الاسلامية فى البلاد النائية مثل صقلية والأندلس وانتقلت المعارف العلميه الى أوروبا فى العصور الوسطى من خلال الجامعات الأندلسية التى اسسها المسلمون(٢١٠) .

وفى العصر العباسى بدأت الحركة العلمية فى جميع المجالات وازدهر الطب ضمن جميع فروع المعرفة ، فقـد فتح خلفاء بنى العباس مدارس وجامعات تدرس علم الطب فى كل من بغـداد والبصرة والكوفة ودمشق(٢١١) . فقـد ظهر طبيب عربى اسلامى ، ونظريات علمية مبتكرة ولمع ابو بكر الرازى الذى وضـع دائرة معارف طبية تقـع فى ٢٥ جزءا وترجمت جميعها الى اللاتينية ، وظلت تدرس فى جامعـات أوروبا حتى نهاية القرن الخامس عشر(٢١٢) .

وللرازى من كتب الطب والفلسفة وغيرها شىء كثير ، وما زال الناس يعولون على كتابه حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا وهـو معروف حتى اليوم . وأبو بكر الرازى الذى نعتـوه بجالينوس العرب كان مديرا لأطباء مستشفى الرى ، ثم مدير البيمارستان فى بغـداد لبراعته فى الطب وتنسب اليه خياطة الجروح الباطنيـة بأوتار العـود ، وقـد ألف كتبا عـديدة كانت المعول فى دراسة الطب بالمعاهـد والجامعات الأوروبية فترة طويلة من الزمان واهمها كتاب الحاوى(٢١٣) . ويعتبر من أوسـع دوائر المعارف فى الطب والجراحة ويفـوق فى الحجم قانون ابن سينا ويشتمل على جميع ما يحتاج اليه طالب الطب من مداواة الأمراض والعلل .

تقول د. شوارتزهت : وزير صحة جمهورية المـانيا الاتحادية فى افتتاح المؤتمر الدولى بالقاهرة حيث شهدت بذلك فى قولها : « ان الغرب لن ينسى ابدا أنه مدين

---

(٢١٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ١٩ .

(٢١١) المرجـع نفسـه ص ٢٧ .

(٢١٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

(٢١٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤١١ ، ٤١٢ .

للعرب بدراسة الطب ، وان مؤلفات ابن سينا والرازى كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة بالرمو التى تضم أشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى ، وكانت هـذه الكتب قـد ترجمت الى اللغـة اللاتينية » . ويشهد بذلك أيضا مدير جامعة برلين ورئيس فرع الطب بها حيث قال فى حفـل أقيم بالكلية : « أيها الطلاب العرب ، والآن اسمحوا بأن نعلمكم ونعيد على أسماعكم ما أخـذناه من أسلافكم وتعلمنـاه عن آبائكم »(٢١٤) .

وكان الرازى موضع تقـدير الجامعات الحـديثة ، فقـد خصصت جامعـة برستون الأمريكية أكبر جناح فى أجمل بناء لهـا لعرض مآثر هـذا الطبيب المسلم الذى يعـد أول واضع لعلم الطب التجريبى ، اذ كان يجرى تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته . . وهذا ما يفعله الأطباء الآن .

وفى باريس تعلق كلية الطب على جـدرانها صورة « الرازى » ضمن صـور أكبر الأطبـاء الذين خـدموا الانسانية ولهـذه الأعمال الجليلة والانتاج العلمى الوافر سمى هـذا العالم المسلم « أبو الطب العربى » و « جالينوس العرب »(٢١٥) .

وظلت كليات الطب فى أوروبا تعتمد على كتب الرازى زمنا طويلا ، كما كان قانون ابن سينا فى الطب موضع اهتمام الغرب ودراستهم منذ القرن الثالث عشر الى السادس عشر ، ولا يزال أهـل فارس يتداولونه بمـا وصفه ابن سـينا الى أيامنا هـذه لذلك فان كتب الرازى وابن سينا كانت أساسا للتدريس فى جامعـة لوفان فى القرن السابع عشر من الميلاد(٢١٦) .

وقـد عـد لكلرك فى تاريخ الطب العربى ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية وطبعت مرارا وخاصة فى سنة ١٥٠٩ م فى فينيسيا وفى سنة ١٥٢٨ م وفى سنة ١٥٧٨ م فى باريس وآخر مرة أعيد فيها نشر مؤلفه عن الجـدرى(٢١٧) كان فى سنة ١٧٤٥ م . وكان الطب العربى أساس علم الطب عند الفرنسيين ، أخـذوه مـع كثير من الألفاظ العربية . ودرس بعض الغربيين العلوم المختلفة على علمـاء

---

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٤٤٤ .

(٢١٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٣٢ .

(٢١٦) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٥١٧ .

(٢١٧) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١١١ .

عرب[٢١٨] ، كما سبق العرب الأفرنج الى وصف الجذام وشرح مرض الجدرى والحصبة وعلاج أمراض العين[٢١٩] .

والحقيقة ان الطب الأوروبى الحديث مستنبط من بدايته من الطب العربى الاسلامى ، اذ يقول « رام لاندو » فى كتابه « الاسلام والعرب » لم يوسع المسلمون فى دراستهم وبحوثهم الطبية آفاق الطب فحسب بل وسعوا المفاهيم الانسانية على وجه العموم ، واذا كان من واجبنا أن نعتبر فلق الذرة والقنبلة الذرية رمزا لأروع المنجزات العلمية فى منتصف القرن العشرين ، فلن يبدو من مجرد المصادفة ايضا ان تكون جهود المسلمين الطبية المبتكرة قد قادتهم الى اكتشاف لا يقل عن هذا الكشف الذرى ثورية ، وأن يكون فى أغلب الظن أكثر منه نفعا »[٢٢٠] .

وهكذا انتقل الطب العربى الى اوروبا فأنشئت مدارس الطب فى « مونبلييه وبولونيا وبادوا واورليان ونابولى واكسفورد وكمبردج وانجيه » وكلها تستخدم الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية أساسا لتدريس الطب فى جامعاتها[٢٢١] .

ولو احصينا عدد الأطباء المسلمين الذين نبغوا فى الطب بعد عصر ترجمة الكتب الطبية حتى انقضاء النهضة العباسية وابتداء عصر التقهقر لزاد عدد المؤلفين فيهم على بضع مئات ، واكثرهم اشتغلوا بسائر العلوم والفوا الكتب العديدة وترى ذلك مفصلا فى طبقات الأطباء لابن أصيبعة وتراجم الحكماء لابن التفطى . أما عدد الأطباء على الاطلاق فمما لا يمكن حصره لضياع ذلك مع الزمان وانما يستدل من بعض القرائن انه كثير جدا . اذن كانت جامعة بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى الجامعات الحديثة فى مجال الطب .

اما فى مجال الكيمياء فقد اشتهر العرب شهرة واسعة ، يقول الفيلسوف الانكليزى « باكون » ان جابر بن حيان الكوفى يعد معلم العالم فى الكيمياء .. ولجابر ابن حيان قول مأثور : ان واجب المشتغل فى الطبيعيات والكيمياء ، هو العمل

---

(٢١٨) محمد كرد على : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٨ .

(٢١٩) عباس العقاد : اثر العرب فى الحضارة الأوروبية ص ٣٩ .

(٢٢٠) د. على عبد الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى ص ٢٦ .

(٢٢١) د. عبد الرحمن بدوى : (**دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى**) (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٧٩ م) ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢٢٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

وإجراء التجارب ، فإن المعرفة الحقيقية لا تحصل إلا بها . وفى عهده عرف التقطير والتصعيد والترشيح ، وكلها عمليات فيزيائية ، كما عرف حمض الكبريت ، وحمض الأزوت ، والصــودا الكاوية وكثير من المواد الكيماوية الأخرى[٢٢٢] .

كما قام العرب باكتشافات هائلة من بينها المــاء الملكى وحمض الكبريتيك وحمض الأفرونيك ، ونترات الفضة ، والعرب فى العمليات الكيماوية التى قاموا بها استطاعوا تحضير حمض الزرنيخ وأكسيد الزئبق وأكسيد الحــديد وأكسيد النحــاس وكبريتات النحاس وكبريتات الزئبق . وكلورود الزئبق الذى حضره جابر بن حيان بغلى الزئبق مــع الملح العادى ونترات الألومن ، وأشـــهر الكيميائيين العرب الذين عرفتهم أوروبا فى جامعاتها من غير شك جابر بن حيان[٢٢٣] . الذى كان يعيش فى سنة ٧٧٦ م . وفى خــلال القرون الوسطى ترجمت عــدة مقالات عن جابر بن حيان الى اللاتينية وكان لــه أثر كبير فى تكوين مدرسة كيمياوية ذات أثر بالغ فى بلاد الغرب[٢٢٤] . وقـــد نقــل كتابه المعروف بكتاب « الاستتمام » الى اللغة الفرنسية فى سنة ١٦٧٢ م ممــا يدل على دوام نفــوذه العلمى فى أوروبا مدة طــويلة[٢٢٥] .

وكان لنقل كتب جابر بن حيان وأبى بكر الرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيــــون عن العرب تقسيم المواد الكيماوية الى نباتيــة وحيــوانية ومعــدنية[٢٢٦] . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشــكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من نبات الكرنب مع السكر الذى مثل دورا هاما فى تاريخ الطب[٢٢٧] . وهــذا ما دفــع العالم ليبرى الى أن يقول : « أحــذفوا العرب من التاريخ ، يتأخر عصر النهضة فى أوروبا عــدة قرون » أما الكيمياء الحــديثة فيقول العارفــون من علماء أوروبا أن العرب هم الذين وضعوا أساسها بمــا كانوا يقومون به من تجارب ، وبمــا كانوا يهيئون من مستحضرات كيماوية استعملت فى صناعات شتى كصناعة الورق والصابون والأصبغة والمفرقعات والأدوية ، وقــد نقل الغربيون عنهم بعض الصناعات ولا سيما صناعة الورق ، كما نقلوا الى لغاتهم أكثر من خمسين اسما من الأسماء الكيمياوية التى وضعها العرب حيث لم يتركوا بابا الا طرقوه[٢٢٨] .

---

(٢٢٣) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ص ٢١ .

(٢٢٤) اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٦٩ .

(٢٢٥) جوستاف لوبون : حضــارة العرب ص ٥٠٣ .

(٢٢٦) عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢٢٧) زغريد هــونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٢٢٨) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٦٣ .

وابرز دور للعرب فى تكوين الفكر الاوروبى هــو فى العلم بمختلف فروعه الطب والكيمياء والفلك والرياضيات . اما الرياضيات فقـد كان للعرب الفضل الاكبر لانهم هم الذين ادخلوا النظام العشرى فى العـــدد . اذ كان اليونانيون انما يستعملون فى العـــدد حروف الأبجـدية من (١) الى (٩٩٩) ثم يستعملون الشرطه والشـوله والنقطة للعـــدد فيما بعـــد ذلك حتى آلاف الآلاف . وكان الرومان يستعملون سبعه أحرف من الابجـــدية هى i,V,X,L,C,D,M وتدل على التوالى على ١ ، ٥ ، ١٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٠٠ ، ثم يضعون فوقها شرطة أفقية تدل على ان العـــدد مضروب فى ١٠٠٠ ، وجاء الهنود فاخترعوا نظام العـــد العشرى وفيه تتوقف قيمة العـــدد على موضعه . فالعـــدد على يمين الواحـــد غيره على شماله . وهكذا ... واستعملوا الصفر للدلالة على الخلو من الوحـــدة . وجاء العرب فاخترعوا طريقة لكتابة الأعـــداد هى طريقة « الغبار » وهى التى انتشرت فى المغرب ومنه انتقلت الى أوروبا ولا تزال اليوم فيما نسميه نحن بالأرقام الهندوستانية وهى التى لا تزال تكتب بهـــا الأرقام فى المشرق العربى حتى اليوم ، وقـــد دخلت الرياضيات العربية أوروبا على يد Leonardo de pissa فى القرن الثالث عشر(٢٢٩) .

اما جبر الخوارزمى فله فى تاريخ العلوم الرياضية مكانة سامية لأن كل ما الفه العرب فيما بعـــد عن الجبر وكل كتب الجبر التى ظهرت فى القرون الوسطى مبنيـــة كلها عليه ، ومنه انتقلت طريقة العـــددية العشرية او الهندية الى الغرب . وكتابه الجبر هـــو المعروف باسم « الجبر والمقابلة »(٢٣٠) . وجاء بعـــد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بداه الخوارزمى وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التى وضعها اقليـــدس وأرشميدس وبطليموس ووضع عـــدا ذلك كتبا مبتكرة لم يعثر الباحثون الا على قسم من كتابه الجبر ، ويشمل على فصل واحـــد من المعادلات التكعيبية ، ومعادلات الدرجة الثالثة . وقد استخدم فى حلها علم الهندسة كما فعل الخوارزمى . ان مؤلفات العلماء المسلمين فى الحساب والجبر وحساب المثلثات قـــد بلغت شأنا كبيرا . ولولاهم لـــا عرف ما وضعه الاغريق من مبادىء فى هـــذا المجال ولولاهم لـــا جاءت هذه الاضافات الكثيرة والتصحيحات العـــديدة فى هـــذه الميادين ولولاهم لتخبط اهـــل أوروبا فى هـــذه المجالات ولعجزوا عن معرفة معالم الطريق .. وحتى لو بدأوا من أول الطريق لاحتاجـــوا الى عشرات القرون ليصلوا الى نقطة النهاية التى تركها لهم علماء المسلمين

---

(٢٢٩) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ص ١٧٠ .

(٢٣٠) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على أوروبا ص ٧٣ ، ٧٤ .

ليستكملوا المسيرة(٢٣١) . وهــذا الدور الاسلامى كان من ناحيته أساسا لنهضة القرن الثامن الهجرى فى أوروبا .

فاذا انتقلنا من الرياضيات الى الفلك والتنجيم وجـدنا العرب قـد أثروا تأثيرا بالغـا فيما يتعلق بالأرصاد الفلكية ومن العرب الذين عرفتهم أوروبا فى هـذا الباب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ذكرناه آنفا ، فان الألواح الفلكية التى وضعها وفقـا لأرصاد بعضها قام هـو بها وبعضها تأثر فيها بالهنود ، فقـد ترجمها الى اللاتينية سنة ١١٢٦ م كذلك ذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى ولـه فى الفلك كتاب كان ذا أهمية بالغـة فترجمه الى اللاتينية خـوان الأشبيلى وجيراردو الكرمونى كما ترجمه الى العبرية يعقوب الأناضولى ونشرت الترجمة اللاتينية مع النص العربى فى أمستردام سنة ١٦٦٩ م . وهـو الذى قاس قطر الأرض بمقـدار ٦٥٠٠ ميل . ولا يفـوتنا أن نذكر أبا معشر جعفر البلخى وترجم لـه الى اللاتينية كتاب بعنوان : (Introdurtoriun in Astronmiam Albumasoris) وترجمه لـه خـوان الأشبيلى وطبع سنة ١٤٨٩ م ، وسيورج سنة ١٤٥٩ م فى فينيسيا وفيه وضع نظرية عن المـد والجزر(٢٣٢) .

فالبتانى الذى عمـل فى المرصـد بدار الحكمة ببغـداد اكتشف تغـير أوج الشمس ، وحسب السنة بمقـدار ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٦ دقيقة و ٢٤ ثانية ، والفلكيون اليوم يحسبونها بمقـدار ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٧ ثانية ، كما تنبأ الفلكيون العرب بكسوف الشمس وخسوف القمر بدرجة من الدقـة المتناهية أذهلت الناس ، وأولوا القمر اهتماما خاصا ، لأن السنة العربية قمـرية(٢٣٣) .

ولا نعجب أن يحلق البتانى وكتابه « الزيج الصابى » وشهرتهما الى الآفـاق حتى أن « الفونس العاشر » ملك قشتالة أمر بأن يترجم — الزيج الصـابى — الى اللغة الأسبانية ... حيث طبع مـع شروح وهوامش مرفقة به عـدة مرات اعتبارا من العام ١٩٤٦ م فمـا الذى أتى به البتانى ؟ وامتاز به عن بقية علماء الفـلك وهم كثيرون ؟ لقـد باشر البتانى أرصـاده فى مرصـد بنـاه لنفسه فى أنطاكية وهـو

(٢٣١) المرجع نفسه ص ٧٦ .

(٢٣٢) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ص ١٩٠ .

(٢٣٣) المرجع نفسه ص ١٩ ، ٣٠ .

المعروف بمرصد البتانى وذلك فى تمام عام ٢٦٤ هـ ، واستطاع أن يصل الى جملة حقائق(٢٣٤) :

(ا) رصد الزاوية المحصورة ما بين المستوى المار بخط الاستواء الأرضى والمستوى المار بمدار الأرض حول الشمس وهى ما تدعى (بزاوية الميل الأعظم) .

(ب) حسب البتانى طول السنة الشمسية وحسابه لا يختلف عما هو معروف اليوم الا بمقدار دقيقتين .

(جـ) اثبت البتانى امكانية حدوث الكسوف الحلقى للشمس .. بينما نفى العلماء ممن اتى قبله امكانية حدوث مثل هذا الكسوف(٢٣٥) يقول المؤرخ سكوت لم يتعد الحقيقة بقوله : من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكى العربى يرقب حركات النجوم ، ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ومواقع النجوم مستعينا على ذلك بآلات اخترعت فى حوض الوادى الكبير ، وعند نهر دجلة ومستعينا ايضا بزيجات ثبتت فى سهول بابل قبل المسيح بقرون .

والعرب كانوا اول من بنى مراصد فلكية فى أوروبا ، وأول من عمم فكرة كروية الأرض وجعلها مفهوما عاما ، بينما كان الراى السائد فى اوروبا يؤكد أن الأرض مسطحة بكل ما يحمل هذا التأكيد من استحالة وكان العرب يدرسون الجغرافيا فى مدارسهم على كرات جغرافية قبل أن تدرك أوروبا أن الأرض كروية بعد قرون طوال(٢٣٦) .

وهذا الابداع والابتكار اذى قدمه المسلمون فى شتى مجالات العلم دفع كبار العلماء والمفكرين فى أوروبا أن يعترفوا بالحقيقة وأن ينسبوا الفضل الى اهله وذويه فقال جوستاف لوبون : « كلما تعمق المرء فى دراسة المدنية الاسلامية تجلت له أمور جديدة واتسعت امامه الآفاق وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة علماء المسلمين . وأن جامعات الغرب عاشت خمسمائة

---

(٢٣٤) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٩٣ .

(٢٣٥) المرجع نفسه ص ٩٤ .

(٢٣٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤٧٩ .

سنة تكتب للعرب وخاصة أن المسلمين هم الذين قدموا أوروبا فى المادة والعقل والخلق »(٢٣٧) . وقد اعترف العلامة سيديو وأوجز عندما قال « ان علماء المسلمين هم فى الواقع أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة »(٢٣٨) . وقد أيده الفيلسوف الفرنسى رينان عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون » . وفى معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم » .

ويصف سارتون الحركة العلمية الاسلامية بأنها أعظم حركة علمية تتصف بالأصالة من مطالع العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثالث عشر .. وقد أخذ سارتون يعدد نعم العرب وأفضالهم على العلم فى ميادين علم الجبر وحساب المثلثات والهندسة والفلك والطب والكيمياء وعلم الظواهر الجوية ... ثم يقول لنا : اننا اذا نظرنا الى تراثهم بمنظار بيئتهم ، وقارنا بين جهودهم وجهود غيرهم من معاصريهم بدا تفوقهم الكاسح واضحا جليا ، ومن منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر كانت الشعوب الناطقة بالعربية تتقدم موكب الحضارة فى الدنيا كلها ، وفى الوقت الذى أوقد فيه العرب هذه النهضة الوضاءة المشرقة كانت أوروبا أثناءه بل قبله وبعده فى حال مزرية من البداوة والتخلف . فحينما ارتدت الى تراث العرب وراحت تنهل من معينه ثم نهضت فى صقلية منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر وفى أسبانيا منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر ، نهضت أوروبا بحركة ترجمة واسعة النطاق ، ترجمت فيها كنوز الفكر العربى الى اللاتينية لغة المثقفين من أهل العالم الأوروبى(٢٣٩) .

أما فى الفلسفة فان الفيلسوف الكندى العربى يعتبر نتاج هذا العصر وكتبه فى الفلسفة والمنطق والهندسة والنجوم والموسيقى وغيرها رائعة حقا(٢٤٠) .

وقد خلصت الفلسفة اليونانية فى هذا العصر من شوائب الأوهام والأباطيل والخيالات بفضل عقول المسلمين المتفتحة الفاحصة التى درست القضايا والمشكلات الفلسفية فى ضوء من فهمهم الواعى للاسلام وأصوله وينبغى الا نغفل فضل المعتزلة

---

(٢٣٧) جوستاف لوبون حضارة العرب ص ٥١٩ ، ٤٨١ .

(٢٣٨) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٢٣٩) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢٤٠) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ ، ٣٧٩ .

وجهودهم فى هـــذا المقام فى المحاماة عن الدين الاسلامى ضـــد أعـــدائه ودفـــع البدع والشوائب الدخيلة عن أن تعـــلق به حينمـــــا حاربوا الثنـــــوية والمشبهة والجـــــبرية(٢٤١) . ولمع من زعمائهم فى هـــذا العصر أبو الهـــذيل العلاف .

وجـــدير بالذكر ان الكندى يعتبر اول مفكر مسلم يخرج عن نطاق تفكير اليونانيين التقليدى ، اذ وضع منهجا عاما وقسم العلوم الى اسسها الفكرية المنطقية ، فهناك أولا : العلوم الفلسفية وهى تشمل الرياضيات والمنطـــــق والطبيعيات والفيزياء والسياسة وعلم الاجتماع .. وهناك العلوم الدينية وتشمل أصول الدين والعقائد والتوحيد والرد على المبتدعة والمخالفين .. وبقى هـــذا المنهج متبعا خلال العصور كلها . ومن هنا يتعين القـــول بأن فلسفة الكندى تجمع بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرســـطو ، وهى تعتمد بلا ريب على طريقة الاستنباط المنطقى التى عاناها كثير من الفلاسفة وعرفت فلسفة الكندى آنذاك بالفلسفة الحـــديثة(٢٤٢) .

لقـــد كتب الفارابى أعظم فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ، كتابا ذا روحانية سامية ومشاعر وجـــدانية نبيلة أسماه « المدينة الفاضلة »وبدأ من المبدأ الأفلاطونى القائل بأن الانسان خلق ليعيش فى مجتمع . وصل الفارابى الى النتيجة القائلة : ان الدولة جيدة التنظيم يجب ان تغطى كل المسكون وأن تضم كل البشرية . وفكرة الدولة العالمية تثير فى الفكر الأوروبى مفهوم الامبراطورية الرومانية والصراع بين البـــابوية والامبراطورية خلال العصور الوسطى ونظريات بعض اصحاب « اليوتوبيا » المدينة الفاضلة فى العصور الحـــديثة . لم تكن هـــذه الفكرة جـــديدة على الفكر السياسى بل انها متضمنة فى المفهوم الثيوقراطى (حكم رجال الدين الاســـــلامى) . والمدنية الشاملة ولحكامها اهـــداف سامية(٢٤٣) .

وكان الفارابى يؤمن بأن واجب هـــذه الدولة أن تضمن للمواطنين حكومة كاملة على الأرض والسعادة بعـــد الموت . والمدينة الفاضلة يجب أن يديرها حاكم واحـــد على أن تتوافر فيـــه الصفات الآتية : ذكاء عظيم(٢٤٤) . وأثنى روجـــر باكـــون على

---

(٢٤١) ديبـــور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٩١ .

(٢٤٢) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢٤٣) جيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٣٥ .

(٢٤٤) المرجع نفسه ص ١٥٣ .

الفارابى وعلى بعض مؤلفاته وذكره بين المقدمين فى تاريخ تقدم الفكر كأقليدس وبطليموس وسانت اوغسطين .

وقد كان للفارابى اكبر الأثر فى التفكير الأوروبى ولا يزال رجال الفلسفة والعلم فى اوروبا يهتمون به الى اليوم واشتهر بالمنطق واهتم بشرح آراء المعلم الأول أرسطو طالبا بيان فلسفته وتقريب فهمه الى معاصريه مما جعل له عند العرب مكانة لا تدانى حتى أنه لقبوه بالمعلم الثانى(٢٤٥) .

واطلع المستشرقون والمؤرخون فى أوروبا وأمريكا على فلسفة الفارابى ودرسوها وتأثروا بها وخرجوا بالقول : ان الفارابى مؤسس الفلسفة العربية الاسلامية ومنهم من يرى أنه زعيم اكبر فرقة فلسفية فى عصره والمقدم فيها وهو المرجع وعليه الاعتماد(٢٤٦) .

أما بريفولت Briffault فيقول : « العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية الى العلم الحديث ، فالاغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات ، ولكن روح البحث وتركيم المعرفة التقنية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الاغريقى وانما كان العرب هم أصحاب الفضل فى تعريف أوروبا بهذا كله ، وبكلمة ، فان العلم الأوروبى مدين بوجوده للعرب ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ادخلها العرب الى العالم الأوروبى »(٢٤٧) .

ان وعى أوروبا المسيحية الذى بدأ يستيقظ خلال القرن العاشر الميلادى استمد قوته واسسه العلمية والفلسفية من التراث الاسلامى الذى كان فى أوجه ، هذه القوة التى تكونت كما أوضحنا من خلال رد الفعل وهو الذى أعطى امكانية للفكر الأوروبى أن يؤسس قواعد المعرفة الفلسفية سواء عن طريق ما تم نقله من الفلسفة الاسلامية الى اللغة اللاتينية وعن طريق الصراع الدينى الذى تحول الى هجوم مكثف على الاسلام . وهذا الهجوم بدوره تحول الى مرآة من خلالها يريد الأوروبى أن ينظر الى ذاته ، وتحقيق الذات يفرض معرفة الأخير ، معرفة أدواته وأساليب تفكيره والهوية المكونة لذاته ، وهذا ما كان يدعو اليه ريمون لول

---

(٢٤٥) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٤١ .

(٢٤٦) المرجع نفسه ص ١٤٠ .

(٢٤٧) Dr. Robert Briffault (The Making of Humanity). (England 1919). P. 190 — 651.

Raymond Lull الذى قضى حياته بأكملها متجولا فى الامارات والبلدان العربية عندما كان يدعو الى ضرورة وأهمية التعمق فى الدراسات الشرقية لا فى مجال الدين فحسب بل وفى ميدان العلوم الفلسفية العربية لأن ذلك كان بالنسبة له هو السلاح العلمى للرد على الاسلام ونشر الدعوة المسيحية[٢٤٨] .

وهذا لن يتاتى الا بتكوين مكتبة علمية عالمية تهتم بما يكتب عن العرب والاسلام وهذا ما ينبغى الاهتمام بهوالتركيز عليه فهل هناك آذان صاغية ؟ ! وفى الوقت الذى أحرزت فيه الدولة العباسية هذا التقدم العلمى فى مختلف فروع المعرفة كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق .. كانت أوروبا تتخبط فى ظلام الجهل ، كان أقصى ما يطمح اليه رجال الدولة فيها أن يتعلموا مجرد كتابة أسمائهم كما كان الحال فى عهد شارلمان الذى يعتبر عهده من أزهى عصور أوروبا فى العصور الوسطى[٢٤٩] وحين تعرف الأوروبيون على هذا الانتاج العلمى العربى اقبلوا على اقتباسه وكان له الفضل الأول فيما بعد فى انارة الطريق أمامهم وانتشالهم من وهدة الجهل[٢٥٠] .

يقول جوستاف لوبون : « انه كان للحضارة الاسلامية تأثير عظيم فى العالم وان كان هذا التأثير خاصا بالعرب وحدهم تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التى اعتنقت دينهم ، وان العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقى وان العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ، ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافى »[٢٥١] .

وكانت قرطبة فى القرن العاشر نسيج وحدها فى أوروبا ، اذ كانت المركز العلمى الوحيد ، وجامعاتها فريدة فى أوروبا كلها ، تطل براسها من نور أسبانيا الاسلامية على دياجى الجهل والعماية السائدة فى أوروبا أرض الظلام فى ذلك العصر . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ويستمر التبادل الثقافى بين الشرق والغرب .

---

(٢٤٨) د. عبد الغنى أبو العزم : (مصادر الدراسات الاسلامية فى أوروبا) مجلة المؤرخ العربى – بغداد – العراق ص ٢٣١ .

(٢٤٩) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ص ١٧٦ .

(٢٥٠) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢٥١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٧٩ ، ترجمة أكرم زعيتر .

ملحق بأسماء خلفاء العصر العباسي ومدة حكم كل منهم بالتاريخين الهجري والميلادي . (١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م) .

(أ) العصر العباسي الذهبي

(١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م)

ابو العباس عبد الله السفاح	(١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ١٣٦ هـ/٧٥٤ م)
ابو جعفر المنصور	(١٣٦ هـ/٧٥٤ م — ١٥٨ هـ/٧٧٥ م)
محمد المهدى بن المنصور	(١٥٨ هـ/٧٧٥ م — ١٦٩ هـ/٧٨٥ م)
الهادى بن المهدى	(١٦٩ هـ/٧٨٥ م — ١٧٠ هـ/٧٨٦ م)
هارون الرشيد	(١٧٠ هـ/٧٨٦ م — ١٩٣ هـ/٨٠٩ م)
محمد الأمين	(١٩٣ هـ/٨٠٩ م — ١٩٨ هـ/٨١٣ م)
عبد الله المأمون	(١٩٨ هـ/٨١٣ م — ٢١٨ هـ/٨٣٣ م)
أبو اسحاق محمد المعتصم	(٢١٨ هـ/٨٣٣ م — ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م)
الواثق بالله بن المعتصم	(٢٢٧ هـ/٨٤٢ م — ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م)

(ب) العصر العباسي الثانى (الاضمحلال)

(٢٣٢ هـ/٨٤٧ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م)

المتوكل على الله بن المعتصم	(٢٣٢ هـ/٨٤٧ م — ٢٤٧ هـ/٨٦١ م)
المنتصر بن المتوكل	(٢٤٧ هـ/٨٦١ م — ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م)
المستعين بالله بن المعتصم	(٢٤٨ هـ/٨٦٢ م — ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م)
المعتز بن المتوكل	(٢٥٢ هـ/٨٦٦ م — ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م)
المهتدى بالله بن الواثق	(٢٥٥ هـ/٨٦٩ م — ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م)
المعتمد على الله بن المتوكل	(٢٥٦ هـ/٨٧٠ م — ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م)

محمـد المعتضـد بالله	(٢٧٩ هـ/٨٩٢ م — ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م)
المكتفى بالله بن المعتضـد	(٢٨٩ هـ/٩٠٢ م — ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م)
المقتـدر بالله بن المعتضـد	(٢٩٥ هـ/٩٠٨ م — ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م)
القـاهر بن المعتضـد	(٣٢٠ هـ/٩٣٢ م — ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م)
الراضى بالله بن المقتـدر	(٣٢٢ هـ/٩٣٤ م — ٣٢٩ هـ/٩٤٠ م)
المتقى لله بن المقتـدر	(٣٢٩ هـ/٩٤٠ م — ٣٣٣ هـ/٩٤٤ م)
المستكفى بالله بن المكتفى	(٣٣٣ هـ/٩٤٤ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م)

(هـ) العصر العباسى الثالث (السقوط)

(٣٣٤ هـ/٩٤٥ م — ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)

المطيـع لله بن المقتـدر	(٣٣٤ هـ/٩٤٥ م — ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م)
الطـائع لله بن المطيـع	(٣٦٣ هـ/٩٧٣ م — ٣٨١ هـ/٩٩١ م)
القـادر بالله بن اسـحاق	(٣٨١ هـ/٩٩١ م — ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م)
القـائم بأمر الله بن القـادر	(٤٢٢ هـ/١٠٣١ م — ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م)
المقتـدر بأمر الله	(٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م — ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م)
المستظهر بالله بن المقتـدر	(٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م — ٥١٢ هـ/١١١٨ م)
المسترشـد بالله	(٥١٢ هـ/١١١٨ م — ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م)
الراشـد بالله بن المسترشـد	(٥٢٩ هـ/١١٣٤ م — ٥٣٠ هـ/١١٣٥ م)
المقتفى لأمر الله	(٥٣٠ هـ/١١٣٥ م — ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م)
المستنجد بالله بن المقتفى	(٥٥٥ هـ/١١٦٠ م — ٥٦٦ هـ/١١٧٠ م)
المستضىء بأمر الله	(٥٦٦ هـ/١١٧٠ م — ٥٧٥ هـ/١١٧٩ م)
الناصر لدين الله	(٥٧٥ هـ/١١٧٩ م — ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م)

خاتمة البحث

واختم بحثى بالقول بأننى توخيت من دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين منذ تأسيسها حتى أصبحت مؤسسة ثقافية فأكاديمية للبحث العلمى والدراسات العليا . فكانت بغداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل . فكان بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو علاوة على كونه دار ترجمة كان معهدا للعلم ودار كتب عامة وله مرصد ملحق به . فبيت الحكمة من أقدم الكليات والجامعات التى أسست فى التاريخ فكان له السبق على الأزهر ، رغم انه أسس قبل جامعات أوروبا .

وكان العصر العباسى الأول أهم العصور الاسلامية انتاجا فى العلم فقد انتشر فى زمن الرشيد مجموعة من الكتب المنقولة من اللغات العالمية المعروفة ، فى ذلك العصر من علوم الطب ، والفلك ، والفلسفة ، والحكمة والآداب والقصص ، وغيرها . هذا فضلا عن المؤلفات العربية الجديدة التى أنتجها علماء العرب فى شتى أنواع العلوم القرآنية ، والنحو ، والتاريخ ، وسائر الفروع الأخرى .

واقتفى الرشيد أثر جده فى تشجيع الانتاج العلمى ، فقد كتب الى الأمراء والأجناد والى الولاة يشجعهم على الاهتمام بالعلم والعلماء فأغدق عليهم بالعطاء والمنح . وسار على نهجه المأمون فكان مثالا فى سائر أسباب النهضة العلمية فاقتدى به بنو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة سنة ٣٥٠ هـ . فأنشأ فى قرطبة مكتبة . واقتدى بخلفاء بغداد أيضا الخلفاء الفاطميون بمصر .

فيمكن أن يوصف بيت الحكمة ببغداد بأنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات موزعة فى أقسام الدار ، تضم مجموعة من خزائن الكتب فى كل خزانة

مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون . ووصفت أيضا بأنها دار كبيرة مقسمة الى عدة أقسام ، خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة ، والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة ، وقدر لهذه الخزانة أن تصبح أعظم بيوت الحكمة شأنا عند المسلمين لما حوته من كتب نفيسة .

أما تسمية بيت الحكمة فأحيانا يستعمل العلماء اسم بيت الحكمة وأحيانا أخرى خزانة ، فحاجى خليفة يستعمل كلمة بيت الحكمة فى كتابه كشف الظنون ، وابن النديم فى كتابه الفهرست يستعمل بيت الحكمة (خزانة الحكمة) حينا آخر .

وقد اختلف الباحثون فى شخصية مؤسس بيت الحكمة فزعم البعض أن مؤسس هذا البيت هو المأمون ، وأكد فريق آخر أن الرشيد هو الذى أنشأ بيت الحكمة ، فياقوت الحموى يؤكد فى كتابه معجم الأدباء أن بيت الحكمة كان فى حيز الوجود أيام الرشيد اذ يقول عن علان الوراق أنه كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة . وجاء فى الفهرست لابن النديم : أن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الرشيد فكان له نقول عن الفارسية .

والحقيقة أن الرشيد هو الذى أنشأ بيت الحكمة . أما لماذا أنشأها ؟ فقد تجمع لديه عدد كبير من الكتب ورأى انشاء مكان ليحفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم . ثم جاء المأمون ويعتبر عصره ازهى أيام هذه الدار ، فقد ارتقت بفضله من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى ، فتحولت من « خزانة » الى مجمع أو أكاديمية للبحث العلمى يعمل على خدمة العلم وترجمة ثمار الفكرين الاغريقى والفارسى . وان تاريخ بيت الحكمة من حيث الخدمات العلمية التى أداها للفكر العربى تخص المأمون وعصره .

أما موقع بيت الحكمة التى أنشأها الرشيد ببغداد فلا يعلم أن كان جزءا من قصر الخليفة أو بناية مستقلة ، غير أنه كان على الأرجح دارا خاصة بالكتب ضمن قصور الخلافة تتكون من عدد من الحجرات والخزائن .

وحسب ظنى أن بيت الحكمة كان مجموعة من الخزائن لكل مجموعة من الكتب خزانة ، كخزانة الرشيد وخزانة المأمون وخزانة البرامكة . ونرى أن بيت الحكمة يختلف عن دور العلم التى ظهرت فى القرن الثالث الهجرى ، فهى مؤسسات أدبية ، أكثر كتبها فى اللغة والأدب والفقه والأخبار والسيرة .

اما بيـــوت الحكمة الخاصة فهى المكتبات التى انشاها العلماء والأغنياء والأدباء والأعيان فى دورهم : وكان يستفيد منها الناس ، فكانت شبه عمومية ، وكانت تضم كتبا فى مواضيع متنوعة كالمنطق والفلسفة والفلك . فقــد كانت بغــداد مراكز لتجمع الثقافات لمــا بذله الخلفاء العباسيون من جهود حبــا لنشر العلم بين كافة الطبقات واقتدى النـــاس بالخلفاء ، فانشأ على بن يحيى المنجم مكتبة فى قصره سماها خزانة الحكمة وفتحها للراغبين فى الدرس يقصدها الناس فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة والنفقة من ماله .

أماوظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه ؛ فاقترن بيت الحكمة البغــدادى بعــدد من الاعــلام المشهورين كالرشيد والمــأمون والبرامكة والمتوكل . كما ورد فيهـــا ذكر عــدد من العلماء والخزان والموظفين ، فكان يدير بيت الحكمة مديرون أمناء على الترجمة ومعهم كتاب حــذاق ويشتغل فيه أيضا علماء ونساخون وخزان ومجلــدون من مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والثقافات ومنهم الوراقــون . فكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة أو النسخ أو الدرس أو التاليف فيجلس النساخ فى أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجــور معينة وكذلك المترجمون والمطالعون والمؤلفــــون .

أما مدير بيت الحكمة ، والقيم عليه فيدير شئونه ويسمى صاحب بيت الحكمة ، وعين المــأمون قيما لبيت الحكمة يدعى خازنا لادارة شئونه وصيانة كنوزه هـــو سهل بن هارون ، كما عـــين مشرفا على القسم الذى أحضرته بعثة القسطنطينية بالاضافة الى ادارة بيت الحكمة عامة . كما كان يتولى تنظيم خزانة المــأمون بصورة خاصــــة .

ونرى أن بيت الحكمة أول ما بدأ بوظيفة مكتبة عامة فأصبح لهــذه المكتبــة شأن فى العالم الاسلامى ، ثم تطــور وأصبح أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجــأ اليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليــــا ؛ فأصبح مؤسســة علمية للثقافة العالية أكثر كتبه فى الحكمة والفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمــة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى وكثر المترجمون فى هــذه الدار فى عصر المــأمون فكانوا يقومون بواجبهم العلمى ويتبادلون الرأى .

والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث التجريبى المستند الى الملاحظة

ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعـريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفـة الى العربية . ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهـذه الحركة العلمية يتبين لنـا أن هـذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانمـا كانت هناك أعمال أخرى . منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك . خارج بغـداد كبيت الحكمة التونسى فى القيروان أو دار الحكمة الفاطمية بالقاهرة . كما كانت الكتب المترجمـة والمؤلفـة يقتنيها الأغنياء ، والمؤسسات العلمية الأخرى مـع الاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقـة الكتب المترجمة كانت تراجـع الترجمات التى كان يقوم بهـا النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان ثابت بن قرة الحرانى فى دولة المعتضد من الذين راجعـوا أو صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضية والفلكيـة والمنطق . كذلك فعـل حنين بن اسحاق فقـد جعل لـه المتوكل كتـابا عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموا .

وقـد أدت الحركة العلمية الذى يعتبر بيت الحكمة لولبهـا الى ازدياد طلب المعرفة من قبل مئات لا يستهان بها من الناس . الأمر الذى أدى بدوره الى الاقبـال على شراء الورق . لـذا أسست مصانع الورق فى عهـد الرشيد فى بغـداد ، ثم انتشرت صناعته فى أنحاء البلاد العربية فكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقـافة العربية ومضى العلمـاء يفيدون من صنعة الوراقـة ، فاتخـذوا لأنفسهم وراقـين ينقـلون عنهم كتبهم .

واذا نظرنا الى منهج التدريس فى بيت الحكمة وجـدناه راقيـا جـدا ، فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا والموسيقى فكان خريج بيت الحكمة اذا انهى هـذه العلوم يكون قـد بلغ مرحلة عالية من العلم تساوى المرحلة العلمية التى يصل اليها اليوم طلابنا حينما يتخرجون من الجامعات الحـديثة ، ومن هنا نستطيع أن نستنتج ونحكم على مستوى بيت الحكمة العلمى من قـدرة أساتذته وطلابه ومديره . واتخـذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا فكان ابو يوسف أول من غير لبس العلماء ، واقترح لتمييز هـذه الطائفة عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعى ، ومنذ ذلك الحين أصبح هـذا الزى ضروريا للمدرسين والفقهاء . وكانت رعاية المـأمون لبيت الحكمة وما انفق عليـه من مال مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سـخاء الخلفاء والأمراء ، فهيأ للعلماء أرزاقا سخية يتقاضونها فى أوقات ثابتـة ،

يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهـذه المؤسسة العظيمة ، وكذلك جرى العمـل من بعـده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة أو مؤسسة وقف ثابت يفى بنفقاتها .

وفى عهـد الدولة العباسية كثر اختلاط العرب مـع غيرهم من الأمم التى دانت لحكمهم وزادت رغبتهم بالاطلاع على علوم القوم ومعارفهم فقربوا العلمـاء والأطبـاء والحكماء وأهـل الفنون والآداب . وأجزلوا لهم العطاء . واجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب واهتم العباسيون بعلم صنعة الكيمياء وظلوا يزدادون عليها حتى ظهر فى العصر العباسى جابر بن حيان وهـو ابن صـيدلى ، وخلف كثيرا من النظريات فى هـذا العلم ، وترجمت طائفة منها الى اللاتينية وافاد منها الأوروبيون .

وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الأجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى هارون الرشيد عـدة علماء أمر بيت الحكمة فعهد الى فضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية ، والى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبية القـديمة التى كان يعثر عليها فى أسفاره وبين البلاد فى غزواته ، وجهاده . فقـد حمل معه من أنقره الى عمورية وغيرها من بلاد الروم كتبا كثيرة ، ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم فقـد منح مرة لأحـد العلماء مائة ألف درهم . ومعظم الكتب التى نقلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقـد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد . وكان بعض علماء الهنود قـد وفـدوا الى بغـداد منذ عهد المنصور سواء من تلقـاء أنفسهم أو يدعـوهم الخلفاء للحضور وقـد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية ثم جاءت الثروة الضخمة فى أخريات أيام الرشـيد وخلال عهد المـأمون عن طريق التراث اليونانى .

وقام المـأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة فاهتم بأنواع عـدة من الثقافة ولم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية لأنه كان مغرما بدراسة كتب الفرس القـديمة فقط ، وانمـا اهتم بجمع الكتب الاغريقية فأرسل الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة بجمـع الكتب الاغريقية وغيرهم . فأخـذوا ما وجـدوا وأحضر المـأمون حنين بن اسحاق وأمره بنقـل ما يقـدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العرب واصلاح ما ينقـله غيره . فكان يعطى المـأمون من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل . فجمع فى دار الحكمة كنـوز العلم وآثاره من اسـلامية وغير اسـلامية .

وحقيقة أخرى هى أن بيت الحكمة فى عهد المـأمون كانت مفتوحة الأبواب أمام

العلماء الذين يريدون الدراسة والتحقيق ولم يكن الخليفة بعيدا عن أمور البحث والدراسة والمناقشة فيما تضمنته هذه الكنوز العلمية .

كما أن ميل المأمون الى الفلسفة والمنطق واتساع دائرة معارفه العامة وتأثره بمذهب الاعتزال ما دفعه الى ايجاد حركة نقل وتأليف قوية عنيفة . كان من نتائج اقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات وأمثالها أن تولد عندهم علم الكلام والفلسفة الأفلاطونية الجديدة فظلت النهضة مستمرة بعد المأمون الى عدد من خلفائه حتى نقلت أهم الكتب الى العربية .

وبلغ من شغف المأمون بكتب الحكمة والفلسفة ، أنه اذا ما عقد معاهدة مع بعض ملوك الروم فانه كان يشترط عليه أن يرسل اليه من نفائس كتب الحكمة في بلاده ، كما فعل مع ميخائيل الثالث قيصر الروم الذى أرسل اليه احدى المكتبات الشهيرة فى القسطنطينية كان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس فى الفلك فأمر المأمون بنقله الى العربية وسماه « المجسطى » وكان المأمون يجل علماء الملل الأخرى من نصارى وغيرهم ويحتفى بهم فى مجلسه .

ولم يكن التسامح يسود بيت الحكمة فى زمن المأمون فقط بل وفى معظم عهود الخلفاء العباسيين حبا بنشر الروح العلمية الخاصة بين كافة الطبقات . وكذلك من أشرفوا على حركة الترجمة فيه هم النصارى السريان ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء . فلا أثر للتعصب الذميم . فنجد فى بيت الحكمة أصحاب الفلسفة من الديانات الأخرى يناظرون المسلمين فى الأمور الدينية بكل صراحة ويتكلم أهل الملل والنحل الأخرى بما يبدو لهم ، وبما يعتقدون ويرونه أقرب الى العقل والمنطق . وقد أخرج هؤلاء من أديرة سوريا وآسيا الصغرى وسواحل الشام وفلسطين . كتبا خطية فى الفلسفة والتاريخ وعلم الهندسة لعلماء اليونان وفلاسفتهم ثم ترجموها الى العربية بدقة وعناية . فأقبل أهل المعرفة والأدباء من الأمصار وأجرى عليهم المأمون الأرزاق فرغب الناس فى صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجدل فكان سحابة منهلة على العلماء والمتكلمين .

وكان عصر المأمون ألمع عصور الحضارة العربية على الاطلاق فسمى بحق العصر الاسلامى الذهبى ، وأن العشرين سنة التى قضاها فى حكمه قد تركت كنوزا زاخرة من **الثروة الفكرية** . سهل العباسيون على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة التى ترجمت من اللغات المختلفة الى العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة ، فذلل الخلفاء للناس سبيل

المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى انشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الاخرى . والتى رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور . وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية .

وكان من زعماء الترجمة الحسن بن سهل الذى استوزره المأمون واحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، صاحب كتاب فتوح البلدان وابو حفص عمر بن الفرخان الطبرى أحد رؤساء التراجمة والمحققين بعلم النجوم والحجاج بن يوسف بن مطر الذى ولد فى الكوفة وعاش فى بغداد ، وكان موظفا فى بيت الحكمة ، نقل أصول الهندسة لأقليدس نقلتين أحداهما تعرف بالهارونى والأخرى بالمأمونى . ونقل أيضا حنين بن اسحاق المتطبب وهو من أشهر المترجمين الى العربية توجه الى بغداد فرعاه أبناء موسى بن شاكر وقدموه الى الخليفة المأمون وجعله على رأس معهد الحكمة فكان يترجم بالعربية والسريانية . وتمكن حنين أن يأتى بأصدقائه الأطباء من مدرسة جنديسابور الى بغداد والم بالدراسة العربية ؛ وخدم بالطب المتوكل ، وكان قديرا فى ترجمته وهو الذى أوضح معانى كتب أبو قراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص وله كتاب فى المنطق ، وقد ترجم عشرين كتابا لجالينوس ، وأربعة عشر مؤلفا الى العربية . وكان له ولدان داوود واسحاق ، اما داوود فلم يبرع براعة أخيه اسحاق الذى كان أوحد عصره فى علم الطب وكان يلحق بأبيه فى النقل وفى معرفته باللغات .

أما فيلسوف العرب والاسلام الكندى ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق العربى الأصل ينسب الى كنده ، انتقل الى بغداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطق وله كتب كثيرة ، وانزله المأمون منزلة عظيمة ، فكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته ، وحاول الكندى فى مذهبه الفلسفى أن يجمع بين آراء افلاطون وأرسطو واعتبر الرياضيات الفيثاغورسية أساس العلم كله . وأما آل بختيشوع فكانوا فى كل عهود الدولة العباسية واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع الذى تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حياة الحيوان رسائل تدل على سعة اطلاعه فقربه الرشيد واتخذه فى دور الخلافة واخذ الناس يرجعون اليه فيما يشير به من العلم لحملهم على الأعراض عن الدجالين .

وان النشاط والازدهار للمترجمين وجماع العلوم لم تقتصر مؤازرته على الخلفاء فقط بل جاراهم فى ذلك الوزراء والولاة وكبار القواد ولم يترك الخلفاء فى بغداد

طريقا لاجتذاب أشهر العلماء فى العالم الاسلامى الا سلكوه واذا صحت رواية جوستاف لوبون « أن أحد الخلفاء شن الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين للتدريس فى بغداد » ، وهكذا ضمت خزانة الحكمة الكتب اللسانية والشرعية بالاضافة الى ما ترجم عن الفارسية واليونانية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية فألفت الكتب بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضع فى بيت الحكمة ونرى أن العرب لم يكتفوا بما نقلوه عن غيرهم ، واستبقوه على حاله بل هم درسوه وزادوا عليه من نتائج قرائحهم وعقولهم .

أما ماذا كانت نهاية بيت الحكمة ، لقد سطع نور بيت الحكمة فى أيام المأمون ثم خبا ذلك النور من بعده فصرنا نتلمس أخبارها فى بطون الكتب ، فلم نجد فيها ما يشفى . والراجح أن انتقال الخلافة من بغداد الى سامراء وتعاقب الفتن على بغداد وما حل بها من البلايا بتوالى السنين كل ذلك تضافر على الحط من مكانة هذه الدار ، وايصالها الى حال فقدت معها سالف مجدها : وقد أهملت بعد المتوكل . كما أهمل المعتصم شأن هذا البيت العظيم كما كان للفتن والحروب بين المعتز والمستعين أثر فى اهمال بيت الحكمة .

وظلت دار الحكمة تقاوم الى أن داهم المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م ؛ ولم يشفق المغول على خزائن كتبها العامة والخاصة فأحرقوا جانبا منها وطرحوا بعضها الآخر فى نهر دجلة فسد مجراه وزعم بعض المؤرخين أن هولاكو ابتنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول ، وطاولات المعالف عوضا عن الطين ، وهكذا قضى هولاكو على جميع الكتب التى ترجمها وألفها العلماء والأدباء المسلمون بتشجيع الخلفاء والتى عملت على نشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

ومن أهم الحقائق التى أبرزها البحث أنه عن طريق بيت الحكمة كسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما جرى فيها من نشاط علمى ، وقد حفظ هذا البيت للانسانية كثيرا من تراث العالم المتحضر الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد الغرب غير العربية وسيلة للحصول على تراث الحضارة الأوروبية القديمة .

وقد قامت بيت الحكمة بجهد فريد من نوعه فى تاريخ القرون الوسطى فكانت أداة لنقل الحضارة القديمة والحضارة العربية الى الغرب ومنطلق العلم الحديث ، كما كانت أساسا لتلك المدرسة العلمية الكبيرة التى عرفت باسم مدرسة بغداد ، وظل أثر هذه المدرسة قائما فى أوروبا حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر .

ولهـــذه المدرسة يرجـــع الفضل فى تحقيق استمرار الحضارة الانسانية بعـــد انهيار الحضارة الرومانية فى القرن السادس الميلادى ؛ ومن هـــذه المدرسة ظهر كيان العلماء العرب لأنها حـــوت كنوز التراث العربى الاسلامى الذى يجـــد فيـــه الشباب فرصة للاطلاع على منجزات أجـــدادهم الأولين فى شتى فروع العلم والمعرفة وليجـــد فيه الكبار مرجعا لـــما احتوته بيت الحكمة من المخطوطات العلمية النادرة التى لا يوجـــد الكثير منها فى عالمنا اليوم .

المصادر والمراجع

أولا ـ المخطوطات :

١ ـ ابن الدبيثى (جمال الدين الواسطى) (ذيل على ذيل تاريخ بغداد) مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٣٩٥٠ تاريخ .

٢ ـ ابن حجر (معجم ابن حجر) مخطوط بدار الكتب برقم ٢٥ مجاميع م .

٣ ـ ابن حنزابه (مجالس ابى مسلم) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٧ أدب .

٤ ـ البيهقى (تاريخ حكماء الاسلام) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٦ تاريخ .

٥ ـ الصابى (رسوم دار الخلافة) مخطوط بالمتحف العراقى رقم ١٥ .

٦ ـ العينى (بدر الدين محمود بن أحمد) (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .

٧ ـ الكتبى (الوافى بالوفيات) من مخطوطة ـ لندن ـ ج ٢٤ ، الورقة ١٢ .

٨ ـ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة لوحة ٥٩ ب .

٩ ـ مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول مخطوط ورقة ٣٧ ب .

ثانيا ـ المصادر العربية المطبوعة :

١٠ ـ القرآن الكريم .

١١ ـ الحديث الشريف .

١٢ ـ ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى (٦٦٨ هـ/١٢٧٠ م) .

(عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) . بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٥٦ م .

١٣ ـ ابن الأثير ، أبى الحسن على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) .

(الكامل فى التاريخ) . المطبعة المنيرية ـ مصر ـ ١٣٤٩ هـ ، طبع بيروت (دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٥ م) .

١٤ ـ ابن جلجل ، أبى داوود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل (توفى بعد سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م) .

(طبقات الأطباء والحكماء) ألفه سنة (٣٧٧ هـ/٩٨٧ م) تحقيق فؤاد السيد . مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٥٥ م .

١٥ ـ ابن خرداذبه ، أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ/٩١٢ م) .
(المسالك والممالك) . طبع ليدن ١٨٨٩ م .

١٦ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربى (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) .
(المقدمة) المكتبة التجارية الكبرى ـ مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة .

١٧ ـ ابن خلكان ، شمس الدين أبى العباس أحمد (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) .
(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) . المطبعة الميمنية ـ القاهرة ـ ١٣١٠ هـ .

١٨ ـ ابن جماعة ، بدر الدين (ت ٨٤٣ هـ/١٤٤٠ م) .
(تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم) . حيدر أباد ١٣٥٣ هـ .

١٩ ــ ابن شاكر الكتبى ، محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م) .
(فوات الوفيات) تحقيق احسان عباس ــ دار صـــــادر ــ بيروت ــ لبنان ــ طبعة بولاق (١٢٩٩ هـ/القاهرة ١٩٥٤ م) .

٢٠ ــ ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٧ م) .
(المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) . حيدر آباد ــ الدكن ــ دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ .

٢١ ــ (مناقب بغداد) نشرة محمد بهجت الأثرى ــ بغداد ــ العراق ١٣٤٢ هـ .

٢٢ ــ (صيد الخاطر) تحقيق السيد عبد القادر احمد عطا ــ مكتبة الكليـــات الأزهرية ــ القاهرة ١٣٩٩ هـ .

٢٣ ــ ابن الســاعى ، أبى طالب على بن انجب تاج الدين الملقب بابن الســاعى (ت ٦٧٥ هـ/١٢٧٥ م) .
(الجامع المختصر فى عيون التواريخ وعيون السير) ، تحقيق الدكتــور مصطفى جواد . المطبعة السريانية الكاثوليكية ــ بغــداد ، ١٩٣٤ م .

٢٤ ــ ابن الطقطقى ، فخر الدين محمــد بن على بن طبــاطبــا (ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م) .
(الفخرى فى الآداب السلطانية) مطبعة محمــد على صــبيح وأولاده . القـــاهرة .

٢٥ ــ ابن العبرى ، غريغوريوس بن هـــــارون بن توما الملطى المعروف بابن العبرى . (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م) .
(تاريخ مختصر الدول) المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ــ ١٩٥٨ م .

٢٦ ــ ابن رجب الفقيه ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن شهاب .
(ذيل طبقات الحنابلة) مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م) .

٢٧ ــ ابن الجـــزرى .
(غاية الهناية فى طبقات القراء) مكتبة الخـــانجى ــ مصر (١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م) .

٢٨ ــ ابن دحية ، عمر بن أبى على حسين بن على (ت ٦٣٣ هـ) .
النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس) صححه ابراهيم العزاوى ١٩٤٧ م .

٢٩ ــ ابن الفوطى ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى (ت ٧٣٢ هـ/١٢٣٣ م) .
(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة) تحقيق مصطفى جواد ــ بغداد ــ المكتبة العربية ١٩٣٢ م .

٣٠ ــ (تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب) تحقيق مصطفى جواد ــ دمشق ــ وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٩٦٤ م .

٣١ ــ ابن القفطى ، جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م) .
(أخبار العلماء بأخبار الحكماء) طبع ليبزج ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ ــ (أنباء الرواة على أنباء النحاة) مصر ، ١٣٦٩ هـ .

٣٣ ــ ابن الكازرونى ، ظهير الدين على بن محمد (٣١١ هـ/٩٦٧ هـ) .
(مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بنى العباس) تحقيق مصطفى جواد ، دار العلم للملايين ، مطبعة الحكومة ــ بغداد ــ ١٩٧٠ م .

٣٤ ــ ابن الدبيثى ، محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م) .
(المختصر المحتاج اليه) تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة دار الدهان ــ بغداد (١٣٧١ هـ/١٩٥١ م) جزءان فقط .

٣٥ ــ ابن كثير ، أبى الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م) .
(البداية والنهاية) . طبع مكتبة المعارف ــ بيروت ، ومكتبة النصر الرياضى ١٩٦٦ م .

٣٦ ــ ابن النديم ، ابن النديم (ت ٢٨٣ هـ/أو ٣٨٥ هـ/٩٩٣ م أو ٩٩٥ م) .
(الفهرست) بيروت ــ لبنان ١٣٢٨ هـ .

٣٧ ـــ ابن عبد ربه ، ابو عامر أحمد بن محمد .
(العقـــد الفريد) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبيـــارى .
الطبعة الثانية ـــ القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م .

٣٨ ـــ ابن قتيبة ، أبى عبد الله مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م) .
(عيون الأخبار) مطبعـــة دار الكتب المصرية ـــ القـــاهرة ١٩٢٥ م .
١٩٣٠ م .

٣٩ ـــ (الامامة والسياسة) جزءان ـــ القـــاهرة ١٣٣٢ هـ .

٤٠ ـــ (كتاب المعارف) تحقيق د. ثروت عكاشة ـــ القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

٤١ ـــ أبو الفـــداء ، اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م) .
(المختصر فى اخبار البشر) دار الكتاب ـــ بيروت ، بدون .

٤٢ ـــ أبو المحاسن ، جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى (٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) .
(النجـــوم الزاهرة فى ملوك مصر والقـــاهرة) طبعـــة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ/١٩٥٢ م .

٤٣ ـــ الأصفهانى ، الامام ابى الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) .
(الأغانى) طبعة دار الكتب المصرية ، والساسى ١٢٥٨ هـ .

٤٤ ـــ البلاذرى ، أحمد بن محيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) .
(فتوح البلدان) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صـــلاح الدين المنجـــد .
مطبعة لجنة البيان العربى ـــ القاهرة ١٣١٨ هـ .

٤٥ ـــ البيرونى ، ابى الريحان محمد بن احمد الخوارزمى (ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م) .
(الآثار الباقية عن القرون الخالية) ليبزج ، ١٩٢٣ م .

٤٦ ـــ البغـــدادى ، اسماعيـــل .
(هـــداية العـــارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) طبـــع اسطنبول ١٩٥١ م .

٤٧ ــ الثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م) .
(لطائف المعارف) نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م .

٤٨ ــ (يتيمة الدهر) القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

٤٩ ــ الجاحظ ، أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م) .
(التاج فى أخلاق الملوك) تحقيق أحمد زكى . المطبعة الأميرية ــ القاهرة ١٩١٤ م .

٥٠ ــ (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون . نشر مكتبة المثنى ــ ببغداد والخانجى بمصر ١٩٦٠ م .

٥١ ــ (الحيوان) . مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧/٥ م .

٥٢ ــ (ثلاث رسائل) وتسمى (رسائل الجاحظ) باعتناء فنكل القاهرة ١٣٤٤ هـ .

٥٣ ــ الجهشيارى ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م) .
(الوزراء والكتاب) . البابى الحلبى بمصر ١٩٣٨ م .

٥٤ ــ خليفة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة (ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦ م) .

(كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) . طبع دار المعارف التركية ١٩٤١ م .

٥٥ ــ أبو شجاع ، الروذراورى (الملقب بظهير الدين الروذراورى الهمدانى) .
(ذيل تجارب الأمم) . نشر امدروز القاهرة ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ م .

٥٦ ــ الأربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو (ت ٧١٧ هـ/١٣١٧ م) .
(خلاصة الذهب المسبوك) تحقيق مكى جاسم ــ بغداد ــ مكتبة المثنى ١٩٦٤ م . الأصفهانى ، الحسين .

٥٧ ــ (محاضرات الأدباء) القاهرة ١٢٨٧ هـ .

٥٨ ــ الأصفهانى ، عماد الدين محمد بن حامد الأصفهانى .
(تاريخ دولة سلجوق) القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٥٩ ــ الأنبارى ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٥٧ هـ/١١٨١ م) .
(نزهــة الألباء فى طبقات الأدباء) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ القاهرة .

٦٠ ــ البيهقى .
(تاريخ حكماء الاسلام) مطبعة الترقى ، دمشق . ومطبوع تتمة صيوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيع . طبعة لاهور ١٣٥٠ هـ .

٦١ ــ التنوخي ، أبو علي الحسن بن على بن ابى الفهم التنوخى ، (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م) .
(نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) ، دمشق ١٣٤٨ هـ .

٦٢ ــ التوحيدى ، أبو حيان ، على بن محمد بن العباس (ت ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م) .
(الامتاع والمؤانسة) تحقيق ونشر أحمــد أمين وآخرين ، لجنــة التاليف والترجمة والنشر ، القــاهرة ١٩٤٢ م .

٦٣ ــ (المقابسـات) تحقيق السندوبى مــع مقــدمة ــ المكتبــة التجــارية ــ القــاهرة ١٩٢٩ م .

٦٤ ــ الحصرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن على القيروانى (٤١٣ هـ/١٠٢٤ م) .
(زهر الآداب وثمر الألبــاب) ج ٢ مفصل ومشروح بقلم زكى مبارك ، دار الجيل ــ بيروت ١٩٧٢ م .

٦٥ ــ الحنبلى ، ابن العماد ، أبو الفــــلاح عبد الحى الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م) .
(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٦٦ ــ الذهبى ، الحافظ شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م) .
(ميزان الاعتدال فى نقــد الرجال) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٦٧ ــ (تذكرة الحفاظ) دار احيـــــاء التراث العربى ــ بيروت ــ ١٣٧٤ هـ .

٦٨ ــ الزرنوجي ، برهان الاسلام .
(تعلم المتعلم طريق التعلم) ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٦٩ ــ السبكي ، تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب .
(طبقات الشافعية الكبرى) مصر ١٣٢٤ هـ .

٧٠ ــ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) .
(تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة) المطبعة الخيرية ، مصر .

٧١ ــ (الأشباه والنظائر) حيدر آباد ــ الدكن ١٣١٦ هـ .

٧٢ ــ الشهرستاني ، أبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابى بكر بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣ م) .
(الملل والنحل) تحقيق محمد سيد كيلاني ، نشر مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦١ م .

٧٣ ــ الصابي ، أبى الحسن هلال بن المحسن الصابي (ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م) .
(تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) ، مطبعة البابي الحلبي ــ مصر ــ القاهرة .

٧٤ ــ صاعد بن احمد الأندلسي (٤٢٠ هـ/٤٦٢ هـ ــ ١٠٢٩ م/١٠٧٠ م) .
(طبقات الأمم) مصر .

٧٥ ــ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤ هـ) .
(الوافى بالوفيات) أسطنبول ١٩٣١ م .

٧٦ ــ طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى الشهير .
(مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم) تحقيق كامل بكرى وزميله ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

٧٧ ــ الطبري ، أبى جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) .
(تاريخ الرسل والملوك) تحقيق أبى الفضل ابراهيم ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م .

٧٨ ــ طيفور ، أبى الفضل احمد بن أبى طاهر (٢٨٠ هـ/٨٩٣ م ــ ٨٩٤ م) .
(تاريخ بغــداد) طبعة ليبزج ١٢٨٧ هـ/١٩٠٨ م .

٧٩ ــ العمرانى ، محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى (٥٨٠ هـ/١١٨٥ م) .
(لأنباء فى تاريخ الخلفاء) تحقيق د. قاسم السامرائى ط ليدن ١٩٧٣ م .

٨٠ ــ العمرى ، ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) .
(مسالك الأبصار فى المـــالك والأمصـــار) مطبعـــة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .

٨١ ــ الغزالى ، الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م) .
(احياء علوم الدين) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م .
القـــاهرة .

٨٢ ــ (تهافت التهافت) تحقيق د. سليمان دنيا ، سلسلة ذخائر العرب . دار المعــارف بمصر ١٩٦٨ م .

٨٣ ــ الفـــارابى ، أبو نصر .
(احصاء العلوم) تحقيق د. عثمان أمين ــ القاهرة ــ ١٩٤٩ م .

٨٤ ــ القلقشندى ، أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م) .
(صبح الأعشى فى صناعة الانشا) المطبعة الأميرية ــ القاهرة ١٩١٣ م .

٨٥ ــ المراكشى ، محيى الدين أبى محمد عبد الواحــد بن على التميمى (٦٦٩ هـ/١٢٧١ م) .
(المعجب فى تلخيص أخبار المغرب) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

٨٦ ــ المرتضى المهدى لدين الله أحمد بن يحيى (٣٣٥ هـ/٩٣٦ م) .
(المنية والأمل فى شرح الملل والنحل) ط الهند ، حيدر آباد ، ١٣١٦ هـ .

٨٧ ــ المسعودى ، أبى الحسن علىّ بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) .
(مروج الذهب ومعادن الجوهر) مطبعة دار الرجاء ، القاهرة ١٣٧٠ هـ/١٩٣٨ م .

٨٨ ــ (التنبيه والاشراف) ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م .

٨٩ ــ مسكويه ، أبى على احمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١ هـ/١٠٣٠ م) .
(تجارب الأمم) طبع مكتبة المثنى ــ بغداد ، العراق .

٩٠ ــ المصرى ، ابن نباته ، جمال الدين محمد بن محمد (٧٦٨ هـ) .
(سرح العيون) القاهرة ، ١٢٧٨ هـ .

٩١ ــ المقدسى ، شمس الدين أبى عبد الله بن احمد المعروف بالبشارى
(ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م) .
(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م .

٩٢ ــ المقرى ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى (١٠٤١ هـ/١٦٢٣ م) .
(نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب) تحقيق احسان عباس ــ بيروت
ــ دار صادر ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .

٩٣ ــ المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) .
(اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق جمال الدين الشيال ،
القاهرة ، لجنة احياء التراث الاسلامى ١٩٦٧ م .

٩٤ ــ (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) بولاق ١٢٧٠ هـ القاهرة .

٩٥ ــ القرطبى ، عريب بن سعد (٣٦٦ هـ/٩٧٧ م) .
(صلة تاريخ الطبرى) طبعة ليدن ١٨٩٧ .

٩٦ ــ ياقوت الحموى ، أبى عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومى ،
(٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) .
(معجم الأدباء) تحقيق أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى
الحلبى ١٩٣٦ م .

٩٧ ــ (معجم البلدان) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٢ هـ/١٩٠٦ م .

٩٨ ــ اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح .
(كتاب البلدان) تحقيق دى غويه ، لندن ، بريل ١٨٩٢ م .

ثالثا ــ المراجــع العربية الحــديثة :

٩٩ ــ الأبراشي ، محمد عطيه (أعلام الطب) ، من نوابغ الفكر العربى الاسلامى .

١٠٠ ــ الأصمعى ، محمد عبد الجواد (أبو الفرج الأصفهانى) دار المعارف بمصر . القــاهرة ١٩٤٠ م .

١٠١ ــ الألوسى ، محمود شكرى البغــدادى (ت ١٢٧٠ هـ) (بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب) شرح وتصحيح محمد بهجت الاثرى ، المطبعـــة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م .

١٠٢ ــ الأهوانى ، احمد فؤاد (التربية فى الاسلام) دار المعارف بمصر ، طبعة ١٩٧٥ م .

١٠٣ ــ (الفلسفة الاسلامية) دار القلم بمصر ــ القاهرة ١٩٦٥ م .

١٠٤ ــ (الكندى فيلسوف العرب) طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، عــدد ٢٦ القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠٥ ــ أبو خشب ، ابراهيم (تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ١٩٧٥ م .

١٠٦ ــ (تاريخ الادب العربى فى العصر العباسى الثانى) دار الفكر العربى . القــاهرة ١٩٧٥ م .

١٠٧ ــ أبو زهرة ، محمد شاهين حمزة (محاضرات فى المذاهب الفقهية) مطبعـــة مخيمر ، القــاهرة ١٩٦١ م .

١٠٨ ــ أبو الفيض ، السيد محمود (أصالة العلم وانحراف العلماء) دار نهضة مصر بالفجــالة ، القــاهرة .

١٠٩ ــ أحمد ، امام ابراهيم (تاريخ الفلك عند العرب) الهيئة المصرية العـــامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

١١٠ ــ اسحاق ، روفائيل بابو (مدارس العراق قبل الاسلام) بغــداد ، العراق ١٩٥٥ م .

١١١ ــ (تاريخ نصارى العراق) مطبعة المنصور ، بغــداد ١٩٤٨ م .

١١٢ ــ (أحــوال نصارى بغــداد فى عهد الخلافة العباسية) مطبعة شفيق . بغــداد ، العراق ١٩٦٠ م .

١١٣ ــ أسماء فهمى (مبادىء التربية الاسلامية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القــاهرة ١٩٤٧ م .

١١٤ ــ أمين ، أحمد (فجر الاسلام) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنصر ط ٣ ١٩٣٥ م .

١١٥ ــ (ضحى الاسلام) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٣٠ م .

١١٦ ــ (ظهر الاسلام) ، دار المعارف بمصر ط ٣ ، ١٩٣٩ م .

١١٧ ــ أمين ، حسين (تاريخ العراق فى العصر السلجوقي) مطبعة الارشــاد ــ بغــداد ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

١١٨ ــ أمين ، مصطفى (تاريخ التربية) دار المعارف بمصر ، بدون .

١١٩ ــ الباشا ، حسن (دراسات فى الحضارة الاسلامية) دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٨ م .

١٢٠ ــ بدوى ، عبد الرحمن (دور العرب فى تكــوين الفكر الأوروبى) بيروت ، لبنــان ط ٣ ، ١٩٧٩ م .

١٢١ ــ البرقوقى ، محمد عاطف ــ والتوانسى ، أبو الفتوح محمد (الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى) الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٢٢ ــ بلبع ، عبد الحكيم (أدب المعتزلة) مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٢ ــ البهى ، محمد (الجانب الالهى من التفكير الاسلامى) بيروت ، لبنان ط ٥ ١٣٨١ هـ/١٩٧٢ م .

١٢ ــ التوانسى ، أبو الفتوح (من أعلام الطب العربى) دار الكاتب المصرى . القاهرة ، ١٩٧٣ م .

١٢ ــ الجرارى ، عبد الله بن عباس (تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

١٢ ــ جمعه ، محمد لطفى (تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق) من المقدمة ط ١ ، المكتبة العلمية ، ليون ، فرنسا ١٩٠٩ م .

١٢ ــ الجميلى ، رشيد حميد حسن (اثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى) أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة .

١٢ ــ (حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام ــ طرابلس ــ ليبيا ط ١ ١٣٩١ هـ/١٩٨٢ م .

١٢٠ ــ الجندى ، أنور (الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا) طبعة الدار القومية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

١٣٠ ــ الجوارى ، أحمد عبد الستار (الشعر فى بغداد حتى القرن الثالث الهجرى) وزارة الاعلام والثقافة ، العراق ، بغداد ١٩٦٥ م .

١٣١ ــ الجومرد ، عبد الجبار (هارون الرشيد) مطبعة دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٦ م .

١٣٢ ــ الجيار ، ابراهيم (تاريخ التعليم الحديث) دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧١ م .

١٣٢ ــ (دراسات الفكر التربوى) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٤ م .

١٣٤ ــ الجيزاوى ، سعد الدين (دراسات فى الأدب العربى) دار نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة .

١٣٥ ــ الحاجرى ، طــه (الجاحظ حياته وآثاره) دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

١٣٦ ــ حجاب ، محمد نبيه (مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى) حـ ١ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .

١٣٧ ــ حسن ، حسن ابراهيم (تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب وســوريا ومصر وبلاد العرب)مكتبة النهضة المصرية حـ ٢ ، ١٩٥٨ م .

١٣٨ ــ (تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى) مكتبة النهضــة المصرية ط ٣ ، ١٩٥٣ م .

١٣٩ ــ حسن ، زكى محمد (كنوز الفاطميين) ، القاهرة ١٩٣٧ م .

١٤٠ ــ حسن ، على ابراهيم (التاريخ الاسلامى العام) مكتبة النهضة المصرية ، القــاهرة ١٩٥٩ م .

١٤١ ــ حسنين ، عبد النعيم (سلاجقة ايران والعراق) مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ــ ١٣٨٠ هـ/١٩٧٠ م .

١٤٢ ــ حسين ، طــه (تجــديد ذكرى أبى العلاء المعرى) دار المعارف بمصر القــاهرة ١٩٣٢ م .

١٤٣ ــ حماد ، حسنى أحمد السيد (الحضارة العربية نشأتها وتطورها) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م .

١٤٤ ــ حمادة ، محمد ماهر (المكتبات فى الاسلام) مطبعة الرسالة ــ بيروت ، لبنــان ١٩٧٣ م .

١٤٥ ــ الحفنى ، محمود احمد (اسحاق الموصلى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، أعلام العرب عــ ٢٤ ، ١٩٦٤ م .

١٤٦ ــ الحــوفى ، أحمد (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) دار نهضة مصر ، بالفجــالة ، القــاهرة ١٩٦٨ م .

١٤٧ ــ الخربوطلى ، على حسنى (الحضارة العربية الاسلامية) طبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ م ٠

١٤٨ ــ (المسعودى) نوابغ الفكر العربى ، دار المعارف بمصر عــ ٣٨ ، ١٩٦٨ م ٠

١٤٩ ــ خراسانى ، محمد غفرانى (عبد الله بن المقفع) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ١٩٧٠ م ٠

١٥٠ ــ الخضرى ، الشيخ محمد (تاريخ الأمم الاسلامية ــ الدولة العباسية) المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٧٠ م ٠

١٥١ ــ خطاب ، عطيه على (التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول) القاهرة ١٩٤٧ م ٠

١٥٢ ــ الخطيب ، محمد عجاج (لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر) مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ط ٦ ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ٠

١٥٣ ــ خفاجه ، محمد عبد المنعم (صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام) مكتبة النجاح ، القاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م ٠

١٥٤ ــ (الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى) القاهرة ١٩٥٧ م ٠

١٥٥ ــ خليل ، شوقى (جرجى زيدان) دار الفكر ــ دمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ٠

١٥٦ ــ الخوارزمى ، محمد بن موسى (الجبر والمقابلة) دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ م ٠

١٥٧ ــ الدايم ، عبد الله (التربية عبر التاريخ) بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٥ م ٠

١٥٨ ــ الدش ، محمود محمد (أبو العتاهية) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م ٠

١٥٩ ــ الدفاع ، على عبد الله (موجز التراث العربى الاسلامى) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧ م ٠

١٦٠ ــ الدورى ، عبد العزيز (العصر العباسى الأول) مطبعة التثقيف الأهلية ، بغداد ١٩٤٢ م ٠

١٦١ ــ الديوه جي ، سعيد (بيت الحكمة) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

١٦٢ ــ الرافعي ، مصطفى صادق (تاريخ أدب اللغة العربية) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٠ م .

١٦٣ ــ الراوي ، طه (بغداد مدينة السلام) سلسلة اقرأ (٧) دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٤٤ م .

١٦٤ ــ الرفاعي ، أحمد فريد (عصر المأمون) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٨ م .

١٦٥ ــ الرفاعي ، أنور (الاسلام في نظمه وحضارته) دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٩٧٣ م .

١٦٦ ــ زاهية قدورة (الشعوبية أثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاسلامية في العصر العباسي) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٢ م .

١٦٧ ــ زغلول ، الشحات السيد (السريان والحضارة الاسلامية) دار الكاتب المصري ، الاسكندرية ١٩٧٣ م .

١٦٨ ــ (الاتجاهات الفكرية في التفسير) دار الكاتب المصري ، الاسكندرية ١٩٧٥ م .

١٦٩ ــ زكي ، صالح (آثار باقية) مجلد ٢ ط أسطنبول ١٣٢٩ هـ .

١٧٠ ــ الزهراني ، محمد مسفر (نظام الوزارة في الدولة العباسية في العهدين البويهي والسلجوقي) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٠ م .

١٧١ ــ الزيات ، أحمد حسن (تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية) مطبعة الرسالة القاهرة ، بدون .

١٧٢ ــ زيادة ، نقولا (صور من التاريخ الاسلامي) دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، بدون .

١٧٣ ــ زيدان ، جرجي (تاريخ التمدن الاسلامى) مراجعة وتعليق حسين مؤنس .
طبع دار الهلال ، القاهرة ١٩٣١ م .

١٧٤ ــ سالم ، عبد العزيز (دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الاول
مؤسسة الشباب الجامعى بالاسكندرية ، بدون .

١٧٥ ــ السامرائى ، مجيد رجب (علم الفلك عند العرب) منشورات دائرة الشئون
الثقافية والنشر بغداد ، العراق ١٩٨٤ م (الموسوعة الصغيرة ، ١٣٨ .

١٧٦ ــ السباعى ، الشيخ مصطفى (من روائع حضارتنا) المكتب الاسلامى .
بيروت ، لبنان ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

١٧٧ ــ سرور ، محمد جمال الدين (تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق ، دار
الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٧٨ ــ سليم ، محمود رزق (عصر سلاطين المماليك) طبعة مكتبة الآداب
بالجماميز ، القاهرة ١٩٤٩ م .

١٧٩ ــ سميرة مختار الليثى (جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول) دار الجيل .
بيروت ، لبنان ، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م .

١٨٠ ــ السودانى ، عبد مزهر (الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى ، ،
ط ٨ ، دار الرشيد ، بغداد ــ العراق ، بدون .

١٨١ ــ الشايب ، احمد (العامل السياسى فى أدب العصر العباسى الأول) مكتبة
مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

١٨٢ ــ شريف ، محمد بديع (الصراع بين العرب والموالى) طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .

١٨٣ ــ شلبى ، أحمد (تاريخ التربية الاسلامية) ط ٥ مكتبة النهضة المصرية
القاهرة ١٩٧٧ م .

١٨٤ ــ (التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
١٩٦٠ م .

١٨٥ ــ الشريقى ، ابراهيم (التاريخ الاسلامى) القاهرة ١٩٧١ م .

١٨٦ ــ الشيبانى ، عمر محمد التومى (فلسفة التربية الاسلامية) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام ، طرابلس ، ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م .

١٨٧ ــ الصيحى ، محمد ابراهيم (العلوم عند العرب) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

١٨٨ ــ ضيف ، شوقى (العصر العباسى الأول) دار المعارف بمصر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٣ م .

١٨٩ ــ الطباع ، عبد الله أنيس (علم المكتبات بالادارة والتنظيم) دار الكتاب اللبنانى بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

١٩٠ ــ طلس ، محمد أسعد (عصر الازدهار ، تاريخ الدولة العباسية) الكتاب الأول ط ١ ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

١٩١ ــ طوطح ، خليل (تاريخ التربية عند العرب) القدس ١٩٣٣ م .

١٩٢ ــ طوقان ، قدرى حافظ (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك) دار الشروق ، بيروت ، لبنان ١٩٦٣ م .

١٩٣ ــ (العلوم عند العرب) مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة ، سلسلة الألف كتاب رقم ٤ ، ١٩٥٦ م .

١٩٤ ــ عاشور ، سعيد عبد الفتاح (فضل العرب على الحضارة الأوروبية) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

١٩٥ ــ (المدنية الاسلامية واثرها فى الحضارة الأوروبية) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

١٩٦ ــ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) (تراثنا بين ماض وحاضر) دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .

١٩٧ ــ (لغتنا والحياة) دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

١٩٨ ــ (القرآن وقضايا الإنسان) دار العلم للملايين ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٥ م ٠

١٩٩ ــ العبادى ، احمد مختار (فى التاريخ العباسى والأندلسى) دار النهضة المصرية بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م ٠

٢٠٠ ــ عبد الرءوف ، عصام الدين (الحواضر الاسلامية الكبرى) دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧١ م ٠

٢٠١ ــ عبد العزيز ، محمد الحسينى (الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ م ٠

٢٠٢ ــ عبد الغنى ، مصطفى لبيب (الكيمياء عند العرب) دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م ٠

٢٠٣ ــ العدوى ، احمد ابراهيم (الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم) القاهرة ١٩٥٨ م ٠

٢٠٤ ــ (السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

٢٠٥ ــ عزام ، عبد الوهاب (الاسلام والعلم فى الاسلام اليوم وغدا) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون ٠

٢٠٦ ــ العش ، يوسف (تاريخ عصر الخلافة العباسية) دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٠ م ٠

٢٠٧ ــ العقاد ، عباس محمود (اثر العرب فى الحضارة الأوروبية) دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م ٠

٢٠٨ ــ العتيقى ، نجيب (المستشرقون) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٨ م ٠

٢٠٩ ــ على ، محمد كرد (الاسلام والحضارة العربية) مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٥٠ م ٠

٢١٠ ــ (أمراء البيان) مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٠م ٠

٢١١ ـ عمر ، فاروق (العباسيون الأوائل) جـ ٢ مطبعة الرسالة ، بغداد ، العراق ١٩٦٣ م .

٢١٢ ـ العمرى ، أحمد جمال (أبو بكر الصولى) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، أعلام العرب ١٩٧٣ م .

٢١٣ ـ عون ، حسن (صور ملهمة من واقع المجتمع العربى) ط ٢ ، القاهرة ، بدون .

٢١٤ ـ عنان ، محمد عبد الله (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٢١٥ ـ عيسى ، أحمد (التهذيب فى أصول التعريب) القاهرة ، ١٩٢٣ م .

٢١٦ ـ غرابة ، حمودة (ابن سينا بين الدين والفلسفة) مطبعة مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

٢١٧ ـ غنيمة ، محمد عبد الرحيم (تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى) دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب ١٩٥٣ م .

٢١٨ ـ فراج ، عز الدين (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) دار الهنا للطباعة ١٩٧٨ م .

٢١٩ ـ فروخ ، عمر (تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون) ط ٢ ، المكتب التجارى ، بيروت ، لبنان ١٩٦٢ م .

٢٢٠ ـ (عبقرية العرب فى العلم والفلسفة) منشورات المكتبة العصرية بيروت ، لبنان ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

٢٢١ ـ فوقية ، حسن محمود (الامام الجوينى امام الحرمين) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، أعلام العرب عـ ٤٠ ، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م .

٢٢٢ ـ الكبيسى ، حمدان عبد المجيد (أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى) مطبعة وزارة الاعلام ، بغداد ، العراق ١٩٧٩ م .

٢٢٣ ـ كحالة ، عمر رضا (المرأة في عالمي العرب والاسلام) ط ٢ ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٧٢ م .

٢٢٤ ـ كوركيس ، عواد (خزائن الكتب القديمة في العراق) مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق ١٩٤٨ م .

٢٢٥ ـ الكيالي ، سامي (النفس الانسانية في ادب الجاحظ) دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ ١٩٦١ م .

٢٢٦ ـ ماجد ، عبد المنعم (تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢٧ ـ (العصر العباسي الأول) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٢٨ ـ الماحي ، التيجاني (تاريخ الطب عند العرب) الخرطوم ١٩٦٠ م .

٢٢٩ ـ المحاسني ، زكي (المتنبي ، نوابغ الفكر العربي) ط ٤ ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٢٣٠ ـ محمد ، التوم الطالب (تاريخ الحضارة الاسلامية) أبو ظبي ، جامعة الامارات ١٩٨٤ م .

٢٣١ ـ محمد ، زكي فاضل (الفكر السياسي والعربي الاسلامي بين ماضيه وحاضره) ط ٢ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ١٩٧٦ م .

٢٣٢ ـ محمود ، حسن أحمد ، والشريف (العالم الاسلامي في العصر العباسي) دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٣٣ ـ محمود ، زكي نجيب (جابر بن حيان) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة أعلام العرب ع ١٣ ، ١٩٦١ م .

٢٣٤ ـ محمود ، عبد الحليم (التفكير الفلسفي في الاسلام) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤ م .

٢٣٥ ـ المدور ، جميل نخلة (حضارة الاسلام في دار السلام) مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٣٢ م .

٢٣٦ ــ مصطفى ، شاكر (فى التاريخ العباسى) دمشق ، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م .

٢٣٧ ــ مظهر ، اسماعيل (تاريخ الفكر العربى) نشر مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب ، القاهرة ١٩٢٨ م .

٢٣٨ ــ مظهر ، جلال (علوم المسلمين أساس التقدم العلمى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عـ ٢٤٧ القاهرة ١٩٧٠ م .

٢٣٩ ــ (حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى) القاهرة ١٩٧٤ م .

٢٤٠ ــ معروف ، ناجى (أصالة الحضارة العربية) ط ٣ دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥ م .

٢٤١ ــ (تاريخ علماء المستنصرية) جـ ١ مطبعة جامعة بغداد ، العراق ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

٢٤٢ ــ (المدارس الشرابية) مطبعة الارشاد ، بغداد ، العراق ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م .

٢٤٣ ــ المعلوف ، عيسى اسكندر (تاريخ الطب عند العرب) بيروت ، لبنان ، ١٩٣٥ م .

٢٤٤ ــ منتصر ، عبد الحليم (تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه) ط ٤ دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١ م .

٢٤٥ ــ مؤنس ، حسين (تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى) الكويت ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

٢٤٦ ــ الميدانى ، عبد الرحمن حسن حنبكه (أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها) ط ٢ دار القلم ، دمشق ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

٢٤٧ ــ النبهان ، محمد فاروق (مبادىء الثقافة الاسلامية) دار البحوث ، الكويت ١٩٧٣ م .

٢٤٨ ــ هاشم ، زكريا (فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

٢٤٩ ــ الهاشمي ، محمد (الفكر العربى جــذوره ، ثماره) مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٧٨ م .

٢٥٠ ــ الهاشمي ، محمد يحيى (الكيمياء فى التفكير الاسلامى) دار الفكر العربى . القـــاهرة ١٩٥٨ م .

٢٥١ ــ هــداره ، محمد مصطفى (اتجاهات الشـــعر العربى فى القرن الثانى الهجرى) دار المعارف بمصر ، الاسكندرية ١٩٧٠ م .

٢٥٢ ــ وديعة طــه نجم (الشعر فى الحاضرة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، شركة كاظمة للنشر ، الكويت ١٩٧١ م .

٢٥٣ ــ اليازجى ، كمال (معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط) دار العــلم للمــلايين ، بيروت ١٩٦٦ م .

٢٥٤ ــ اليوزبكى ، توفيق سلطان (تاريخ أهــل الذمة فى العراق) دار العــلوم للطباعة والنشر ، السعودية ، الرياض ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م .

رابعا ــ المراجــع الأجنبية المترجمــة :

٢٥٥ ــ أرنولد ، توماس وآخرون (تراث الاسلام) ترجمة جرجيس فتح الله ، المطبعة العصرية الموصل ، العراق ١٩٥٤ م .

٢٥٦ ــ الدوميللى (العلوم عند العرب ومكانتها فى التطور العلمى العالمى) ، ليــدن هـــولندا ، ١٩٦٦ م .

٢٥٧ ــ أوليرى ، دى لاسى (مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب) ترجمة تمــام حسان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٥٨ ــ (الفكر العربى ومكانه فى التاريخ) ترجمةتمام حسان ، دار الفكر العربى ، القــاهرة ١٩٦١ م .

٢٥٩ ــ (علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب) ترجمة وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٢٦٠ ـ بادو ، جون (عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة) مركز الوثائق والدراسات بأبو ظبى ١٣٧٩ هـ/١٩٧٧ م .

٢٦١ ـ بخش ، خودا (الحضارة الاسلامية) ترجمة وتعليق على حسنى الخربوطلى ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢٦٢ ـ بارثولد ، ف (الحضارة الاسلامية) ترجمة حمزة طاهر ط ٣ ، طبع دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٢٦٣ ـ براون ، ادوارد جورج (الطب العربى) ترجمة داوود سليمان على ، مطبعة العانى ، بغداد ١٩٦٤ م .

٢٦٤ ـ بروكلمان ، (كارل) (تاريخ الشعوب الاسلامية) ترجمة نبيه فارس وزميلة ، بيروت ١٩٥٣ م .

٢٦٥ ـ بيكر ، هنيرش (تراث الأوائل فى الشرق والغرب) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢٦٦ ـ جوستاف ، جرونيباوم فون (حضارة الاسلام) نقله للعربية عبد العزيز جاويد وعبد الحميد العبادى ، مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة الألف كتاب (٢) ١٩٥٦ م .

٢٦٧ ـ حتى ، فيليب (تاريخ العرب المطول) ترجمة ادوارد جرجى وجبرائيل جبور ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ١٩٦٥ م .

٢٦٨ ـ حيد بامات (اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية) ترجمة ماهر عبد القادر وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة بالاسكندرية ، بدون .

٢٦٩ ـ دي بور (تاريخ الفلسفة فى الاسلام) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م .

٢٧٠ ـ ديورانيت ، ول (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران ، طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

٢٧١ ــ روزنتال ، فرانتز (مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى) ترجمة أنيس فريحه ، بيروت ، لبنان ١٩٦١ م .

٢٧٢ ــ ريسلر ، جاك . س . (الحضارة العربية) ترجمة غنيم عبدون ، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٢٧٣ ــ سيد أمير على (روح الاسلام) ترجمة محمود أمين الشريف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٧٤ ــ (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى) ترجمة رياض رافت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨ م .

٢٧٥ ــ سيديو ، ل . ا . (تاريخ العرب العام) ترجمة عادل زعيتر ، نشر البابى الحلبى ، مصر ١٩٤٨ م .

٢٧٦ ــ شيدر ، هانز هيزس (روح الحضارة العربية) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢٧٧ ــ لوبون ، جوستاف (حضارة العرب) ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٥٦ م .

٢٧٨ ــ ماير هوف ، ماكس (التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٠ م .

٢٧٩ ــ متز ، آدم (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٢٨٠ ــ ناتنج ، أنتونى (العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام) ترجمة راشد البراوى ١٩٧٤ م .

٢٨١ ــ نالينو ، كارلو (تاريخ الفلك عند العرب) طبع فى روما ١٩١١ م .

٢٨٢ ــ نجلاء عز الدين (العالم العربى) ترجمة محمد عوض ابراهيم ، القاهرة ، بدون :

٢٨٣ ــ هسل ، الفرد (تاريخ المكتبات) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٨٤ ــ هل ، يوسف (الحضارة العربية) ترجمة أحمد العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٢٨٥ ــ هوليارد ، أ. ج. (الكيمياء حتى عصر دالتون) باريس ١٩٢٨ م .

٢٨٦ ــ هونكه ، زغريد (شمس العرب تسطع على الغرب) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ، بيروت ١٩٦٤ م .

٢٨٧ ــ ويلز ، هـ. ج. (موجز تاريخ العالم) ترجمة عبد العزيز جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ م .

خامسا ــ المجلات الدورية :

٢٨٨ ــ (مجلة المؤرخ العربى) بغداد ، العراق .

٢٨٩ ــ (مجلة الفيصل) المملكة العربية السعودية .

٢٩٠ ــ (مجلة العربى) الكويت .

٢٩١ ــ (مجلة الباحث) بيروت ، لبنان .

٢٩٢ ــ (مجلة الاسلام والعصور الحديثة) دكا ، بنجلاديش .

٢٩٣ ــ (صحيفة جامعة بيشاور) الباكستان .

٢٩٤ ــ (مجلة المورد) بغداد ، العراق .

٢٩٥ ـ (مقالات الشبلى) مجلد ٦ ، غرام كاره ، الهند .

١٩٦ ـ (مجلة درع الوطن) ابو ظبى ، الامارات العربية المتحدة .

٢٩٧ ـ (مجلة الأستاذ) بغــداد ، العراق .

٢٩٨ ـ (مجلة النجم) بغــداد ، العراق .

٢٩٩ ـ (مجلة ايزيس) بغــداد ، العراق .

٣٠٠ ـ (مجلة المقتطف) مجلد ٣٩ ، بيروت ، لبنــان .

٣٠١ ـ (مجلة المشرق) بغــداد ، العراق .

سادسا ـ المراجع الأجنبية :

302 — A. M. A. SHUSHTERY
OUTLINES ISLAMIC CULTURE, Lahore, Pakistan, 1975.

303 — BARTHOLD, W.
TURKESTAN DOWN ON THE MONGOL INVASION, Luzac, 1938.

304 — BROWN, E.
A LITERARY HISTORY OF PERSIA, London, 1926.

305 — E. H. WILDS
THE FOUNDATIONS OF MODERN EDUCATION, London, 1959.

306 — ENCYCLOPEDIA OF ISLAM, ART MASJID.

307 — GIBB, H.
ARABIC LITERATURE, Oxford, 1928.

308 — ISLAMIC CULTURE, 1929.

309 — HITTI, P. K.
THE HISTORY OF THE ARABS, London, 1949.

310 KHUDA BUKHSH
CONTRIBUTION OF THE HISTORY OF ISLAMIC CIVILIZATION, Calcutta, 1905.
ISLAMIC LIBRARIES, 1942.

311 — HUGHES, THOMAS PATRICK
DICTIONARY OF ISLAM, London, 1885.

312 — J. WINDROW SMEETMAN
ISLAMIC AND CHRISTIAN THEOLOGY, London, 1945, vol., I, II.

313 — MUHAMMAD MARMADUKE
PICKHALL, London.

314 — NICHOLSON, R. A.
A LITERARY HISTORY OF THE ARABS, Cambridge, 1930.

315 — PALMER, E.
HARUN RASHID, Marcus Ward, 1881.

316 — RICHARD COKE
BAGDAD THE CITY OF PEACE, Thornlon 1927.

317 — ROBERT BRIFFAULT
THE MAKING OF HUMANITY, England 1919.

318 — S. AMEER ALI
A SHORT HISTORY OF SARACENS, London, 1916.

319 — S. AMEER ALI
THE SPIRIT OF ISLAM, London, 1940.

320 — Sir. THOMAS ARNOLD
LEGACY OF ISLAM, Oxford University, 1931.

321— SAYED MUHAMMAD AL-NAGIB AL-ATTAS
AIMS & OBJECTIVES OF ISLAMIC EDUCATION,
King Abdul Aziz University, 1979.

322 — SAYED SAJJAD HUSSAIN
CRISTAIN MUSLIM EDUCATION, England, 1919.

323 — AMAN — ALLAH KHAN
AL MAMWN AND HIS BAYT AL-HIKMAT,
Pakistan, Lahore, 30 November 1962.

الفهرس

صفحة

البـــاب الأول

الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهـــدافها

الفصل الثانى : انشاء بيت الحكمة

الفصل الثالث : النظام الادارى فى بيت الحكمة

صفحة

الفصل الرابع : أثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى

الباب الثانى

الفصل الأول : تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها

الفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة

صفحة

صفحة

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية
وتعليمية على المدارس الاسلامية

الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة اسلامية عظيمة

الباب الرابع

الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها

١ ــ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة :

صفحة

الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة
والعلماء الذين عملوا فيها

البـــاب الخامس

الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم

صفحة

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٩/٤٦١٦

الترقيم الدولى × — ٠٣٥٠ — ١٠ — ٩٧٧

شركة دار الاشعاع للطباعة

١٤ ش عبد الحميد ـ جنينة قاميش
السيدة زينب ـ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩

Some Historians said that Howlaku (The leader of Al Maghole) built the Stables and the animal food containers from these books instead of mud.

Thus, Howlako destroyed all the valuable books that were tranns-lated by the Muslems writers and scholars who were encouraged by Chaliphs who helped in spreading culture among Muslims and others.

Another point worth nothing is that **Bayt AL Hikmat** preserved and mastered a lot of the Culture of the old civilized world.

We should notice the importance of **Bayt EL Hikma** in the birth of the Islamic civilization. In fact it was the main reason behined the progress the Muslims achieved in all aspects of their new civilizations.

Bayt Al Hikma was the link between the Arabs on one hand and Greeks, the Indians and the Persians on the other. It played a great role in knowing the old cultures and civilizations, keeping their legaly and passing it to the following generation. Without this great role, all these civilizations would fall down through losing it's legacy.

Bayt Al Hikma without doubt, was the main reason behind that all.

He could bring his friends who were physicians from Gondjasabore to Baghdad and studies Arabic. He had a book in Logic.

Haneen ben Ishaq revised Batlaimous book which was translated by Ibrahim Ben selt.

He was very skillful in translation which made him very closed to Al Maamoun. He visited syria and little Asia in ordered to collect books. Dawoud and Ishak were his sons. Dawoud was very specialised in medicin.

Al kendy or Abu Yousuf Yaakaup Ben Ishak, who was an Arab, was the Arab and Islam Philosopher. He worked on, medicin, astronomy, philosophy and logic. In his joined between Aflatoun and Arresto opinions in Philosophy.

About all Bakhtjshun who was during the Abbasside state - became very famous. Jebreel Ben was highly educated in all the subjects involved in medicin. He wrote many books in paleozoology.

Supporting the translator was not restict on the Caliphas but also on the ministers, rulers, and the cheif officer.

So, **Bayt Al Hikma** contained the books written in legisiation and ureology. The Arabs were not only satisfied with translating the books but also they studied them carefully in order to benefit from them.

It was most probable that **Bayt AL Hikmat** lost it's shining after Al Mutawakel due to the transforme of the successior from Baghdad to Samarra. **Bayt AL Hikmat** went on Resisiting until Al Maghole conquered Baghdad in 656 Hijri 1258.

Al Maghole or Al Tatar, did not care of it's book treasuries so they burnt some and threw the others in the Tigirus.

He was very interested in Philosophy and Logic by which he could build up his general knowledge and theology.

Al Maamoun used to ask the Roman Kings to provide him with the valuable wisdom books whenever he reached to an agreement with them. Consequently, Mekheel the third sent one of the famoust library in kustanteena.

Furthermore, he respected all the scientists from all the Christian creeds whom were invited to his palace.

Bayt AL Hikma was the pulpit of forgivness during AL Maamoun and the Abbasiden successors age.

The Philosophers from the other religions used to debate with the Muslems in all religious affairs.

Books in philosophy, Engineering and History were written by the monasteries in Syria, Little Asia, Syrian Coast and Palestine.

Al Maamoun age is considered as the most prominent age in the Arab Culture. Consequently it was called the Golden Islamic age.

The Abbassides successors made it easy for people to get all the scientific books were available at that time. So, **Bayt AL Hikma** was created in order to propogate the other nations cultures and knowledges.

Al Hassan Ben Sahel was one of the prominent translator during the age of Al Maamoun and Ahmed Yehia Ben Jabar.

Abu Hafs Omar Ben Al Farkhan Al Jabari was a translator and specialised at astronomy.

Haneen Ben Ishaq who wes introdused to Al Maamoun by Musa sons, was assigned as the head of Al Hikma Institution.

The rich people used to keep a copy of the translated books but the originals were kept in **Bayt AL Hikma.**

The translated material was revised by Thabet Al Harrani and Haneen Ben Ishak who were profissional in translation.

Paper factories were established in Bagdad and all the Arab countries during Al Rasheed age. But before that, AL Barde papers, leathers and even bones were used for writing.

The paper manufacturing prosperity helped to propogate the Arabic Culture. Teaching syllabus was in higt standard specially in philosophy, Physices, Maths, Astronomy, History, Giography and Music.

Abu Yousuf was the first one who applied the teacher's uniform which was a black turban and cloak.

Chemistry was one of the scientific subject considered during the Abbassied's age. Jaber Ben Haian became one of the prominent chemists at that time. He invented many thiories which were translated into Latin.

Al Rasheed assigned Al Fadel Ben Nubikht in order to translate and keep the Pherisian books. Ben Mousaweih was also incharged of the old Medical Book which were brough during his missions.

The movement of Arabizing the books in medicine, astronomy and maths from the Indian Language increased during Al Rasheed age.

Many Indian Scientists came Baghdad or were invited by Al Maamoun. A great emphasis was put on the Indian and Phersian books during the first days of Al Rasheed.

Al Maamoun opened all the doors of **Bayt Al Hikma** treasuries infront of all the scientists and he was aware of all the researches, studies and discussions raised at that time.

Such libraries contained books in all subjeats like logic, philosophy, and astronomy were open for public people.

The Abbasied successors propogated the science among all the ranks of people.

Ali Ben Yehia — Died in 275 Hijra — established a Library in his palace called al Hikma treasury where people form different countries used to come to study and accomodated on his account.

Bayt Al Hikma was managed by the owner who was in charged of its affairs.

Sahl Ben Haroun was assigned by Al Maamoun who took care and maintained the treasuries. He organised Al Maamoun's private treasuries.

Ebn Abi Al Hareesh was a binder in Al Hikma treasury.

Yeuhanna Ben Mussaweeh was the translation trustee during the ages of Al Rasheed, Al Ameen, Al Maamoun and Al Mutawakel.

Maths, Engineering and Music were taken care by Banu Shaker.

Qusta Ben Luga supervised the translation section in **Bayt Al Hikma** because he was an expert in Greek.

Bayt AL Hikma started to be a Public Library then it was developed till it became an Islamic University in which the scientists and researchers used to meet.

It became a high scientific and Cultural establishment that contained books in Logic, medicin, Maths and Philosophy.

By studying the historic documents, it was found that **Bayt AL Hikma** did not restrict on translation but on some other duties such as bibliopegy and producing copies to be distributed to the well known libraries at that time like **Bayt AL Hikma** in Tunisia and Cairo.

treasuries. In each one there were many Volumes. **Bayt AL Hikma** was devided into different sections which were used for keeping books, translation, dictating, writing, books binding and reading.

Some people used to call it **Bayt Al Hikma or Al Hikma treasury.**

Haji Khalifa — in Kashf Al Thunoon — called it Bayt Al Hikma and Ibn Al Nadeem — in Al Fahrest — called it Al Hikma treasury.

The researchers disagreed on the establisher of **Bayt Al Hikma.** Some of them said that it was established by Al Maamoun and more than one of them said that it was established by Al Rasheed. It was confirmed by Yaquot Al Hamawi that it was established during Al Rasheed age.

Abu Sahel translated materials from Persien to Arabic during Al Rasheed age.

Al Rasheed propagated the education by establishing a place where he collected and kept agreat number of the valuable books. He also tried to increase the number of these books and took care of their titles. AL Maamoun made Dar Al Hikma not only a Library but also a translation centre which eventually was changed into an academy so, Al Maamoun age is considered as the most prosperous days of **Bayt Al Hikma.**

It is said that **Bayt Al Hikma** which contained rooms and treasuries an independent building of the successor's palaces.

I think Bayt means Al Rasheed, Al Barameka and Al Maamoun treasuries. Each one is considered for a certain kind of books.

It is clear that **Bayt Al Hikma** differes from any other educational institution established on the third Hijra century.

The Al Hikma private houses were the libraries established by the scientists, rich people, liturers and the well known people.

A SUMMARY OF THE RESEARCH

By now, it has been made clear my objective is to study **Bayt Al Hikma** in abbasside age since its establishment until it became an academic and educational establishment for the scientific and high studies.

During the prosperity of the Abbasside age, Baghdad was the Kaaba for the scientists and physicians form all the religions. It was the first Islamic Center for the high study and translation. There were a Public Library and an observatory in **Bayt Al Hikma.** It was established before **Al Azhar** and any other **European Universities.** Consequently, it was one of the oldest Colleges and Universities established at that time.

It can be said that the first Abbasside age was the most productive period in Islam.

A collection of translated books was known during **Al Rasheed age** in Medicine, Astronomy, Philosophy, Wisdom, Literature and Stories.

There were some other books which were written in Quraan, Grammer,and History. **Al Rasheed** followed his grandfather in encouraging the Scientific Production. He wrote to the Princes and to the Soldiers encouraging them to take care of the science and scientists.

Al Rasheed was an example to Al Mamoun, Banou Aumhaiah and Al Hakam Ben AL Nasser who was assigned in 350 Hijra. He established a Library in Kurtubah.

Bayt Al Hikma can be described by saying that it was a larg building in which there were many rooms that contained collections of books

